



a32101



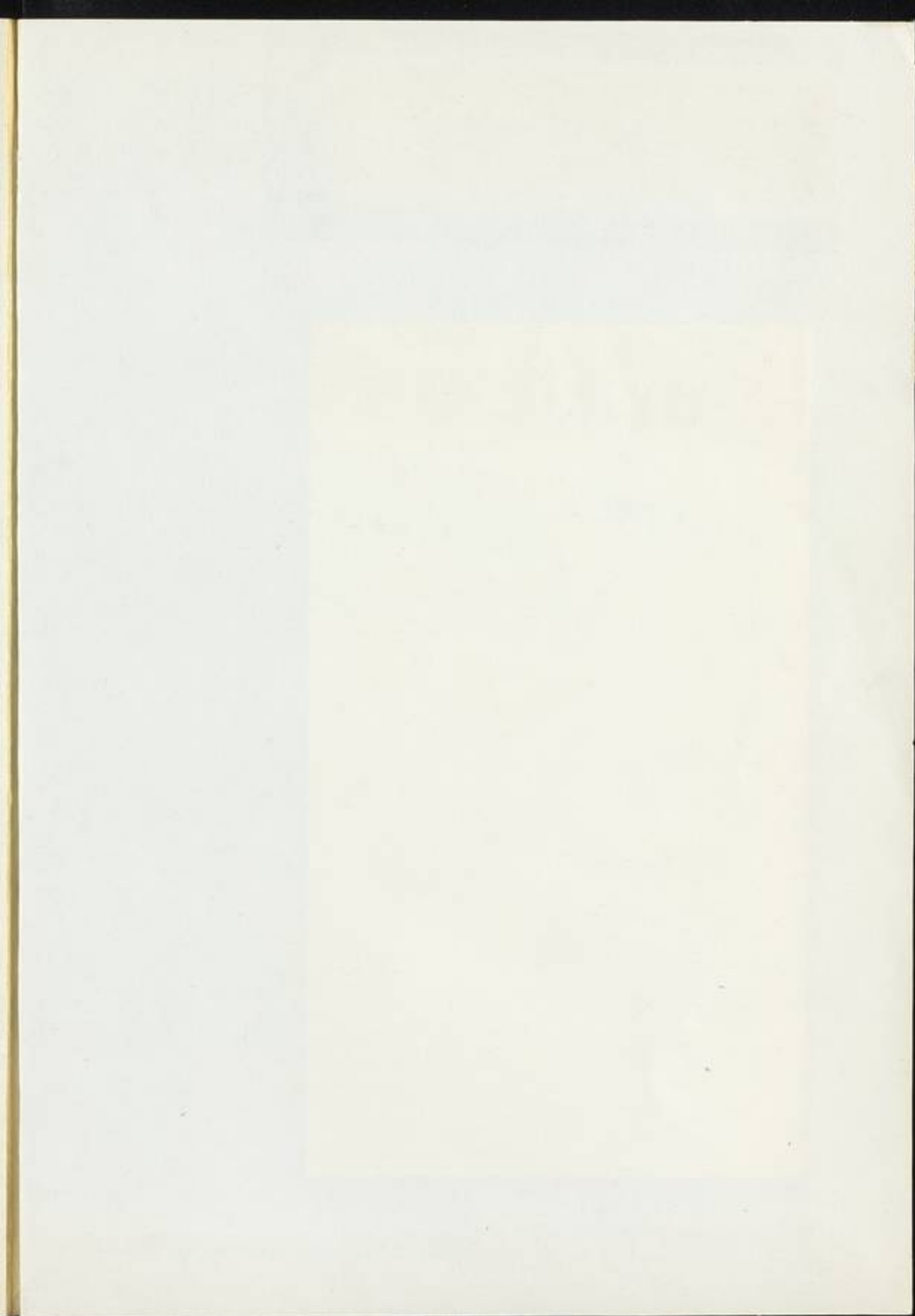
003985916b

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

JUN 15 2002

JUN 15 2002

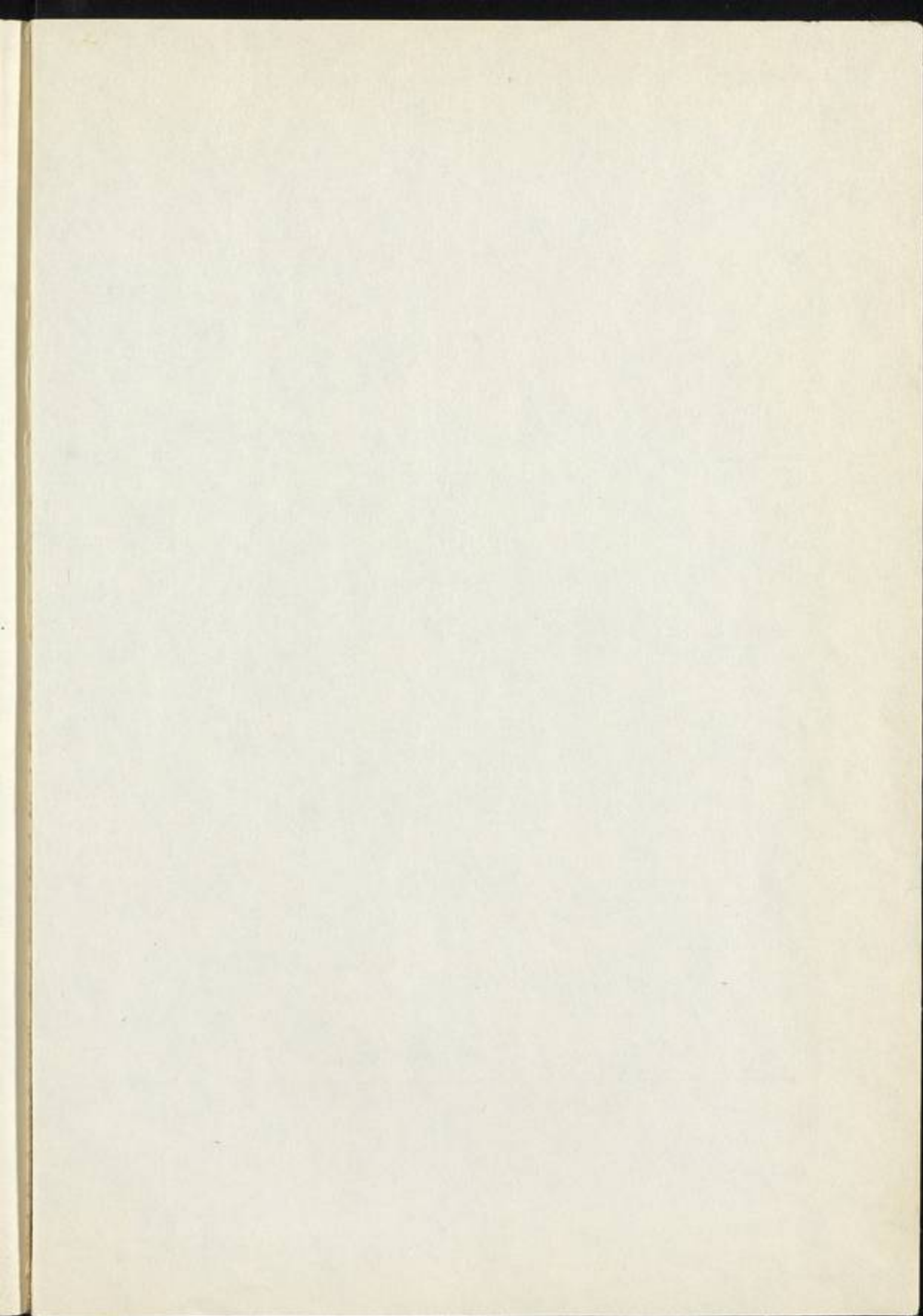


منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية

سلسلة القصة والمسرحية

١٩٧٨

(٧٥)



Sayyid, Mahmūd Ahmad

الأعمال الكاملة

لمحمود أحمد السيد

إعداد وتقديم

الدكتور عبد الله أحمد

الدكتور علي جواد الطاهر

(Arab)

PJ7862

·A973C65

1978

المقدمة

ولد محمود احمد السيد في ١٤/٣/١٩٠٣ ببغداد ، وكان ابوه مدرسا في جامع الحيدر خانة ، وإماما لجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني . وقد نشأ في هذا الجو الديني . وشرع يتعلم ويقرأ مما تيسر له في مكتبة ابيه من كتب ادبية . وحصل على قدر من التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية العثمانية ، ثم دخل - في عهد الاحتلال الانكليزي - دورة قصيرة للهندسة ، وسافر الى الهند ، ومكث فيها حوالي العام ، وعاد سنة ١٩٢٠ ، أيام الثورة العراقية ، وحصل على وظيفة صغيرة . ثم اخذ يسهم في الحياة العامة تلبية لطموح و طاقة لديه . وكان التقاؤه بحسين الرحال في هذا العام من الاحداث الحاسمة في توجيه تفكيره الى الخدمة الاجتماعية ، والرأي الاشتراكي بعد ذلك .

وقد وجد في نفسه ، نتيجة لقراءاته ، ميلا لكتابة القصة ، فزاولها ، واخرج اولى قصصه او رواياته بمصطلح ذلك الزمن ، « في سبيل الزواج » عام ١٩٢١ ، ثم « مصير الضعفاء » عام ١٩٢٢ . كما كتب أشياء أشبه بالقصة القصيرة اختار من مجموعها ما نشره باسم « النكبات » في عام ١٩٢٢ أيضا . ولقد كان السيد في قصصه هذه الرائد الذي اقتحم طريقا بكرا ، لم يجد في الساحة من يدعمه فيه ، غير حماسته ورغبته الجارفة في ان يرى هذا الفن الذي بهر به ، يأخذ مكانه في الادب العراقي الحديث ، مهما بلغت الصعاب . وهو فن جديد على الادب العربي ، ناهيك عن الادب العراقي . وقد كتب في مقدمة روايته الثانية « مصير الضعفاء » يقول : « طالما كانت تشوقني نفسي الى كتابة الروايات . ولكنني كنت أتردد واحجم لما في الامر من صعوبة . استشرت هذا وذلك . فلم اجد احدا يشجعني على الكتابة بهذا الموضوع . ولم آلف رجلا يشير علي بشيء سوى الكف عنه وتركه بناتا . ذلك لانهم استصغروا شائي وحسبوا ان لن أقدر عليه . بل توهموا انه شيء عظيم لا يستطيع اي كاتب من العراقيين دخول بابه كان كتاب الروايات في الامم الاخرى اناس هبطوا من السماء . لم أعبا بذلك . بل رجعت فكتبت اول رواية وهي (في سبيل الزواج) ولكن أتضح بعد ظهورها انها ناقصة من عدة وجوه . حتى استخف بها البعض . ولم يستحسنها البعض الاخر ولكن ذلك لم يثبط من همتي شيئا بل قلت لاعالجن هذا الموضوع . فاكتبن فيه حتى يتسنى لي النجاح »

وإذا كانت محاولاته الاولى هذه ، في القصة ، التي كتبها اوائل العشرينات ، يشوبها الكثير مما يضعف منها ، لانها كتابات كاتب ناشئ صغير السن ، لم يدرك بعد للفن القصصي مقومات يمكن ان يقيم عليها عملا له قيمته ، فإنها رغم ذلك تكتسب قيمة كبرى ، من كونها تمثل المحاولات الاولى في تاريخ القصة العراقية التي تنهج في الطريق الصحيح . فلم تكن المحاولات التي سبقتها ، او التي نشرت في زمنها لتشير الى شيء من هذا (١) . لقد كانت محاولاته هذه على سذاجتها ، تشكل ابرز المحاولات الجادة المبكرة لتقديم الادب القصصي ، بشكله الذي كان سائدا في العالم العربي آنذاك ، الى العراق ، بقلم احد ابناؤه . وكانت لذلك المحاولات الوحيدة (الاساسية) التي يمكن الركون اليها لمعرفة واقع هذا الادب في بداياته المبكرة الاولى فيه ، التي تحدد طبيعة اتجاهاته وخصائصه الفنية . ومن يقرأها يجد أنها ، وخاصة الطويلة منها ، قصص مغامرات ، تقيم بناءها في الاثر ، على عقدة عاطفية ، فهي لذلك قصص رومانسية مفرقة في رومانسيتها ، كتبت بلغة تسودها النزعة الانشائية ، وتسرف في عاطفيتها اسرافا شديدا . وهي بذلك ، ورغم سذاجتها الفكرية والفنية ايضا ، تعكس واقع هذه الفئة من أبناء الجيل الجديد من العراقيين الذين استقبلتهم الحياة مع مطلع القرن العشرين ، وادركوا واقعها ، في فترة كانت جيوش الاحتلال البريطاني تطأ أرض بلادهم ، فتلمس فيها هذه الروح التي عايشتهم ، المتوثبة ، الساخطة ، المتمردة ، الراضة لمظاهر التخلف التي تسود المجتمع ، والنظم الجائرة والعادات البالية التي تتحكم به ، والباحثة في الوقت نفسه عن طريق لصلاحه ، وإذ اعجزتهم قدراتهم عن ذلك ، وكان لابد ان تعجزهم ، لم يكن امامهم الا ان يجاروا بالشكوى .

ويبدو ان السيد كان من بين ابناء جيله ، اكثرهم حساسية ، فاشتد لديه لذلك ، التشاؤم ، على الزمن . حتى قارب التفكير بالانتحار - ان لم يصل حد الاقدام عليه - لولا محاولة اصدقائه في التخفيف عنه ، وحمله على العنول عنه . وهو ما يمكن ان نتلمسه بوضوح في كتاب « السهام المتقابلة » المطبوع عام ١٩٢٢ ، وقد احتوى محاورات على هيئة رسائل متبادلة بينه ، وعونى بكر صدقي .

١ (المحاولات التي سبقتها محاولات بدائية ، معظمها كتب في اطار قصص الرؤيا . وهي قصيرة الا « الرواية الابيقافية » لسليمان فيفي التي نشرت في البصرة عام ١٩١٩ . كما يمكن ان نذكر من هذه المحاولات قصة «التساء» لجعفر الخليلي المنشورة في النجف عام ١٣٤١هـ ، التي ذكر مؤلفها عنها ، في اكثر من مناسبة ، أنها مما لا يجب ان تسب اليه . أما المحاولات التي نشرت في زمنها فيمكن ان نذكر منها رواية « فتاة بغداد » التي نشرتها مجلة « الزينقة » سلسلة ، دون ذكر اسم مؤلفها ، ابتداء من العدد (١) السنة ١ ، ت ١ ، ١٩٢٢ ، ولم تكمل نشرها . ورواية « سلمى ونديم » لسامي خوند التي نشرت سلسلة في جريدة « الاستقلال » ابتداء من العدد ١٧٢١ ميس ١٩٢٣ ، ولم يكمل نشرها ايضا .

على انه لم يكن ممكنا ان يبقى السيد على حاله الفكرية هذه ، وان يظل
 اديه القصصي لذلك على حاله من السذاجة التي كشفت عنها محاولاته الاولى ،
 فهذا الاديب اللصيق بالارض العراقية ، الشديد الحماس لتقدمها ، العامل
 بان دفاع من اجل تطوير نفسه ليكون أكثر قدرة على الاسهام في خدمتها ، لابد ان
 يكتشف سريعا ما في اديه من سذاجة فكرية وفنية . وقد حدث ، فها هو ذا في
 ذروة حماسه يوما ، يدرك على نحو هزء عميقا ، ان ما كان يكتبه من قصص
 لا يحقق له ما يروم ، بل على الضد من ذلك ، انه قد يؤدي الى مالا يروم ويسعى
 جهده لازالته . لقد اراد من القصص ان تكون اداة اصلاح ، وبدا له لفترة من
 حياته ، ان ما كان يقرأه من نماذجها المنتشرة في الاسواق العراقية آنذاك ، وهي
 نماذج تسير في اتجاه روايات الفرام والمغامرات ، او ما قدمه ، مؤلفا او مترجما ،
 المنفلوطي وجبران خليل جبران ، هي النماذج الفضلى التي يحسن تقليدها ،
 لتحقيق غاياته ، اذا به يكتشف ، بعد ان أخذ يقرأ الوانا جديدة جادة من الادب
 والفكر ، عدم جدوى ما كتبه . لقد عانى نتيجة لذلك احساسا ممزقا بالندم ،
 فكتب يعلن ذلك لقراءه : « ليت السلطات في الشرق . . ولا تقضب ايها
 القاريء . . بيد اناس ماديين قساة ، يعملون على كسر قلم كل اديب خيالي او
 روائي غرامي ، يدعي العصرية ، ولكن لا فرق بين نفسيته ونفسية ذلك الشاعر
 القديم القائل « احبها ويحب ناقتها بعيري » إلا بالمظهر الكاذب . آه . ليت
 الظروف كانت تفهم ، فتكسر يدي قبل ان اكتب تلك الروايات الفرامية الفاسدة
 الثلاث : « في سبيل الزواج » و « مصير الضعفاء » و « النكبات » السخيفة التي
 اعدتها لطخة عار في حياتي وحياة الادب » (٢) .

ان السنوات القليلة - الثلاث او الاربعة - التي اعقبت ذلك لم تشهد
 لديه محاولات لكتابة القصة من جديد. بل راح في بدايتها يستقبل الحياة بكتابات
 جادة وفكرية ، نشرها في كراسات صغيرة اطلق عليها اسم «مكتبة الشبيبة» اصدر منها
 عام ١٩٢٣ اثنتين هما : « هياكل الجهل » و « القلم المكسور » . واعلن عن ثالثة
 باسم « الصحيفة السوداء » ورابعة باسم « زهراء » ولكنه لم يصدر ما اعلن
 عنه . ثم راح بعد ذلك يكتب مقالات اجتماعية وفكرية مختلفة ينشرها هنا وهناك
 من مجلات وجرائد مثل اليقين ، العاصمة ، الناشئة . ثم رأى هو وصفوة
 اصدقائه الذين كانوا يتألمون لما كانت عليه البلاد من تأخر ، ويدعون الى الإصلاح
 والتقدم والتجديد ، ان يصدر « صحيفة ادبية اجتماعية يومية لبث الافكار
 الحرة الجديدة » فلم يصلوا الى نتيجة . ثم حدث ان نقل الى « الديوانية »
 مديرا لتحريرات اللواء ، فاقام فيها مدة يطلع على احوال الناس ،
 والفلاحين منهم على وجه الخصوص ، ويقرأ كثيرا ويكتب ويراسل مجلات
 وجرائد بغدادية ، كالصباح والعراق . تمكن اصحابه خلالها من اعداد العدة لجرادة

(٢) مقالة « هياكل الماضي » - العراق ، العدد ١٠٠٨ ، السنة ٤ ، ايلول ١٩٢٣ .

«عقائدية تجديدية تدعو الى السفور . . . وتحارب الاقطاع والاستغلال وتؤمن بتطور التاريخ نحو الديمقراطية وصالح الشعب ، وتعنى عناية خاصة بنظرية التطور . . .» واختاروا لها اسم « الصحيفة » ، وصدر عددها الاول في ٢٨-١١-١٩٢٤ . وقد صدر من « الصحيفة » ذات الالهية الخاصة في تاريخ مسيرة الحركة الفكرية التقدمية في العراق ، ستة اعداد نشر فيها محمود احمد عدة مقالات ، كما نشر في غيرها مثل « الفضيلة » و « الاستقلال » مقالات اخرى . وظل طيلة اقامته في الديوانية التي دامت اكثر من سنتين يواصل الكتابة في الصحف والمجلات المختلفة ، واستمر على ذلك بعد نقله الى بغداد ، حتى اصبح له من المقالات عدد كبير ، يمكن ان يلمس المدارس فيها تطورا بينا في اسلوبها ، وتمكنا من فنها ، بحيث تتجلى فيها وحدة الموضوع ووضوحه وجودة اللغة ، وما يقتضيه فن المقال احيانا من حماسة . وهذه المقالات ، والمقالات الاخرى ، التي سيوالي نشرها بعد ذلك في الصحف والمجلات العراقية والعربية ، تحتل موقعا مهما في تاريخ المقالة في الادب العراقي الحديث ، كما تكتسب اهمية خاصة من كونها تعكس الكثير من واقع الحياة الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية في العراق بين الحربين . وهي لذلك جديرة بان تجمع وتُنشر في كتاب خاص .

على ان المهم في الامر ان هذه السنوات - الثلاث او الاربعة - التي شهدت هذا النشاط الفكري والادبي الجاد ، قد اتاحت له ، فيما اتاحت ، فرصة ان يصحح مفاهيمه عن الادب القصصي وحقيقة اتجاهاته . فقد تعرف خلالها ، عن طريق اللغة التركية بخاصة ، التي كان يحسنها ، على الادب القصصي الحق كما كتبه كبار كتابه في الادب الاوربي : تولستوي ، دوستوفسكي ، شيشخوف ، جوركي ، اميل زولا ، فرانسواكوبه . . . الخ ، فادرك ان هذا الادب غير ما كان يعرفه واثار حفيظته عليه . فحاول من جديد ، بعد تراث لا يخلو من تردد ، ان يمارسه . ولكن على نحو فيه الكثير من الادراك لمقوماته الفنية . ان ما نشره السيد بعد ذلك ، من نتاج قصصي ينتمي الى مرحلة ثانية في حياته الادبية جديدة تماما . وهو الذي يستحق الدرس والتقدير ، ويقدم الى القراء اليوم من جديد . وهو الذي جعل منه رائدا للقصة العراقية بحق ، ومن الذين تصد محاولاتهم القصصية من هذه المحاولات الجادة المخلصة التي كتبها القصاصون العرب في هذه الفترة من اواخر العشرينات واولئ الثلاثينات ، والتي شكلت بدايات القصة الفنية في الادب العربي الحديث . وانك اذ تبحث في الادب العراقي في هذه الفترة ، بين من كانوا يمارسون هذا الفن ، لا تجد من يمكن ان يرقى الى مستواه من النضج وسعة المحاولة وصواب الاتجاه ، فتقرنه به فكان بذلك كانه جيل وحده ، اختزل في بلده الناهض حديثا

المراحل حتى أصبح ممكنا ان نقرنه بهذا الرعيل الجاد من كتاب القصة الفنية - آنذاك في مصر : محمود تيمور ، محمود طاهر لاشين ، يحيى حقي . . . وغيرهم ممن عرفوا بكتاب المدرسة الحديثة في القصة . لقد كان محمود احمد السيد بعبارة أدق قاصا وولد في العراق ينتمي الى جيل من القصاصين بقية أفراده عاشوا في بلاد عربية أخرى ، أكثر تطورا ، أتاحت لهم بفعل تطورها ، مالم تتحه له بلاده ، ان ينضجوا اعمالهم الفنية ، وفق بجهده الفردي الى حد كبير في ان يرقى بفنه القصصي الى درجة من النضج ، أمكن معها عده واحدا منهم .

ان دارس نتاج محمود احمد السيد القصصي في مرحلته الثانية ، الذي يضع في حسابه تاريخ كتابته ، والظروف التي احاطت بمنشئه ، ودرجة تطور المجتمع والفكر في العراق آنذاك، ينتهي الى اكار الجليل الذي يسعى دون عضد كبير، الى ان يكرس في الحياة الادبية فنا مازال هناك من يستهين به في العراق حتى الوقت الحاضر . خاصة في هذه الاوساط الادبية التي تدب بفكر محافظ . ويزداد انباده حين يدرك انه نهج في طريق اكدت صوابه الايام . فقد رأى ابتداء ، وقبل ان يحاول العودة الى ممارسته ، او يدعو غيره الى ممارسته ، دعوة الادباء اولا الى تقديمه الى بيتنا ، وان يختاروا من هذا الادب الذي يقدمونه ما يلائمنا . وقد قال : « اني ارى من واجب الادباء عندنا - تمهيدا لادخال القصة والاقصوصة في ادبنا - ان يعرضوا علينا بواسطة النقل والتلخيص والتحليل نماذج مما شاع وانتشر منها في الآداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية وتركية . فإنها تتفق واذواقنا ولا تكون بعيدة عن نفسياتنا . . . » (٣) .

وقد فعل هو ما دعا الادباء اليه ، فعرض على القراء ، بواسطة النقل والتلخيص والتحليل نماذج مما رأى مهما تقديمه الى بيتنا من الادب الروسي الذي بهر به ، والادب التركي الذي هزه فيه نزوعه الى الحرية ، والى هدم التقاليد البالية التي كانت تموق مجتمعه عن التقدم . لقد أدرك ان « القصة هي العنصر الاهم من عناصر الادب العالمي في هذا العصر وان الادب العربي مازال محروما منها » لذلك رأى متطرفا : « ان من واجب كل ادب ان يزاول كتابتها » (٤) . ولكنه وهو يدعو الى ذلك لم يرد لهذا الفن ان ينصرف عن غايات كان يؤمن بضرورة التزامه بها . ومن هنا قرن هذه الدعوة ، بالدعوة الى ما اسماه بالادب الشعبي : « الذي يكون مرآة لحياة الشعب يعبر عن شعوره وآلامه واحزانه ومسراته وآلامه » (٥) . مشترطا ان تكتب القصة « لغاية واحدة : تصوير (الحياة

٣) مقالة « نزع من نزعات الادب القصصي التركي » - الاستقلال - ، العدد ١٠٩٥ السنة ٧ تموز ١٩٢٧ .

٤) مقال « قصصنا العراقية الشعبية » مجلة « الحديث » ، العدد ٧ ماس ١٩٢٨ .

٥) مقال « الادب الشعبي والافاني الشعبية » مجلة « الحديث » ، العدد ٢ ، ك ١٩٢٧ .

الشعبية) لتظهر للعيان الجوانب الكاملة منها والناقصة التي يسمى
المصلحون الى اصلاحها . (١) .

وبفعل هذا الادراك الواعي لمهمات الادب القصصي ولطبيعته ، اتجه محمود احمد السيد الى الحياة لتصويرها . فكان مدار قصصه حياته هو ، وحياة هؤلاء الناس الذين اتصل بهم . وهم في الاغلب من الناس البسطاء من ابناء البرجوازية الصغيرة الناشئة الذين يعيشون همومهم الخاصة ، وتطلعاتهم التي قادتهم الى الاصطدام بمجتمعهم ، ومعاناة خيبات الامل ، التي (اهارتهم) في احيان كثيرة ، او من هؤلاء الناس الذين افرزهم المجتمع في نهضته الجديدة ، الحافلة بالمتناقضات ، فكانوا جميعا ضحايا له . واقرأ لذلك من قصصه (جلال خالد) عام ١٩٢٨ ، هذه القصة القصيرة الطويلة ، كما يصطلح القريبون على تسمية مثلتها ، او الرواية القصيرة ، كما نرى الانسب استخدامه لتحديد هذا النوع من القصص الذي سيكتبه عدد من القصاصين في العراق في فترات لاحقة . ثم اقرأ له مجموعة (الطلائع) عام ١٩٢٩ ، ومن قصصها بصورة خاصة (انقلاب) و (سكران) ثم اقرأ مجموعته الاخيرة (في ساع من الزمن) عام ١٩٣٥ ، لتري كيف ان السيد كان في قصصه هذه لصيقا بالشعب والمجتمع العراقي ، مصورا لامال وتطلعات أفراد جيل جديد ناشيء ، فتح عينيه على الحياة ، وجنود الاحتلال البريطاني يجتاحون ارض بلاده ، مجسما الكثير من مظاهر التخلف التي تقصد بمجتمعهم عن النهوض المطلوب مما جعل قصصه صورة صادقة لمجتمعهم وجيله ، بحيث اكتسبت هذه الاصاله الخاصة ، التي نراها ضرورية لازمة للادب الحق ، وتتجلى في قدرته على معالجة القضايا الانسانية العامة ، من خلال تصويره للقضايا المحلية . ان ادب محمود السيد القصصي في مرحلته الثانية ، وثيقة مهمة لفترة مضت من تاريخ العراق الحديث ، لا غنى لدارس العراق في هذه الفترة عنها ، وهو في الوقت نفسه خطوة اولى راسخة في طريق الواقعية في القصة العراقية ، وضعت اساسا متينا لها ، خاصة وان صاحبها لم يفتعل وهو يدعو الى ان يتجه الادب القصصي اليها - وقد دعا اليها في أكثر من مكان مستخدما في دعوته هذا المصطلح - ما يحتاج اليه هذا الادب من جوانب فنية ، رآها ضرورة لازمة له . وقد كشفت ملاحظاته وتعليقاته النقدية التي كتبها اواخر العشرينات واولئ الثلاثينات ، انه كان يدرك طبيعة هذه الجوانب الفنية ، ادراكا ناضجا ، كما ان اعماله القصصية ، رغم نواحي ضعفها الفني التي لم يكن منها بد ، كشفت عن شيء غير قليل من هذا الادراك . ولو قدر لنهجه هذا في جانبه ، ان يمكن لنفسه بين القصاصين ، ولا يصيب مسيرة الادب القصصي في العراق ما اصابها من تفسر منذ اواخر الثلاثينات ، بحيث اتجه اتجاهات تبعد به عن هذا النهج الصائب

(٦) مقال « قصصنا العراقية الشعبية » السابق .

الذي يمكن ان نصلح عليه بالواقعية الفنية ، فتسوده المباشرة وضعف الفن ، في الاربعينات ، مما اوقع على عاتق مجموعة اخرى من القصاصين ، ممن عرفوا في الحياة الادبية بجييل الخمسينات ، عبء النهوض بالادب القصصي ودفعه من جديد في هذا الاتجاه الصائب ، فيكتسب ادب العديد منهم ، بسبب هذه العودة الكثير من الرواء الذي افتقدناه زمنا ، وهذه القيمة التي يؤكدنا لهم المدارسون . ثم لو قدر لنهجه هذا الذي دفع به قصاصو جييل الخمسينات خطوة كبيرة الى امام ، ان يتوطد وينمو في الحياة الادبية فلا يتعثر مرة اخرى في الستينات ، لكان حال الادب القصصي في العراق خيرا من حاله اليوم .

لقد كان مقدرنا لمحمود احمد السيد لما ذكرناه ، دور اكبر مما قام به . وكان نتاجه القصصي الاخير بما كشف عنه من نصج يؤكد فيه القصاص الفادر على التطور والعطاء . ولكن الحياة لم تمهله طويلا ، ونم يهنا بما حقق . لقد تدرج في وظائف الحكومة حتى صار في مركز مرموق حينذاك (سكرتير مجلس النواب) يحسده عليه الكثيرون . وهو اذ يصدر مجموعته الاخيرة « في ساع من الزمن » عام ١٩٢٥ ، فتخرج الى النور وعليها كلمتا « الجزء الاول » ويشرع في التهيؤ لاصدار الجزء الثاني - كما لا بد ان يكون - تشرع الامراض تنتابه ، وتتمكن منه ، فيضطر الى السفر الى مصر لاجراء عملية جراحية « لديدان الكبد » . فيتوفى - هناك - على اثرها صباح اليوم العاشر من شهر كانون الاول ١٩٣٧ ، مختتما حياته القصيرة الحافلة على هذا النحو الحزين المؤلم .

وبعد . .

فلا نحسب بعد ما ذكرناه عن محمود احمد السيد ، رغم ايجازه ، ان بنا حاجة الى ان نسوغ سبب اعادة نشر مؤلفاته في هذا الكتاب (١) . فهذه الاعادة تكتسب شرعيتها من كل ما ذكرناه ، وهي تأكيد على ان الجهد الاصيل الصادق لن يضيع . على ان من المهم ان نبين منهجنا في هذا النشر . فقد جعلنا مؤلفاته في هذا الكتاب على مرحلتين . تضم المرحلة الاولى انتاجه المبكر الذي نشره في اوائل العشرينات . وقد وزعناه الى قسمين . يشمل القسم الاول قصصه وهي :

(١) يمكن للقاريء الرجوع لتوضيح الملاحظات الموجزة السابقة الى دراستنا عن محمود احمد السيد المنشورة في كتاب وهي : محمود احمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق . نشأة القصة وتطورها في العراق ، فصل : محمود احمد السيد . الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية . الجزء الاول ، الباب الثاني ، توطئة : جذور الواقعية بين الحربين . وتدل هذه الدراسات على مراجع اخرى .

١ - رواية « في سبيل الزواج » . وصفها بأنها « رواية غرامية اجتماعية » . طبعت بمصر عام ١٩٢١ بنفقة وعناية نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد وقد اهدى الرواية اليه ، وذكر انها بقلم محمود آل المدرس (البغدادي) .

٢ - رواية « مصر الضعفاء » . وصفها بانها « رواية غرامية اجتماعية عراقية » . وذكر الى جانب عنوانها أحد أبيات الزهاوي

« النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء

ان من كان ضعيفا اكلته الاقوياء » .

طبعت في مطبعة الاعتماد بمصر عام ١٩٢٢ بنفقة المكتبة العصرية ببغداد ، واهداها « الى الحر الابي حسين بك الرحال » ، وذكر انها بقلم السيد محمود احمد البغدادي مؤلف رواية (في سبيل الزواج) .

٣ - النكبات . طبعت بمطبعة المعاهد بمصر عام ١٩٢٢ بنفقة وعناية محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد وكتب في اهدائها يقول : « الى : كوكب الذكاء المحتجب ناجي افندي المصرف اهدي هذه الروايات » . وذكر انها بقلم السيد محمود احمد « البغدادي » مؤلف رواية « مصر الضعفاء » .

والحقنا بهذا القسم قصة قصيرة كان قد نشرها في ملحق جريدة العراق المسائي (ملحق العراق في سنته الرابعة) العدد ٤١٦ ، ٢٠ لك ١٩٢٣ باسم محمود افندي احمد ، لكي نستوفي طبع ما وقفنا عليه من انتاجه القصصي في مرحلته الاولى (١) .

ويشمل القسم الثاني ما كتبه في عدد من الكتيبات غير القصصية وهي :

١- السهام المتقابلة : طبعت في المطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر عام ١٩٢٢ وذكر انها بقلم السيد محمود احمد البغدادي مؤلف مصر الضعفاء ، وعوني بكر صدقي مدرس بالمدرسة الحيدرية ببغداد .

٢ - ما نشره في مكتبة الشبيبة ، وهما كراسان . الاول بعنوان هياكل الجهل ، والثاني بعنوان القلم المكسور . وقد طبعا بمطبعة دار السلام ببغداد عام ١٩٢٣ ، وذكر انها بقلم محمود احمد .

اما مؤلفات المرحلة الثانية فتضم انتاجه القصصي المتطور وهو :

(١) اعيد نشر هذه القصة اولا في نشأة القصة ص ٢٧٢ .

١ - جلال خالد . وصفها بانها قصة عراقية موجزة : ١٩١٩ - ١٩٢٣ .
وأهداها الى فتية البلاد التي نريدها على الجهاد في سبيل الحرية
والحق . طبعت بمطبعة دار السلام ببغداد عام ١٩٢٨ ، وذكر انها
لمحمود احمد السيد المدرس .

٢ - الطلائع : صور واحاديث - موجزة - عراقية وغيرها . اهداها الى
« فتية البلاد المستعدة للجهاد في سبيل الحق والحرية ، مثلها الاعلى ،
يحدوها « الامل » الذي لا تقوى على « تحطيمه » قوة في الارض . » .
طبعت بمطبعة الاداب ببغداد عام ١٩٢٩ ، وذكر انها بقلم محمود احمد .

٣ - في ساع من الزمن . وصفها بانها صور عراقية ، وذكر انها الجزء الاول .
واهداها « الى كل من يعنى بدراسة الادب الحديث في العراق ، والى
صحابه الاكرمين » . طبعت ببغداد دون اشارة الى اسم المطبعة
عام ١٩٣٥ ، وذكر انها بقلم محمود . ا . السيد .

وقد الحقنا بمؤلفات مرحلته الثانية استيفاء لطبع نتاجه القصصي فيها
ما وقفنا عليه من قصص في الصحف والمجلات ولم يضمها الى كتاب لسبب من
الاسباب (٢) . وهي :

١ - ثورة على ابيه . مجلة « الحاصد » العدد ١٥ السنة ١ ٣٠ ايار ١٩٢٩
ص ٦ .

٢ - شكوى . جريدة البلاد العدد ١ السنة ١ ، ٢٥ ت ١٩٢٩ .

٣ - عبداللطيف بك . البلاد . العدد ٢ السنة ١ ، ٢٧ ت ١٩٢٩ .

٤ - شهامة . البلاد . العدد ١٥ السنة ١ ، ٢٦ ت ١٩٢٩ .

٥ - رسائل . نداء الشعب (ببل البلاد) العدد ٢٩٨ السنة ٢ ، ٢٧ ت ١٩٣٠ .

وقد الحقنا بمؤلفات محمود احمد السيد ايضا، ماتجمع لدينا من رسائله الخاصة
التي نرى في ايرادها ما يعين على درس اديه وعصره ، غير ما تمثله من نماذج لها
اهميتها في ادب الرسائل . وقد امدنا مشكورا برسائله الى الاب انستاس الكرمللي
الاستاذ جليل العطية .

وسيلاحظ القارئ ، وهو يقرأ الاعمال الكاملة لمحمود احمد السيد ، انه
يعيد كتابة او نشر عدد من قصصه في كتبه المختلفة ، على نحو يبدو معه كأنه
يكرر ماسبق ان كتبه ونشه . وهذه الظاهرة تبرز في انتاج المرحلة الثانية ،
باستثناء قصة واحدة من انتاج مرحلته الاولى ، كان قد نشرها في النكبات ،

(٢) اعيد نشر هذه القصص اولا في نشأة القصة ص ٢٧٥ وما بعدها .

ثم أعاد نشرها سهواً في هياكل الجهل كما نبه إلى ذلك . ويعود سبب هذه الظاهرة بشكل أساسي فيما نرى ، إلى عنايته بما تناوله في هذه القصص ، بحيث حرص على أن يؤكد عليه ، ويزيد إيضاحه ، ويعيد صياغته . ومهما يكن الرأي في تعليل هذه الظاهرة ، وموقف القارئ منها ، فإنه لا يعطينا الحق ، ولا لغيرنا ، في أن نتصرف في نتاجه ، الذي يجب أن يوضع كاملاً أمام القارئ كما نشره صاحبه في حياته . وهو ما فعلناه في هذا الكتاب .

ويبقى أن نشير في ختام هذه المقدمة إلى أن مؤلفات محمود أحمد السيد لا تخلو من الأخطاء النحوية والأملائية واللفوية . وقد أردنا أن ننبه إلى مواضعها ، إلا أن حرصنا على تقديم نصوص مؤلفاته كما نشرت ، ولانصحح إلا ما نبه هو إلى ضرورة تصحيحه أو ما بدا لنا أنه خطأ مطبعي واضح ، جعلنا نقصر الأمر على هذه الإشارة ، غير غافلين في الوقت ذاته التنبيه إلى أن هذه الأخطاء تكثر كثرة ملحوظة في نتاج مرحلته الأولى ، وتقل إلى حد الندرة في نتاج مرحلته الثانية ، التي توطد فيها أسلوبه وتحسن تركيب جملة ، لحرصه الشديد على تطوير لفته ، بالرجوع إلى الأساليب العربية القديمة . وهو حرص كان من مظاهره التي يمكن أن يلاحظها القارئ بسهولة ، إirاده الغريب من الألفاظ التي اضطرت إلى شرحها في الهوامش في بعض الأحيان .

الدكتور

الدكتور

عبدالإله أحمد

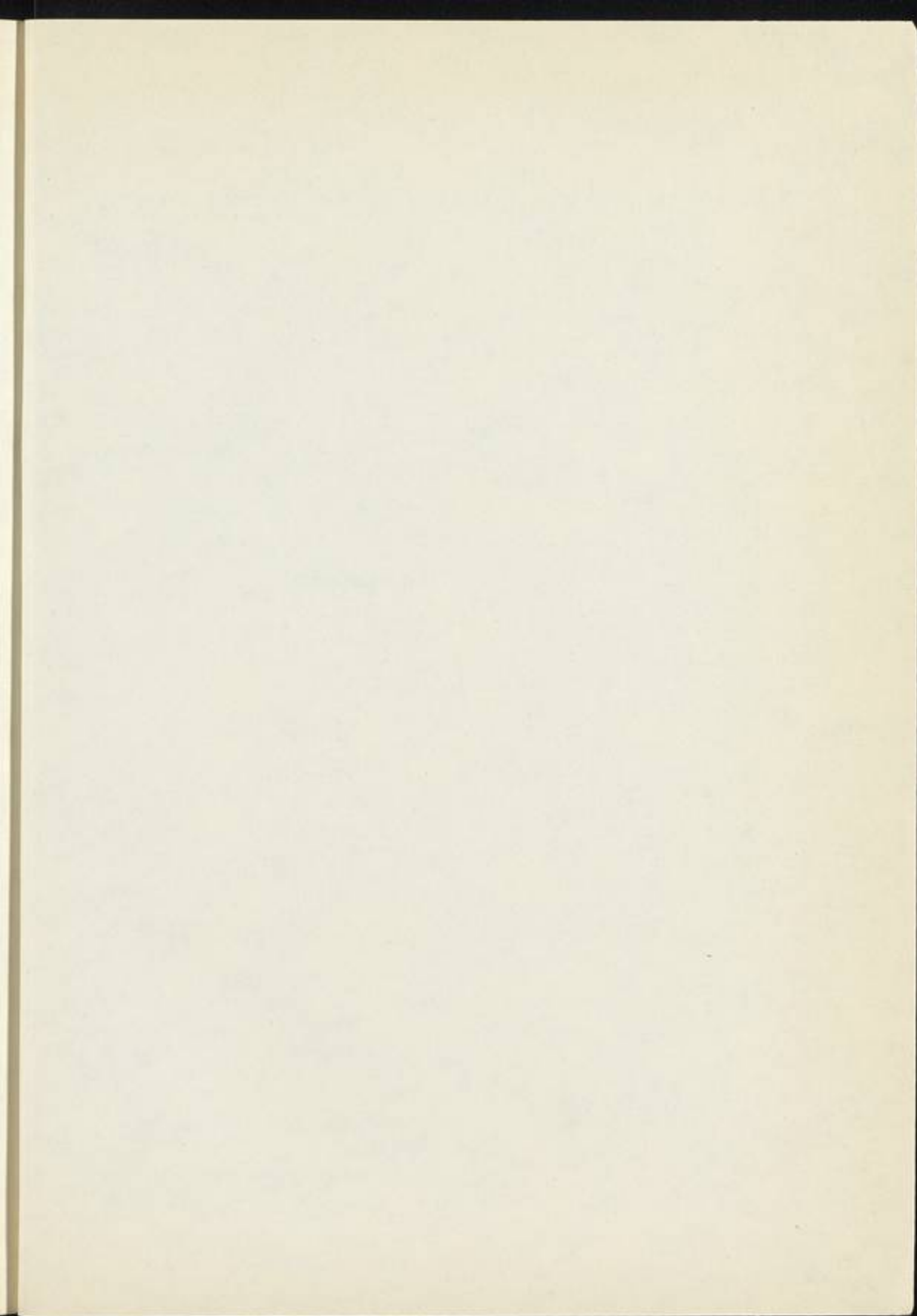
كلية الآداب - جامعة بغداد

علي جواد الطاهر

كلية الآداب - جامعة بغداد

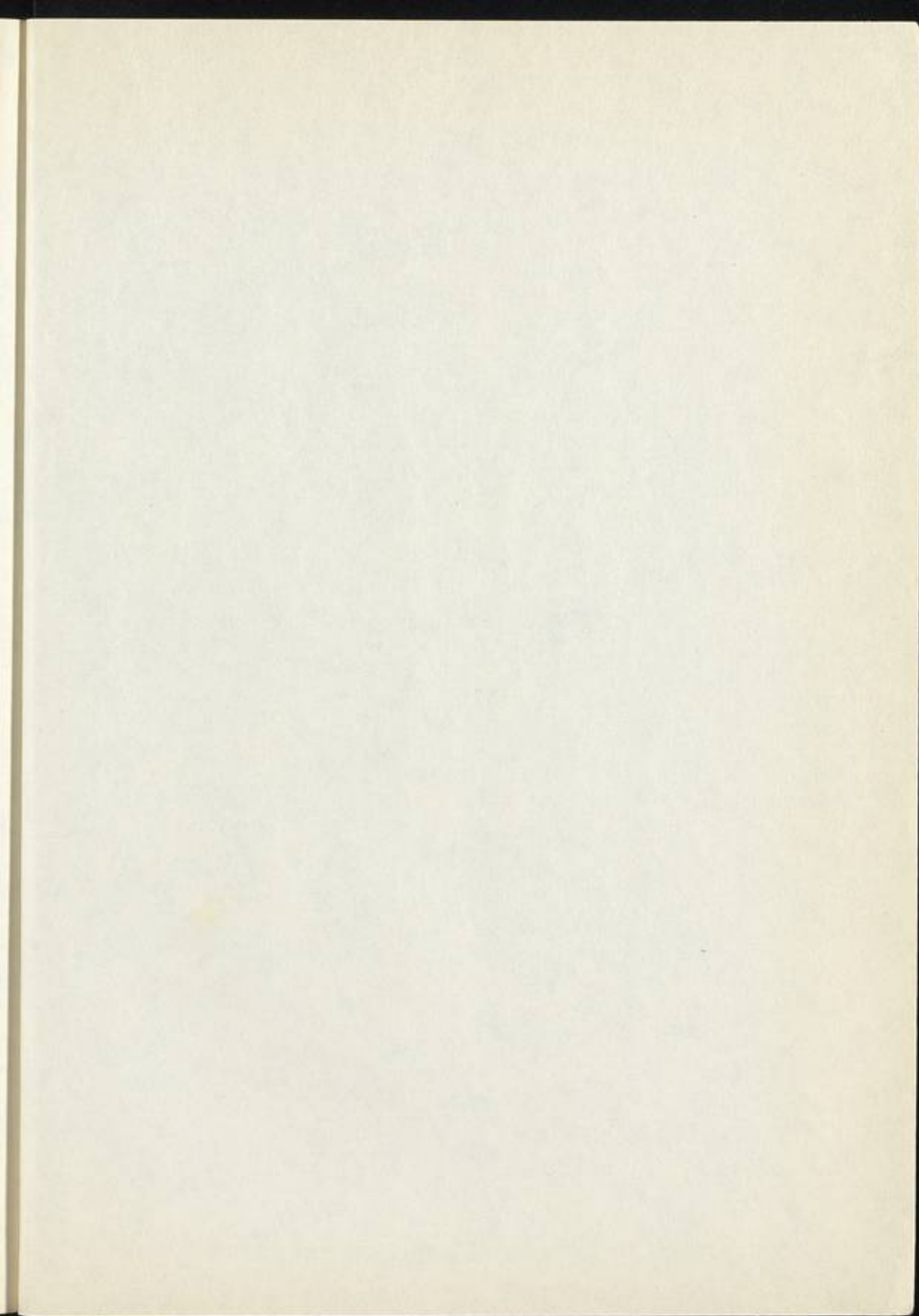
اعمال المرحلة الأولى

- ١ - في سبيل الزواج
 - ٢ - مصير الضعفاء
 - ٣ - النكبات
 - ٤ - قصة « الشبح »
 - ٥ - السهام المتقابلة
 - ٦ - مكتبة الشعبية
- أ - هياكل الجهل
ب - القلم المكسور



في سبيل الزواج

١٩٢١



مقدمة الناشر

لقد كان لقطر العراق العزيز في خوالى الايام مجدأدبي عالي الصروح ،
ثم قضت الاقدار أن يتضاءل ذلك المجد حتى غاب أو كاد .

وفى هذا العصر الجديد - عصر التجدد والعلم - صرنا نجد روحا
عالية أخذت تتسرب من ضفاف دجلة والفرات ، فقى جوانب وادى الرافدين
اليوم أدباء وحملة أقلام لو سمحت لهم الظروف المناسبة لتسنى لهم أن
يرفعوا للآدب والكتابة بنودا معلمة .

غير أن نثقات أقلامهم ما زالت مطوية مخفية تحتاج الى الايدي العاملة
التي تخرجها من مدافنها .

وقد رأيت ان أشجع مؤلف هذه الرواية حضرة الشاب الاديب محمود
افندى آل المدرس على طبعها . عسى أن اكون قد قمت بالواجب نحو
الأدب وابنائها . والمرجو من القراء الكرام أن يساعدوني بهذا الواجب
فيقبلون على هذه الرواية كى يكون لى بذلك دافع قوى الى طبع آثار
كثيرة لعلماءنا وأدبائنا الامائل من قدماء ومعاصرين وعلى الله الاتكال .

نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية في بغداد

اهداء الرواية

الى خادم العلم والادب نعمان افندى الاعظمى

« صاحب المكتبة العربية »

لك يرجع الفضل الاكبر في نشر هذه الرواية ، اذ أنك أول من شجعني
على هذا العمل ، فما انا اقدمها وارفعها كهدية لك ، مؤملا منك قبولها -
والسلام .

محمود
آل المدرس

بغداد (أول مارس سنة ١٩٢١)

مقدمة

من طلب الغاية صار آية ، ولا غاية اسمى واحسن للشباب من طلبه

• اللادب

كم تمنى لابناء العراق أن يواصلوا سعيهم بالاشتغال في ما يهمهم ويهم امتهم ، سيما في الكتابة التي هي من جملة العوامل والاسباب المهمة في ترقية شؤون الامة وتثقيف عقول افرادها وتعليمهم •

أجل ، ان هذه حقيقة يعرفها كل من له ادنى اطلاع على احوال اهل البلاد الراقية الذين عرفوا سر الكتابة في بادىء الامر فقدروها حق قدرها ، وجعلوها الوسطة الوحيدة لترقية الافكار ، وتنوير العقول وتهذيب النفوس واستعانوا بها على نشر العلم بين سواد الامة •

وقد ظهر فيهم عدد كثير من الكتاب فتننوا بالكتابة تفننا تطرقوا به لكل موضوع عرعوا من ورائه الفائدة للجمهور • كالفلسفة والسياسة والتاريخ والاخلاق والادب وغير ذلك • وأخص منهم بالذكر أصحاب الروايات الذين أدمجوا بقصصهم كلما أرادوا نشره من الافكار والعلوم على اختلاف ضروبها • حتى كادت تكون كأنها تلمس باليد • ولا ريب في ان هذه أحسن الوسائل لبث الحقائق وتقريبها من الأذهان والعقول •

ومما يؤسف له ان قطرنا (قطر العراق) ليس له نصيب مما ذكرناه أبدا • فالمهذبون عندنا يكتفون بقراءة ما يردهم من التأليف والروايات الافرنجية أو - العربية - المصرية والسورية ، ولم يلتفت أحد منهم الى تقليد الافرنجة أو المصريين أو السوريين في هذه المسألة الجديرة بالاهمية ولا خطر لاحد منهم أن يتطرق لهذا الموضوع فيكتب أو يؤلف فيه ما استطاع

الى ذلك سبيلا • اللهم الا الرواية (الايقاضية) التي ألفها في الايام الاخيرة
الكاتب المجيد سليمان فيضى افندي الموصلى • وتلك واحدة لم يتبعها أبناء
وطننا بأخرى •

وقد سرني وأيم الحق ان رأيت صديقي (السيد محمود آل المدرس)
مع صغر سنه وحدثه عهده وابتدائه بفن الكتابة ، مثابراً في الاشتغال
حسب طاقته والاستعداد لتطرق هذا الموضوع - الموضوع الروائي -
الذي لا يستطيع الخروج من عهده كما ينبغي الا من كان له في الادب
حظ عظيم • وما هو يبرز للقراء هذه الرواية الصغيرة التمهيديّة التي هي
نتيجة عمله ومسعاها والامل وطيد بأن القراء الكرام يشجعون الكاتب
ويحثونه على أن ينحو نحو العمل • وأن يفضوا الطرف ولا يلتفتون الى
أسلوب الرواية ووضعا ونسبتها الى الروايات الراقية وغير ذلك • بل الى
الغاية التي وضعت من أجلها فقط •

كما أننا نأمل أيضا من أدباءنا العراقيين الافاضل - سيما الشبان -
أن يقوموا بواجبهم نحو هذا الامر الذي هو من جملة العوامل الاساسية
لتنشيط الناس على الادب • وما ذلك عليهم بعزير •

حسين الرحال

(بغداد) أول مارس سنة ١٩٢١

في سبيل الزواج

- ١ -

بومبي

كانت بومبي في زمن الحكام الهنود الاصلين عبارة عن سلسلة جزيرات صخرية صغيرة في احد سواحل البحر الهندي من جهة الشمال ، تكاد تتصل ببر الهند . وكانت مأوى لصيادي الاسماك والحيتان وليس فيها سوى بيوت حقيرة واكواخ صغيرة لسكنى هؤلاء الذين يترددون عليها، ويكثرون فيها في فصل الشتاء الذي يقل فيه طغيان البحر ، ويهدأ هيجانه ، فيواصلون عملهم في مهنتهم هذه وكل ما جمعوا شيئاً من الاسماك المختلفة الاشكال ، والاصداف البديعة العجيبة الالوان ، سافروا به ونقلوه الى البلاد المجاورة ، والسواحل القريبة منهم لابتياعه والتاجرة به . ويلجأ لهذا المحل في زمن هيجان البحر كثير من اصحاب السفن ، فيدخلون بسفنهم المضائق والمداخل التي بين تلك الجزيرات ، فيأمنون شر تلاطم الامواج ، ويبقون هناك حتى انتقضاء ذلك الفصل المنحوس .

بقيت بومبي على هذا المنوال مدة طويلة وهي لا فائدة سياسية او اقتصادية منها لحكومة الهند الالهية التي كانت تجهل مكائنها البحرية المهمة ، وموقعها الجغرافي العظيم . حتى جاء (واسقودوجاما) البحار البرتغالي الشهير باسطوله ، ورأى أهمية هذا الموقع فغزاه مع بعض سواحل اخر . وكان ما كان من أمره - كما شرح التاريخ - وفي النتيجة اصبحت بومبي مع عدة مواقع ساحلية مهمة بيد البرتغاليين .

ومن ذلك الحين أخذ البرتغاليون ، يبنون القلاع على شواطئ بومبي ويحكمونها ، قاصدين من ذلك رسوخ قدمهم شيئاً فشيئاً في اراضي الهند العظيمة ، وطامعين في الاستفادة من فتح باب للتجارة بين الهند واوربا ، إن لم نقل بين الشرق والغرب .

ولكنهم لبثوا مدة من الزمن ولم يستطيعوا نيل شيء من غايتهم البعيدة الغور ، في تلك القطعة المهمة ، ذات التاريخ القديم الكبير . لشاسع بعد بلادهم عنها اولاً ، ولمقاومة الهنود المجاورين لهم - مقاومة الابطال الذائدين عن حماهم ثانياً . بيد أنهم تمكنوا بواسطة اسطولهم وقوته على البقاء في بومبي وحدها طول هذه المدة .

وقبل مائة عام او اكثر اعطيت بومبي على سبيل الهدية من قبل حكومة البرتغال الى دولة انكلترا - والقصة مشهورة .

وعلى اثر ذلك أخذت الحكومة الانكليزية في صرف الاموال الطائلة على عمارتها . ومن جملة اعمالها المهمة فيها انها سدت بالتراب والاحجار كل الفرجات والفتحات الفاصلة بين تلك الجزيرات حتى صارت كلها قطعة واحدة . وجاء عصر البخار فاوصلت بينها وبين القطعة الهندية بالعشرات من الخطوط الحديدية . ثم ابتدأت البواخر والسفن التجارية وغيرها تأتي اليها وترسى فيها . ومن ذلك الحين أصبحت بومبي في البحر الهندي من الموانئ المهمة لسير التجارة بين الغرب وقطعة الهند .

وما زالت منذ بنيت تتسع عمارتها ، ويتكاثر سكانها ، ويتوافد اليها الناس من كل الانحاء . فكثرت الشوارع الحديثة الكبيرة فيها ، وانشئت الدور والقصور الفخمة حوالى المدينة على سواحلها الصخرية . ومن جملة تلك الشوارع (شارع ساحل وارذن) الذي يسكن فيه كبار أهل البلد واشرافهم ، و (شارع ساحل تاج محل) الذي يأوي اليه ويقطن فيه اغلب

تجار أهل أوروبا خصوصا الانكليز ، و (شارع القلعه) محل الشركات الكبيرة ، والمخازن والدوائر التجارية وغير ذلك ، و (شارع ساحل الجوباتي) الممتد على ضفة البحر ، الذي هو اكبر منتزه لأهل بومبي الخ •
 وجميع هذه الشوارع على غاية من الاتساع والانتظام تحف بها الاشجار من جانبيها ، وكلها منارة بالمصابيح الكهربائية التي كأنها الكواكب الدرية ، حتى أصبح الليل فيها كالنهار • وتزداد هذه الشوارع - خصوصا الساحلية - رونقا وجمالا بواسطة القصور الرخامية وحدائقها المزخرفة بالتماثيل الثمينة العجيبة الصناعة على اختلاف أنواعها ، وبكثرة الاماكن العمومية والمنتزهات التي يكثر فيها تراحم الناس في كل الايام من بعد العشى ، سيما في أيام أعياد الهند (وعبد الاوثان) ومهرجاناتهم الكثيرة العدد •

- ٢ -

الفتاة وخاطبوها

في شارع ساحل اردان قصر من أفخم القصور وأجملها ، يقطنه رجل وجيه من أحد كبار (الهندو) في بومبي اسمه أورانجي • وكانت أسرته من الاسر الشريفة الشهيرة ، وهو في المتولين المثرين يعد من الطبقة العليا • ولم يكن لاورانجي هذا شيء من الاولاد سوى ابنة وحيدة ، وهي في مقتبل الشباب اسمها كستور •

وكانت هذه الفتاة قد خصها الخالق جل شأنه من جهة بحسن وجمال بديع ، ومن جهة باخلاق عالية ومزايا سامية كريمة • وكانت ذات عقل راجح وذكاء مفرط كادا يجعلانها آية في الكمال • ونموذجا لكل فتيات المدينة اولئك الفتيات اللائي كانت لهن كستور موضع النظر والاعجاب ، وكن كلهن يثقن بان هذه الفتاة سيكون لها في مستقبلها شأن عظيم •

ولم تبلغ هذه الفتاة السنة العشرين من عمرها حتى صار الناس يتوافدون على أبيها لخطبتها منه والكل منهم يرجو ويأمل أن يحصل على هذه الدرّة الثمينة ، ليجدد له بها سعادة عائلية تامة ، وحياة زوجية زاهرة ، وهناء بيتيا كاملا •

بيد أن أباهـا ـ يالأسف ـ كان يرد كل أولئك الخاطبين المزودين باعلى المهوور رداً قطعياً ، وقد ابى تزويجها واعطائها لاحد ما •



إن كستور قد تعرفت سرا قبل هذا بسنتين أو أكثر بشاب من أحد الشبان الاشراف الممتازين في المدينة اسمه جينارام •

ولا نريد أن نسرّد الحادثة بتمامها ، وتتكلم عن كيفية تلك المعارفة مفصلا ، بيد ان كستور رأته بعد ان عرفته شاباً شريفاً النفس عاليها ، كريم الاخلاق كاملها ، ذا رقة في الحديث ولطف في المعاشرة مع حسن أدب و عرفان ، فمال له قلبها وأحبته وأحبها ، حبا خالصا لا يتخالطه شائبة من شوائب الدناءة والاعراض النفسانية السافلة •

بعد أن بقيا مدة وتحكمت عرى الحب في قلوبهما صمم جينارام أن يخطب كستور من أبيها •

او قد كان يرى كيف ان أباهـا رفض تزويجها من قبل ورد لخطابين لها جميعا • بيد انه كان يعلل نفسه بالاماني واثقا من بلوغه أمنيته لانه كان يرى نفسه من اسرة عريقة بالسؤدد والشرف ، مشهورة بالثراء والجاه ، فظن ان ابا الفتاة سوف لا يمانع في خطبته ولا يرد طلبه • بل يسر بذلك ويرضى بمصاهرته عن طيب خاطر •



هنا لابد أن يسألنا القارئ فيما اذا كان أبو الفتاة قد علم باتصال ابنته كستور بجينارام أم لا •

فنقول : انه بعد مضي مدة طويلة علم بعض الشيء من ذلك لكنه كان يكتبه في سره • ومذ علم بالامر صار يعمل كل جهده في مراقبة ابنته وتتبع أعمالها في كل أطوارها وأحوالها والتجسس عليها في كل حركاتها وسكناتها • ومع ذلك فانه كان على أحر من الجمر خائفا من شيوع القضية وافتضاح الامر بين الناس • أولئك الناس الذين كانوا يرون ان التحاب بين امرأة ورجل قبل اقترانهما هو من أعظم الجنايات •• — شأن معظم أهل الشرق — ولم يعلموا ان التحاب بين المرأة والرجل قبل الاقتران هو كتمهيد للسعادة التي ينتظرانها بعد الاقتران • وما أحسن ما قال أحد علماء الاجتماع (وددت لو ان كل الآباء أمامي فاعظهم بأن لا يزوجون بناتهم الا لأزواج يجدون في قلوبهم عواطف الحب الخالص الذي هو الحياة كلها) •



في يوم من الايام بينما كان أورانجى جالسا في مكتبه اذ دخل عليه رجل دلت بزته وهيبته على أنه من أشرف الهند وأحد نبلائهم • عرفه أورانجى لأول وهلة أنه جينارام ، وقد استغرب جدا من مجيئه الى عنده • بيد أنه أخفى ذلك وقام اليه فاستقبله وحياه وبالغ في إكرامه وبعد قليل بدأ أورانجى بالكلام فقال :

لعل حضرتك أتيت في أمر مهم

— نعم

— وما هو ؟ عساه أن يكون خيراً •

— اننى جئتك خاطباً

فبهت اورانجى عند سماع ذلك الكلام وبانت على وجهه علامات الابهاء والاستكبار لكنه لم يجب جينارام وبقي صامتاً •

فقال جينارام :

هلا تجيب طلبى أو ترده

— لست أفهم شيئاً مما تقول :

— عجباً انى كلمتك بالصراحة فما معنى كلامك هذا

— اننى استغربت جداً منك ذلك الكلام فقد ظهر لى أنك قد تجاهلت.

الحالة أو تناسيتها تماما •

— أوضح لى بكلامك

— نعم : كأنك تجاهلت ما كان من أمرى مع الخاطبين قبلك أو

تناسيت ما شاع عنى من أننى لا أزوج ابنتى لاحد قطعاً •

— لم أجهل أو أتجاهل هذا الامر • ولكننى كنت أعزى ذلك الى أنه

عسى ان يكون المانع هو عدم حصول الكفاءة في الخاطبين •

— كلا لم يكن السبب من هذه الوجهة •

— اذا فما هو السبب •

— ليس من داع لذكر ذلك •• على حين أنك تعلم اننى أنا وليها ،

ومالك زمام أمرها • وأمر زواجها راجع لى • وهو من حقى • فما أراه في

شأنها هو الصواب •

— لا أنكر ذلك •• ولكن •••؟

فقاطعه اورانجى قائلاً —

لا حاجة بعد هذا السؤال أو غيره إذ أنه لا يخفى عليك أيضا من

أننى لالوم على من احد سواء زوجها أم لا .. كما أنه لا تثريب على فيما
إذا أعطيتها لاي شخص أردت •

وهنا ختمت الجلسة • وخرج جينارام • وقد أسقط في يده • ورجع
الى اهله بخفى حين •

ولم يفتأ بعد ذلك يكرر الخطبة • ويتذرع بكل وسيلة لارضاء ابي
الفتاة فلم ينجح في مسعاه • وكلما حاول الاستفسار — على الوجه المشروع
والعادة الجارية — من اورانجى عن السبب الذى يدعوه الى رفض خطبته •
والعامل الذى يلجأ الى رد طلبه • فكان جوابه له مؤخراً كجوابه من
ذى قبل •

هكذا كان شأن اورانجى مع كل خاطبى ابنته • اولئك الخاطبون
الذين كانوا يتركونه • وكل واحد منهم يعرض انامله آسفاً على خيبته في
تلك الصفقة • وعدم حصوله على تلك الفتاة التي كان يرجو منها ما يرجو ••
ما أحق اولئك الناس الخاطبين وما أجهلهم • أنهم كانوا يأسفون من
جاء هذا الحال • وينتقدون أباهم من اصراره وعناده على ذلك المنوال •
ولم يكن أسفهم ولا انتقادهم الا من وجهة واحدة بسيطة معلومة • ألا وهي
منفعتهم الذاتية •

وياليتهم لو يأسفون لحال تلك الفتاة التي ارغمها محيطها — بسائق
العادات القومية — الى فقدانها حريتها • (التي هي اعظم موهبة اعطيت
للرأة لتذوق بها طعم الحياة • بعد أن تتمكن من القيام بواجباتها الاجتماعية)
فكانت بحالة لا تقدر معها على رفض أى تصرف من تصرفات ايها الضارة
بمصلحتها • ذلك هو الاضطهاد بكل معانيه وتلك هي الاسارة (التي هي
والموت على حد سواء) •

ويا ليتهم أيضا ينتقدون أباهما الذي رأى نفسه مالكا لرقها • ورآها
بالنسبة له ضعيفة ذليلة فاستعبدها وصار يتصرف بها حسبما تقتضيه ارادته
ومصلحته - لا ارادتها ومصلحتها - سيما في امر عدم زواجها •

ذلك الزواج الذي هو من الامور الرئيسية لسعادتها في حياتها •

على حين انها كانت صابرة في كل هذه المدة • تعد الايام والليالي •
وهي تفكر في أمرها وتتأمل قرب الوقت الذي تدخل فيها بحياتها الجديدة •
اذ تقترن بشخص تأتلف معه • فتقضى وأيام بقية عمرها تشاطره العيش في
كل أدواره وأطواره •••

كل ذلك وأبوها خالي الفكر • مطمئن البال • سابحا في بحبوحة الهناء
والسرور • لا يهمه من أمرها شيء •



الزواج تحت طي الغناء

لو اقترب الانسان لساحل بومبي الغربى ، ووقف عند ذلك المنتزه البديع ، منتزه الجوبانى ، وجلس على أحد السرر الحديدية المركوزة في الارض ، المستدة على مسافة اكثر من نصف ساعة ، لهاله ما يراه من كثرة تزاخم الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، نساء ورجالا ، صبية وصبيانا .
ففى عصر يوم من أيام تلك السنة ، كان من جملة المتفرجات في الجوبانى فتاتان احدهما ذات خد أسيل : وطرف كحيل ، معتدلة القد ، ولونها الاسمر اللطيف وملامح وجهها الجميل يدلان على كرامة طبيعتها ، وطيب محتدها ، ألا وهى كستور ، والاخرى تقارب رفيقتها بالحسن ، غير ان لونها أبيض مشرب بحمرة : وهى دونها بالثروة والجاه اسمها شاهناز .
وكانت كستور رفيقتها تحبها حبا شديداً ، وتكاد لا تفارقها ، وهى مستودع أخبارها وأسرارها لذلك كانت هي وحدها مطلعة على احوال كستور كلها .

وكانت الفتاتان جالستان على احد تلك السرر الحديدية المركوزة على الساحل الواحدة جنب الاخرى ، ووجهتهما نحو البحر .
أما كستور فكانت في ذلك الحين مستغرقة في هواجسها تنظر الى البحر كمن يفكر في أمر مهم ، لا يلفت نظرها الى الحدائق الغناء التي باطرافها ، ولا الى الناس المتفرجين حولها ، ولا الى كل شىء . . .
كل تلك المناظر الطبيعية الزاهية ، ما بين مآنها وخضرائها لم تكن

تؤنس هذه الفتاة ، وفي الحقيقة لو اطلعنا على ما في نفسها في تلك الساعة لرأينا ان فكرها وقلبها ، بل وكل جارحة من جوارحها منشغلة بتصورات غرامية ، هائسة في بحر من الآلام والهموم ، ولم تزل برهة من الزمن في انقباض وتفكير حتى تنهدت تنهداً عميقاً ، دل على عظم ما في كبدها من الاحتراق والالتهاب .

وحينئذ مدت صديقتها (شاه ناز) يدها اليها . ووضعتهما على كتفها . وقالت لها بصوت المشفق المتأثر -

ماذا يشغلك يا حبيبتى ماذا يؤلمك ؟ آه أنه ..

وأرادت أن تتكلم بما يكنه ضميرها . وبما تعلمه من امر (كستور) ولكنها سكنت لثلاثين في أشجان صديقتها وبقيت تنظر اليها بعينين ملؤهما الرأفة والحنان .

فقال (كستور) -

نعم آه . انه ليؤلمني ما أقاسيه من الآلام في هذه المدة الطويلة . وقد كنت أمني النفس بانقضاء ايام الفراق .. ولكن هيهات فقد صار الوصول الى ما أومله ضرب من المحال .

قالت هذه الكلمات الاخيرة بصوت حزين منخفض .

فخفق قلب (شاه ناز) لهذا الكلام . لانها استدلت على أن هناك سر جديد : وأرادت الاستطلاع فقالت -

وما عسى ان يكون ذلك الشيء الذي قد صار يحول بينك وبين ما ترومين .. انتى لم افهم كلامك هذا ، وعسى أن يكون هناك سر ، أو حدث حادث جديد .

- نعم أيتها الصديقة المخلصة ، ان هناك سر قد انكشف لى ، وقد رأيت من خلاله آيات تنذر بالبؤس والشقاء .. وأنا لا أقدر أن اخفى عنك

شيئاً من ذلك : ولكن - ثم التفتت يمناً ويسره - وقالت تعالى معى الى البيت لاطلعتك عليه ، لان محلنا هذا غير مساعد لذلك •

ولم تتم كلامها حتى قامتنا من هناك ، وركبتا عربتهما ، وأشارت (كستور) الى سائقها ان يذهب بهما الى البيت •



في الحين الذى كانت الفتاتان تخرجان من ساحل الجوباني كانت الشمس تتوارى وراء الافق وكأنها تشير اليهما بالوداع وبعد ثوان قليلة طفت أشعتها وأخذ المساء ينشر جناحيه فيزيد تلك المناظر هيبه وجلالا •

خرجتا من هنالك وعمال قليل وصلتا البيت فدخلتا وبعد الاستراحة جلسنا على العشاء • وكان العشاء موضوعا على سفرة من الكتان ، وهي مفروشة على الارض • وهو عبارة عن الحساء المعمولة من العدس والارز مع الفلفل والخبز المقل بالسمن ، ونوع آخر من الخضروات • ولم يكن فيه شئ من اللحم لان اكله ممنوع في دياتهم • وكان على طرف المائدة شئ من الفواكه أيضاً •

وبعد ان فرغتنا من العشاء ، سعدتا الى الطبقة العليا حيث غرفة (كستور) الخصوصية ، فدخلت (كستور) و (شاه ناز) وراءها •

وكانت تلك الغرفة مفروشة بالسجاد الثمين والطنافس الحريرية ، منها ما هو من صنعة العجم ، ومنها ما هو من صنعة الهنود • أما جدرانها فهي مزينة بصور معبودات الهندو كالآله (برهما) والآله (فيشو) و (شيوا) و (مهادوا) اله الحفظ • ورسوم كبارهم الروحانيين الذين يعتقدون بهم ، وكذلك صور دينية تمثل الجن والملائكة وغير ذلك •

ولم يكن في الغرفة شئ من الكراسى - لانهم ليس لهم عادة في الجلوس عليها الا في الاماكن العمومية - سوى منضدة واحدة في صدر المكان •

دخلنا الغرفة ، وبعد ان فتحت (كستور) زر مصباح الكيرباء وسدت الباب ، جلست على فراش كان على الارض ، وجلست رفيقتها بجانبها •
وبدأت (شاه ناز) بالكلام قائلة لصديقتها - وجب عليك الآن ان تبسطى لدى تفاصيل السر الذى أخبرتنى عنه منذ ساعة •

- نعم ، وجب على ذلك •• ولا ريب في أن ثقتي وأماتني بك واخلاصك نحوى ، هما اللذان يجعلاني أن اكشفك بذلك السر الذى تتعلق به شقوتى ما دمت في قيد الحياة (ثم تنهدت مرة) واكملت الحديث فقالت :

قد علمت يا شاه ناز أن حبى لذلك الشخص (جينارام) ما زال في ازدياد •• وقد كنت احسبه في أول الامر عاطفة ولاء واخلاص ، فاذا هو قد أصبح كحب العابد منا لمعبوده •

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصباية الا من يعانها

- لا شك في ذلك •

- ولا يخفى عليك ايضا كيف كانت ممانعة والدى (اورانجى) الشديدة عندما طلب هذا الشخص الاقتران بي •

- نعم •• واظن أن ذلك قد حدث مرتين او اكثر •

- وقد كانت الاسباب قد خفيت على وعلى العموم ، غير انه قد تبين الآن ان هناك قوة شيطانية ائيمة لها يد في المسئلة •• وهذا الذى جعلني أن أقول ، صار الوصول الى ما أومله ضرب من المحال •

- وكيف ذلك ؟

- لا بد أنك سمعت بذلك اللص المشهور (بطل الجبل) قاطع

الطريق الذي ارجف اهل بومبي واطرافها • ولم تكذ تتم كلامها حتى علا
الخوف والوجل على وجه (شاه ناز) وقالت :

من منا يجهل أمر هذا الشقي الذي انقصت عصابته التي يرأسها هو
عيش الناس داخل المدينة وخارجها بالشرارة والقتل والفتك والنهب
والسلب •

— لقد لقيت امس كتابا مكتوبا لوالدي ، ويدل تاريخه انه كتب
قبل ستة اشهر ، وهو ممضى بامضاء اللص (بطل الجبل) •
وما اتمت عبارتها حتى اخرجت من جيبها الكتاب وناولته الى صديقتها،
فاخذته منها وبدأت تقرأه واذا فيه ما يأتي •
الى صديقي القديم اورانجي العزيز •

لابد وانك تتذكر ما حصل بيني وبينك من الكلام قبل مدة طويلة
بخصوص ابنتك (كستور) • اما الان فاعلم انني لا ارضى لاحد ان يعقد
عليها أو يتزوجها غيري واؤكد لك أيضا أن (جينارام) الذي يظهر أنه يعجبها
يجب عليه أن يترك هذا الامر الذي ربما صار سببا لجلب الشر والبلاء
عليه ، ليكون معلومك والسلام •

— الامضاء —

بطل الجبل

لم تكذ تفرغ (شاه ناز) من قراءة الكتاب حتى أخذتها الدهشة ثم
دقت يداً بيد وقالت :

ماذا يريد هذا اللص !! أ الى هذا الحد يصل • تعسا له •
ثم نظرت الى (كستور) فرأتها قد أغرورقت عينها بالدموع •

وبعد ان لبثنا برهة من الوقت في سكوت استأنفت (شاه ناز) الكلام
ف قالت :

— اذاً فما الذى عزمت عليه يا حبيبتي ؟ هل تخبرين (جينارام) ؟
— نعم هذا الذى عزمت عليه •

— لا ريب فى ان التسرع في اخباره لمن حزم الامور ، وذلك لكى
يأخذ الحذر لنفسه من أولئك الاشرار •

— ولكن لا أعلم كيف يكون حاله اذا اطلع على كتاب اللص وعرف
مقصده ، وماذا عساه أن يصنع لو اطلع على ذلك ؟

قد سئلت هذا السؤال وهي تعلم ان هذا الامر ليس من الهين وقعه
على مسامح حبيبها • وانه لا يلبث أن يتذرع بكل وسيلة يقدر عليها في
سبيل انقاذها والانتقام لها ، ولكنها تعرضت لصديقتها في سؤالها ذلك ،
ل ترى ماذا يكنه ضميرها في خصوص ذلك •

فاجابتها شاه ناز :

ان ذلك الابى الباسل باق على جبه لك ، وهو لا يرضى عنك بديلا ،
ولاشك في أنه سيتفانى في خلاصك من برائن ذلك الوحش الضارى قبل
خلاص نفسه •

— اذاً فلنكتب له كتاب ، واجعل موعد اللقاء معه في المعبد ، وهناك
أبسط له الحديث ، وتتدبر الامر •

وفي الحال قامت وأخذت الدواة والقلم ، واخرجت ورقا ، وكتبت
الكتاب ، ثم ناولته الى رفيقتها لترسله مع احد خدمها في صباح الغد الى
جينارام •

وفي ذلك الحين حيث كانت الساعة الثانية ونصف بعد المساء ودعت
شاه ناز كستور ، وأقفلت راجعة الى بيتها •

كتاب آخر

بعد أن ذهبت شاهناز سئلت كستور احدى الخاديات عن ابيها فقالت لها انه ذهب في تلك الليلة الى احدى الدعوات ، ولم يأت الى الان . فاتتهزت كستور هذه الفرصة ودخلت من ساعتها الى غرفة ابيها الخصوصية .

ولم تكن قبل ذلك تتردد على تلك الغرفة دائما ، حتى انها لم تكن لها - ايضا - خبرة تامة بمحتوياتها ، ولكن كتاب ذلك اللص الذي وجدته منسيا بين طيات احد الكتب التي كان يطالع فيها ابوها هو الذي جعلها تنتبه الاتباه الشديد للاطلاع على اسرار ابيها المكنونة - والحيلة بنت الاحتياج .

دخلت الغرفة وبقيت هناك تفتش في زواياها برهة فلم تجد شيئا من ضالتها المنشودة . وبينما هي تفتش بين طيات الفراش ، اذ وقع بصرها على مفتاح صغير كان موضوعا تحت البساط ، فتناولته وبعد ان تفحصته جيدا قامت مسرعة الى صندوق صغير كان هناك ، وأدخلت فيه المفتاح فافتتح واذا به ملوء من الاوراق والكتب المختلفة .

أخذت تتناول الاوراق واحدة بعد واحدة وهي تمنع النظر فيها ، فرأت لاول وهلة كتابا عرفته انه لبطل الجبل ، فوضعتة في جيبها ولم تكذب تأخذ الورقة الاخرى حتى سمعت صوت عربة ابيها وهي داخلة الى حديقة القصر . فما عتست ان قامت واقفلت الصندوق ثم أعادت المفتاح الى محله وخرجت من الغرفة .

بعد ان خرجت من هناك ودخلت غرفتها جلست لتقرأ ذلك الكتاب
الذى فهمت من تاريخه انه كتب قبل شهرين ونصف فاذا فيه ما يأتي :

الى صديقي القديم اورانجي العزيز .

كنت قد أرسلت اليك قبل هذا كتابا أعلمتك فيه عن رغبتى وطلبى
للزواج بابنتك كستور ، وقد أجبته لذلك كما كنت أومله منك . أما
الآن فحيث هي قد صارت كزوجة لى ، أوكد مرة أخرى ، وهو ان ظهر من
كستور ادنى ممانعة عند حلول الزواج (الذى سيكون قريباً) لا أحجم عن
قتل جينارام الذى يظهر انه يحبها او يميل اليها . والسلام

الامضاء

« بطل الجبل »

وبعد ان ختمت قرائته طوته ، ثم وضعت مع الكتاب الاول . وقد
كانت في تلك الساعة ترتجف حتى بلغ التأثر منها أشده ، لما كان فيه من
الكلمات المدهشة المهولة .

ولا غرو اذا كان ذلك لانها محبة والمحب لا يرضى بديلاً عن حبيبته ولو
قطع ارباً ارباً . واذا ما أحس بخطر يريد أن يصيب حبيبته فهو يفادى بنفسه
وبكل ما يعز لديه دفعا لذلك الخطر .

وعلى أثر ذلك قامت فأقفلت باب غرفتها وأخذت في نزع ثيابها وهي
غارقة في التفكير فيما اطلعت عليه من الامر المهول الذى جعل الضياء في
وجهها ظلام . وبعد ان سلخت ما عليها من الثياب ولبست ثوب المنزل وقتت
على حسب العادة أمام رسم كبير كان معلقاً في صدر الغرفة ، وهو رسم
(مهادوا) اله الحفظ ، وسجدت له ثم طفقت تتضرع اليه وتتوسل به في
حفظها من كل الشرور والمنحوسات وبعد ان فرغت من صلاتها جلست على
فراشها وهي لا تزال فى تفكير .

اضطجعت على الفراش وأرادت النوم ولكنها عبثاً كانت تحاول • اذ انها ما زالت الى نصف الليل لا يغمض لها جفن ولا يطمئن لها جنب ، لان الشبح الذى كانت تتصوره اللص بطل - فضلا عن كونها قبل هذا - لا يزال ماثلا نصب عينيها لا يفارقها لحظة واحدة ، وكأنها تراه واقفا أمامها وهو فاتح يديه كأنه يريد اختطافها ، فأجفلت من مكانها خائفة وجله • وبينما هي تمد يدها اليمنى المرتجفة لتدفع عنها ذلك الشبح الموهوم ، اذ بحبيبتها جينارام قد تمثل أمامها وهو هاجم على اللص ليطعنه بخنجر كان في يده • فاشتد فزعها وارتباعها ، ولم تستطع ان تحتمل اكثر من ذلك فوقعت مغشىاً عليها •

وبعد قليل أفاقت من غشيتها ، فجلست وهي متقعة اللون وعلى محياها عبوسة الحزين المضطرب البال • ثم رجعت اليها هواجسها مرة أخرى فبقيت تفكر في حبيبتها ، وبما كانت تتمناه من سعادة قربه ونعيم حبه مسا رآته قد صار كالبرق الخلب ، وبما رأت من قسوة أيها الذى اجاب طلب اللص ورضى بزواجها واعطائها له •

وكانت هذه الخواطر قد رسست بأحرف من التجاعيد على جبهتها الجميلة •



وفي الحقيقة ان كستور كانت تعجب جدا من أيها لاعطائها الى لص لا مودة له ولا تأخذه عاطفة الولاء والرحمة على أحد • ولعدم وجود مناسبة جوهرية تقتضى ذلك • ولكنها كانت ايضا لا تقدر على اظهار ما يجول بخاطرهما لاحد ولا تمكن على بث الشكوى • ولو جاهرت بذلك واشتكت لكائنات عرضة للانتقاد والتقريع ، ولرميت ووصمت بالعار وسوء السمعة التي لا تمحى الى الابد - شأن أغلب الاقوام الشرقية - لهذا بقيت تفكر في مصيرها ، وتحسب لعاقبتها الف حساب • تلك العاقبة التي كانت تراها

مجسمة لديها بأشع الصور وأشنع المناظر والمظاهر وصارت تلعن المحيط
الذى وجدت فيه . ذلك المحيط المكون من سلسلة قبور حديدية اعدت
لكل من يجاهر بالانصاف والحرية ، وطلب الحقوق من الضعفاء - سيما
الجنس اللطيف .

وهكذا بقيت في تلك الهواجس الى نصف الليل ، وفي الاخير غلب
عليها النعاس فنامت حتى مطلع الفجر .

- ٥ -

جنيارام

عندما يدخل الماشى شارع القلعه ، ويصل الى نصف الطريق يلوح له
عن بعد مايتي ذراع تماثيل رخامية شاهقة في الهواء على قبة كبيرة وسط قصر
منيف مبنى على الطراز الحديث . ويكتنف هذا القصر من جهة الشارع
حديقة صغيرة في وسطها بركة ماء قد عرش على حافتها الورد والنسرين
والاقحوان ، وعلى جانب البركة أقباص من حديد فيها من انواع الطيور
الهندية الكثيرة الالوان .

وفي الطبقة الثانية من ذلك القصر غرفة كبيرة مفروشة بالاثاث الثمين
وهي على غاية من النظافة والترتيب .

ففي ذلك الصباح كان في صدر تلك الغرفة رجل جالس على فراش
في الارض مسنداً ظهره الى وسادة .

وهو اسمر اللون واسع الجبهة كبير العينين والذكاء ظاهرا فيه ،
والشجاعة باقية على محياه . لا يكاد يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر .
وهذا الشخص هو جنيارام حبيب كستور الذى اصبح مستهما بها
مغرما بجهها .

فبينما كان جالسا ويده اوراق وصكوك تجارية يقلب فيها اذ دخل عليه الخادم وناوله الكتاب المرسل من كستور فأخذه منه وفضه وقرأه واذا فيه ما يأتي :

• عزيزى جنيارام

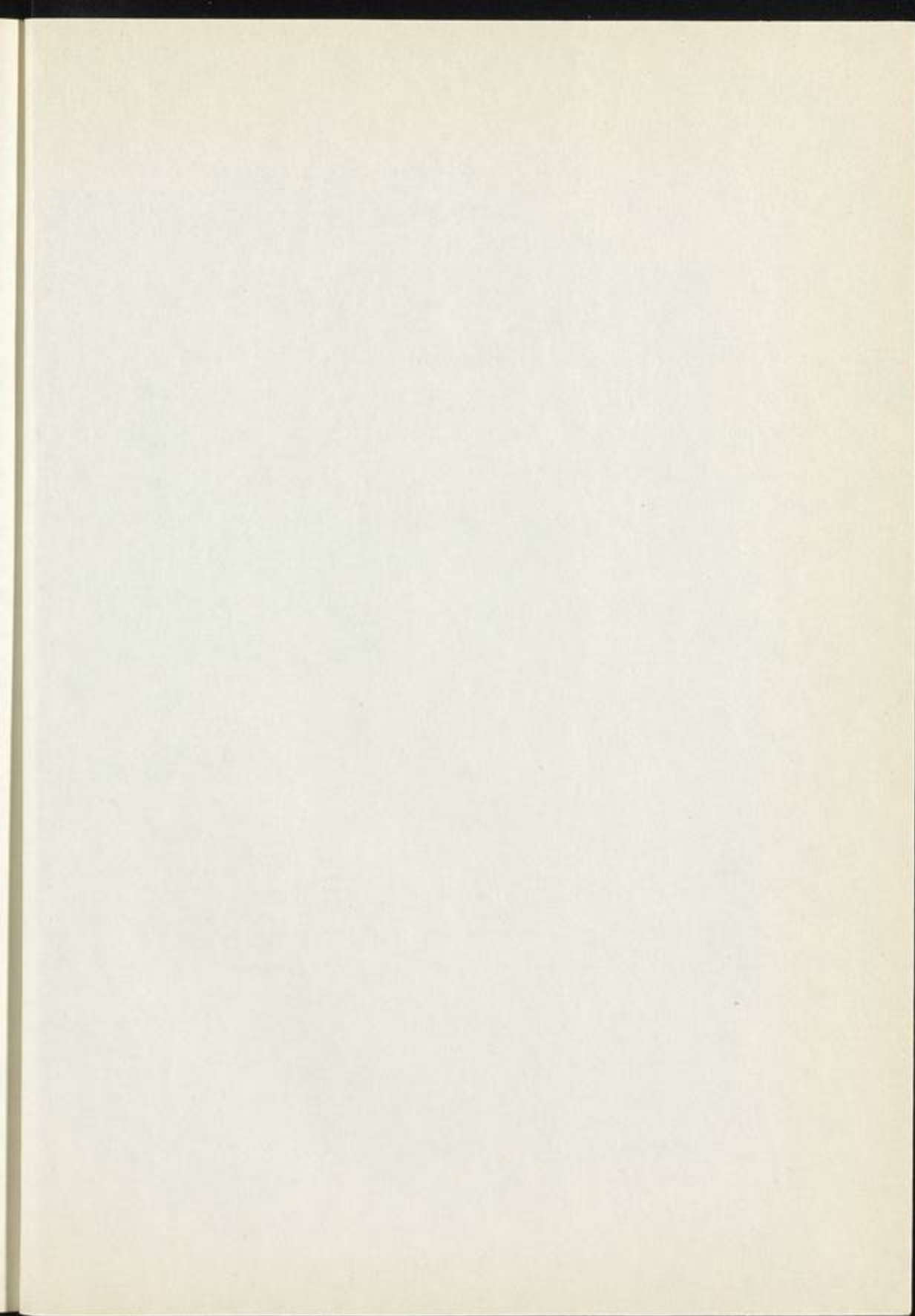
لا تعجب من ارسالى لك هذه الرسالة التي هي أول رسالة تصلك بعد الانقطاع الطويل • وارجو انك تعذرني من صميم قوادك قبل كل شىء على ما سأقترح عليك • ذلك الاقتراح الذى لم يكن الا بدافع قوة لا اقدر على ردها • الا وهو السماح بل اللطف على زيارتك ساعة في ظهر هذا اليوم في المعبد الكبير • وفي الختام اقبل تحياتي •

الامضاء

« كستور »

★ ★ ★

وبعد ان اتم قراءة الكتاب أخذ يتهاى من ساعته للذهاب الى المعبد — حيث يلاقى حبيبته — وهو لا يعلم بما سيسمع مما اضمرته له يد النحوس من الامر العظيم الذي يريد أن يحول بينه وبين أعظم ما يرومه ويتمناه في حياته الدنيا — الا وهي حبيبته •



التقاء المحبين

ترك جينارام وهو على وشك الذهاب الى المعبد في الوقت المعين ورجع الى كستور التي تركناها في النصف الاخير من الليلة الماضية وهي سابعة في نومها ، بعد ان خارت قواها الدماغية لما اتابها من الهواجس والتصورات المخيفة .

فانها بعد أن ولى الليل واسفر الصباح قامت تتاهب للذهاب واخذت تبذل طاقتها في إصلاح شأنها لتظهر بين يدي حبيبها بأجمل حالاتها .

لبست ثوبا حريرا أحمر ، وجمعت شعرها فجعلته عقيصا واحدة في مؤخر رأسها ، وتقلدت في عنقها قلادة لؤلؤ ثمينة ، ثم طرحت على رأسها برقع خفيف وارسلت طرفيه على ظهرها . وبعد ان تمت زينتها وصار الوقت المعين ركبت عربتها وخرجت من هناك .

ولما أن وصلت المعبد دخلت حديقته الكثة الاشجار التي كان فيها موعد اللقاء - ولم يكن اللقاء هناك صعبا او ممنوعا لان الرجال في اغلب الاوقات يصحبون نساءهم وازواجهم ويأتون للعبادة هناك بلا مراقبة ولا ممنوعية فلمحت حبيبها عن بعد جالسا على صخرة ناتئة وراء شجرة كبيرة .

ولم تكذب تلمحه الا وخفق قلبها ، واصطكت ركبتها ولكنها تجلدت وتقدمت حتى اذا وقعت العين على العين ابتدرها جينارام بالتحية مبتسما ومد اليها يده يصفحها وقد بدا عليه خجل الحب ، واخذته القشعريرة . ولما

ان تصافحا واتصلت اليد باليد جرى ذلك التيار الكهربائي الى حبيته
فشاركته بالافعال •

وبعد ذلك جلسا واخذت كستور تخاطبه قائلة •

ربما تعجب يا سيدى لاستدعائي اياك الى هذا المحل ومخاطبتك على
انفراد ، بعد ان صار لنا عدة اشهر لم تتلاق في خلالها ابدا •

— نعم قد اخذني العجب لانني كنت اكاد اياس من الالتقاء بك مرة
اخرى • بعد ان رأيت ما رأيت من مسانعة ابيك عند ما طلبت منه الاقتران ••
ولكن مع ذلك • — ثم رمقها رمقة الاستعطاف — فأني لا أزال على ما كنت
عليه باق على ودك وسأصبر الصبر الجميل ، يامنية القلب ، عسى ان ينعم الله
علينا باللقاء الدائم ولو بعد حين :

— آه لقد زدت في شجوني •• فالى متى يكون الصبر • وهل ينفع
الصبر او يبقى لى امل باللقاء الدائم وقد ••••

(فقطعت الحديد وتلغثم لسانها وتغيرت سحتها) • فأحس جينارام
باضطرابها وبينما هو يخفف عنها ويسئلهما عن السبب اذ اخرجت له من ثنايا
ثوبها الكتاين الذين لبطل الجبل •

فتناولهما حالا ، ولم يكذ يتم قرآتهما حتى كاد يتميز من الغيظ
والحلق (لانه كان شجاعا غيورا ، ومع ذلك فغيرة الحب التي تعمى وتصم
زادته حماسة وهياجا) ولكنه رجع الى صوابه ودهائه فقال —

ها قد علمت يا كستور السبب الذى كان يسوق والدك الى الامتناع
من زواجك •• ولكن من كان يظن ان الذين عليهم صبغة الاشراف يوالون
او يلبون دعوة اناس لصوص انذال ••؟

— أشرف ؟ أى صفات حازها هؤلاء حتى يجدر ان يطلق عليهم هذا الاسم ... لا يكون الرجل شريفا الا بعد أن يؤدي ما يقتضيه واجب الشرف والانسانية .. واى شرف عند رجل اجاز لنفسه مصاهرة لص من اعداء الله والناس جميعا . وهو من أعظم الجناة الملوثة ايديهم بدماء الابرياء المظلومين .. ثم وأى انسانية عند اب لم يفكر في مستقبل ابنته ولم ينظر في مصيرها من سعادة او شقاء « تلك السعادة الحاصلة من الوفاق بين الزوجين ، وذلك الشقاء المتأتى من ضد ذلك » . ان هو الا سافل لئيم .

— اما عمله هذا فهو في الحقيقة مغاير للحق والانسانية ولكن ما الحيلة وهو اب . والاب له ان يتصرف بشؤون ابنته كيفما شاء . فهو لا يتمكن على معارضته احد — حتى ابنته نفسها .

— من اجاز للاب ذلك ؟

— ديننا .

— ان الدين لا يكون دينا صحيحا (بكل معنى الكلمة) ما لم يكن مطابقا لما يقتضيه العقل ، موافقا لما يرتضيه الوجدان النقي والضمير الطاهر وملائما للانسانية والعدل والانصاف ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، داعيا لاستعمال الرأفة والرحمة بين البشر .

ولما كان احتمال وقوع اشياء مغايرة للعدل والانصاف بين افراد البشر، كغصب الآباء حقوق بناتهم مثلا ، فكيف أعطى الدين للآباء هذه السلطة الواسعة . تلك السلطة التي جعلت البنت وهي ذات عقل وشعور واحساس كمتاع تحت ملك ابيها ، يلعب بها كيفما شاء وشاءت اهوائه واقتضت اغراضه . ويعطيها لمن يريد ويختاره بدون التفات لما يضر الابنة وما ينفعها . ان هذا الا امر عجيب .

— حق ما تقولين ، ولكنني مع ذلك لا اعتقد بوجود دين على وجه

البسيطة اسقط حق المرأة وجعلها مهانة ذليلة الى هذه الدرجة • بيد ان النص الناطق بالاطاعة المشروعة التي فرض الدين اداؤها لوليها • قد فسر بهذه الصورة الشنيعة التي نرى بنى قومنا يعملون بها •

— من فسر ذلك النص ؟

— فسرهُ رؤساء الدين •

— اذا اتضح انهم على ضلال ميين •

صدقت ولكن انا يتاح لى او لك معارضة رؤساء الدين بهذا الشأن ، سيما وان الرأي العام طوع ارادتهم ومع ارادتهم ، ومع ذلك فالعادة جرت منذ القدم على هذا المنوال • ومتى تحكمت العادة في امة صارت ديناً • وانت تعلمين كيف تكون عاقبة الذين هم للدين معارضين وللتقاليد القومية القديمة منتقدين •

— كيف لا اعلم ••• ولولا ذلك لما ارغمت على عدم المصارحة بأمرى والمجاهرة مدافعة عن حقوقي • ولما اجبرت على السكوت وقلبي يذوب توجعا وتفجعا •

وهنا احس جينارام بخطورة المبحث واراد تغيير الكلام والتهوين على كستور فقال —

بيد أنني يا كستور لا اظن ان ذلك اللص الذى حاول امرا بتجرأه على ذلك التهديد البارد يستطيع ان ينال منك أو منى منالا •

— كيف ذلك ؟

— ستعلمينه بالفعل لا بالكلام (قال ذلك بحماس وشدة) •

— اننى اعلم ذلك قبل ان تقول لى وانا واثقة من شهامتك واقدامك المشهور • ولكن مع هذا فهل يطمئن قلبي من هذا اللص الفتاك الذى

لاتأخذه في سفك الدماء لومة لائم سيما وقد عجزت ان تناله هو وعصابته
الناس ، وهو في محل يكاد يكون امنع من عقاب الجو • وما عسى ان
تكون الحيلة التي تتخلص بها من ذلك الغدار •
- قلت لك يا حبيبي انه لن يستطيع ان ينال منا شيئاً ولما كنت
لا اقدر ان انكر خطورة هذا الامر فسأظنر في المسئلة واخبرك بما سأعزم
عليه فكوني باطمئنان • واوصيك ايضا ان تخفي هذا الامر خصوصا عن
والدك وانظري إشعاري النهائي بعد ثلاثة أيام •
وبعد ذلك اخذ الكتابان ووضعهما في جيبه وقاما من هناك فودعا
بعضهما وذهب كل منهما الى حال سبيله •

- ٧ -

في اليوم الثاني

في اليوم الثاني وصل من جينارام كتاب الى كستور فأخذت تقرأه وهو:
الى حبيبي كستور العزيزة
فارقتك أمس وأنا أجهد فكري لاجد حيلة مما داهمنا من الامر
المشؤوم • آه ! لم لا يكون ذلك الامر مشؤوما ؟ ألم تعلمي بأنه يهون على
فراق روعي ولا ارى ما يزعجك • كيف اقدر أن أرى ذلك اللص وهو
يتجراً بثل ما كتبه مع اني :

« أغار عليك من نظري ومنى

ومنك ومن مكانك والزمان

ولو انى خباتك في جنوني

الى يوم القيامة ما كفاني »

هذا وبينما انا افكر في ما أريد ان ادبره ، اذ وصلت برقية تخبره عن سفر (الكرو) رئيس الهندو الدينى الكبير من بنكالة آتيا الى بومبى بصفة زائر • فاتخبت أمس من قبل الهندو في بومبى أن اكون رئيسا لحفلة استقباله • وقد تقرر ان أسافر حالا وألاقيه من نصف الطريق ثم أرجع بصحبته • وعلى هذا فقد أجلت النظر في مسألتنا فكوني باطمئنان الى أن أرجع قريبا واستودعك الله •

الامضاء - جينارام

بعد ان فرغت من قراءة الكتاب قامت تتمشى في الحديقة لتزيل عنها شيئا من الهموم التي هى نتيجة تلك الادوار المقلقة المحزنة ، بين الورد الزاهي الذي عطر المكان باريجه والماء الذي كان يتدفق في الاحواض •

وبينما هى في تلك الحالة اذ بدرويش مهول المنظر ، ذا لحية كثة كبيرة ، قد تسدل شعر رأسه على ظهره ، وفي رقبته سبحة كبيرة ، ويده عكاز ، قد دخل من باب الحديقة فاستبشرت بقدمه لان هذا الدرويش كان قد اعتاد التردد على أهل بيتها مرارا ليؤنسهم بغرائبه السحرية وعجائبه السياموية • وله شيء خاص من الدراهم يتقاضاه منهم • وبعد ان وصل الدرويش الى بيت كستور التف أهل البيت حوله ، فأخذ يبرز لهم من العابه العجيبة •

« فمنا أخذ جوزة من جوز النارجيل وغرسها امامهم في الرمل ، وجعل يدور حولها وهو يزفر ويشهق فكانت أنفاسه تخرج السنة من نار ملونة بجميع الوان قوس قزح ، وشعر بحرارتها كل من حضر • وبعد قليل اخذت الجوزة في النمو فسوقت وتشعبت أغصانها ، وأثمرت وأينع ثمرها • فأخذ يقطف منها ويرمى به الى من حوله من وسط لهيب النار الى غير

ذلك من الشعبذات التي فاق الهنود بها كل من على وجه البسيطة ، حتى ان العالم المتمدن لم يقف على أسرارها حتى الان» (١) •

وبعد ان فرغ الدرويش من عمله رجعت كستور الى غرفتها وأمالها متسعة بما سمعت قبل يوم في المعبد من كلمات حبيها الكبيرة المشجعة ، ولكنها تذكرت وهلة بعض الكلمات المسطورة في كتاب اللص وهي (سيكون وقت الزواج قريبا) فعاودتها الشكوك والاوهام ، سيما بعد ان لم تجد الى ذلك الحين حيلة ولا تدير من حبيها جينارام كعبة آمالها للخلاص من تلك المصيبة •



ان كستور بعد ان اطلعت على كتب اللص التي دل فحواها على ان هناك شبه صداقة قديمة او ارتباط مهم بين أبيها وبينه ، بقيت سيما بعد سفر حبيها وهي تترقب أحوال أبيها وتستقرء حركاته وسكناته ، وتفكر في السبب الداعي لذلك الارتباط الذي الجأ أبيها الى أن يهون عليه اعطاء ابنته لذلك الرجل • غير انها لضعفها وعدم تمكنها وبالحرى لفقدانها حريتها لم تستطع استنتاج شيء من ذلك •••

وفي الاخير صبرت نفسها على الانتظار الى أن يرجع حبيها - ان في الصبر حيلة المحتال •

- ٨ -

القتل

لم تكن تخفى على اللص بطل الجبل - وهو في محله - الروابط والعلاقات الحبية بين كستور وجينارام ، كما رأى القارىء من فحوى

(١) خليل سعد صاحب رواية الشركسية الحسناء •

كتايه الماضيين ، وسبب ذلك انه كانت له عيون ومخبرين بصفة خدم في بيت أورانجي يخبرونه عن كل حركات كستور وسكناتها ، ومن جملة هؤلاء سائق عربتها الذي شاهد اجتماعها مع جينارام في حديقة المعبد بدون علمها ، وما عثم ان اخبر أعوان اللص ومخبريه الذين هم في بومبي، فأوصلوا الخبر الى اللص بطل الذي كان قد اتخذ غابات « جبل ماتيران » — التي تبعد عن بومبي يوما واحدا — سكنا ومأوى له ولعصابته . وكانت هذه الغابات لوعورتها وصعوبة مسالكها تحميه من ايدي كل من يريد مطاردته أو يناله بأذى .

فلما علم اللص ذلك وعرف انه لا يقدر أن يهد السبيل لاختذ كستور او تزوجها ما دامت تحب ذلك الشخص اصدر الامر لبعض رجال عصابته الذين هم في بومبي ان يقتلوا جينارام .

وفي الليلة التي نوى اللصوص أن يجروا فعلتهم الشنعاء كما امروا به كان القضاء لم يساعدهم على ذلك . لان جينارام غادر بومبي في ذلك المساء ، ولم يتصل خبر سفره بأولئك السفاكين .

وبالمصادفة كان اخو جينارام قد عمل في تلك الليلة حفلة دعى اليها اصحابه واصدقائه . واجتمع المدعوون في حديقة القصر وجعلوا يتحدثون عن قدوم (الكرو) وعما سيعمل له من الزينة والبهجة وغير ذلك .

وبينما هم في هذا الحال اذ سمعوا مناديا ينادى من احد جوانب الحديقة بصوت مرعب .

يا صاحب القصر يا جينارام .

فسكت الحضور وصاروا ينظرون الى جهة الصوت ولكنهم لم يقدرُوا ان يروا احدا لكثرة الانوار التي كانت حولهم ونهض صاحب الدعوة مع رجل آخر كي يرون من ينادى . واذا بالمنادى يقول مرة ثانية :

احذروا ان ينهض احد منكم من مجلسه ، فاننا نحن رجال بطل الجبل •
ومن خالف هذا يكون كالباحث عن حتفه بظلفه : واما انت يا صاحب القصر
فهاك رسالة الموت باسم سيدنا بطل الجبل •

وعلى أثر تلك الكلمات دوى صوت طلقان ناربان خر لهما اخو جينارام
على الارض مضرجا بدمائه •

فصاح الجميع - يا لله ••• ثم هجموا بجملتهم على مصدر النار وجعلوا
يبحثون في الحديقة على القاتل فلم يجدهم البحث نفعا لانهم لم يظفروا
منه باثر •

وبعد ذلك جاء الاطباء فرأوا ان الصريح قد اصيب بقلبه ومات من
ساعته •

تم تفرق الحضور ، وانقلبت تلك الحفلة مأتماً • وذلك السرور
حزناً - كم فرحة اعقبتها ترحة •

وفي الصباح التالي كان لمقتل اخو جينارام رنة عظيمة في المدينة • وقد
زاد قلق الناس واضطرابهم من تكرار مثل هذه الجرائم والجنايات •

وفي الاخير اصدرت الحكومة منشورا قالت فيه : « ان كل من يقدر
ان يمسك رجلا واحدا من اصحاب اللص بطل الجبل ، او يخبر الحكومة
بشيء عن محلهم في بومبي فله جائزة لا تقل عن العشرة آلاف روبية » •

واخذت الحكومة من ذلك الحين تبث العيون والجواسيس للاستطلاع
على عصابة اللص الذين هم في داخل المدينة ••

اما المحل الذي هو مركزا لهؤلاء ، وهى غابات جبل ماتيران • فظالما
كان يذهب الى هناك مئات من الفرسان الاشداء لمطاردتهم فلم ينجحوا •

ايااب الحبيب

في صباح اليوم العاشر بعد مقتل اخو جينارام كانت الغزاة قد بعثت بنورها الذهبي الزاهر على دور بومبي وقصورها ، تبشر بجمال ذلك اليوم وفخامته . وقد كانت المدينة في هرج ومرج . وكان رجال الحرس والبوليس وفرسانهم يروحون ويغدون في الشوارع للمحافظة على النظام وغير ذلك . وكان قسم من فرسان حرس الشرف يمرون في الشوارع بأتم الهدوء والسكينة ، يحسبهم الناظر كأنهم ذاهبون او مستعدون لامر مهم ذي شأن .

أيعرف القارئ ما الباعث لكل هذه الجلبة والانتقاب ؟

ذلك لانه في ذلك اليوم يدخل بومبي (الكرو) رئيس الهندو الديني الكبير ، الذي هو عندهم بمنزلة البابا عند المسيحيين او اكثر . ولم تمض ساعة حتى اعلن خروج الموكب فخرج وفي طليعته الحرس الهندي ممتطيا كرام الجياد ، وهي تسير الهويتا .

ثم ظهرت عربة (الكرو) باجلى مظاهر الابهة والجلال . وعلى جانبي العربة فارسان أحدهما جينارام والآخر من الاشراف والامراء وكان الذهب يتألق ملابسهما وعمائمهما الحريرية . وورائهما جماهير الناس الذين كانوا بكثرتهم يموجون كالبحر الزاخر .

والخلاصة فان ذلك الموكب من اعظم المواكب التي شاهدها أهل بومبي فقد كان فيه من مختلف المناظر وبديع الاشكال ما يذهل العقول . سار الموكب حتى وصل المعبد الكبير فدخله (الكرو) مع بعض

الخاصة • واجتازوا الدهليز وهم يمشون على السجاد الثمين ، وقد كانت
الحيطان لا تبين لما عليها من الرياحين والاعلام وغير ذلك • ثم وصلوا الى
قاعة الاوثان فدخلوها •

ومن هناك فارقتهم جينارام راجعا الى داره ، ولما ان وصل رأى في بيته
علامات انقبض لها صدره ، وما هي الاعلامات المأتم والحداد • ولما ان سئل
الخدم عن السبب اخبروه عن قتل اللصوص اخيه في اليوم الذى فارق فيه
يومبى •

لا يستطيع قلم الكاتب ان يصف الحالة التي كان بها جينارام عندما
سمع هذا الخبر ، فانه قام وقعد من غيظه وما زال طول ذلك النهار في
اضطراب وقلق لا مزيد عليه •

وبقى تلك الليلة يفكر تارة في حراجه موقعه وخطر اللصوص المحقق
به ، وتارة في حبيته كستور وفي الاخير عزم على الانتقام من اللص بطل
الجبل ومهاجمته في عرينه مهما كان في الامر من الخطر العظيم •
وفي اليوم التالى أخذ في التأهب للسفر الى غابات جبل ماتيران مع
اربعين رجلا بعد أن اجازته الحكومة على ذلك •

وقبل سفره بيوم واحد ارسل كتابه الوداعى الى كستور وهو :

الى حبيبتى كستور العزيزة •

لم اكن اصدق قبل هذا أن اللصوص يتجرأون الى هذا الحد حتى
يقتلون أخى • وعليه فاننى قد نويت على الانتقام من ذلك الشرير بطل
الجبل • فعزمت على السفر الى غابات جبل ماتيران مع من اثق بهم من
الرجال الاشداء • ونسلك هذا المسلك مهما تتجشم من المصاعب • فان
ظفرنا بالعدو نكون قد خلصنا انفسنا والناس جميعا من شره • والا فانهلاك
خير من أن نبقى خائفين • وقد كان هذا يختلج في ضميرى منذ رأيت كتب

اللص ولكن الآن قد زاد في الطنبور نعمة مقتل أخي وعزيزي • فما بقى لي
الا أن ابادر الى ذلك •

آن الاوان لأن اخاطر بالدم من لم يخاطر بالدم لم يسلم
هذا واسئل الله أن يجمعنا مرة ثانية • والسلام •

الامضاء

جينارام

- ١٠ -

غابات جبل ماتيران

في اليوم الثاني خرج جينارام من بومبي ومعه اربعون فارسا وكلهم
مسلحين بالسلاح الكامل ، ومعهم معدات السفر وادوات الصيد والمقاتلة •
وهي محمولة على ظهور الجمال وكان يصحبهم فيلان كبيران مدربان على
المناضلة والكفاح وصيد الوحوش في الغابات وغير ذلك •

وأخذ هؤلاء بالمسير في الصحراء قاصدين (غابات جبل ماتيران)
يمرون تارة بسهول متسعة كثيرة الاعشاب والاشجار • وطورا يصعدون
تلولا وعرة السلوك ، وآونة يمرون باحراج كثيرة الوحوش ، وبعد مسير
نهار واحد وصلوا الى رأس الغابات الآنفة الذكر فنزلوا ونصبوا الخيام
هناك •

بات القوم تلك الليلة وهم متأهبون حاضرون لاجراء ما يأمرهم به
جينارام من المهمة التي اتوا لقضائها • وكانوا قد انقسموا قسمين قسم
يحرسون الى نصف الليل ثم ينامون ويحرس القسم الاخر النصف الاخير من
الليل •

وكانت الخيمة التي ينام فيها جينارام يحرسها رجلان اسودان طوال القامة ذوى قوة وبأس اسم احدهما (موناتى) والاخر (جنجى) وهما من المخلصين لجينارام لانهما كانا بخدمته منذ مدة لا تقل عن العشرين عاما .

وفي الصباح التالى أمر جينارام الفيالة أن يصلحوا شأن الايال ويعدونها الى الصيد والمقاتلة « والفيل هذا هو من غرائب خلقة الخالق جل شأنه وعجائبها . وهو يكون عظيم الهيكل ذا خرطوم طويل مبسوط الاذنين . وله مزايا خاصة به ، فإنه مع عظم جثته له شعور يناسب هيكله وتمييزه عن سائر الحيوانات ، يدرك الخير والشر ، ويعرف الحب والبغض ، ولاينسى اللطف والخشونة » (١) .

بعد ان هياوا الفيالان ركب في كل هودج اثنى عشر رجلا . وركب جينارام معهم وتركوا باقى الرجال في الخيام .

وبعد قليل دخلوا الغابة واخذوا يتوغلون فيها وهم واضعين ايديهم على بنادقهم ، يترصدون في اطرافهم للعثور على اثر اللص بطل الجبل . وشرع الفيالان يحطمان اغصان الاشجار بخراطيمهما القوية ، ويقتلعان كل شىء يعيقهما في الطريق .

وبينما هم كذلك اذ رفع خرطومهم الى فوق واخذ يصيح بصوته فتنبه الراكبون لذلك وظنوا انهم ربما صاروا على مقربة من عصاة اللص فصوبوا بنادقهم واخذوا يمعنون النظر في اطرافهم بعد ان اوقفوا الايال ، واذا بفهد كبير الجثة قد خرج عليهم من بين الادغال . وبينما هو يتحفز للهجوم عليهم أطلقوا عليه الرصاص فصرعوه قتيلا .

وبعد ذلك بقوا يجولون في تلك الغابة التي كان فيها من الوحوش الكاسرة والسباع الضارية ما لا يعد ولا يحصى وفيها أنواع الحياة

(١) ثورة الهند صحيفة ٤٣ .

« ومنها نوع أدق من الخيط اسمها (بناجا) وهي أخبثها ، اذا نهشت شخصا قتلته من ساعته ، وغير ذلك من الحشرات القتالة ، والهوام المؤذية والخفافيش المختلفة الاشكال ، والقروذ والذباب السام ، والحفر العميقة الممتلئة بالاوحال والمياه المتنتنة المتعفنة . ومنها حفر اذا وضع الانسان رجله في احداها غاص في طينها اللازب بدرجة لايمكنه الخروج منها حتى يموت » (١) .

بقوا في الغابة الى ان انتهى النهار ولم يعثروا على شيء من اثر اللصوص فرجعوا الى مخيمهم .

- ١١ -

في الليلة التالية

في اليوم الثاني خرج جينارام مع خادماه المطيعان المخلصان « موناتى » و « جنجى » الى الغابة بعد ان امر أصحابه أن ينتظروه الى مدة (٤٨) ساعة فان لم يرجع اليهم بعد هذه المدة يدخلون الغابة ورائه .

قضى جينارام وخادماه كل ذلك النهار على غير هدى ، حتى أرخى الليل سدوله ، فالتجأوا الى شجرة (عبناء) كبيرة تسلقوا عليها خوفا من السباع والوحوش .

وكان القمر في تلك الليلة كاملا غير ان الغيوم المتلبدة الكثيفة قد حجبت أنواره فجعلت تلك الغابة على غاية من الظلام الحالك ، ولكن بعد مضي ثلاثة ساعات من الليل انقشعت تلك الغيوم وظهر القمر برهة فأضاء الكون بنوره . وكان ظهوره رحمة بهؤلاء المساكين ، فانهم صاروا يستأنسون به

(١) ثورة الهند صحيفة ٧٩ .

يعد ما ابتلوا بوحشة عظيمة من شدة زئير السباع ، وعواء الذئاب ، وصياح الثعالب والقرود .

وكان جينارام بعد ظهور القمر يعمل باصرته في تلك الآجام ذات اليمين وذات الشمال لعله يجد علامة أو يرى أثر من السكان ، ولكنه لم يزد الاضلالا . وبينما هو في تلك الحالة اذ طرق سمعه خشخشة عن قرب ، فنبه رفيقه الى ذلك ، وصاروا ينظرون الى جهة تلك الخشخشة فلاح لهم من بين الاشجار رجلا عارى الرأس وليس على جسده سوى ثوب واحد ، وهو منتزر بأزار يستر عورته ، ويده بندقية وهو يتقدم نحوهم .

وليس من العجب مشى هذا الرجل في ذلك الليل وسط تلك الغابة ، لانه كان من رجال اللص بطل الجبل ، الذين سكنوا هناك من مدة طويلة حتى صاروا لا يبالون بالوحوش ولا بغيرها . فصبروا له حتى مر من جنب الشجرة التي هم عليها ولم يكذب يتعد اكثر من ثلاث خطوات حتى نزل موناتى - بأمر جينارام - من اعلى الشجرة بسرعة ورشاقة وانقض على ذلك الرجل فضربه بعصاه الكبيرة على رأسه فوقع مغشى عليه وحينئذ نزل جينارام وخادمه الاخر جنجى فشدوا وثاقه واصعداه على الشجرة التي كانوا عليها .

بعد ان اصعداه الى فوق أخذ جينارام يتفقد ثيابه ويفتش تحت طياتها ، فعثر على صرة صغيرة كانت ملفوفة تحت ازار ذلك الرجل . وبعد ان فتحها وجد فيها كتابا فأشعل عودا من الكبريت وقرأه فاذا فيه ما يأتي :

الى سيدى بطل الجبل

حسب أمركم تتبعنا جينارام لنقتله ولكننا أخطأناه فقتلنا أخوه أما هو فبعد أن سلم منا ، سافر قبل بضعة ايام مع (٤٠) رجلا الى غابات جبل ماتيران لاختد الانتقام . خذوا حذرکم منه والسلام .

خادمکم المطيع
بها درجى

بومبى -

بعد أن قرأ جينارام الكتاب بنصف ساعة تحرك الرجل وأفاق من غشيته ، فرأى نفسه موثوق اليدين وهو بين ثلاثة رجال فجعل يشخص بصره نحوهم ، وقد أخذته الدهشة منهم • وحينئذ سئله جينارام قائلاً -
اين الكتاب ؟ قل لى أين الكتاب الذى اتيت به من بومبى الى سيدك اللص بطل الجبل الملعون ؟

فخاف ذلك الرجل وأخذ يضطرب ولكنه بقى ساكنا ولم ينبس بينت شفاه •

فكلمه مرة ثانية قائلاً -

ها يا ملعون انتى قد أخذت منك الكتاب •• ولكن قل لى أين هو اللص سيدك ؟ واين يسكن ؟

فسكت أيضا ولم يجبه بشىء •

وحينئذ اخرج جينارام مسدسه ووضع فوهته على صدغ ذلك الرجل وقال له بشدة -

قل لى أين هو ؟

فلما شعر الرجل بالخطر الذى يهدده خاف خوفا شديدا وأجاب قائلاً -

انه فى هذه الغابة •

- فى أى جهة من جهاتها ؟

- فى الجهة الشرقية ؟

- كم تكون المسافة بيننا وبينه ؟

- لا تكون اكثر من ساعة •

- كم عنده من الرجال ؟
- ما يبلغ عددهم المائة وخمسون رجلا .
- هل هؤلاء كلهم موجودون معه الان ؟
- كلا ، بل أغلبهم متفرقون في الاطراف .
- اذا كم معه من الرجال الان ؟
- على ما اعلم ، لا يكثرون عن الخمسين رجلا .
- كيف هو المحل الذى يسكن فيه ؟
- انه يسكن في كهف كبير جدا منحوت في داخل الجبل ، وهو على غاية ما يكون من الحصانة والمناعة .

كان يجيب ذلك الرجل على اسئلة جينارام اجوبة لا يداخلها شئ من الكذب . ذلك لان الخوف قد انساه المخادعة التي هي من شأن اولئك اللصوص .

وبعد أن انتهت المكاملة بينهما افكر جينارام في الذهاب الى محل اللصوص في تلك الليلة للاستطلاع على مكانهم ، ولكنه كان يتردد لما في الامر من الخطورة . بيد أنه في الأخير عزم على الذهاب الى هناك .

وما عثم أن أمر رجاله بالنزول من على الشجرة ، واستحضار سلاحهم للدفاع عند ما تمس الحاجة . ثم مسك مسدسه بيده وأمر ذلك الرجل أن يسير بهم في الطريق الذى يؤدى الى محل اللص بطل الجبل .

بقوا يسيرون بين تلك الاشجار الكبيرة الكثيفة مدة ساعة ونصف . وبعد ذلك عارضهم في طريقهم نهر كان يجرى مائه بشدة ، وكان يسمع لتياره خرير وصوت عجيب . فعجبوا منه وبقوا متحيرين لا يعلمون كيف

العبور الى الضفة المقابلة • والتفتوا الى الرجل الذى معهم لكي يسئلوه ،
وإذا به ساكت لا يتكلم وبعد عدة ثوان وقع على الارض ميتا • فعلموا أن
شيئا من الهوام القتالة لسعته • وما عتموا أن ارتدوا الى الوراء خوفا على
انفسهم •

وكان موت ذلك الرجل قد ادهشهم وزاد في ارتباكهم بعد ما علموا
انهم صاروا على مقربة من اللص بطل الجبل وبقوا هناك واقمين برهنة
لا يعلمون الى أى جهة يتوجهون واين سيكون مصيرهم ، واحسوا بالخطر
المحدق بهم • وكانوا يعملون قوة سامعتهم ، فلم يسمعوا شيئا سوى خفيف
الاشجار ، واصوات الوحوش من حين لآخر •

وبينما هم في تلك الحالة اذ سمعوا صوت أسد بالقرب منهم فوجوا خائفين
ولم يروا حيلة للخلاص سوى شجرة كبيرة كانت بالقرب منهم تسلقوا عليها
واختفوا بين اغصانها واوراقها الكثة •

- ١٢ -

الكهف

صعد جينارام واصحابه على تلك الشجرة وهم قد يأسوا من الحياة
وندموا على المخاطرة بأنفسهم والقائها بهذه التهلكة • وما زالوا يفكرون
في حالتهم السيئة ، حتى ولى الليل وصار نور النهار يخرج قليلا قليلا من
الافق •

وبعد ان خرجت الغزالة وارسلت باشعتها على تلك الاجام رأوا امامهم
جبالا عظيما وهو جبل ماتيران الذى كان مأوى لبطل الجبل وعصابته •
وبينما هم في ذلك اذ سمعوا اطلاق الرصاص من جوانبهم • وبعد قليل

رأوا جماعة من اصحاب بطل الجبل قد خرجوا من وراء الاشجار وهم يطاردون قطيعا من الظباء وصاروا يتقدمون شيئا فشيئا حتى وقموا قبالة الشجرة التي عليها جينارام وصاحبيه ، في ضفة النهر المقابلة •

فخاف هؤلاء الثلاثة خوفا شديدا ، وصاروا يتسترون بين الاغصان حذرا من ان ينكشف امرهم • واذا بجماعة اللص قد لمحوا عن بعد جثة صاحبهم الملسوع المطروحة على ضفة النهر التي فيها جينارام • فتقدم اربعة منهم وكشفوا عن ارجلهم ، وصاروا يخوضون في النهر الذى لم يكن يبلغهم مائه الى اوساطهم ، حتى وصلوا الى صاحبهم فحملوه وعبروا به النهر • ورجعوا الى محلهم •

وكان جينارام يراقب هؤلاء عندما عبروا النهر ثم صار يشيخهم بنظره وهم متوجهين الى جهة الجبل حتى تواروا عن بصره وقد فرح جدا لما رأى أن ذلك النهر ليس بعميق وانهم يمكنهم عبوره بدون عناء • وبعد ان انصرم النهار ومضى الهزيع الاول من الليل نزل هؤلاء الثلاثة من الشجرة فعبروا ذلك النهر وصاروا يمشون في الطريق الذى ذهب منه اصحاب بطل الجبل •

وبعد أن مشوا مقدار نصف ساعة لاح لهم بين الاشجار باب كهف في وسط الصخور ، فعرفوا أن هذا هو محل بطل الجبل • وحينئذ أمر جينارام خادمه جنجى أن يرجع الى اصحابهم ، ويأتى بهم الى ذلك المحل باسرع وقت فيهجمون على اللص واصحابه • ثم صار هو وموناتى يتقدمان رويدا رويدا حتى اقتريا من الباب • ولما أن امعنا النظر رأيا حارسا واقفا على رأس الدهليز • ولكنه كان لا يعى على نفسه من شدة النعاس • وبقيا ينصتان برهة فلم يسمعا صوت أحد من الداخل فعلما أن القوم نيام وعند ذلك اقتريا من الحارس ، وسدا فمه قبل كل شيء ثم سحباه الى الخارج فذبحاه • وبعدئذ دخلا في الدهليز وهما على غاية الحذر حتى اتھيا الى آخره فرأيا قاعة كبيرة وفي صدرها ضوء ضئيل • وفي وسطها كان جماعة اللصوص مطروحين واحدا

جنب الاخر وكلهم غارقون في نومهم • فلم يجسرا على الدخول حذرا من أن يتنبه اللصوص فتكون العاقبة وخيمة عليهما وبينما هما في ذلك اذ حانت التفاتة من جينارام فرأى بالقرب منه غارضيق المدخل شديد الظلام • فدخله هو وموناتى وكنا فيه لينظرا ماذا سيكون من أمرهما •

وبعد ان دخلا الغار بنصف ساعة اخذتهما سنة النوم رغما عنهما • وذلك لما ألم بهما من التعب الشديد سيما وانهما لم يذوقا طعم النوم منذ ثلاث ليال •

ولم يزالا في سبات عميق حتى انتبها وهلة على صوت دوى الرصاص وضوضاء الرجال ولما ان نظرا من داخل الغار رأيا اصحاب اللص بطل الجبل قد ملثوا الدهليز وهم يعربدون من شدة الغضب ويطلقون الرصاص على الهاجين من باب الكهف • اما هؤلاء الهاجين فهم اصحاب جينارام وسبب مجيئهم في تلك الليلة هو ان جنجى لما ارسله جينارام ليأتى باصحابه الى ذلك المحل خرج مسرعا • وبعد ان مشى مدة ثلاث ساعات صادف اصحابه وهم يتخطون في الغابة وسبب ذلك هو ان المدة التي امرهم جينارام بعد ذهابه ان ينتظروه لغايتها كانت قد تمدت • وبعد تفادها دخلوا الغابة ، وصاروا يجولون فيها للتفتيش عن سيدهم جينارام •

وفي تلك الليلة صادفوا جنجى آتيا فاخبرهم بأنه ترك جينارام على باب كهف اللصوص • فلما سمعوا ذلك اتوا مسرعين ووصلوا الكهف قرب الفجر ، وجعلوا يطلقون الرصاص عليه وعلى من فيه •

وبعد مضي ساعتان أو اكثر صار أصحاب اللص يتقهقرون في الدهليز ، وقد قتل منهم اكثر من نصفهم • وبعد قليل رأى جينارام وهو في الغار رجلا طويل القامة حسن البزة ، كبير العمامة ، متقلدا سيفا مذهبا وحوله أربعة رجال وهو يزمر كالاسد • ويشجع الرجال على القتال • ففهم من هيئته

أنه هو اللص بطل الجبل • ولكنه رآه بعد مدة قليلة كر راجعا مع رجلين
فدخل القاعة وفتح بابا في الجدار المقابل ثم ولج هو وذلك الرجلان • وبعد
ذلك انسد الباب ورجع الجدار كما كان :

أما بقية الرجال فانهم لم تمض عليهم مدة قليلة حتى قتلوا عن آخرهم •
ودخل رجال جينارام الكهف ظافرين • فخرج جينارام من الغار واستقبلهم ،
فحيوه بأحسن تحية وفرحوا جدا عند رؤياه •

- ١٣ -

النفق

بعد أن دخلوا القاعة أمر جينارام عشرة من رجاله ان يحشوا بنادقهم
ويتبعوه ، ومسك هو ايضا بيده مسدسا ثم تقدم نحو الجدار الذي دخله
اللص • وصار يتفحصه جيدا فوجد أثر الباب ، وبعد معالجة طويلة تمكن
من فتحه • فامعن النظر في الداخل واذا به يرى نفقا طويلا مظلما فدخل هو
ورجاله النفق ، ولم يشعلوا سراجا خوفا من أن يدهمهم العدو فيتمكن من الايقاع
بهم • وبعد ان مشوا عدة خطوات دوى صوت الرصاص من الداخل ،
وسمعوا بعد ذلك صوت رجل يقول -

آه يا ملعون قتلتني •

وآخر يقول -

تبا لك •• لما داهمك العدو فتكت بنا •

فتقدم جينارام واصحابه بقدم ثابتة نحو تلك الاصوات فرأوا شبحا
واقفا وسط النفق: فتأمله جينارام واذا هو اللص بطل الجبل ، ويده مسدس

يحشوا فيه الرصاص • فمسكه بيدين من حديد وقال له بصوت أجش -
ظفرنا بك يالعين ماذا تعمل ؟

وعما قليل دار حوله الرجال فشدوا وثاقه ، ثم اشعلوا السراج فأورا
رجلين مضرجين بالدماء وهما صاحبي اللص وكان احدهما قد استسلم الروح
والاخر في حالة النزاع • وكان سبب قتل هؤلاء ، هو ان بطل الجبل لما غلب
على امره ، ودهسه جينارام في النفق غاب رشده من الخوف والقلق ، ونسى
اصحابه الذين دخلوا معاه ، فجعل يطلق الرصاص على كل من رآه حوله من
الاشباح :

وبعد أن قبض جينارام على اللص خرج من النفق وجعل يفتش في ذلك الكهف
فوجد فيه من الاموال شيء كثير فقسم اقلبه على اصحابه البواسل الذين لم
يفقد منهم في تلك المعركة سوى عشرة رجال • وبعد أن اتموا عملهم خرجوا
من الكهف ورجعوا الى محلهم •

ولما أن وصلوا جلس جينارام في خيمته وامر باحضار اللص فاحضروه
ووقف بين يديه وهو موثوق بالسلاسل والاغلال • فرفع جينارام رأسه
وقال له -

كيف رأيت عاقبة بغيك ، ونتيجة تعرضك لما لا يعينك ؟

-أما كوني غلبت على أمري فهذا هو شأن الطبيعة ، والحرب سجل
يوم لهذا ويوم لذلك • واما ما نسبت الى من البغي فاني لم اكن باغيا ابدا •
- هذه كلمات تقولها انت واما الناس اجمع فهم يعرفونك كما انت •
- وما انا ؟

- انت لص سارق تنهب اموال الناس وظالم سفاك بل وباغ معتد
اثيم وما جزاؤك الا الاعدام بل السحق بالاقدام •

— ليقول الناس عنى كل ذلك • ولكننى اقول اننى على الحق ولست

بسخطى •

— يا للعجب وكيف ذلك •

— ذلك لانى آخذ أموال الاغنياء واعطيها لمن يستحقها •

— انا لم افهم ما قلت ، اوضح لى كلامك •

— نعم يولد الاغنياء وتولد السعادة الدنيوية معهم ، فهم يقضون

ايام حياتهم كلها بين الفضة والذهب ، ويتقلبون على فراش الهناء واليسر •
ويولد اناس ويولد الشقاء معهم فيبقون يعانون مصائب الحاجة والفاقة طول
دهرهم وعليه فأخذ المال من اوؤلئك (الاغنياء) وغصبه وإعطائه مثل لمثل
هؤلاء المستحقين يعد من العدل والانصاف •

— فى اى مكان حفظت هذه الدروس واطن انك تعنى بالمستحقين انت

ومن تبعك من الفجار •• دعنا من هذا يا وغد •• ثم اخبرني كيف قتل

اصحابك اخى ؟ ولكننى اخذت الانتقام لانك ستموت عوضا عنه •• ثم

كيف تتعرض لكستور وتزعم انك تريد اخذها •

— وماذا عسى يكون لو اردت ذلك ايسكن ان اعد مجرما ؟

— نعم لانها اجل من ان تكن انت خادما لها لا بعلا (كما زعمت) •

— اننى أعلم ان البلاء قد اتى من سببها ومن ناحيتها • ولكن ماذا

ينفعني ، ولو كنت أعلم هذا من قبل لكان ما كان •

— كفى كفى يا سافل •

ثم التفت جينارام الى اصحابه وقال لهم —

اوثقوه جيدا واسهروا على حراسته وحفظه •

وبقوا هناك مدة ثلاثة أيام وهم يتصيدون الوحوش والسباع والطيور
المتنوعة .

- ١٤ -

هرب اللص

في ليلة اليوم الرابع كان جينارام قد اصابه ارق شديد فلم يقدر على
النوم لكنه بقى جالسا على فراشه ويده كتاب يطالع فيه ، ولبث على هذه
الحالة حتى نصف الليل وكان يرسل نظراته من حين لآخر من باب خيمته الى
وسط فضاء ذلك الوادي فلا يرى غير أرض ملئت من أشعة القمر المتألقة ،
ويصغى بسمعه فلم يكن يسمع غير حفيف الاشجار وهينمة النسيم .

وفيما هو على ذلك إذ رأى على بعد منه شبحان يخترقان الاشجار
والاوغال بسرعة غريبة وهما يتجهان نحو يمين الغابة فارتجف قلبه من ذلك
ونادى الحارس المنتصب أمام خيمته وهو جنجى . فلما دخل قال له -

الا ترى تلك الاشباح ؟

- نعم يا سيدى

- وهل يمكن ان يكونا شخصان من بقية عصابة اللص ؟

- من يعلم .

- تفقد سلاحك واحترس جيدا ثم اذهب ورائهما ولا ترجع الا بعد

أن تعلم اين يذهبان في هذا الليل البهيم .

- سمعا وطاعة .

- قال جنجى هذه الكلمة وخرج كالسهم يخترق الفضاء وسار متحذرا

وراء تينك الشبحين وبعد ساعة رجع مسرعاً فدخل خيمة سيده جينارام ووقف
فقال -

- حدث يا سيدى امر لم يكن بالحسبان •

- ما هو ؟

- ان احد ذانك الشخصان هو اللص بطل الجبل

- ماذا تقول ؟ اصحيح ذلك ؟

- يا سيدى •

- وكيف هرب من عندنا ؟

- لا أعلم

- لا بد وان الذى كان معه هو من احد اعوانه فأتى واحتمل على

الحراس فانقذه •• ثم هل تبعتهما ؟

نعم تبعتهما وأنا اسير في اترهما حتى وصلا الى كوخ كاكواخ الفلاحين •
فدخلاه ودنوت من الكوخ وجعلت اصغى بسمعى اليهما واذا باللص بطل
الجبل يقول لصاحبه « اذهب الى بقية اصحابك المشتتين واخبرهم بانى قد
نجوت وقل لهم يتهاؤ للسفر فأنى لم اعد أقدر على السكنة هنا ، وانى
سأنى بعدك » •

ثم خرج الرجل واوغل في الغابة •

- ثم ماذا فعل ؟

- وبعد ذلك رأته اخرج من خزانة كانت هناك سلاحا فتسلح بمسدس

اوخنجر وخرج من الكوخ فتبعته واذا به ذهب الى الطريق المؤدى الى محلنا
الذي تنصيد فيه وصعد على رابية هناك فجلس عليها • وبعد ذلك فارقت
ورجعت مسرعا الى هنا •

- وما عساه ان يقصد من جلوسه هناك ؟
- لا اعلم ولكننى أظن انه عمل ذلك لغور وحساب بعيد •
- ما هو ؟
- لا على سبيل التحقيق • بل اظن انه يريد الكمون لنا هناك لعلمه
اننا تتردد في كل صباح للصيد على ذلك الطريق •
- ليس ذلك بعيد •• ثم لا أعلم من اين اتى ذلك الرجل فانقذه •
- اذكر يا سيدى ان ذلك الرجل صاحب الكتاب الذى مات في الغابة
ملسوعا اخبرنا بأنه يوجد من اعوان بطل الجبل رجال متفرقون في الاطراف •
وأظن أن هذا هو واحد من اولئك الاشرار • وقول بطل الجبل له (أذهب
واخبر اصحابك المشتتين) هو خير دليل على ذلك •
- صحيح : والان اننى قد وضعت خطى فسأذهب الى ذلك الكوخ
فادخل فيه وانت تكمن في خارجه • فاذا عاد بطل الجبل في الصباح (ولا بد
من عودته لقضاء حاجاته) ننقض عليه ونمسكه اسيرا •
- انها خير خطة يا مولاي • وانا أيضا اعلم انه لا بد له من الرجوع
الى الكوخ قبل مغادرته أياه ولحوقه باصحابه •
- وعند ذلك نهض الاثنان وكانت انوار الفجر قد بدأت تنبثق فاجبر
جينارام احد الحراس وقال له انه ذاهب في حاجة وسيعود في اليوم التالى •
بدون أن يسئل من اصحابه عن اللص •
- ولما أن وصلا الكوخ دخل فيه جينارام وكمن في خارجه جنجى • وأخذا
ينتظران مجيء اللص •
- وفي ظهر اليوم التالى رجع اللص حتى إذا دنى من الكوخ رأى بابيه
مفتوحا ، فدهش دهشا عظيما وجعل ينظر الى اطرافه نظرات الجائر المرتاب •

ثم افتقد مسدسه ودخل • وقد كان استغرابه أعظم لما رأى جينارام عدوه
الولد في ذلك الكوخ فقال بصوت تخالطه السخرية -

هذا هو المسكين الذى ظن انه ظفر بى • وسترى يا احق ماذا يكون
مصيرك •

فاجاب جينارام بكمال التؤدة والسكون -

يقولون أن الضيف مهما كان لا يؤذى • وأنا اليوم ضيفك ههنا ،
فكيف تضمر لى الشر وتتوعدنى وتتهددنى •

- يا للغضاضة وسوء الادب •

- حاشا أن اسىء معك الادب ولكن ادخل لنجلس معا وتحدث •

- ما هذا يا رجل ؟ كيف تتكلم هكذا وانت بين يدى ملك الموت
اظن انه قد اصابك شىء من الجنون •

- انى والله الحمد على أتم سلامة العقل •

فزاد حق اللص من جراه ذلك واشتد غضبه واحمر وجهه ثم مسك
مسدسه •

وقال - ألى هذا الحد تهزأ بى يا كلب •

وفي تلك الساعة المضطربة كان جنجى قد دخل الكوخ فوثب على اللص
من ورائه وصدمه صدمة هائلة على رأسه اسقطته على الارض مغشيا عليه •

ولما أن افاق من غشيته رأى نفسه مقيدا ، وموثوقا بالجبال فانذهل
ورفع رأسه الى جينارام وقال كمن اصابه خلل في عقله •

جينارام!! جينارام!!

فاجابه جينارام -

هلم بنا الى محلنا واحمد الله على بقائك حيا حتى نصل بومبي لانسي
 لا أقتلك الان ... وقتلك أمام الناس أوقع في القلوب •
 فنهض اللص عن غير ارادته وسارا به الى المخيم • ولما ان وصلوا أمر
 جينارام أصحابه بأخذ الاهبة للرحيل والرجوع الى بومبي •

- ١٥ -

وفاة كستور

ترك جينارام وهو في رجوعه الى بومبي ورجع الى كستور •
 انها لما وصلها كتاب حبيبها الوداعي يخبرها عن سفره الى غابات جبل
 ماتيران للانتقام من اللص بطل حزنت حزنا شديدا ما عليه من مزيد •
 نعم حزنت لفراق أعز وأثمن شيء عندها على وجه البسيطة ، وحزنت
 لانها يئست من رجوعه اذ هو على أبواب عرين الوحش
 الضارى الذى لا خلاص ولا مفر لاحد عاداه وتعرض له من بطشه •
 ثم حزنت لانها لم تفز ولو بنظرة ترى فيها حبيبها بآخر ساعة ، على حين انه
 سار وليس لها أمل برجوعه • وحزنت أيضا لتصرف أيها ذلك التصرف الذى
 أدى الى كل هذه النتائج الوخيمة •
 كل هذه الاشياء أحزنتها وجعلتها تندب سوء حظها ونحس طالعتها ليلا
 ونهارا ، حتى انها بقيت وهي لا تستطيع الهجوع ولا الطعام ولا الشراب •
 ثم أخذ جسمها في التحول والذبول وقمر جمالها يميل الى الافول •
 ولا بدع فذاك أولا من تأثير الحب الذى يقول فيه الشاعر •

« رأيت الحب نيراناً تلتظى

قلوب العاشقين لها وقود »

« فلو فئت اذا احترقت لفازت
ولكن كلما نضجت تعود »
« كاهل لظى اذا نضجت جلود
اعيدت للشقاء لهم جلود »

وثانيا من قسوة ايها الذى اجاز ان يضحي حياة ابنته دون ان يحول
عن عزمه فيعطيها لمن يرضاها وترضاه .

وكانت شاه ناز تتردد عليها لتسليتها من حين لآخر ففي يوم من تلك
الايام كانت شاه ناز جالسة بجانب كستور اذ تأوهت هذه تأوها عميقا ،
وأعقب ذلك انحدار قطرتان لؤلؤيتان من مقلتيها فكأنها كانت تقول فى
سررها :

« أموت فى سن الشبية والصبا
ويلاه ما أقسى الممات وأرهبا »
« أ أموت عاشقة وافقد كل ما
اهوى ولست أنال منه مأربا »

وحينئذ اقبلت عليها شاه ناز وصارت تكلمها تارة بكلام هزلى مضحك،
وطورا بحديث مسل مؤنس ، وأنا بكلام فيه عبر وذكرى . وأخذت تهون
عليها قائلة :

خففى عنك يا حبيبتى واصبرى ، ولا تدعى للأسى سييلا ، عساك
تنالين ما يئست منه ولو بعد حين .

— كيف أصبر ؟ وبأى وسيلة أزيل ما اغتراني من الآلام والهموم ؟
وها أنا أحسب للمستقبل المشؤوم الف حساب .
— لا جعل الله مستقبلك مشؤوما .

— آه .. كيف لا ، واني لا أظن انه يرجع حيا ثم وماذا عسى أن
يكون لو ظفر اللص واتصر ، ودنت الساعة المحتومة فطلبني من أبي .. آه
كيف سألج تلك المظلمة .

وهنا أجهشت بالبكاء والنحيب . فطيبت (شاه ناز) خاطرها ثم تركتها
وانصرفت ، وهي متأسفة على شبابها ناقمة على قومها الذين أعمتهم الجهالة ،
فغدروا نساءهم وغدروا حقوقهن بأن وضعوا لهن — سواء باسم الدين
أو باسم العادات — حدودا وبدعا يمجها الذوق السليم ويأبأها العقل الصحيح ،
وقضوا على حريتها قضاء مبرما ، وساموها باسم الطاعة الابوية الخسف
والهوان .

ولولا ذلك لما خفت كستور أمرها ولرفضت أعمال أبيها بكل حرية ، غير
خائفة لومة لائم ، ولا متهية مما يشاع عنها من الاباطيل المخلة بالشرف
وغير ذلك .



في الحقيقة ان (كستور) كانت قد يئست من رجوع جيبها بالمرّة
ولذلك أثرت بها تلك الضربة أثراً مرأ . فلبثت بضعة أيام وهي في أشد
العذاب وودت لو انها تفارق الحياة حتى تتخلص من عذابها الاليم .
وبينما هي في ذلك اذ هجمت عليها الحمى فلازمت الفراش .. وكأنه
قد ذاب كبدها من الحزن وانفطر فؤادها من الاسى ، فقضى نحبها — بعد
ان اعياء الاطباء امرها — وماتت كمدا ، شهيدة ايها احد اعداء الانسانية .
وفارقت الدنيا ولسان حالها يقول —

« هذا جناه ابي على وما جنيت على أحد »

انتحار اللص

بعد وفاة كستور بثلاثة أيام وصل جينارام بومبي ومعه اللص بطل الجبل فسلمه حالا الى الحكومة .. وكان الناس يتحدثون بشهامة جينارام وشجاعته لما حازه من الظفر والاتصار .



في تلك الليلة كان اللص جالسا وسط السجن وهو في قلق واضطراب شديد . وكان كلما حاول الاضطجاع والنوم لا تطاوعه نفسه . ذلك لانه كان يتذكر الساعة التي سيؤتى بها الى المشنقة بين جماهير الناس . وبينما هو مرتطم بين تأنيب الضمير على ما مضى ، وخوف النفس مما سيأتى ، إذ تمثلت له في جوف ذلك السجن العميق تماثيل الاشخاص الذين تلوثت يده بدمائهم وكلها تحملق باعينها اليه ، فاشتد فزعه ، وكثرت احساساته وصار يرتعد من هول ذلك المنظر ، ثم اغمى عليه .

وبعد نصف ساعة افاق من اغمائه وفتح عينيه فرأى اولئك الاشخاص ايضا ، وهم يهجمون عليه ويصيحون بصوت مرعب « الانتقام .. الانتقام » . فانتفض من مكانه ، واذا بالاشخاص قد غابوا من أمام عينيه . وحينئذ قام وجعل يتمشى ذهابا وايابا بالسجن وهو واضع يده على جبينه ، ويفكر في امره .

وبعد قليل وقف وصاح كمن يظفر بشيء ذى شأن أو وجد شيئا اضاعه - ها قد وجدت الحيلة .. وجدت الحيلة .

ثم انه اخرج من جيبه قطعة قرطاس وقلم واقترب الى النافذة وكتب على ضوء الهلال الضئيل شيئاً مما عن له أن يكتبه بأخر ساعة من حياته •
وبعد ذلك نزع عمامته بيديه المرتجفتين وشدها باحد اعمدة النافذة ثم ربط بها عنقه وشنق نفسه منتحراً كأنه عمل بالمثل المشهور (بيدي لا بيد عمرو) •



وفي صباح اليوم التالي دخل السجن السجن فرأى امامه جثة اللص وهي مشنوقة ومعلقة بالنافذة •
ثم وجد ورقته مطروحة ، فأخبر اولياء الامور فامروا باخراج الجثة ، وشنقت في احدى ساحات المدينة كي يراها الناس •
ثم قرئت ورقة اللص فكان فيها ما يأتي —

لكل شئ إذا ما تم نقصان

لا ينبغي لاحد اذا اصبح في عيش هنيئ ، ونعمة وافية أن ينسى حالة الزمان ، او يتناسى أن الدهر قلب ، والنعمة تزول •• وانسى قد طشت بمسألة الايام لي فكانت عاقبتى هذه •

« وسالمتك الليالى فاغتررت بها

وعند صفو الليالى يحدث الكدر

بشر القاتل بالقتل

لا ينبغي لاحد أن يغتر بشجاعته وقوته فيقبل على الناس بالفتك والنهب وغيره •• فاننى اغتررت بقوة رجالي ومناعة مكاني ، ففتكت بدافع الطمع والجشع بالناس ولوئت يدي بدماء الابرياء •• وها انا اليوم أذوق مذاقه اولئك

المظلومين وأتجرع نجيع الموت حتف انقى من تلك الكأس التى شربوا فيها •
تعساً وتباً •

تعسا لك يا جينارام وتبا لخليلتك كستور
ويلاه •• أردت قتلك ولم يشأ الدهر ، وطمعت في تلك الفاتنة الخائنة ،
فأبت الاقدار ولم أئل منها منالا •

« ويلاه من جرم يكاد يميئنى
من قبل أن أقضى وفاء عهودى »
« انى وعدت بقتل نفس حية
طمعاً بعيش للحبيب رغيد »
« والآن قد نال الحبيب شفائه
ودنت منية ذلك المنكود »

- ١٧ -

الخاتمة

هذا ما كان من أمر اللص ، أما ما كان من أمر جينارام فانه لما سمع
بوفاة حبيبته حزن لها ، وجعل يذرف الدموع عليها وهو في أسف شديد ،
ووجد ما عليه من مزيد ، لانها ماتت ولم تذق من طعم السعادة الحيوية شىء
كما أنها ايضا لم تشف غليلها بأن تر حبيبها يرجع ظافرا بالذي قتلت بسببه •

★ ★ ★

مضت مدة مديدة وجينارام لم يطلع على اسرار القضية ، سيما السبب
الداعي لاعطاء أورانجي ابنته لذلك اللص •

بيد انه بعد ان ماتت كستور واعقبها والدها بعد عشر سنوات ظهر
شيء لم يكن بالحسبان . اذ اتضح ان اورانجى لم يكن شريفا ، بل كان
لصا سافلا . ذلك لانه كان من أحد زملاء بطل الجبل وهو شريكه في كل
أعماله ومساعدته في كل جنائياته وجرائمه .

فلما علم جينارام ان سبب تلك القضية انما كان ناجما عن طمع ذاتي
وغرض نفساني ، وان أورانجى جازف بحياة ابنته وراء الحصول على مآربه
ومطامعه اخذ تارة يلعن روح تلك الذات الخبيثة ، وطورا يرفع يده الى
السماء مترحما على الروح الملائكية ، روح تلك الفتاة الشهيدة ، وآونة
يتحسر عليها فيندبها ويقول :

كم تحت سماء الشرق من بنت مظلومة مثلك يا كستور وكم من
عذراء بكر قبلك ماتت حتف أنفها وذهبت ضحية أغراض وليها .
وأنت يا أباهما كم مثلك من الجناة اعداء الانسانية وهم وراء أستار
هذه الحياة محجوبون .

فمتى يفيق الشرقيون من رقدتهم فيعرفون قدر المرأة ويعطوها حريتها
وحقها الذى اغتصبوه منها ، ويقتصون من الذين هم لها معادون ، وعليها
جانون ، ولروحها قاتلون .

● تمت ●

مَضِي الضِعْفَاءِ

رواية غرامية اجتماعية عراقية

النواميس قضت أن
لا يعيش الضعفاء .
ان من كان ضعيفا
أكلته الاقوياء

بقلم

السيد محمود اصمدر

الزهاوي

البغدادى

مؤلف رواية (في سبيل الزواج)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبعت بنفقة

المكتبة العصرية

بسوق السراى — بغداد

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر

١٩٢٢ — ١٣٤٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده

الذين آمنوا من عباده

الذين آمنوا من عباده

الذين آمنوا من عباده

الذين آمنوا من عباده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين آمنوا من عباده

الذين آمنوا من عباده

مصير الضعفاء

١٩٢٢

اهداء الرواية

الى الحر الأبي

حسين بك الرجال

« السيد محمود احمد »



مقدمة الناشر

لقد خطى المصريون والسوريون الخطوات الواسعة في النهضة الادبية العربية الاخيرة لان معظم التأليف العربية الحديثة هي بنت أقلامهم وثمره أفكارهم ولكن أبناء العراق لم يتحفوا الأدب العربي في العهد الاخير الا بالنزر اليسير مع أنا نعلم ان في هذه البلاد من أصحاب الادمغة المفكرة والعقول النيرة من لو تسهلت لديهم أسباب الظهور لأتوا بكل معجب بديع •

ولئن كان مجال العمل والتأليف ضيقاً فيما مضى فقد أصبحنا اليوم في عهد يتمكن فيه كل من وهبه الله نور العلم والعرفان أن يفيض منه على أبناء وطنه الذين بدأوا يشمرون في هذه النهضة الاخيرة عن ساق الجد طلبا للعلم والادب •

كتاب السيد محمود افندى احمد هو أول مؤلف نطبعه على عهدتنا رغبة في اظهار فضل العراقيين واحياء آثارهم وخدمة للنهضة الادبية الاخيرة وحثاً لابناء الرافدين على الكتابة والتأليف حتى يكون للعراق علومه الوطنية وآدابه القومية الخاصة شأن بقية الامم الحية •

هذا وانا تتعهد بطبع كل المؤلفات العراقية التي نعتقد فيها الفائدة ونرى فيها أثر النبوغ والسلام •

محمود حلمى الكتبى

مقدمة المؤلف

طالما كانت تسوقني نفسي الى كتابة الروايات ولكنني كنت أتردد
وأحجم لما في الامر من الصعوبة .

استشرت هذا وذاك . فلم أجد أحدا يشجعني على الكتابة بهذا
الموضوع . ولم ألق رجلا يشير عليّ بشيء سوى الكف عنه وتركه بتاتا .
ذلك لانهم استصغروا شأني وحسبوا أن لن أقدر عليه . بل توهموا أنه
شيء عظيم لا يستطيع أي كاتب من العراقيين دخول بابه كأن كتاب
الروايات في الامم الاخرى أناس هبطوا من السماء .

لم أعبأ بذلك بل رجعت فكتبت أول رواية وهي (في سبيل الزواج) .
ولكن اتضح بعد ظهورها انها ناقصة من عدة وجوه . حتى استخف بها
البعث . ولم يستحسنها البعض الاخر ولكن ذلك لم يشبط من همتي
شيئا بل قلت لاعالجن هذا الموضوع . فاكتبن فيه حتى يتسنى لي النجاح .
وهذه ثاني رواية أخرجها لبني وطني العراقيين ولعلها خير من الاولى .

(المؤلف)

آخر محرم ١٣٤٠

بغداد

مَصِيرُ الضَّعْفَاءِ

(١)

ابراهيم - ابن الفرائي - عبدالله العربي

في أواخر القرن التاسع عشر كان يسكن في الجهة الشرقية من الرصافة
في بغداد رجل يدعى اسماعيل جلبى •
وكان كبير الثروة طائل الغنى فقضى الشطر الاعظم من عمره في عيشة
راضية سعيدا خاليا من الهموم •
ولما بلغ السنة الخمسين قلب الدهر له ظهر المجن • وبدأت تتنابه
مصائب الزمان • فخر عدة مرات في التجارة • ولم يلبث أن فقد رأس ماله
وكل ما عنده من ثروة ونقود •
كان هذا الرجل شهما ذا عزة وأتفة • فأثر بنفسه ذلك الانكسار تأثيرا
مرأ • وعيل صبره فلم يستطع مقاومة تلك الصدمة • وسرعان ما اقتابه
المرض • وعضه بنابه فقضى على حياته • وأماته دون أن تنفعه علاجات
الاطباء وأدوية الحكماء •

(وإذا المنية أنشبت أظفارها ألنيت كل تسمية لا تنفع)

مات هذا الرجل وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء • ولم يخلف
سوى امرأة تدعى ليلى وطفلا وحيدا يدعى ابراهيم •
ولم يكن عند ليلى المسكينة ما يكفل لها معيشتها وولدها سوى دراهم
معدودة لا تكفيها أكثر من بضعة أشهر • ومع ذلك لم تقنط من رحمة ربها •
وأقبلت داخلة معمعة الحياة • بجنان اقوى من الفولاذ • مسوقة بحب
المحافظة على حياتها الثمينة بل على حياة فلذة كبدها الذى هو أئمن لديها
وأعز •

انها كانت تعلم حق العلم فحوى قول القائل :

(وانما رجل الدنيا وواحدتها من لا يعول في الدنيا على رجل)

فلم يخطر في بالها الاستعانة بأحد من الناس • ولم تعول الا على
نفسها • فاتخذت لها الخياطة مهنة • وأخذت تعيش عيشة تقتير بنصف
الاجرة التي تحصل عليها من جراء اشتغالها فيها وخصصت النصف الاخر
لتربية ولدها ابراهيم الذي أرسلته الى احدى المدارس الاميرية لانه لم
يكن يوجد في تلك الآونة بعد مدرسة خاصة لتربية أولاد الفقراء والايام
ومن على شاكلتهم •



أصدقاء ابراهيم في المدرسة اثنان هما حسن الفراتي • وعبدان
العربي •

تعارف هؤلاء الثلاثة بعضهم مع بعض • وتحابوا حتى أصبحوا بنعمة
الله اخوانا لا يفترقون في رأى • ولا يختلفون في فكر • يتحدثون في أعمالهم
وفي كل حركة من حركاتهم أو سكنة من سكناتهم • ويشتركون بالسعى
في دروسهم داخل المدرسة وخارجها •

هكذا كان دأبهم في الايام التي قضاها هناك • وقد حسبوا في أنفسهم
أنهم لا يفترقون طول دهرهم • بل يدخلون معترك الحياة كتلة واحدة قوية
لا تمزقها أيدي المؤثرات ولا تزعزعها زوابع الايام •

ولكن هل يمكن ذلك ؟ كلا ثم كلا ؟

أجل انهم بينما كانوا يمنون أنفسهم بتلك الامانى • اذ جاء القدر معاكسا
لهم • فتمزق جمعهم وتفرق شملهم بصورة لم تكن تخطر على بال أحد
منهم أبداً •

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن

طرد أبو عبدان العربي من وظيفته التي كان يرتزق منها لسبب من
الاسباب • فأصبح بعد مدة قصيرة معوزا لا يملك شروى نقيير •
وعلى أثر ذلك سحب ولده من المدرسة ورحل به الى مدينة من مدن
العراق للتكسب والعيش •

ولم تمض بضعة أيام حتى أصدرت حكومة الاستانة أمرها بإبدال
اللغة العربية في المدارس باللغة التركية وجعلها لغة التعليم والتدريس •
وقد آلمت هذه الحادثة كثيرا من العراقيين حتى اضطر بعضهم الى
اخراج أولادهم من المدارس وحرمانهم من التعليم وكان حسن الفراتي
أول من فارق مدرسته • ولكنه لم يبق كسائر اخوانه متروكا في زوايا
الاهمال بل أرسله أبوه الى مدينة النجف الاشرف • وأدخله في زمرة طلاب
العلم العربي هناك •



انقرط عقد هذه الجماعة • وتشتت أفرادها في جوانب ديار العراق •
لكنهم كانوا يتكاتبون ويتراسلون مدة من السنين الى أن حدثت أمور لم
تكن بالحسبان •••

- ٢ -

اين ذهب ابراهيم

عرف أهالي بغداد حتى آخر أيام الاتراك بحبهم وميلهم الشديد الى
الرتب والوظائف العسكرية أكثر من الرتب الملكية والوظائف الادارية •
فكنت ترى اغلبهم يفضلون ارسال أولادهم الى المدارس الحربية طمعا
بالحصول على المراكز العسكرية التي تجمع العظمة والسلطة بكل معانيها •

ولم تشذ ليلى عن هذا القسم من بنى وطنها • فانها أيضا بعد أن أكمل ولدها سننى الدراسة فى المدرسة الاولى أدخلته المدرسة العسكرية • ولم تمض عليه مدة من السنن حتى خرج من المدرسة حائزا على رتبة ضابط •

عندئذ شعرت الوالدة بارتياح فى ضميرها وصممت على اراحة نفسها فقعدت تستريح مما كابدهت من أهوال المعيشة خلال تلك المدة • بعد ان ابتسم لها ثغر الآمال بنجاحها فى تشييد مستقبل ولدها الذى أصبح وهو فى السنة التاسعة عشرة من عمره ذا مركز فى الجيش •



بعد استلام ابراهيم وظيفته فى الجيش البغدادي بسنة واحدة اقتضت مشيئة اهل الحل والعقد أن يتحول الى مدينة الموصل •

وكان قائد الجيش هناك رجل عظيم الجاه جليل القدر اسمه (ش • باشا) وهو تركي جاء من بلاد الاناضول قبل مدة فقطن هذه المدينة •

وقد نال ابراهيم الضابط الحظوة عنده حتى صار أكبر خاصته وأصدقائه المقربين •

- ٣ -

تحت ستار الليل

فى احدى ليالى الشتاء جلس (ش • باشا) على عادته الجارية فى قصره يشرب ويطرب على تلك النغمات الشجية ، نغمات الاوتار تخالطها أصوات جواريه الحسان اللائى حففن به ودرن حوله استدارة الهالة بالقمر يلهينه ويؤنسنه بيدى رقصهن وشجى غنائهن •

ولم يكن معه أحد من الرجال غير نديمه الوحيد ابراهيم الذى
اصطفاه لنفسه .

وكان ابراهيم تارة يحدثه بأحاديث مسرة مؤنسة وتارة يسقيه من
الشراب حتى اتصف الليل ودب ديب الحميا في رأسه فأثقل عليه وما عتم
أن نام فأخذه الجوارى وأدخلنه دار الحريم .

أما ابراهيم فقد وقع - أيضا - على الارض وصار لا يعى على نفسه .
ولم يتعرض الخدم لابقاظه أو نقله من محله لان هذه الحالة كانت قد
تكررت قبل هذا مرات عديدة لذلك تركوه نائما في غرفة الشراب ثم أطفئوا
السراج ورجع كل منهم الى حيث يسترسل في نومه . وبعد قليل رقد الجميع
وساد السكون في انحاء القصر .



كم تحت ستار ظلام الليل الهادىء من مناظر عجيبة مختلفة ومشاهد
غريبة متباينة ، وكم من أمور يجربها الناس تحت أسجاف دجنته الحالكة ،
وأعمال تأتياها أيديهم وهي محجوبة عن الغير لا تراها الا أعينهم وعين الله
لا تنام .

لقد علمت أيها القارىء أن أهل القصر رقدوا بأجمعهم وفي مقدمتهم
الباشا ونديمه ابراهيم ولكنك لو كنت هناك وطفقت متخفيا تحت جناح
الظلام على الراقدين في غرفهم ومقاصيرهم ووصلت غرفة الشراب لرأيت
ابراهيم ذلك الرجل الذى ظهر انه وقع طريح الخمرة قد اتبه وفتح عينيه
كأن لم يكن به ثمة أثر من سكر ثم هب من مكانه وجعل تارة يتطلع من
وراء ثقوب باب الغرفة مديرا نظره في كل جوانب القصر كأنه يقصد معرفة
آخر دقيقة يسترسل بها الساكنون الى سباتهم وتارة ينصت بأذنيه كأنه ينتظر
قادما يحمل اليه أمرا مهما ، أو ينبئه عن نبأ عظيم .

ولم تمض ساعة من الزمن حتى طرق سمعه صوت مشية خفيفة من
الحجرة المجاورة فابتسم ابتسامة الفرح والسرور ، ثم قام بخفة ورشاقة
ففتح باب الغرفة ونظر الى الخارج فرأى شبحا يتقدم نحوه فما اقترب منه
حتى تبادلا كلمة استوثق منها الشبح الذي كان على ميعاد حتى مد اليه يده
فصافحه ثم دخلا الغرفة •

— ٤ —

مؤامرة غريبة

وبدأ ابراهيم بالكلام قائلاً :

- أراك أبطأت عليّ اليوم يا حبيبتى زهراء ؟
— لانني كنت أنتظر ريشا ينام أخى الباشا وأهل القصر ولم أتأكد
رقودهم جميعا حتى أتيتك بأسرع ما يكون •
— صدقت
— وأنت على م عولت فيما يتعلق بشأننا ؟ وماذا دبرت لنا من حيلة
تتمكن بها من انهاء أمرنا ؟ فقد طال علينا الالمد •
— آه •• أنا •• أرى أيتها الحبيبة أن أبواب الحيل كلها قد سدت
في وجهي حتى أكاد أياس وينقطع أملى بتاتا •
— تياس ؟ اننى لا أرى داعيا لاجامك الى هذه الدرجة مع انى أتجرأ
أن أقول (أود من كل قلبى أن أصبح زوجة) •
— عجيب !
— لا غرابة ولا عجب •

- نعم انك لم تتجراي على هذا القول الا بعد ان علمت ان الزواج امر ضرورى لا بد منه ، وهو من اعظم حقوقك ولكنى لا اظنك تستطيعين التعبير لاحد بما ترومين بهذا الاسلوب الذى يعد من الوقاحة بل من التهتك والاستهتار .

- أية وقاحة ؟ وأى تهتك ؟

- زهراء ! أراك اليوم تتكلمين جزافا بدون تفكر ولا روية ... يقولون ان الحب ينسى الانسان حتى نفسه وما يحيط به ولكن لا اظنك تقدرين أن تنسى أنك أخت (ش . باشا) الامير العظيم . انسى فهمت وعرفت مقصدك . ومكنونات ضميرك قبل تصرحك الان ولكن اعلمى ان هذا ليس بالامر الهين . فأين الثريا من الثرى . وأين مقامي من مقامك ؟
افتكرى مليا وتصوري لو أن أخاك ذا الاقنة والكبرياء أحس بنا أو سمع أن أحد اتباعه (يشير الى نفسه) يحاول التزوج بأخته ، كيف يكون حاله ؟

- وماذا يعمل ؟

قلت من هنيهة أن الزواج حق من حقوقي المشروعة . والان تقول هكذا ؟

- مشروع !.. المسئلة مسئلة قوة وليس أمام القوة أمر مشروع .

- ماذا تريد بهذا الكلام ؟

- أريد بذلك ، أن هذا الحق يتضاءل أمام قوة أخيك ولا يكون حقا الا اذا كانت مشيئته في ذلك .

- دعك يا حبيبي من هذه المقدمات واعلم بأني قد رأيت رأيا ودبرت أمرا ربما يكون لنا فيه الفوز .

— ما هو ؟

— لا يجهلن أحد مكاتك وعلو منزلتك عند أخى ، وهو يجبك حبا
ما عليه من مزيد • أليس كذلك ؟

— نعم •

— لذلك فكل حيلة تستعملها على شرط أن تنسيه ذاته وشخصيته قد
تكفى الى نجاحك في مهمتك •

— ما هى تلك الحيلة التى يجب عملها ؟

— أحسن حيلة وخير وسيلة هى أن تسكر الباشا الى درجة يفقد بها
عقله وشعوره •

— ثم ماذا ؟

— ثم تخطبني من عنده ، فان رضى وأذن بذلك حصلنا على ما نرومه
وتمناه • ولا أظنه يمتنع بتلك الحالة عن هذا الامر •

— أرى يا حبيبتى أنك قد شططت بالحكم وغلوت بالحسبان ، فانتى
لا أخال أن هذه الحيلة وان انظلت عليه في بادىء الامر تكون حسنة العاقبة ،
سليمة المغبة •

— وكيف ذلك ؟

— نعم أنه رجل أشتهر بقوة البأس وعرف باستقلال الفكر والتعصب
والمحافظة على عادات قومه • فلا أظن أن من اجتمعت به هذه الخصال يغلب
على أمره اذا ما شعر بوقوع مثل هذه الحادثة التى يعدها ولا ريب محطة
بقدره وشرفه فلا نكاد نأمن جانبه ونسلم من شره •

جانب السلطان واحذر بطشه

لا تخاصم من اذا قال فعل

– ابعد عنك هذه الخيالات والاوهام وتذكر ما قيل (ما فاز باللذات
غير الجسور) ثم افعل ما اقترحت عليك ، فسيكون الفوز حليفنا ان
شاء الله •

– ولكن ...

فقاطعته بالكلام قائلة :

لا تتردد يا حبيبي ، فليس في الامر خطر ، ولا ما يدعو الى الخوف
والحذر •

قالت هذه الكلمة وتقدمت اليه فضمته الى صدرها ثم طبعت على فمه
قبلة حارة ، أسعرت نار قلبه ، وحركت ساكنه ، فنسى نفسه وكل ما هنالك
من الافكار والوساوس ثم قال بلهفة :

– نعم ، نعم الرأي رأيك يا حبيبة القلب ، وسيكون ذلك عند أول
فرصة تسنح لي •

– ولكن ابذل جهدك واستعد لهذا الامر استعدادا تاما • هذا
وموعدا بعد ثلاثة أيام •

لفظت الكلمة الاخيرة ثم ودعته وخرجت من الغرفة •

أما هو فبقى يشيعها بنظره ، حتى غاب شخصها في الظلام • وحينئذ
أقفل باب الغرفة ورجع الى فراشه فاستلقى عليه •

الهواجس

لقد يعجب القارىء من هذا الدور الذى مثلته الفتاة مع حبيبها •
ولا بدع فتصريحها بمكنونات ضميرها واقتراحها الذى حوى من ضروب
الجرأة وأنواع الجسارة ما لم يسبق له مثل عند نساء ذلك الوقت أوجب
استغراب حبيبها ايضا •

فانه بعد انفراده بنفسه في غرفته ورجوع عقله اليه • جعل يستعيد
ما علق بمخيلته من الاحاديث التي جرت بينهما حتى اذا ما افكر بالامر
الذى دبرته له وأحس بخطورته صار يحسب له ألف حساب •

وبعد أن استغرق في تخیلاته جعل يناجى نفسه بصوت خافت :-

ما هذا يا ابراهيم ؟ أتستسلم لهذا الامر الذى يعد ضربا من الجنون •
أجل انك تقدم على شىء هو قرين الموت المحتم •

ان هذا الرجل التركى قد أخذه الزهو بقوته وسطوته والعجب بنفسه
وبمن ينتسب اليه فهو يأنف من أن يخطب ابنته الامراء فكيف بي ؟ وانا •••
أوهب أنه رضى بحالة السكر لكن هل يمكن له ان يرضى أو يسكت
لو اتبه وصحى من سكره ؟

كلا • كلا أنا لا أقدم على مثل هذا الامر •

ثم سكت هنيهة يفكر بمثل تلك الافكار واذا بعاطفة الحب قد
ثارت في نفسه فأبعدت عنه هذه المخاوف ووجهت أفكاره نحو الحبيب
فأثنته عن قوله فجعل يقول :-

زهراء ، آه زهراء • أنا طوع أمرك ورهين اشارتك فلا أصدع الا
بما تأمرين •

اجل أنا أحفظ عهدك ولا أخونك بعد أن عاهدتك على الحب ••
لتشهد يا رب على قولي هذا ••

آه ، انها منذ أول الامر قد سلمتني فؤادها وهي على يقين بأنها أودعته
الرجل الامين لانها لم تكن تعتقد فيه الشر والخيانة وهكذا فليكن •
ولم تكن ترتاب بحبي لها حتى كانت تظن بأني أفديها بروحي وبكل
عزيز عندي وهكذا فليتحقق قولها •

نعم • نعم سأضحى حياتي من أجلها ومهما كان في اقتراحها من
الصعوبة والخطورة فسأعمله بدون خوف أو حذر •

وما أحلى وأسعد ذلك اليوم الذي تمتزج فيه روحانا وتتضم نفسانا بعضها
ببعض فنتبادل الحب تحت سماء الحرية غير خائفين من عادل ولا ملتفتين
لواش او رقيب •

اننى أحبيت • وأحبيت من كل قلبي وأنا الان أجيب نداء محبة فتحت
فؤادها لحبي ، وسأفعل ما أرادته ولو كان دونه خرط القتاد ••



لهذا الحد أتته بصاحبنا الافتعالات النفسية والعواطف الغرامية
وقد ظهر من فحوى كلامه انه جزم على اجراء تلك المسئلة الآتفة الذكر
وخطبة زهراء من أخيها •

ولا بدع فالمحب تابع لمحجوبه في كل وقت وأسير له على الدوام •

على مائدة الخمر

ما انتهت الساعة الاولى من الليلة التالية حتى خرج الباشا من دار الحريم وحوله جماعة من العبيد والخدم • آتيا من الطريق الداخلى الى قصره وعندما وصل غرفة الشراب تنحى عنه الخدم • ولم يبق معه سوى نديمه ابراهيم وبعض الجوارى اللواتى خصصن له في ذلك اليوم •

فلما استوى في مجلسه شرع ابراهيم في اعداد وسائل النجاح في مهمته وأخذ يدير عليه كؤوس الخمر حتى لعبت برأسه فأنسته مركزه السامى ومقامه الجليل • فشعر ابراهيم بحلول الفرصة المناسبة وراح يبتكر الاساليب المتنوعة • ويتطرق بالكلام في كل موضوع يسر الباشا ويؤدى الى انبساطه وانشراحه •

وأخر شيء عمله أنه قرأ قصيدة باللغة التركية امتدحه بها وفاخر بقومه الاتراك حتى زادته سكرا على سكره • فعجب بها غاية الاعجاب وهزته الاريحية فقال له :

— تمن على ما شئت أن تتمناه لا كافئك مكافأة لم تكن لاحد غيرك •

فاتتهز ابراهيم الفرصة واقترب منه فساره في أذنه قائلا •

— أنا عبد مولاي المخلص وخادمه الامين • وليس لى أحد سواه في دنياي كلها فان تكرم على وأجاز لى مصاهرته يكون قد طوقني بنعمة لا أنساها ما دمت في قيد الحياة •

فأجابه وهو لا يعى ما يسمع تماما أن : نعم

ولم يكذب يتلفظ بهذه الكلمة حتى أخرج ابراهيم من جيبه قطعة ورق مكتوبة وقلما ناوله اياه ثم قال :

إذا فوقع لي على هذا يا مولاي •
فمد يده المرتعشة ووقع على الورقة بدون أن يقرأها أو يفهم مضمونها
وفجواها •

اتمى الدور بفوز صاحبنا المذكور في خطته المرسومة كما انتهت
بوقوع الباشا على الارض ونومه بعد أن أفقدته الخمرة ادراكه فنقله الخدم
والجواري عندئذ الى مخدعه الخاص •••



ربما يستغرب القارىء مما مر به • وعساه يقف متسائلا فيقول :

— ما هذه الجرأة النادرة التى استعملها ابراهيم ؟ وكيف صرح
للباشا بمطلبه فجأة • ومع ذلك حصل على بغيته في الحال •
نعم انه لم يكن رجلا متهورا ولا ممن ينظرون الى نتائج الامور نظرا
سطحيا • بل كان ذا دهاء ومكر • وهو يفكر في عاقبة الشئ قبل الاقدام
عليه والشروع بعمله ، ولم يفتح أخوا الفتاة بذلك الحديث الا بعد ان رآه
في حالته تلك أشبه بدب قد وضعت في أنفه حلقة حديدية ، يقاد بها الى حيث
يرقص ويلعب وهو مرغم لا يملك من أمر نفسه شيئا (شأن كل سكير)
فأقدم على تطبيق تلك النظرية بكل جرأة ولم تمض لحظة حتى خرج من تلك
الساحة وقد فاز بما يتمنى •

وليس بمستبعد على من كان في حالة الباشا ليلتئذ أن يعطى أخته
زوجة لرجل من غير قومه ، أو دونه منزلة ومقاما لان الثمل الفاقد الرشده
يأتي بأعمال يخجل منها في حالة صحوه وتسلب منه أشياء يفضل الموت على
فقدانها عندما يكون عقله في رأسه كاضاعة العرض والشرف وغير ذلك كما
تحقق وثبت بالتجارب والمشاهدات العديدة •

سوء العقبى

في اليوم التالى اجتمع الضابط ابراهيم بالباشا في قصره وبعد محادثات طويلة جرت بينهما تطرق في الكلام الى موضوع الزواج وأطلعته على رغبته بمصاهرته وغير ذلك .

وقد دهش هذا من كلامه حتى أنه استوى في مجلسه وجعل ينظر اليه نظرات غريبة كمن به مس أو جنون .

فأخرج ابراهيم من جيبه ورقة مطوية وناولها اياها بكمال الرزانة والهدوء . فقرأها واذا فيها ما يأتى :

« لقد رغب ابراهيم الضابط في مصاهرتى وعرض على ذلك فأجبتة بالقبول . وأجزت له الزواج بأختي زهراء على مهر معلوم يعين ويقدر عند حلول الوقت المناسب للزواج .

(القائد . ش) «

وقعت هذه الورقة على رأس الباشا وقوع الصاعقة . فانتقلت محبته للرجل بغضا ، وصدافته عداوة ، وفي الحال أصدر أمره الى رجال البوليس بالقبض عليه بدعوى جناية كبيرة ملفقة .

بعد عشر دقائق كان ابراهيم أمام القاضى ، فسجل اسمه بين أسماء الجناة . وبعد خمس دقائق كان ملقى في غياهب السجن مكبلا بالسلاسل والاعلال .

لم يفكر السجين في مصيره وحالته السيئة التى صار اليها . ولا خطرت

على باله حيبته التي ذاق كل هذه الالهانة من أجلها ، لان أفكاره كلها انصرفت نحو والدته العجوز التي تركها وليس لها من معين غير الله •

فكر برهة فيما عسى أن يؤل إليه أمرها ، وما سيجرى على رأسها من المصائب والنوائب ، وما ستذوقه من ذلة الفاقة ومرارة الفقر ، ولكن عقيدة الايمان بمدبر الاكوان غيرت أفكاره وهواجسه ، فاستسلم للقضاء والقدر ، وفكر بأن سيرزقها الله رازق الدود في الصخرة الصماء •

وبينما هو في ذلك اذ رجع الى نفسه فأحس بوحشة الافراد وشعر بخطورة الموقف فخاف وذعر ، وأراد أن يصرخ ويستنجد ، ولكن بمن ؟ أيستصرخ سيده الباشا ، وهو الذي أوقعه في هذه الهوة ، بعد أن أصبح أعدى أعدائه ، أم يستنجد باخوانه ، أصدقائه ، وهو ليس له من الاخوان المخلصين سوى حسن الفراتي ، وعبدان العربي ، وهما غائبان عنه لا يعلمان ماذا فعل الدهر به وماذا حل بساحته من البلاء •

- ٨ -

حسن الفراتي

لندع السجين الآن في سجنه بين هواجسه ومخاوفه ثم تفارق الموصل الحدباء وتنقل منها الى حاضرتنا بغداد •

لنتجول فيها هنا وهناك ، ثم نقف في شارع باب الشيخ ونظر الى جهة اليسار ، فنرى دارا صغيرة قد وقف على بابها جماعة من الناس يبلغ عددهم الخمسة عشر رجلا •

دخل هؤلاء الدار وبعد خمس دقائق انتظم جمعهم في غرفة من الغرف ثم أخذوا يتباحثون في أمر ، يفهم من محادثتهم وكلامهم فيه ، انه ذو شأن غير يسير •

رئيس الجماعة في جلستهم هذه هو رب الدار : حسن الفراتي •
رجع هذا الرجل الى بغداد بعد مكثه مدة طويلة في مدينة النجف
الاشرف التي ذهب اليها في أول روايتنا ، وعاد منها فاضلا ادبيا ، ومصالحا
من المصلحين •

أول عمل قام به أنه جعل يحرر المقالات الطوال في الصحف يبحث فيها
الناس على نشر العلم والاكتثار من فتح المدارس وغير ذلك •

ولا بدع فان العامل الوحيد في تأخر العراقيين وانحطاطهم هو الجهل
الذي ضرب أطنابه في هذه البلاد من مدة طويلة حتى جعلها وأهلها في
أتعس الحالات •

رأى هذا الشخص أن المدارس الاميرية التركية مع قلتها وسوء
انتظامها ليست كافية لتعليم أبناء الوطن فافتكر أن يتصدى لفتح مدرسة
أهلية وقد وافقه على رأيه جماعة من أصدقائه •

ولم تمض بضعة أيام حتى انتظم جمع المؤسسين في داره كما رأيت
فقرروا أن يعرضوا هذه المسألة على سرة الامة وتمويلها لكسى يجمعوا
المقدار اللازم من المال ، فيشرعون بفتح المدرسة واظهار هذه المؤسسة الى
عالم الوجود •

أعلن المؤسسون عن فتح المدرسة في صحف العاصمة • ثم ذهبوا عند
هذا وذلك من التجار وغيرهم ، وبقوا ثلاثة أشهر كاملة في سعى متواصل
وجد واجتهاد ، لكنهم ويا للأسف لم يتمكنوا من جمع أكثر من عشرة ليرات
فقط •

ولما رأوا ان هذا المقدار من المال لا يكفي لتحقيق ضالتهم المنشودة،
تركوا السعى وأجلوا مشروعهم لوقت آخر •

★ ★ ★

ليس بين سكان عاصمة هرون الرشيد الذين يبلغ عددهم الربع مليون نسمة ، من اهتم لهذه القضية ، أو تأثر لعدم نجاح أصحابها ، فقد كانوا يومئذ صما بكما عميا لا يشعرون . لا يستثنى منهم الا بعض افراد يعدون على الاصابع استاؤا من جراء ذلك . فقعدوا يندبون حظ هذه الامة المنكودة ، وييكون عليها بكاء ولا بكاء الثاكلات .

من هؤلاء الافراد المستيقظين رجل اسمه محمود الكرخى زار في اليوم التالى حسن الفراتى في مكتبه وقال له :

— ما هذا يا ايها السيد ؟ مالى ارى عزائمكم وهت وهممكم قد كلت ؟ مالى لم أعد آنس منكم حركة ؟ أين مشروعكم الذى كان له أعظم صدى في نفوسنا ، هل أصبح وقد استولى عليه النسيان ؟

— لم يكن يسبق الى أذهاننا أن هذا المشروع يبقى على هذه الصورة ولا يخرج الى حيز الفعل ، ولكن ماذا نعمل . والذنب ليس ذنبنا .
— فمن هم المذنبون ؟

— هم الاغنياء ملوك الذهب . اننا لو تعلم يا أخي كم تعبنا في خلال الثلاثة أشهر الماضية ، وكم سعينا وتكلمنا ، ولكن كل ذلك قد ذهب أدراج الرياح لانه يندر بين أغنيائنا من يهتم بالمصلحة العامة ، وفائدة الوطن ، ولما لم يتيسر لنا جمع المقدار الكافى من المال ، اضطررنا الى تأجيل هذا المشروع حتى تسنح الفرصة .

— لا أنكر أنكم معذرون من هذه الوجة ، ولكن ذلك لا يمكن أن يحول دون عملكم مرة واحدة حتى تياسوا وتتركوا هذا المشروع . كان يجب أن تكونوا أصحاب عزم واردة ، ولا تكتفوا بالسعى في هذه المدة القصيرة فقط بل يلزم أن تثاروا الى ما شاء الله .

كم من المشاريع التى ما كادت تظهر حتى زال أثرها . وكم من الاعمال

التي تموت قبل أن تحيا • وما سبب ذلك الا عدم الثبات الى النهاية •
عليكم أن تستأنفوا العمل وتجاهدوا حق الجهاد كما يقتضيه الواجب
وتفرضه الوطنية •

— أشكرك يا أخي على نصيحتك ، وسيكون كما قلت ، وأملى أن
تكون لنا من المساعدين •

— أجل ، أجل فنفسى وضميرى يرتاحان ويميلان الى ذلك •• كيف
لا وأنا أقوم معكم بأمر جليل يعود نفعه على الوطن وأبنائه •
قال هذه الكلمة وودع الفراتى وانصرف •

— ٩ —

قيمة المشاريع الخيرية

قيل ان اعرابية دعت لولدها فقالت « اللهم اجعله من ذوى الحظوظ
تخدمه ذوى العقول ، ولا تجعله من ذوى العقول يخدم ذوى الحظوظ » •
يحق لنا أن نرى في هذه الكلمات الحكيمة خلاصة الدرس الذي يأخذه
الرجل الباحث المطلع على سير السنن الطبيعية ونهجها مع الانسان في هذه
الحياة الدنيا •

اننا لم نر تحت الشمس منذ الخليقة الى هذا اليوم أكثر شقاء وأشد
تعاسة من عديمى الحظوظ وان كانوا أكثر الناس علما وأرجحهم فضلا
وأكملهم عقلا • وأغلب ذوى الحظوظ يعيش عيشة البذخ والنعيم تحيط
به الاتباع والخدم وهو يتقلب عن رياش الفخامة والابهمة في مساكن
العظمة وقصورها •

وأمثال هؤلاء كثير في بغداد ، منهم رجل تاجر اسمه (الحاج علي)

كان ذا ثروة طائلة ، وأموال كثيرة ، يشغل مقاما كبيرا في محيطه ، لكنه كان لا يعرف من حياته كلها الا الاكل والنوم ، وقد تجرد من كل خصلة فاضلة ، ومزية شريفة ، حتى أنه لم يعمل طول عمره مسألة خيرية ولو جزئية يشكر عليها .
في ليلة من الليالي حضر حسن الفراتي مجلس هذا التاجر وعرض عليه مشروعه ألا وهو فتح المدرسة . فلم ير منه أدنى اصغاء أو اهتمام لطلبه .
ولما أعاد عليه الكلام أجابه بالعرف والشدة :

— لقد تصدع رأسا من هذه الاقوال الفارغة .. مدرسة .. مشروع خيري .. نفع الامة .. خدمة الوطن ... ان هذه الاكلمات اختلقتموها أتمم .. ولا أدري ما الفائدة من فتح المدرسة وهذه عشرات من المدارس الاميرية في العاصمة .. ليذهب من أراد طلب العلم الى المحل الذي يجده فيه أما نحن فلسنا بوكلاء عن الناس كي تؤسس لهم المدارس ، أو نهى لهم كل ما يطلبون .

— لا داعي لكل هذا الكلام يا سيدى ، وانما نحن جئناك لما نعلم من علو مقامك وعظم منزلتك ، فقلنا عسى أن يتفضل بما هو المعروف من جوده وكرمه !!!

— نعم .. يعنى الدراهم ..

قال هذه الكلمة باستهزاء ثم التفت الى رجل كان بالقرب منه فقال :

— كلها شرك نصبت لاجل هذه الغاية .

★ ★ ★

كثير من الناس إذا حاولوا التكلم بشيء ، نطقوا بكلمات لا يعلمون معناها ولا يفهمون مغزاها ومؤداها بل ولا يفقهون وقعها في نفوس السامعين .

وهكذا هذا التاجر المسكين فان الكلمات التي تساقطت من فيه ،
والتي صدرت عن قلب ميت ودماع جامد لا يتأثران الا كما تتأثر البهيمة
ولا يشعران الا كما يشعر الطفل الرضيع ، كانت قارصة شديدة على ما يظهر
من مغزاها الجلي ومعناها الواضح •

وفي الحقيقة أنها لم تكن في تلك الساعة الا سهاما حادة أصابت كبد
الفراتي فجعلته يرتعد غيضا وحنقا •

أجل ، تأثر الرجل تأثرا كبيرا وتمنى لو أن الارض ابتعلته قبل أن يسمع
تلك الكلمات ، ولكن ماذا يستطيع أن يعمل في مجلس ليس له فيه الا
صوت ضئيل ، وكلمة لا تكاد تسمع لو فاه بها مدافعا عن نفسه • أو ربما
كانت سببا لجلب الشر ووقوع البلاء على رأسه •

لذلك أخذ يتغلب على عواطفه ويتجلد ، وأخيرا لفظ كلمة واحدة وهي
« لا حول ولا قوة الا بالله » ثم خرج من المجلس بلا سلام ولا كلام •

- ١٠ -

محمود الكرخي

سمع محمود الكرخي بوقوع هذه المسألة من صديقه الفراتي فتألم
ضميره ، وتكدر خاطره جدا • ومن ثم أخذ يفكر بالحالة التي وصل اليها
أبناء وطنه فعزم على أن يثابر ويجتهد ويجعل عمله الوحيد حث الجمهور على
خلع ثوب الخمول والانحطاط وكسر قيود العادات السقيمة والردائل وغير
ذلك •

وأول خطوة خطاها في ذلك السبيل أنه ذهب في اليوم التالي عند صاحبنا
الحاج علي التاجر • وكان مجلسه اذ ذاك حافلا مكتظا بالناس على اختلاف
الطبقات •

وقد صادف في ذلك المجلس رجلا من الافاضل فارتاحت نفسه اليه
واتهز الفرصة فجعل يتكلم معه بصوت واطىء بعدة مباحث اجتماعية •
وقد وصل بهما الكلام الى مسألة الجهل والانحطاط • فمن جملة
ما قاله ذلك الفاضل :

لا يخفى عليك يا أخي محمود ان داء انحطاطنا - على ما أعلم - فقر
الامة من الوجهة الاقتصادية •

نحن اليوم في عدد غير قليل وبلادنا واسعة كبيرة ، وأراضينا خصبة
غنية بمعادنها الكثيرة • ولا ينقصنا الا المال الذي لا يحصل الا بالعلوم
والفنون ، وهذه أيضا لا تتأتى الا ببذل شيء من الثروة • والثروة عندنا
موجودة (نوعا) لكنها محصورة في الخزانات والصناديق عند فئة قليلة
من الامة • هذا هو الذي اوقعنا في هذه المشكلة العظيمة وجعلنا في حالة
يرثى لها من التدنى والانحطاط الخ •

فلما سمع محمود الكرخي هذا الكلام فرح فرحا شديدا ، لانه وجد
الفرصة ملائمة لان يتكلم بما أضمره في قلبه فقال للفاضل :

- نعم ، ويخيل لي أن من أسباب وقوعنا في هذه الهوة هوة الفقر
المدقع ، لان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة الزكاة
المنطوية على الفوائد العظيمة ، وهي مبنية على (ان في أموال الاغنياء حقا
معلوما للبايس والمحروم ، فيؤخذ من هؤلاء ويعطى لفقراء الامة ومعوزيها
وللعاملين عليها • بل ويصرف على كل ما يمكن به رفع شأن الامة وأهمها
العلوم والفنون) •

قال الاجتماعي الكبير الرحالة الكواكبي : إن المسلمين من حيث
مجموعهم لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم والفنون • لان فريضة
الزكاة على مالكي النصاب ، والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وللمصاريف

العمومية نصيبا غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون ، مسلمين حقيقة أمنوا الفقر وعاشوا عيشة منتظمة ، تلك العيشة التي يتمنى ما هو من نوعها أغلب العالم الافرنجى المتمدن

ويا للأسف ان هذه النقطة المهمة قد أهملتها الامة وأخص منها المثريين والمتمولين ، اذ صار كل واحد منهم لايهتم الا بملذات نفسه ، ومنفعة شخصه كأنه خلق أمة واحدة وسيموت غدا جاهلا أن له حقوقا على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية ، وأن لهما عليه مثلها . الخ



لما طالت المباحثة وعلا صوت الرجل سكت بقية أهل المجلس وجعلوا ينصتون لكلامه .

وقد كان بين هؤلاء رجل من أعدائه اسمه كامل افندى . وكثيرا ما كان هذا الشخص يظهر الصداقة له ، لكنه كلما يرى فرصة يعرى هذا وذاك عليه ويوقع العداوة والبغضاء بينه وبين كل الناس . ولما تكلم الكرخى في تلك الساعة وذكر في كلامه شيئا عن الاغنياء وغير ذلك . اقترب كامل من التاجر خلصة وقال له :

— ألا تسمع ما يقول هذا ؟ انه بكلامه يعرض بك وينتقدك لكونك طردت أمس صديقه حسن الفراتى القائم بدعوى تأسيس المدرسة .

فلم يسمع التاجر هذه الكلمات حتى ثار ثائر الغضب في نفسه ، وظن حقيقة أن المسألة تمس بشخصه كما قال له ذلك المنام .

لذلك لم يفرغ الكرخى من حديثه حتى عارضه قائلا :

— ما هذا الكلام الطويل ؟ وعن أى شخص كنت تتكلم ؟

فأجابه مع الاندهاش والاستغراب :

— عجبت من سؤال حضرتك لانني لم أتكلم عن شخص معين ،
بل تكلمت بصورة عامة •

— كلا ، فاني سمعتك تقول (أغنياء ، مثرين ، متمولين) ولا بد انك
كنت تعنى شخصا من الاشخاص •

كان صاحبنا الكرخى رجلا حر الضمير لا تأخذه في الحق لومة لائم ،
لذلك تأثر جدا من هذه الاسئلة ، ولم يعد يحتمل الصبر ، فقال بحدة :

— انني لو كنت أقصد أحدا بكلامي لسميته باسمه ولا داعي
لانكارى أبدا • ولكن هذا خلط منك •

(وكم من عائب قولاً صحيحاً)

وأفته من الفهم السقيم)

هنا انتفض التاجر من محله لان تلك العبارة قد أثرت بعظمته ثم قال :
— ما هذه الحدة الباردة ؟ امسك أدبك يا هذا •

ولم يلفظ الكلمة الاخيرة حتى علا الضجيج في المجلس واشتد الحال
بالتقوم فقال أحدهم موجهها كلامه لمحمود الكرخى :

— لم أغضبت حضرة مولانا ؟ هل ظننت انك تكلم أحدا من الرعاى ؟
وقال آخر :

— أنت الذى خلطت وقلت لجنابه (هذا خلط منك) •

وقال آخر :

— في الحقيقة انك لم تعرف قدرك ولا قدرت من كان يجب عليك ان
تجله وتحترمه ، وتجيبه على كل سؤال يوجهه اليك •••

أما هو فهز رأسه هزة التذمر ثم قال لهم :

— أف لكم أيها (المتبصبصون) من هو هذا الذى تنتصرون له ؟ انه
كواحد من سائر الناس في نظرى ... وهل أحترم من لم يحترمني او أقدر
من لم يعرف قدرى •

فقاطعه الحاضرون وأخذوا يتألبون عليه • ثم صاح التاجر :

— اخرجوا هذا الرجل — اخرجوا هذا السفينه من عندنا •

فهزأ منه الكرخى ثم قام وقال :

— والله لئن تقدم أحد منكم أيها الاوغاد ، أريته الموت عيانا •

وعلى أثر ذلك تقدم بسرعة من الباب وخرج من هناك •

— ١١ —

المال والشرف

في عصر اليوم الثاني ، بينما كان محمود الكرخي جالسا في احدى قهاوى
العاصمة اذ مر به رجل سلم عليه ، فدعاه للجلوس معه •

وكان هذا الشخص كامل افندى (صديقه الظاهرى) وبعد أن دارت
بينهما عدة محاورات قال كامل :

— ماذا جرى لحسن الفراتى ؟ هلا جمع المقدار اللازم من المال للقيام
بأمر مشروعه الجديد ؟

— كلا •

— لم ؟

— لانه كان كلما قصد أحدا من الاغنياء يرد خائبا •

— طبعا يا صديقي ، فان المال عزيز ، بل كما يقول العوام (المال من الروح) والانسان لا يستهين بذله أبداً .

— لا أجهل ذلك ، ولا انكر ايضا ، ان الانسان مسوق لابتكار الاساليب واستعمال الوسائط اللازمة لجمع المال واكتنازه ، للاستعانة به على إيفاء مشاكل الحياة الجمة ، ومطالبها العديدة ولكن الى أي حال يريد ان يصل ؟ وعند أي درجة يقف ؟ اذا جعل ديدنه الجمع ، ودأبه الاكتناز مع الحرص والشح .

ان الهيئة الاجتماعية لها على كل فرد حقوق ينبغي تأديتها حسب الامكان لا سيما اذا كان مشريا مالكا للنقود .

قال أحد العلماء (المال نعمة من نعم الله تعالى منحت للمخلوق الحي بلا مقابل ، وهي مشاعة للجميع . نعم يعطي المال لقضاء حاجات الانسان . وليكون واسطة لتبادل المنافع فان تعدى هذه الغاية تفاقم الشر وتكاثرت شقاء الناس) .

وقال آخر (ماذا يستفيد الناس من غنى جمع المال بذكائه واقدامه ان لم يكن محبا لاهله مخلصا للمعوزين من بني وطنه . ألم يكن خيرا لهم لو كان هذا الرجل من الفقراء وكان ماله لرجل ذي مروءة يفيد الناس ويستفيد) .
كل هذا يعلمنا ما على الاغنياء من الحقوق التي يجب عليهم تأديتها سواء كان ذلك تجاه المعاهد العلمية ، أو تجاه الفقراء والضعفاء وغير ذلك .

— حقا ما تقول

— فما الداعي لتأثر الحاج علي المسكين يوم أمس من كلامي الذي كان في هذا الموضوع لا غير ؟

— أظن انه لم يفهمه تماما .

— كان يلزم عليه ان يفهمه من الوجة الحسنه ، غير الوجة التي اراد
بها كسؤاله ذلك الذي لا يصدر عن اخط الناس وأجهلهم •

— نعم •• ولكن كان يجب عليك أيضا ان تجامله ولا تلبس له جلد
النمر وتخاشنه مرة واحدة •

— لم ؟

— لان مقامه لا يحتمل ذلك •

— ماذا تعني ؟

— أعني انه شريف المقام ، على الجناب ومثل هذا جدير بالاحترام
دائما •

يا لله •• على •• علي هو الشريف ؟ من الذي منحه هذا
الاسم ؟ ومن الذي لقبه بالشريف ؟ أية فضيلة ، أية مزية حسنة ، أي
شرف عنده ؟ لا ريب في ان الانسان لا يكون شريفا ما لم تتوفر فيه دواعي
الشرف ودواعيه هي أولا : خدمة الامة والوطن خدمة صحيحة من الوجهتين
الادبية والمادية والتفاني في سبيل حفظهما ورفع شأنهما • ثانيا : الحصول
على المروءة والشهامة وصفوة الضمير ، وعلى الاخلاق الفاضلة والمزايا
السامية • ثالثا : العلم الذي يحصله يحصل الشرف بكل معانيه • هذه هي
الدواعي والصفات التي ينبغي أن يحوزها شريف النفس والمقام ويتحلى بها ،
ومن فقدتها فقد حرم الشرف •

لو تمكنا من درس الناس جيدا لرأينا ان أصحاب الشرف في المجتمعات
البشرية قليلون • بل نادرون • ذلك لان أغلب الناس متلبسون بلباس
الشرف وهم يحملون قلوبا خداعة ، ومتحلون بأفكار خلافة • وقد قال
أحد العلماء (ان من حسب في فكره أن يفعل ما هو مخل بالشرف ، وان لم
يخرجه الى حيز الوجود فقد سقط عن عرش الشرف الرفيع العزيز) •

وأعظم من هذا من يعتقد أن الشرف يكون عند الانسان بقدر ما عنده
من الثروة والنقود كما يزعم هذا التاجر الساقط .

ولا ريب في أنه لم يدع ذلك الا لانه يرى نفسه محاطا بالاعوان
والانصار الذين يرفعون مقامه ، ويحنون رؤسهم أذلاء أمام قدميه فيختال
عند ذلك عجباً ، ويميس تيهها فيدعى ويقول : أنا الشريف وحدي !

مسكين هذا الانسان ليته يعلم كيف يكون مصيره لو قلب له الدهر
ظهر المجن فهل ينفعه عندئذ ذلك الشرف الكاذب شيئاً .

(لولا دراهمه التي يزهو بها
لرأيته في الناس أسوأ حالا



فهز كامل افندى رأسه ثم قال :

— هذه كلمات تقال . ولا يعتد لكلما يقال كما انه لا يعمل بكل
ما يعلم .

انزعج محمود الكرخى انزعاجاً شديداً من هذه الكلمات الباردة التي
لا تصدر الا عن شخص ساقط . ثم تذكر وهلة ما حدث له في الليلة الماضية
في مجلس التاجر . وكان ذا اباء ونخوة فاشتد به الحال وهزه ضميره فجعل
يقول بصوت حاد :

— يا كامل ! يا كامل ! أنا أقول وقولى الحق انه دنىء ساقط ، ولو
كان له مال قارون ومكائة فرعون .

لقد آن أن ترفع عن الابصار الحجب الكثيفة التي تمنعها من رؤية هذا
الفريق البشرى ، المتظاهر بمظاهر الكبرياء والجبروت ، المرتدى بأردية
العظمة ، فترى حقيقته وماهيته عارية عن كل الستائر الظاهرية المزخرفة .

أجل ترى الفرد الذى هو من هذا الفريق وتقدره حق قدره الاصلى
الحقيقي ، لا الثانوى الذى خلق ووجد عليه عندما أحيط بالوسائط والوسائل
المختلفة التي أخفت معاملة وأظهرته أمام أعين الملأ بمظهر أرقى من حقيقته
بكثير •

مضى على الجنس البشرى حين من الدهر وهو في ضلاله وتخبطه بين كل
تلك الظواهر الخداعة ، حتى كادت تزهد النفوس وتضيق الصدور تألماً من
ذلك الغرور الباسط جناحي صولته وسطوته على السواد الاعظم لاسيما
الفريق الضعيف •

ان هؤلاء الذين يؤلفون السواد الاعظم من المجموع لا يؤلمهم من
التمول العظيم ماله وعظمته ولا تغيظهم ابهته ووجاهته بل يغيظهم الاحتقار
الذى يتعمده والتعالى الذى يظهر به بل تؤلمهم أنانيتهم ويغيظهم شموخه عليهم
بدون داع ولا سبب •

ولئن طردني الحاج علي من مجلسه بعدما ازدري بى امام الناس حاسبا
في نفسه أن قوتي ضئيلة ، ويدي قصيرة لو مدت لا تصل اليه ، فقد أخطأ
وضل ضلالا مبينا ••• ستأتي أيام ، وتحدث أمور ••• وهناك يسقط من
كرسى عظمته الكاذبة • ثم يرى قدره وقيمته بأمر عينه •

الى هنا وصل به الكلام • وقد كان ينتظر من جلسه كامل جوابا على
كلامه أو كلمة يجامله بها • لكن ذلك الرجل لم يوافقه على كلامه أبدا ، وقد
سكت ولم ينبس ببنت شفة • وبعد مدة قليلة رفع رأسه فرأى الكرخي قد
أعبه الكلام اذ بلغ التأثير منه مبلغه ، حتى امتقع لونه ، وانحدرت من عينيه
دمعتان وعلى أثر ذلك أنشد قائلاً :

(الا قل لمن قد طيشتته سعادة

رويداً ومهلاً فيك قد غلط الدهر)

(ركبت بلا أصل ولا طيب عنصر
وسدت بلا حق فهذا هو الكفر)
(تأن يراجع دهرنا فيك ما مضى
فما سدت الا والزمان به سكر)
وكان هذا آخر كلام دار بينهما • ثم قام كامل فودع الكرخي وخرج
من القهوة •

★ ★ ★

خرج من هناك ثم ذهب من ساعته قاصدا دار التاجر الحاج علي فروي
له ما دار بينه وبين الكرخي من الحديث وزاد عليه ما شاء تفاقه أن يزيد حتى
أسعر لظى البغضاء والحقد في قلبه ، وجعله عدوا لدودا ينتهز الفرص للانتقام
من محمود الكرخي والايقاع به •

- ١٢ -

صريع القوة الظالمة أو انتقام التاجر

بينما كان حسن الفراتي في يوم من الايام مارا في السوق اذ سمع ضجة
على مقربة منه فالتفت ليفهم القضية واذا به يرى صديقه محمود الكرخي في
عراك شديد وضرب وطعن مع ثلاثة رجال •

تقدم قليلا لينجد أخاه وينصره ولم يكذ يصل اليه حتى رآه سقط على الارض ، والدم يسيل من رأسه •

دهش من منظره المريع وضربته الهائلة فحسب أن قد قضى عليه •
وحينئذ ثار نائر الغضب في نفسه ، وكان قوة عظيمة ساقته ليثأر لآخيه فلم يتمالك أن سحب مسدسه وقابل أولئك الثلاثة فأصلاهم نارا حامية فقتل واحدا منهم وهرب الآخران •

جاء رجال البوليس فألقوا القبض على القاتل وأخذوا جثة القتيل وجثمان محمود الكرخي الى المستشفى •

كان الكرخي قد جرح جرحا بليغا ولكنه لم يميت • أما القتيل فاتضح أنه أحد رجال الحاج على التاجر •

وقد أخذ قاتله الفراتي الى المحكمة وقبل أن يتكلم ويقنع القاضي بأنه لم يقتل ظلما وعدوانا بل لكى يثأر لصاحبه من المعتدين ، صدر الحكم عليه بالحبس مدة خمسة عشر عاما ثم سيق الى السجن •

★ ★ ★

كانت الالهانة التي ذاقها الكرخي بايعاز من التاجر الآنف الذكر وقد أدت الى تلك الضربة القاضية التي قابلها الفراتي بالمثل حتى قضى أمر الله •

كل تلك الوقائع يجب أن يؤاخذ بها المجرم الحقيقي أعنى المسبب الاصلى • ولكن هل ذلك المسبب أو المجرم الحقيقي هو الذى ساقته المحكمة الان الى السجن ؟

أهذه عدالة المحكمة بيت الشرع والقانون ؟

(وجرم جره سفهاء قوم فحل بغير جرمه العذاب)

★ ★ ★

أحدثت قضية الفراتي ضجة عظيمة في بغداد ، وقد كانت موضوع حديث الناس لا سيما محبيه وأعوانه ، في أنديتهم ومجتمعاتهم •

لاحظت الحكومة ذلك فارتأت أن تخرجه من بغداد وفي الحال أصدرت
أمرها فنفي الى الموصل وألقى في سجنها هناك •

هنالك في السجن اجتمع بصديقه وأخيه القديم ابراهيم الضابط فتعانقا
وبكيا ••••

بكيا من فرح اللقاء ، ثم بكيا من سوء حظهما وشقائهما •

بعد قليل أخذ كل منهما يقص قصته لآخره وما جرى على رأسه من
البلاء • ثم تذكر الايام التي قضياها في الصغر فخطر ببالهما أخوهما الثالث
(عبدان العربي) فاشتاقا لرؤيته ، وجعلا يطلبان من الله تعالى أن يجمعهم
جميعا بعد شتاتهم •

كان قد زج في السجن صبيحة ذلك اليوم رجل عليه آثار الضعف
والفقر • ومنذ دخوله انزوى منفردا ، فجلس ولم يتكلم بشيء حتى
سمع حديث الصديقين فخطبهما قائلا :

— ان كنتما كما قلتما تشتانان للاطلاع على حال أخيكما عبدان العربي
فأنا أخبركما عنه وابطسط لكما حاله من أوله الى آخره •
فرحا من كلام ذلك الرجل الغريب فرحا شديدا ، وقبل أن يسألاه عن
اسمه وعن محله الذي جاء منه وغير ذلك طلبا منه أن يقص لهما قصة أخيهما
العزیز •

— ١٣ —

مثال العزة والشرف

وحينئذ أخذ يحدثهما فقال :-

كان عبدان العربي مع والده الشيخ بعد مفارقتهما بغداد قد جاء الى

مدينة البصرة فبقيا فيها مدة يقاسيان ما يقاسيان من ألم الفقر وضيق العيش،
حتى اذا بلغ الولد أشده التحق بأحد بكوات البصرة وتجارها فصار يشتغل
عنده كعامل صغير براتب كان يكفى لادارة معيشته وأبيه بصورة متوسطة.
ولم تمش سنة على هذه الحالة حتى حدثت بينه وبين سيده البك حادثة
أدت الى طرده من وظيفته .

فارق محل العمل ورجع الى داره يحمل بين أضلعه ضروبا من الآلام
وأنواعا من الاحزان والهجوم .

رآه أبوه الشيخ فدهش من تغير أحواله واصفرار لونه وما عتم ان
سأله قائلاً :

- ماذا عندك يا ولدي ؟
- ليس من شىء عندى .
- كلا .. انى أستغرب حالتك .
- دعنى يا أبى وشأني .
- لا حول ولا ... قل لى أعندك شىء يوجب الاهتمام ؟
- كيف لا .. أنا أهتم بك .
- بى .. أنا ؟
- نعم
- لم ؟
- أفكر بحيلة ووسيلة أكسب منها ما يكفى لمعيشتك .
- عبدان .. ما هذا الكلام ؟

— لأنني الان في الدرجة القصوى من اليأس اذ سدت السبل كلها في وجهي وضاق عليّ فضاء الارض ولا أدري ماذا سيحل بك بعدى •

— ولدي .. ماذا أصابك ؟ ماذا جرى ؟ اين تذهب ؟

— أذهب لاموت •

— تموت ؟ بربك أوضح ما تقول ؟

— نعم اموت وماذا انتظر في الحياة بعد ان يهتك عرضي ، ويداس شرفي بالاقدام • أيجوز لي أن أبقى على وجه الارض بلاشرف ؟ لاجل حياتك يا أبي ولاجل حياتي أبذل راحتى وسعادتى وكل شيء • ولكن لاجل شرفي أبذل حياتي وأريق دمي • بل ابذل الف حياة واريق الف دم •

(لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى)

حتى يراق على جوانبه الدم)

ان ذلك المعرور الجبار الذي كنت اخدمه بكل قواى المادية والمعنوية ، ذلك الساقط المتظاهر بالشرف الكاذب اهانتى اهانة لا قبل لى باحتمالها • • آه اذلني • • دنس شرفي • • انه يريد منى ان اكون له (قوادا) • • اجل يريد ان اقود له على بنت فلان وبنت فلان • انا لم ارض بذلك الامر ولكنه تهددني وحقرني وجرح عواطفى كلها • • اما وقد ادت الحال الى ذلك فأنا اقتل نفسى ولا ادعها تذوق الذل والهوان •

— تقتل نفسك ؟ تموت ؟ ويلاه ويلاه •

— قلت لك يا ابنت ان الحياة لا تهمني • وسيان عندي هي ام الموت اذا كانت بهذه الصورة • ولكن ماذا اعمل وانت ورائي ستذوق صنوف الالهانة والعذاب •

— هون عليك يا بني ، سوف لا يكون ذلك • • نحن عندنا الله •

— كلا كلا •• لا يكون ذلك اذا كنا من ملوك الذهب ، اما الان وقد
أخرجت من وظيفتي ، ولا أعرف مهنة شريفة اتخذها لي فسيكون مصيرنا
الهلاك والبوار •

— اذا لم تجد لك مهنة في الوقت الحاضر فاصبر ، فمن محسنات
الحياة ، وموجبات السعادة الصبر عند الملمات والرفق عند الحوادث
والخطوب •

(اصبر على نوب الزمان فانها مخلوقة لنكاية الاحرار)

— لقد عيل صبري ، واعيت حيلتي ، وليس هناك من وظيفة اتقلدها
او عمل اعمله ، سوى ان اكون حمالا في السوق او خادما في احدى القهاوى،
ولكن هل يستطيع عزيز النفس العيشة على هذا النمط •

(يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة

والعز عند رسيم الايتق الذلل)

واذا لم أستطع الاشتغال باحدى هاتين المهنتين لحقارتها فهل نموت
جوعا ؟ ان هذا لا يطاق • لئن كانت الحياة جدالا بين الناس ، فلا يعيش في
الدنيا الا القوي بعد ان يقتل الضعيف فيجب ان اقتل غيرى لاحيا ، والا أقتل
وأموت •

(ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)

ترنم بهذا البيت بلهجة حماسية شديدة دلت على عظم تأثراته واقفعالاته •
أما الاب المسكين فقد اضطربت نفسه وارتعش جسمه النحيل ثم أخذ
ينتحب ويكي بكاء الاطفال • وبعد برهة سكت ثم رفع رأسه وقال لولده
عبدان :

- فهمت انك انفصلت تماما ، ولكن ألم يبق لك عند البك شيء ؟
- بلى .. خمسمائة غرش (صاغ) وهي راتبي لهذا الشهر مع ديون
الخرى متفرقة •
- اذا اذهب الى عنده واطلبها منه لنصرفها في هذه الايام حتى يقضى
الله أمرا كان مفعولا •
- لا أستطيع .. لا أذهب
— لم ؟
- ربما أنكرها ، أو ... أو ربما ازدرى بى واحتقروني •
- لا أخاله يعمل ذلك • ولكن على كل حال الضرورة تقضى عليك
بالذهاب وهذا حقك تطالب به دون خوف أو حذر •
- (لئن لم يكن غير الاسنة مركبا
فما حيلة المضطر الا ركوبها)
- أطاع الشاب أباه ووافقه على كلامه مرغما وما عتم ان قام ثم ودعه
وخرج •

— ١٤ —

فى سبيل الشرف

- دخل عبدان العربى على سيده البك فى مكتبه فسلم ووقف بكل سكينه
واحترام •
- بقى واقفا بضعة دقائق أما ذلك المتعجرف فلم يرفع له رأسه ولا رد
عليه التحية والسلام •

- لم يستطع العربي احتمال كل ذلك الاحتقار ولكنه تجلد وقال :
- جئتك في أمر لا بد منه • ألا تسمح لي بأن أعرضه عليك ؟
- لا أعرفك • ليس من وقت عندي أفضيه معك •
- أيها البك ! حقى • أنا جئت لآخذ حقى منك •
- لا أعلم • لا أدرى • لا حق لك عندي أبدا •
- بلى راتبى وبقية مطلوبى ، لى عليك خمسمائة غرش •
- ولا غرش •
- ما هذا أتستطيع ان تنكر ذلك ؟
- قلت لك أنا لا اعرفك ولا اعرف دراهمك ولا يسمح لى الوقت ان أتكلم معك •
- عجيب !
- أرجوك أخرج من مكاني •
- ويملك اسكت أنا لا أخرج الا واتزع منك حقى المعتصب طوعا او كرها •
- أتخاطبني بهذا الكلام يا كلب ؟
- ذاك عنوانك واسمك فأنت الكلب •
- الله لهذا الحد وصلت أيها السافل الدنيء •
- ارجع هذه الكلمة الى فمك وأنت لا تستطيع ان تقول لى ذلك فأنا شريف وأنت السافل الدنيء •

– أريك الان يا قرنان كيف يكون الرجال الذين تتجراً عليهم ••
تعالوا أيها الخدم •• اختقوا هذا •• اقتلوا ابن القحبة •

– أقتلك قبل ان يقتلني خدمك •

قال العربي هذه الكلمة ثم انقلبت هيئته الى صورة مخيفة مهولة وأخذ
يرتعد من غيظه وحنقه حتى اصبح لا يعي على نفسه • ثم اخرج مسدسه
وصوبه نحو البك •

وقبل ان يتكلم هذا بكلمة واحدة دوى صوت الرصاص فارتجفت له
فرائسه • ثم انكفاً على وجهه يتخبط بدمائه •

قبضت الحكومة على القاتل وبعد محاكمات طويلة حكم عليه بالموت
والاعدام •

قبل ان ينفذ حكم المحكمة على الشقي المسكين فرء من السجن
بحيلة دبرها له احد الحراس هناك •

جاء الهارب الى بيته فوجده قاعا صفصفا ليس فيه ديار ولا نافخ نار •
ولما سئل عن ابيه من بعض الاصدقاء اجابوه بأنه مات بعده بيومين • ذلك
لشدة انفعالاته من تلك النازلة التي نزلت به وبولده •

بكى الولد على والده ما استطاع أن يبكى ، ثم استسلم لقضاء الله
وقدره : وخرج من البصرة لا يلوى على شيء ، موليا وجهه شطر البلاد
الشمالية •

وصل بعد جهد جهيد هذه المدينة ، مدينة الموصل ولم يبق فيها تسعة
أو عشرة أيام حتى وشى به أحد الوشاة عند الحكومة ، فألقت القبض عليه •
هذه هي قصة أخيكما سردتها لكما دون أن أتقص منها شيئا •

★ ★ ★

أتم الرجل حكايته ثم التفت الى ابراهيم الضابط وحسن الفراتي التفاتة غريبة لم يدركا ما فيها من معنى لان الدمع كان يسيل على خديهما مدرارا • فأرجع بصره وبقي صامتا مطرقا برأسه الى الارض •

لم يلبث برهة حتى سأله الفراتي قائلا :

- قبضت عليه الحكومة ثم ماذا فعلت ؟

- ألا تدري ؟ هل لديها غير السجن •

- أدخلته السجن ؟

- طبعاً

- في أى السجن ؟

- في هذا

- هنا ؟

- نعم

- عجيب

لفظ هذه الكلمة باستغراب شديد واجال بصره يمينا وشمالا فلم ير أحدا لانه لم يكن هناك غيرهم ، ثم نظر الى ذلك الشخص نظرة غريبة وقال له :

- أتتهزأ بنا •• أين هو ؟

- هنا •• هنا ••

- أين ؟

- بين يديكما

— الله ! أنت .. أنت عبدان العربي ؟

— نعم نعم .. أنا هو

حينذاك علا النجيب والبكاء • ثم أخذ يتعاقب الاصدقاء الثلاثة •

— ١٥ —

على رابية السباع

لم ير هؤلاء الثلاثة حيلة لنجاتهم من ذلك العذاب الاليم سوى الفرار
من السجن •

قر قرارهم على ذلك ولم تمض بضعة ليال حتى كسروا القيود ،
وهجموا على الحارس بغتة فقتلوه وأخذوا سلاحه مع عدة بنادق كانت
هناك ، ثم خطوا عدة خطوات واذا هم تحت القبة الزرقاء في الفضاء الواسع
يتنسمون هواء الحرية المنعش •

أحدث هرب هؤلاء في اليوم التالي ضجة عظيمة في دوائر الحكومة
لا سيما دائرة البوليس فانها قامت وقعدت وأخذت تبث العيون في جوانب
الارض ليستطلعوا سر تلك المسئلة • أو ليظفروا بأثر من الهارين •

★ ★ ★

لا تفكر أيها البوليس في هذا الامر ولا تتعب أو تسع للقبض على
أولئك الذين تسميهم جناة • فسعيك يذهب أدراج الرياح • لان تلك النفوس
الكبيرة العظيمة • الشريفة العالية • أجل تلك النفوس الاية التي لا تحتمل
الضيم • ولا ترضى الخسف والهوان تعاهدت على أن لا تستسلم لك •
ولا ترضخ لحكمك الذي تعبر عنه بالقانون • ولئن ظفرت بها وأنت في
جيش عرمرم من الرجال • فستقاتل في سبيل حريتها وتناضل عن شرفها حتى
تلفظ النفس الاخير •

★ ★ ★

كان الهاربون الثلاثة في صبيحة اليوم الثاني على رابية تسمى (رابية السباع) وهي خارج مدينة الموصل • يتناجون فيما بينهم ويتحدثون في شأنهم وما سيؤول إليه أمرهم بعد ذلك اليوم •

قال حسن الفراتي :

— أرى أيها الاخوان أن العيش في المدن لا يصلح لنا فيما بعد • فإن الاقوياء يطاردوننا وهم يريدون القضاء على حياتنا • وأظن أن الانزواء والانتفاع عنهم مما يريحنا من معاناة التعاسة والشقاء • وهذا بر الله الواسع نعيش فيه • ونحن نسرح ونمرح دون أن نخشى من أحد يضغط على حريتنا أو نخاف رجلا يخدش شرفنا •

فقال عبدان العربي :

— أما أنا فقد انقطعت العلاقة بيني وبين العالم • وليس لي أهل أو أولاد أفكر بهم ، وقد مات أبي الشيخ فاستراح من آلام الدنيا وهمومها ، ولا تركت ورائي ثروة ما فأحن إليها ولا بقى في نفسي أثر من حب الحياة في المدن تلك الحياة الباطلة المزخرفة : واننى والله لافضل العيش وسط هذا البر الموحش ، في غاباته وجباله ، بين سباعه ووحشه ، على العيش بين البشر الذين اجتمعت فيهم ضروب الخسة والدناءة وحلت بأنفسهم كل أنواع القبائح والرذائل •

فقال ابراهيم الضابط :

— وأنا كذلك يا اخواني أطلب ما تطلبونه وأرغب ما ترغبونه • ولكن أه أيمن لي ذلك ، وقد تركت ورائي تلك التى قصمت ظهري وأذهلتني عن أمرى • • أه أمي • • أه والدتي • عزيزتي • هب اننى أستطع ان أتناسى حبيبتى ، نعم استطيع ان أنسى حبيبتى التى كانت سبب شقائي وتعاستى ولكن أقدر ان أنسى والدتي ، أنا افكر بها ولا ادري هل هي في قيد الحياة

أم اصبحت من سكان القبور ، دعوني بالله أذهب اليها ، لا بد من الذهب
لاراها ولاعلم ماذا جرى لها •

- ١٦ -

الخاتمة

بينما كان ابراهيم الضابط متماديا في كلامه ، اذ التفت الفراتي بغتة
فلاح له عن بعد فارس ينهب الارض ركضا وهو يتقدم نحوهم •
خاف هؤلاء وذعروا اذ حسبوا ان الطلب أدركهم ، وقد يكون ذلك
الفارس طليعته •

كمنوا له بين الاشجار والادغال حتى اذا قرب منهم أطلقوا عليه الرصاص
فخر الى الارض صريعا •

تقدموا اليه فسمعوا ولكن ماذا ؟

سمعوا فتاة تخاطبهم بصوتها المرتجف :

- آه ، أنا اعلم بكم وبمحلکم ، وأعلم ان حبيبي ابراهيم بينكم ،
ولكن كفاني فقد وصلت الى ما أريد ، آه حبيبي لا تخف ، لا تحزن ، اني
أموت ولكن انت لا ينبغي ان تموت ، أنا جئت اليك لآخبرك ان البوليس
احس بكم واما قريب سيصلكم الى هنا ، فانجوا بأنفسكم ودعوني وحدي
فقد قضيت واجبي ، وأرحت ضميري ، امك ليلى ماتت بسيف ابي ، وأبي
الآن مات بسيفي ، وأنا مت بسيف القضاء والقدر ، كل ذلك من اجلك ، آه
من اجلك فلا ينبغي لك ان تموت ، وهل تموت بسيف الاعداء الطعام •

لم يسمع ابراهيم ذلك حتى احس ان الارض تدور به وشعر ان الدنيا

اسودت امام عينيه • وما عتم ان صرخ صرخة عظيمة دوى لها الوادى ثم
سقط على الارض مغشيا عليه •

★ ★ ★

هناك الفتاة زهراء ملقاة على الارض تلفظ النفس الاخير وبالقرب منها
حبيبها المسكين وقد أشرف على الهلاك •

أمام هذا المنظر المريع وقف الفراتي والعربي كأنهما تمثالان من حجر جامد
لا يتحركان من فرط الدهشة وعظمة المصاب •

★ ★ ★

دوى الوادى بصهيل الخيل وصياح الرجال ، رجال البوليس فهب
هؤلاء من مكانهما وتحفزا للمقاتلة والدفاع •

أحاط الاعداء بهما احاطة السوار بالمعصم وقد أصلوهما نارا حامية لم
تدعهما يدافعان برهة من الزمن حتى قضت عليهما القضاء الاخير •

قتلوا كجناة مجرمين ولكن ما هو ذنبهم ؟ وما جرمهم ؟ الضعف ؟
الضعف !

wretchedness!

« تمت »

التحكيمات

تقلم
السيد محمود الصمد

(البغدادي)

مؤلف

رواية (مصير الضعفاء) - وحقوق الطبع محفوظة له

٢٥٦٦-٤٦٤٠

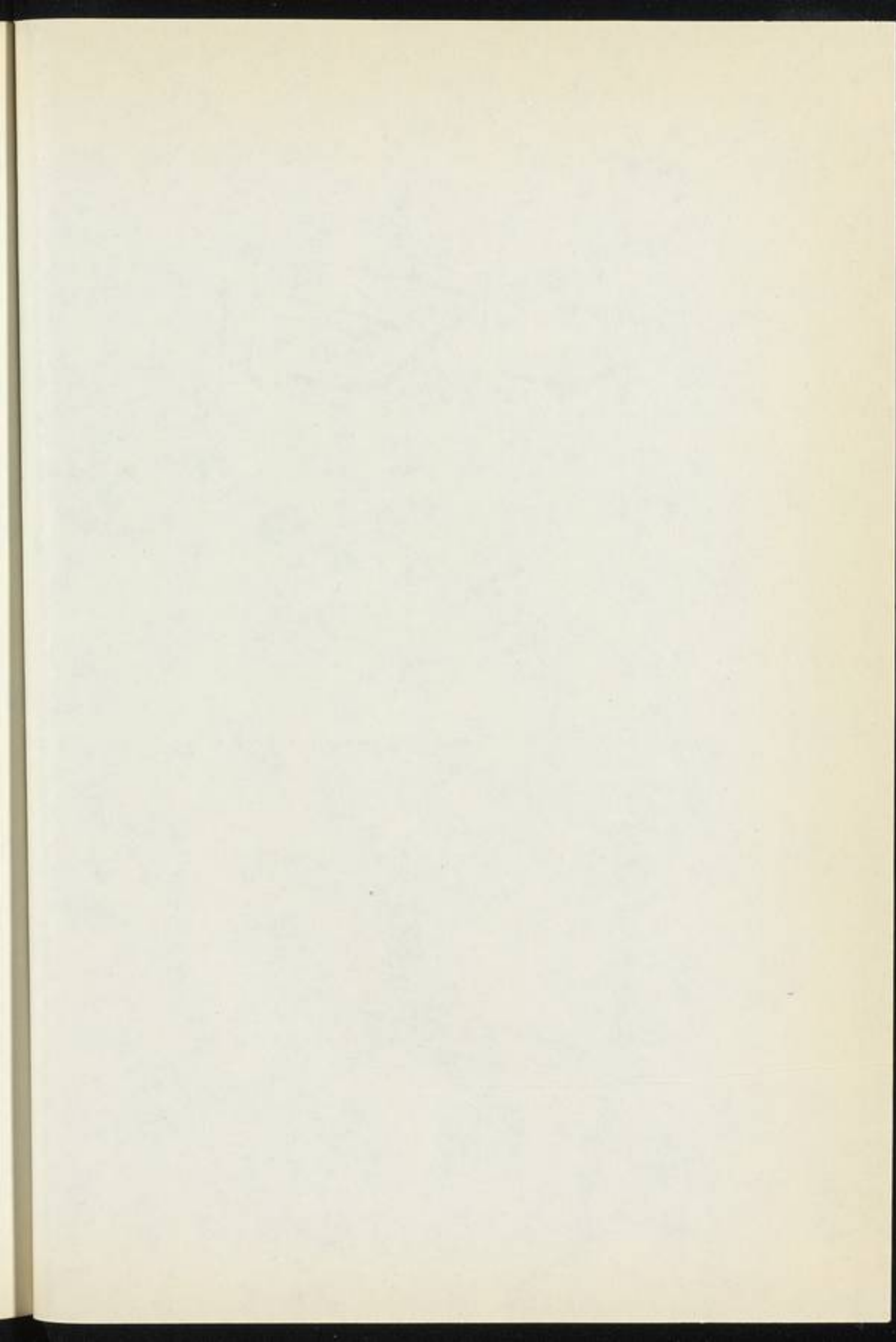
١٣٤٠ هـ - الطبعة الأولى - ١٩٢٢ م

بنفقة والتزام

محمد علي

صاحب المكتبة العربية في بغداد

مطبعة المقاهدي بمرور قسم الخياطة بصر



النكبات

١٩٢٢

الى :

كوكب الذكاء المحتجب

ناجى افندى المصرف

اهدى هذه الروايات

السيد محمود احمد

مقدمتي

بعد عراقك ليالى الدهر السوداء ، والآلام المبرحة والاحزان المستديمة ،
رجعت انا الشريد الطريد من تلك البقعة التي نبذني اليها القدر عفوا ، وجرت
بي الرياح نحوها بغير اشتها .

أبت من غربتي في الاقطار النائية ، الى ديارى الظلمة ابنائها الاحرار ،
الى بلادى التى فت في ساعدها بغضها الاهل وحب الاغيار ، وانا اضم بين
جوانحي قلبا قرحه السقام ، وكبدا فطرته حوادث الايام ، واحمل بين
احشائي ضروبا من الحسرات والزفرات لو انفجر الفؤاد وخرجت كلها لكانت
كالبركان او اشد .

نفد الصبر ، ثم التجلد ، بلغ الالم حده ، ووصلت الحسرات مقامها
فصحت وناديت ، ولكن ندائي ضئيل . وهل يسمع النداء الضئيل ؟

ثم اعقب ذلك ان مسكت اليراع وحاولت ان اجسم ما استطعت من
نوحاتي وعبراتي فاسطرها وادمج فيها آلام قومي واحزانهم ، ولكنى لم
استطع ذلك ، لان الآلام حقائق ، والحقائق تغلبها الاوهام .

سكت طويلا ثم رجعت فابتدأت بأملء صحائفي الحقيرة ، وهذا مما
كتبت :

لا يتحدون

ان نداء الوطن قد رن في اذاننا ولا يزال صدها يتردد حتى هذه الساعة .
فيجب علينا ان نلبي دعواه بأسرع من لمح البصر اذ نجد ونجتهد بما فيه
شعبه وثاير على مداواته بالدواء الناجع الموصوف لعلاجه وتقويمه .

انا لست من الرجال المعدودين • ولكنى شاب من ابناء هذا الوطن ،
فتحت عيني منذ قليل • وما نظرت حولى نظرة حتى شعرت بعظم موقعنا في
معترك الحياة المدهش ، واحسست بخطورة موضعنا في مضمار سباق
التزاحم الهائل •

نعم شعرت بذلك ثم ارتد طرقي الى الداخل فرأيت اشباحا تتحرك حركات
عجيبة غريبة ، تختلف تلك عن هذه ، وهذه عن تلك •

شاهدت هذا يصيح بشيء ، وذلك ينادى بشيء ، وآخر يطلب شيئاً ،
ولا أدري الى اين ينتهي هؤلاء ؟

ايها الناس ما هذا ! اين اتم

(لقد اسمعت لو ناديت ؟ حياً

ولكن لا حياة لمن تنادي)

كان اجدادنا

كان لاجدادنا تمدن وحضارة لم يسبق لها مثيل في العالم •

كان قد اتسع عندهم نطاق العلوم والمعارف فكثرت التصانيف وتعددت

المؤلفات حتى وقفوا على علوم الاولين والآخرين •

كانت لهم اليد الطولى في الاكتشافات والاختراعات •

كان لهم القدر المعلى في الصناعات والتجارات حتى صاروا من أغنى

سكان الربع المعمور •

كانت بلادهم تفوق بلاد الدنيا عظمة وأبهة •

كان ملوك العالم لا يقدرّون على محاربتهم ولا يستطيعون التقدم عليهم في

كل الامور • الخ •

يتشدد اليوم بهذه الكلمات كل شاب ادعى لنفسه التهذيب والكمال ،
ولعمري انها ثرثرة لا طائل تحتها •

الرجال ماتوا رحمهم الله فدعوهم في قبورهم يستريحون ، ثم أقبلوا
على أنفسهم فأن استطعتم ان تكونوا مثلهم فذاك • والا فاصمتوا فلا يحق
لكم الكلام ، واتم الان في عداد الاموات •

(ليس من مات فاستراح بميت)

(انما الميت ميت الأحياء)



نشرت ما نشرت من أمثال هذه المقالات التي هي للوطن ولابناء الوطن
لا غير • واذا بالصديق يكشر عن ناب عدائه ، والرفيق يرفع صوته بالصد
وندائه ، والبعيد يصوب علي سهام تعرضه وانتقاده •• وحينئذ امسكت علي
نفسي واتهيت •

بعد ذلك ابتدأت بتجسيم الروايات ، وكتابة الفجائع والادوار المحزنة
التي يمثلها البشر على مسرحهم الكبير فأخرجت اثنتين منها كل واحدة علي
حده •

ورغم ما رأيت امامي من العوائق والحوائل اردفتها بعدة روايات
صغيرة اخرى • اقدمها يميني في هذا السفر غير المطول ، ولا ادري هل
يتناولها ابناء جلدي مني كما يتناولون غيرها من اسقاط روايات الاجانب •

السيد محمود أحمد

(بغداد)

في أول رجب سنة ١٣٤٠

مقدمة الناشر

« انا تتعهد بطبع كل المؤلفات العراقية التي نعتقد فيها الفائدة ، ونرى فيها اثر النبوغ ... رغبة منا في اظهار فضل العراقيين ، واحياء آثارهم ، وخدمة للنهضة الادبية الحاضرة وحثا لابناء الرافدين على الكتابة والتأليف ، حتى يكون للعراق علومه الوطنية وادابه القومية الخاصة شأن بقية الامم الحية » .

قلنا هذه الكلمة بالامس ولا نزال نرددھا ، بل نحن نسعى لتحقيقھا السعى الحثيث ونجتهد بكل قوانا المادية والادبية في سبيل هذا العمل الشاق .

ونحن بعد ان وطدنا انفسنا على هذا لا نشك في نجاحنا وبلوغنا غايتنا ما دام العراقيون يقابلونا بالتشجيع والمؤازرة والمناصرة التي لولا اعتمادنا عليها لما اقدمنا على امر كهذا كثيرا ما حبطت مساعي الذين حاولوا مثاله في الايام الماضية .

وبرهاننا على ذلك قد اخرجنا للناس بالامس الحلقات الاولى لسلسلتنا الادبية هذه ، كرواية (مصير الضعفاء) ، وكتاب (الكشاف العراقي) وكتاب (المعارف في العراق) واليوم عززناها بكتاب (النكبات) ، هذا وستتبعه بآخر وآخر ، ان شاء الله ، وهو الموفق والمعين .

محمود حلمي

صاحب المكتبة العصرية

ابطال الخمر

دخل الشاب المدرسة الملكية ، أو معمل الموظفين في بغداد في السنة العاشرة من عمره ، وتخرج منها في السنة العشرين •

وعلى اثر ذلك توظف في احدى بلاد العراق بوظيفة كاتب بأحدى دوائر الحكومة •

سبحان الله • الآن ولدت له الايام اول عجيبة من العجائب •

كان في بغداد يدعى باسمه الحقيقي اما هناك فقد عرف بين الموظفين بالوحشي •

— أين ذهب الوحشي ؟

— من اين جاء الوحشي ؟

— كيف هو حال الوحشي ؟

هكذا كانوا يتكلمون عنه كلما خطر على بالهم او تذكره احد منهم في ساعة من الساعات •

هل تعلم ايها القارئ لم كل ذلك ؟ لانه لم يكن يرافقهم في مجالس انسهم وطربهم ، أو يجالسهم في محافلهم بين الغواني والراقصات ، أو يشاركهم على موائد الخمر والميسر •

مرت الايام وكرت الشهور وهم على تلك الحالة في غمرتهم ساهون وبأنفسهم لاهون ، وهو في معزل عنهم لا يحفل بأمرهم ، ولا يرغب ان يعرف شيئاً عنهم وعن شأنهم ابدا •

لكن من كان يدري ان القدر سيسوقه يوما الى هؤلاء فيحدث امر ذا
شؤون •



دعاه احد الاصدقاء الى مأدبة أقامها في ختان ولد من اولاده ، فلم يسعه
الا اجابة دعوته •

دخل مجلسه مساء وعند توسطه المكان ادار نظره في القوم فرأى
الشبان المار ذكرهم في سكوت ولكنهم من حين الى حين بينهم يتغامزون •
بعد نصف ساعة تناولوا طعام العشاء ، وبعد ساعة مدت موائد اخرى ،
عرفها من منظرها انها موائد بنت الحان •

دار حولها القوم استدارة الهالة بالقمر ثم شرعوا بفتح الزجاجات
وأملأ الكؤوس والاقداح •

أما هو فقد تحير في أمره تحيراً اعقبه تعوذ فتذمر ثم قيام للوداع
والخروج •

قال أحدهم : هل (تستنكف) من الجلوس معنا ؟

فقال آخر : كلا • لكنه متعقل ويزعم انه يكره الخمرة •

فاجابه ثالث : لا أخال ذلك صحيحا •

نظر الرجل الى هؤلاء نظرة زودها كل ما يستحقون من معاني التحقير
والازدراء • ثم التفت الى الشخص الثالث فقال له : أنت مخطيء • نعم
مخطيء بجوابك • فانا اكره الخمرة واکره كل من ••••

فقاطعه الجميع وقالوا : لا لا انت الواهم ، انت المخطيء اذا كان هذا
فكرك • ان كنت كما قلت فهل انت احسن منا او من اولئك المتمدنين الذين
يشربونها صباحا ومساء ويكرعونها في النوادي والاسواق •

سمع الرجل هذا الكلام فاتفق غيرة وحمية ، ثم وقف على أقدامه واندفع
يخاطبهم قائلاً :

اخواني

انا لست بأحسن منكم ولا من غيركم ، ولكنى لا أشربها لاسباب •

اخواني

الخمرة وما ادراكم ما هي وما تنطوى عليه من الموبقات والقبائح ،
وما تستر وتخفى من الاوزار والفضائح •

تسطو بشدة سلطانها على المتدين من العباد ، فتورثهم الهلاك والدمار ،
وتسحر بمغواتها عقول الشباب فتطوح بهم الى حضيض المفاسد والمنكرات •

ان خضوع الرجل لهذه القوة يجره الى الخضوع لباقي المنكرات والموبقات
اذ لا يملك حينئذ حدا لمطامع النفس ولا يوقف رغباتها المتعددة فيرتكب كل
ما تصل اليه يده مفادياً بكل ما يملك سعياً وراء الحصول على ما يقضي به لذاته
النفسانية وشهواته الحيوانية وهنا تستحكم في قلبه وتنخر عظامه نخر الدود
للخشب ! بل وتمتص دم حياته ! فلا يذوق طعم الراحة والهناء ما دام في قيد
الحياة •

قال (شارل وانير) في كتابه روح الاعتدال :

الرجل الذي هو عبد الملاهي واللذات واسير النفس الطموحة - ويعني
به السكران - أكثر شبهاً بالدب ، توضع في انفه حلقة حديدية ، فيقتاد بها الى
حيث يرقص ويلعب وهو مرغم لا يملك من امر نفسه شيئاً • وليس هذا التشبيه
لمجرد التشنيع والتحقير ، وانما هو الحقيقة المرة التي لا بد من الاعتراف بها •
وان هذا الفريق من الناس مسوقون الى أسوأ حال ، ومنهم من يضحي أعز ما
يحتفظ به في الحياة الدنيا كالعرض والشرف لنيل ما يرضي النفس ويقضي
مطالبها • الخ :

ليس قول هذا الفيلسوف لمجرد تخمين أو مبالغة وانما هو حكم وثيق
تؤيده المشاهدة ويثبت الواقع ، وهو من الحقائق التي لا ينكرها الا مجنون
ولا يجحدها الا كل مكابر عنيد .

انا لو تتبعنا المشاهد والمسطور في الكتب وطالعنا ما جرى بسبب الخمرة
من الرزايا والمصائب، لما قدرنا على ذلك حصراً وعقداً . فكم هدمت ركن مجد
رفيع ، وكم قلعت اس بيت مشيد ، ودمرت أسرات ، وجلبت ويلات، وكم من
ثروة هي قوام حياة عائلات انتهت بسببها . وعماً قليل غدا افرادها يتسولون
في الازقة والاسواق على ملأ من الناس .

وعلاوة على ذلك لها مضار اخرى تتعلق بالجسم ، لانها لا تخلو من
مواد الكحول السامة وهذه تكون في جميع أنواعها . وعليه فقد نهى الاطباء
عنها نهياً باتاً ، بعدما اكدوا تأثيرها في سائر أعضاء الجسد ، لا سيما القلب
والكبد .

هذه هي الاسباب التي جعلتني أفر منها فراري من الاسد ، وقد
آليت على نفسي ان لا أدخل مجلساً دارت فيه كؤوسها وأقداحها . وما زلت
حتى هذه الساعة اكرر قول الشاعر .

واهجر الخمرة ان كنت فتى

كيف يسعى في جنون من عقل

كان لخطابه هذا وقع سيء على الجالسين ، فانه بعد فراغه من الكلام
رأى العبوسة بادية على أوجه الجميع حتى أن بعضهم بلغ بهم التأثر الى درجة
انهم صاروا يتناولون عصيهم وطرايشهم كأنهم يتهيأون للخروج . وقد
حدث بينهم لفظ وضجيج دلالة على غضبهم وحنقهم الشديد .
وبينما كان صاحب الدعوة يتلطف بهم اذ قال له أحدهم .

من أين أتيت لنا بهذا الثقيل ؟ هل نحن بالمسجد في مجلس الوعظ
والارشاد ؟

وشاركه رجل آخر ، في كلامه ، أما هو فما سمع ذلك الا واجابهم
بجواب أعظم وأشد •

سبوه فسبهم ، وشتموه فشتتهم ثم احتدم العراك وحدث ما حدث •

★ ★ ★

جعل شعاره منذ الساعة هذين البيتين :

إذا انت اقررت الظلامه لامرئ

رماك بأخرى شعبها متفاقم

فلا تبء الأعداء الا خشونة

فمالك منهم ان تمكن راحم

وهكذا لبس لهم جلد النمر ، وقد صار يترقبهم ترقب الاسد فريسته ،
ولكنه مع ذلك باق في شكوكه قائلاً •

— هل سأغلبهم أم هم الغالبون ؟••

مرت الايام ، والضغائن تتعاظم والعداوة تزداد ، حتى جات ساعة
لعبوا بها دورهم المهم ، ثم طردوه من وظيفته ونكبوه •

بين سكان القبور

كانت الفتاة النبيلة (س) قد وقعت في شرك الهوى عفوا فاجبتني ثم
عشقتني واصبحت مغرمة بي غراما فاق غرام ليلى ببجنون .

اما انا فكنت احبها حبا لم يصل الدرجة التي وصل بها لديها ، ولكني
أقدر ان اسميه : حب الرحمة والاشفاق .
لم التق بها ، ولم اكلمها بشيء غير ان الصدفة جعلتها تراني مرة اعقبها
كل ذلك .

كنت لي بصورة سرية تارة تشكو بثها ، وطورا تعرض عدم اصطبارها
واخرى بطلب التلاق ...

اصبر . لا تتسرع في الظن فانها ارادت التلاق ولكن بالزواج الشرعي
الذي جاء به الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم .
مسكينة هذه الفتاة ، فقد ظنت ان الشرع امر يمضي حكمه على كل
شيء في الوجود ، ولم تدر بأن هناك ما هو أعظم منه واكبر الا وهو سلطان
القوة والجبروت .

لم اكن مستطعا اجابة طلبها ذلك بل ولا قادرا على التكلم به بوجه من
الوجوه لانها ابنة ذلك الشريف العظيم . وانا ذلك الشخص الضعيف .



آن اوان مساق النعجة الى مذبحها أو قل جاء وقت زواج تلك الفتاة
فزفت الى شاب من اعيان المدينة لم تكن لها او لاهلها علاقة معه تستوجب
ذلك سوى انه امهرها الفا من الليرات :

استغاثت الفتاة ما شاءت ، وبكت ما استطاعت على البكاء ، ولكن
لا مشفق ولا راحم ولا سامع ولا مجيب .

بعد ان اخذ ذلك الذئب الخاطف او ذلك الذى يزعمون انه زوجها
عصمتها بثلاثة أيام ، أصبحت واذا بها مختلة الشعور ، ذاهبة العقل تهذى
وترغى وتزبد وتشق ثيابها الى غير ذلك مما يفعله كل مجنون •
وما بزغت شمس ذلك النهار حتى ادخلت غرفتها ، لابل محبسها مقرنة
بالاصفاد ، كأنها جاءت لتقوم مقام اولئك المجرمين في معاناة ما يستحقونه
من العذاب •



كنت جالسا في احدى القهوات وبجانبى صديق اتكلم معه عن تلك
الشقية البائسة ، ولم اتفوه باسمها حتى وقعت علي ضربة شديدة من ورائي
آلمتنى جدا •

قمت مرعوبا وقد رفعت كرسيها كان هناك لاضرب به الضارب واعتدى
عليه مثلما اعتدى علي ، ثم التفت واذا بى ارى زوج تلك الفتاة واقفا يتمايل
من شدة السكر وهو يقول : أتتكلم على زوجي (س) ؟

فار بجسمي دم الانتقام ، فوققت اثار نفسي وتلك الضعيفة المسكينة
من ذلك الطاغى العشوم ، وفي الحال عاجلته بضربة وثانية وثالثة حاسبا انى
اقضي على جرثومة من جرائم هذا المجتمع ، ولكنى لم أستطع على انقاذ عملى
هذا ، اذ هجم عدة رجال اظنهم من خدمته واعوانه واقبلوا علي بالضرب
والطعن وهم يظهرون للناس انهم ينقذون ذلك الرجل من يدي كأنى أنا
المعتدى عليه •

قتلني الغضب والحق ، وارتدت ان أتحرك حركة واحدة اثار لنفسي
بها من ذلك الشريف النبيل ، ولكن •• ولكن انى يتسنى لى ذلك ويبنى
وبينه اسوار فولاذية تقيه من كل طارىء : المال • والقانون • والناس جميعا •

— اذن أقتل نفسي ؟

— لا • أصبر لعل الدهر ينقلب •

★ ★ ★

كنت كلما اخرج الى الاسواق ، وامر من بين الناس ارى العيون ترمقني
والافواه تتكلم عني ، ولكن ماذا ؟

انهم كانوا يقولون (انظروا ، انظروا ذلك المسكين ، ذلك الذي لم
يعرف قدره ويمسك حده ، فتعرض أو تحكك بمن هم أعظم منه ومن أهل
المدينة شرفا وقدرًا ، فلاقى جزآئه • يستحق ذلك واكثر) •

ثم اسمع بملء اذني الضحك وكلمات الاستهزاء والسب والشتم فالوى
عنهم وامضي لشانى •

★ ★ ★

اخيرا فررت ليلا من بيتي ، ولم يمض علي الشهر حتى وصلت المحل
الذى كنت اطلبه •

بقيت هناك ، وراء البحار عشرة اشهر مرت علي مر السنين ، وبعدها
فارقت ذلك المحل ثم رجعت فوليت وجهي شطر البلاد التى طردتني •
حللت فى هذه المدينة ، وانا أسئل فى السر عن تلك الفتاة •

— أين الفتاة ؟

— اين هي الفتاة (س) ؟

— هناك بين سكان القبور •

الصعود الهائل

اشرقت صباحا شمس مايس الجميل من الافق فارسلت اشعتها العسجدية
فوق هضاب باريس وتلالها ، وعلى منائر كنائسها وعلى قصورها الشامخة
في الفضاء .

تجلت الان للناظر هذه المناظر العجيبة فابتهج بها فرحا وسرورا .
كيف لا وهي تمثل كل مظاهر الابهة والفخامة لتلك السرايات العظيمة ،
وتجسم السعادة بمعناها المعروف لتلك الدور والقصور المزخرفة الجميلة ،
وترمز عن الجمال الطبيعي لتلك الرياض الزاهرة والحدائق الغناء .
شغل الناظر بما ذكرنا حتى سهى وغفل فحسب انه انتقل هذه الساعة الى
دنيا جديدة ربما ظنها احدى الجنان .

انتبه ايها الناظر ثم أجل بصرك هناك في جانب المدينة الغربي تر بيتا
صغيرا قد ضربت عليه خيمة الفقر والتعاسة فكللته تكليلا .
البيت مظلم ولا ظللة السجون والسكون سائد فيه .

في غرفة من غرف هذا البيت منضدة صغيرة ورائها كرسي عليه شيخ
طاعن في السن وهو جالس ينظر الى زجاجة خمر فارغة كانت امامه .
وتدل سحنة هذا الشيخ ووجهه الخشن المتجدد على انه رجل اجتمعت فيه
كل رذائل البشر وقبائحه بصنوفها وضروبها .
بينما كان هذا غارقا في لجة السكر العميقة اذ انتبه وهلة على أثر فتح
باب الغرفة .

رفع رأسه فرأى فتاة في مقتبل شبابها قد دخلت عليه وكانت هذه الفتاة
لا ينقصها شيء من مظاهر الجمال والكمال لولا الخشونة العجيبة والنظرات
الحادة : المنبعثة من عينيها البراقتين .
ظرها الشيخ نظرة تعجب واستغراب ثم قال لها .

- ها .. ما هذا؟ ما لي اراك اليوم بهذه الصورة • ما الذي اتى بك الى هنا؟ هل لم تذهبي اليوم الى محل شغلك؟
- كاه كاه كاه ! شغلي؟ اما تدري انني تركته منذ شهرين؟
- اصحيح هذا؟
- اتظن ان ابنتك باقية لحد هذه الساعة في ذلك المعمل القذر الساقط؟
- ولكن ...
- اصبر ، اصبر ، لا تتسرع في الظن ، سأحكي لك كل ما هنالك نعم
- لقد تركت المحل وانا الان ربة بيت وسيدة خدم وحشم •
- لقد استغربت جدا من كلامك هذا ، من اين لك كل ما تذكرين •
- من خليلي الجديد يا مسكين •
- خليلك؟
- نعم •
- ومن هو؟
- هو ذاك الغني الذي
- آه الأغنياء الأغنياء ! اني اراك يا بنتي قد وقعت في شرك الصياد •
- يحق لي والله ان اقل لك انك مسكين تهرف بما لا تعرف • يا هذا
- انه لم يوقعني في الشرك • ولكني انا التي اوقعته فيه •
- أوقعته في الشرك؟
- سأزوجه ، نعم نعم سأكون اولا حليلة ذلك الغني الشريف امام
- الشرع والقانون والناس أجمعين ، وبعد ذلك ترى ماذا سيكون • اني لقد
- عزمت كل العزم على ان اخلع عني رداء الذلة والفقر ، اريد ان أعيش غنية •
- ينبغي ان تكون لي شهرة ، وان يظهر لي بين السيدات اسم عظيم ، تسمع؟
- اسم عظيم ، وسأنال كل ذلك وانت ، نعم انت فسوف لا أنساك ستستريح

يا ابنتي تستريح • وهكذا سنقضى ايامنا الاخيرة في اليسر والهناء ، اذ نعيش
عيشة يغبطنا عليها السعداء •

تغيرت وهلة سحنة ذلك الاب العجوز ، وتبدلت هيئته من صورة سكير
نحس دأبه العبوسة والتقطيب الى صورة رجل فرح ديدنه البشاشة والتبسم ،
ثم قال :

— أشكرك يا ابنتي اشكرك • آه هل هذا صحيح محقق ؟ ام هو
ضرب من ضروب الاحلام ؟

انه لمحقق تمام التحقيق ، ويمكن اجراؤه في القريب العاجل اذا •••
— اذا ؟

— تمد لي يد المعونة والمساعدة في هذا السبيل •

— انا حاضر لعمل أى شىء تبتغيه للحصول على مرادك اجل كل شىء
سواء كان مشروعاً او غير مشروع حاضر لتلقي أوامرك ، قولى •

— خذ الان هذه الدراهم واشترى لك منها ثياباً واوصيك ان تحضر
في الوقت المعين لمقابلة والد خطيبي وهناك تكلمه بهذا الشأن • ثم أعلم بأنك
لا مساغ لك الحضور في مراسم الزواج ما لم تترك السكر مؤقتاً ، كى تقابل
عمى والناس كرجل نجيب طيب الطينة كريم الاصل والمحتد ، ليس فيه عيب
سوى الفقر • واعتقد بان هذا سيكون له تأثير في الامر المنتظر عمله • انا
اذهب الان وسأعود اليك في اليوم التالى لانبتك عما حدث او سيحدث ، وما
يجب عمله لانال ما اريد •

قالت هذه الكلمة ثم ولته ظهرها وقد تركته مبهوتا عاجبا من تلك
التعليمات • ولم تتقدم من الباب حتى صرخ بها قائلاً :

— نادين ! (وهو اسمها)

— نعم •

— ارجوك ان ترجعي لاسألك سؤالاً واحداً ؟

— قل •

— هل يمكنني ان أعرف خطيبك ؟

— هو (برنار) ابن اسرة متمولة شريفة وابوه كبير تلك الاسرة ربان
سفينه حربية •

★ ★ ★

خرجت تلك الفتاة العجيبة وقد تركت اباه صامتاً صموت الذاهلين
سابقاً في بحر من الشكوك والاهام •

وبعد برهة التفت فوق نظره على الاوراق النقدية التي كانت امامه
وحيث تنفس الصعداء ثم ابتسم وقال :

— من يعرف ، من المحتمل انها ستنجح ، انا اتمنى ذلك ، (نادين)
صارت كأبيها ومن اشبه اباه فما ظلم •••••

★ ★ ★

بعد شهرين زفت نادين الساقطة الى برنار الشريف • وبعد ثلاثة اشهر
قتل والد برنار دون أن يعرف القاتل • وبعد اربعة اشهر اغتيل برنار دون ان
يعرف من المعتال وبعد خمسة اشهر غدت البقية الباقية من تلك العائلة شذر
مذر • نعم وبعد سنة واحدة أصبحت نادين ربة القصور والدور وذات
الاصحاب والاختدان ، وابوها لوردا عظيماً شريفاً يشار اليه بالبنان •

★ ★ ★

حكى لي هذه الحكاية صديقي حسين بك الرحال • وقد تلقاها من
مصدر وثيق في رحلته الى اوربا • ولقد كتبها لانقلها الى القراء ، ولعلهم
يعجبون معي ، من ذلك السقوط او ذلك الصعود الهائل ؟

في سبيل الزواج

خلاصة الرواية المنشورة اولا بهذا
الاسم . وقد اثبتناها هنا بنية
اخراجها من هيئتها المشوشة
الاولى التي سببت الانتقادات
الكثيرة .

هناك وسط تلك المدينة الشرقية في رأس شارعها العام قصر من افخم
القصور وأجملها يقطنه شريف من الاشراف العظام .

ليس لهذا الرجل شيء من الاولاد سوى فتاة واحدة كانت مع حداثة
سنها ذات حسن وجمال بديع ، واخلاق عالية ومزايا سامية كريمة وعقل
راجح وذكاء مفرط كادا يجعلانها آية في الكمال ونموذجا لكل فتيات المدينة
اللائى كن ينظرنها بنظر الدهشة والاعجاب ، ويثقن بأنها سيكون لها في
مستقبلها شأن عظيم .

ولم تبلغ السنة العشرين من عمرها حتى صار الناس يتوافدون على أبيها
لخطبتها منه وكل منهم يرجو ويأمل ان يحصل على تلك الدرة الثمينة ليجدد
له بها سعادة عائلية طيبة ، وحياة زوجية زاهرة .

بيد ان اباهما كان يرد كل اولئك الخاطبين المزودين بأغلى المهور رداً
قطعياً وقد ابى تزويجها واعطاءها لاي أحد من الناس .



ان الفتاة كانت قد تعرفت سراً قبل هذا بستين او اكثر بشاب من
شبان المدينة الممتازين . ولا أريد ان اسرد الحادثة بتمامها وأتكلم عن كيفية
تلك المعرفة مفصلاً غير أنها رآته بعد أن عرفته شاباً شريفاً النفس عاليها

كريم الاخلاق كاملها ذا رقة في الحديث ولطف في المعاشرة فمال له قلبها
واحبته واجبها جبا خالصا لا تخالطه شائبة من شوائب الدنائة والاعراض
السافلة .

هنا لا بد وان يسألنا القارىء عما اذا كان الشريف علم باتصال ابنته
بذلك الشاب ام لا ؟

نعم انه بعد مضي مدة طويلة علم بعض خفايا الامر لكنه كان يكتمه في
سره ، ومن ذلك الوقت صار يعمل كل جهده في مراقبة ابنته وتتبع أعمالها في
كل أطوارها وأحوالها والتجسس عليها في كل حركاتها وسكناتها . هذا
مع خوفه الشديد وحذره من شيوع القضية وافتضاح الامر بين الناس :
اولئك الناس الذين كانوا يرون التحابب على تلك الصورة جنائية لا غفران لها
الى يوم يبعثون .



في يوم من الايام بينما كان ابو الفتاة جالسا في مكتبة اذ دخل عليه شاب
دلت حالته على انه قادم في أمر مهم .

استقبله فحياه ثم جلس وبعد قليل سأله عن سبب مجيئه قائلا :

— لعل حضرتك اتيت في حاجة .

— نعم .

— واظنها مهمة .

— قد تكون .

— ما هي عساها تكون مقرونة بالخير والنجاح ؟

— تكون كذلك اذا وافقتم .

— اوافق ؟

- نعم -
- وعلى أى شيء ؟
- على قبول خطبتى
- خطبتك ؟
- اجل ، لابتك
- لا افهم ، لست افهم شيئاً مما تقول •
- وهل بعد ذلك التصريح من غموض او ابهام ؟
- لقد ظهر لي انك تجاهلت الحالة ، او تناسيتها •
- اوضح المقال •
- كأنك تجاهلت ما كان من امرى مع الخاطبين قبلك او تناسيت ما شاع عني من انى لا ازوج ابنتي لاحد أبدا •
- لم أجهل هذا الامر ، ولكنى كنت اعزى ذلك الى عدم وجود الكفاءة في الخاطبين •
- كلا لم يكن السبب من هذه الوجهة •
- اذن ما هو ؟
- انت تعلم بأنني أنا وليها ومالك زمام أمرها فلا حاجة بعد هذا لسؤال أو غيره • وانا لا لوم علي من أحد سواء أزوجتها أم لا كما انه لا تثريب علي فيما اذا أعطيتها لاي شخص أردت •
- ختمت الجلسة فخرج الشاب (حبيب الفتاة) وقد اسقط في يده ورجع الى أهله بخفى حنين •

ولم يفتأ بعد ذلك يكرر الطلب ويتذرع بكل وسيلة لارضاء أبي الفتاة
فلم ينجح في مسعاه .

هكذا كان شأن الرجل مع كل خاطبي ابنته الذين كانوا يتركونه وكل
منهم يعرض انامله آسفا على خيبته في تلك الصفقة اعنى عدم حصوله على تلك
الفتاة التي كان يرجو منها ما يرجو .

ما أحق اولئك الناس الخاطبين وما اجهلهم . انهم كانوا يأسفون من
جاء هذا الحال ويتقنون أباها لاصراره وعناده على ذلك المنوال ولم يكن
اسفهم ولا انتقادهم الا من وجهة واحدة بسيطة معلومة . ألا وهي منفعتهم
الذاتية .

ويا ليتهم لو يأسفون لحال تلك الفتاة التي أرغمها محيطها الى فقدانها
حريتها . فكانت بحالة لا تستطيع معها على رفض أي تصرف من تصرفات
ابيها الضارة بمصلحتها لا سيما في امر زواجها الذي هو من الامور الرئيسية
لسعادتها في حياتها .

على حين انها كانت صابرة تعد الايام والليالي . مفكرة في أمرها منتظرة
قرب الوقت الذي تدخل فيه بحياتها الجديدة ، اذ تقترن بشخص تألف معه،
فتقضى بقية عمرها تشاطره العيش الهنيء في كل أدواره وأطواره .

في يوم من الايام وجدت الفتاة على سبيل الصدفة هذين الكتابين
يسوان أيها :-

الكتاب الاول ..

سديقي القديم

لا بد وانك تتذكر ما حصل بيني وبينك من الكلام بخصوص ابنتك
اما الان فاعلم بأني لا ارضى لاحد أن يتزوجها غيري . وأؤكد لك ان ذلك الشاب

الذي يظهر انه يجب عليه ان يترك هذا الامر ، وربما يكون سببا لجلب الشر والبلاء عليه والسلام •

التوقيع

(بطل الجبل)

الكتاب الثاني :

صديقي العزيز

كنت أرسلت اليك كتابا اعلمتك فيه عن رغبتى في الزواج بابتك وقد اجبتني الى ذلك كما كنت أومل • اما الان وقد صارت كزوجة لي أوكد مرة اخرى وهو ان ظهر منها ادنى ممانعه عند حلول وقت الزواج لا احجم عن قتل الشاب ••• والسلام •

التوقيع

(بطل الجبل)

من هو بطل الجبل ؟

هو ذلك الشقى الكبير رئيس عصابة اللصوص العظيمة التي نغصت عيش الناس داخل المدينة وخارجها بالفتك والقتل والنهب والسلب •

★ ★ ★

كانت النتيجة ان الفتاة حملت هذين الكتاين وذهبت بهما الى حبيها تستنتجده للخلاص من تلك الورطة العظيمة •

فلم ير هو بدأ من مهاجمة اللص ومقابلته ، وهكذا كنت تراه بعد يومين خارجا من المدينة مع رجاله واعوانه بالعدة والسلاح الكامل • متوجها نحو الجبال والغابات التي يأوى اليها اللص المذكور •

ولا غرابة فالحب الحقيقي يحمل الانسان على أمور قد تكون على
جانب عظيم من الشدة والصعوبة والخطر المهول .



حزنت الفتاة لفراق اعز واثمن شيء عندها على وجه البسيطة . وحزنت
لأنها يئست من رجوعه ، ثم حزنت لتصرف ايها الذي ادى الى كل هذه
النتائج الوخيمة وهكذا جعلت تندب سوء حظها ونحس طالعتها ليلا ونهارا
حتى بقيت وهي لا تستطيع الهجوع ولا الطعام ولا الشراب .
ثم اخذ جسمها في النحول والذبول وعمما قليل مالت شمس حياتها الى
الاصفرار فالافول .

في ذمة الله والتاريخ ايتها الفتاة المظلومة .



بعد شهر او شهرين رجع حبيبها من رحلته الحربية ظافرا منتصرا ولكن
ماذا يجدى ذلك نفعا وقد سبق السيف العذل .

بكي الشاب ما استطاع آسفاً عليها وهو يقول :

كم تحت سماء الشرق من بنت مظلومة مثلك يا حبيبتى وانت يا اباه
كم مثلك من الجناة ، وهم وراء ستار هذه الحياة محجوبون .

فمتى يفيق الشرقيون من رقدتهم فيقتصون للمرأة من الذين هم لها
معادون وعليها جانون ولروحها قاتلون ؟

سطران من حكاية

- ♦ ذلك الشاب الشقي البائس
- ♦ ذلك الشاب المتألم الحزين
- ♦ ذلك الشاب الشاذ العجيب

ذلك الذي لم أقرأ الا سطرين من حكايته • كنت أراه في الحين بعد الحين يمر من أمامي في الطريق العام او في المنتزه المزدهم ، او في السوق الحاشر ، فكان في كل مرة يلتفت نظري بصورة عجيبة في الحقيقة •

وكم تشبثت لفتح باب للمعارفة أو الصداقة بيني وبينه فلم أفلح لانه كان فروكا متجنباً غيره من الناس كأنه ييغضهم أجمعين •

مرت الايام ، وتعاقبت الليالي فحدثت امور أوجبت لرحيلي من هذه الديار الى غيرها فغبت حولا كاملا ثم رجعت •

اجل رجعت فدخلت المحيط الذي فارقته ولبست لحالي لباسه القديم ، وصرت أعيش العيشة الاولى ، ثم ذهبت الى ذلك الطريق العام وذلك المنتزه المزدهم وذلك السوق الحاشر فاذا هي كما كانت بيد ان ذلك الشاب مفقود من هناك •

عشر سنوات مرت بعد تلك السنة وانا أنساه آناً ، واتذكره آناً واتساءل عنه آناً • ولا أدري ماذا فعل به الزمان ؟

وهلة رأيته بعد هذه المدة الطويلة في قهوة من القهاوى بلباس أسود وهيئة جديدة جالسا الى جانب شخص غريب •

كانا يتحدثان فيما بينهما بجهد ووقار جعلاني انسحب على غير هدى

حتى اقتربت اليهما فجلست وانصت لكلامهما فسمعت صديقه الشخص الغريب
يحاوره ويقول :

• ليس للإنسان الا ما سعى وما عمل •

• كلا •

• لم •

• لان الحقيقه التي اراها تخالف ذلك •

• عجيب •

• لا غرابه ولا عجب •

• هل تشذ عن تلك القاعدة •

• وصاحب الحقيقه شاذ •

• والمجنون شاذ •

• مسكين •

• انا ؟

• وكل الناس •

• ها ؟

• لانكم تنظرون ولا ترون • او ترون لكنكم تفسرون المواد بغير
معانيها •

• هب انني اخطأت ولكن ماذا تعتقد انت ؟

• اعتقد ان المسأله صدف او بعبارة اوضح مسأله (حظوظ) لاسعى

او عقل او علم او غير ذلك •

هذا صاحب كتاب كليله ودمنه بيدبا الفيلسوف فريد عصره ووحيد
زمانه لم يتح له الحظ ان يساوي واحدا من اولئك الناس ذوى الطوالع

الحسنة اعنى بهم ملوك المال الذين لا يعرفون من حياتهم كلها الا النوم وملا
البطون واعظم من هذا انه يقف صاغرا امام رجل لا تكون قيمته اكثر من
فلس وهو الذى يدعوه الناس بالملك ليخدم فكره الى درجة انه يزن الكلمات
التي تخرج من فيه خوفا من غضبه وحذرا من سخطه وبطشه .

وذاك الفارابى فيلسوف الاسلام العظيم كانت حياته ومعيشته متوقفة
على اربعة دراهم اجريت له من قبل ملك ذلك الزمان .

وكم امثال هذا من النوابغ والعلماء والحكماء والشعراء كل منهم مقيم
في دار الامه واحزانه يعالج مصائب الايام ويعاني شدائدتها تشتري الناس
مؤلفاته العلمية وورقات اقواله الحكيمية بمئات الدنانير وصاحبها عندهم
وجوده وعدمه سواء .

فهل نستطيع ان نقول ان ذلك الضيق وتلك التعاسة من عدم سعى
هؤلاء ؟

وهذا ما حدا بأبى العلاء المعرى الى ان يقول :

(لا تطلبن بألة لك رتبة)

قلم البليغ بغير حظ مغزل)

اما أننا لا ننظر الى ذوي الحظوظ لنرى اغلبهم يعيش عيشة البذخ
والنعيم تحوطه الوف من الاتباع والخدم وهو يتقلب على ريش الفخامة
والابهة في دور العظمة وقصورها . مع انه لم يسع في سبيل ذلك ساعة
من الزمن منذ نشأته في مهده وهكذا حتى يوسد في لحدده . فضلا عن
غباوته وجهله حتى بنفسه وبكل ما يتعلق به من الامور كبيرها وصغيرها .

قال ولي الدين يكن في أمثال هؤلاء :

(والله في خلقه اناس يطأون الهامات ويذلون الرقاب ، ويتهادون في كل
مزدحم وناد تهادى الكواعب الرود في الوشى والبرود . يقضون طول الايام

في ديوان الحياة ، ثم يخرجون منها كما تخرج الانعام من تحت السقائف
لا متزودين ولا مستخلفين الى حيث القت رحلها ***)

هذه هي الدنيا منذ كانت الناس ناساً ، وتلك هي طبيعتها التي حيرت
العقول وأدهشت الالباب بظلمها للمستحقين وقهرها للعارفين •
هذا آخر ما قاله ذلك الشاب الشقي البائس •

• ذلك الشاب المتألم الحزين

• ذلك الشاب الشاذ العجيب

ذلك الذي لم أقرأ الا سطرين من حكايته • وتلك الساعة هي آخر
ساعة رأيت بها ، لانه فقد للمرة الثانية ولم اجده حتى الان •

فيا أيها الناس :

هل من احد منكم يدلنى عليه لاسأله عن السطور المجهولة الباقية من
حكايته ؟

قصة الضعيف

اجتمعت باصدقائي الثلاثة الحميين بعد غيابي الطويل عنهم ، فسألني احدهم عن سبب انقطاعي عن مجلسهم وعدم الاختلاف اليه ، أما انا فسكت ولم انطق بحرف واحد .

تنفست الصعداء ثم التفت خلسة منهم الى الجهة الاخرى ، فاخرجت منديلي ومسحت به دمعة سالت على خدي .

لا أدري كيف احس بي صغيرهم ، واظنه كان يترقب حركاتي وسكناتي منذ جلست الى جانبه ، فقد رفع يده بغتة والقاهها على عاتقي وهو يقول :

— فلان ما بك ، وماذا دهالك ؟

بطلت الحركات وتوقف الكل عن الكلام على اثر خروج هذه الكلمة من فم المتكلم .

رفعت رأسي بسكون وهدوء فنظرت اليهم نظرة جمدت معها حدقة عيني حتى تمركزت بنقطة واحدة نحو الاشعة الموهومة المنبعثة من ادمغتهم الوقادة ! البارقة من ابصارهم اللامعة .

لبثنا هكذا ، نعم لبثنا هكذا في سكون عميق كأن على رؤوسنا الطير وبعد بضع دقائق انتفضت من مكان كمن ينفذ من سنة عميقة ثم فاضت على لساني هذه الكلمات .

لم اكن ذلك الصاحب الكاذب عديم المروءة والوفاء فأنساكم أو اتناساكم ولكن ...

اقول ذلك وانا لا اشعر حتى بما حولي لشدة ما تراكم علي من الهموم والغموم .

اعلموا بأنني الان قد يأسست من الحياة في ظلمة هذا المجتمع تحت نير
ظلمه واستعباده •

لا تعجبوا فأني منذ مدة وقعت طريح التيار الذي هجم علي فأراني من
مرارة العيش ما تنوء تحت اعبائه الشم الشامخات •
ومنذ ليال لم استطع على الهجوع والنوم حتى آل بي الامر الى ماتروته
ظاهراً على من اصفرار وجهي الى نحول الى غير ذلك •
وفي هذه الساعة صرت اشعر بوجع في فؤادي لا أدري أهو القاضى
بختام الدور ؟

كل هذا نتيجة ما قاساه قلبي من يوم حلت في ساحة الوجود
ورأيت البشر الاقوياء الذين اصبحت والضعفاء بينهم اضيع من الايتام في
مأدبة اللئام • انا غريب وحيد في وطني ، شريد طريد بين ابناء جلدتي ،
و (اليتامى) في صغرهم يذوقون آلاما ويعانون شداً لا يتحملها ابطال الرجال •
وهناك (الضعيفات) تحت ضربات الايدي القاسية حتى قضي نحب
بعضهن ولا ندرى ماذا سيحل بالباقيات • ؟ لم ينتمي البعض للبعض ، هل
لياً كل هذا ذلك ؟ لم ينتسب الوطني لوطنه ، أو الفرد لقومه ، هل لكي يقتلوه
ثم يحييون غنياً أو جانياً عظيماً بمحله ؟ لم وجدت القوانين والشرائع ، ولم
يربط الرجل بها برباط من فولاذ ، الأجل العسف والخسف والظلم والهوان ؟
تالله ان هذا لامر عجيب ! واذا كان الامر هكذا اليوم وغداً فماذا
سيكون الشأن والى أين المصير ؟ ان اولئك الناس الذين نسميهم ابناء الانسانية
لا اراهم الا ذئاباً •

كانت حرمتي للمجتمع جعلتني لا أستطيع ان أصرح بما في قلبي ، اما
الآن فذلك القلب الذي ضم كل هذه الامور قد انقسط وانفجر ، وسيفيض كل
ما فيه على لساني لتحيطوا علماً بما هنالك •

الله لا يستحي من الحق وانا كذلك سأقول ولو كان في قوله خراب
بيوت وفضح عائلات •

لقد انقطعت علاقتي عن كل من يقال لهم اهل واقارب وبني وطن وابناء
محيط وذوى انسانية وتبرأت منهم كما تبرأ الذئب من دم ابن يعقوب •

اجل اناس يقول لى كل منهم صباحاً ومساءً : (مت لأحيا) • ومحيط
يحتوى على هؤلاء ، وبشرية ساحقة ظالمة ينتسب اليها هؤلاء •

جدير بأن اتبرأ منهم بل والعنهم ثم اسحقهم سحقاً •
آه • ولكن هل لى طاقة على ذلك والتيار سيسحقني بقوته الهائلة غداً او
بعد غد •

دعوني بالله عليكم دعوني ونفسي أناجيتها وتناجيني حتى تنزل نازلة من
السماء تسلب عقلي وتقتل عزة نفسى فاستريح • استريح •
(شكوت وما الشكوى لمثلي عادة) (ولكن تفيض الكأس عند امتلائها)
أجابني أحدهم :

لقد قيل يا حبيبي مثل الضعيف في هذه الدنيا او في هذه الحياة كمثل
السائح يدخل البلاد الاجنبية فيمتع النظر ولا نصيب له فيها •

الضعيف أتى ينظر ويذهب كالذى دخل مسرح الرقص يسمع الانغام
المطربة ويشاهد الغواني الجميلات ولكن عيناً تنظر وكبدأ يحترق •
وهذه سنة الكون لا تتبدل ولا تتغير أبداً • نعم لقد آثر الدهر أن يجعل
الضعفاء طعمة لسيوفه حتى اذا ما عاجلت أحدهم المنون استنشق النسمة
الاخيرة ثم أصبح ضجيع الثرى وصار نسياً منسياً •

ولكن ، تضرع بلباب الصبر وانتظر كما ينتظر الموحدون ، فان الدهر
مع ذلك متلون متقلب ، عسى أن يتسم ثغره امام وجوهنا بعد ما قطبه طويلاً •
لا تحزن يا حبيبي وانظر الى هذه الدنيا نظر من استهزأ بها فان نعيمها
زائل ، ولا يبقى فيها الا الذكر الجميل والشرف الخالد •

اراك تشكو من محيطك واهل زمانك وغير ذلك ولكن كيف اقنعك

وانت تكره الشعر ، ولو كنت مجبا له لا لفيت في ديوان ابن برد هذه الآية :
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظممت واي الناس تصفو مشاربه

★ ★ ★

قلت : أخي انا لا اكره الشعر ، ولكني اكره كل كلام يسميه الناس شعرا
لأنه مقفي وموزون ، دون أن يكون مؤثراً في النفوس ، محركا للعواطف ،
مثيرا لكوا من القلوب من حزن أو سرور •

واني لى أن اعثر على ضالتي المنشودة في دواوين الشعراء وهي لا تحتوي
الا على بضعة أبيات من هذا القبيل •

هب أنتي عثرت على البيت الذي أنشدته لى الآن ولكن ماذا يؤثر ذلك
في ، وأين يكون مبلغه من نفسي ؟
كم قد شربت على القذى فلم يجدني الشرب تفعاً ولم يغني من الظمأ الذي
يشير اليه الشاعر •

وحبذا لو لم اصبر عند أول صدمة صدمني بها الدهر فادعو المنون
واساعدها على معاجلتى حتى استنشق النسمة الاخيرة وأصبح كما قلت
ضجيع الثرى ثم اصير نسيا منسيا •

أنا الان اريد أن احكي لك ولاخواني - باختصار - شيئاً عن تلك
الايام التي قضيتها في حياتي المظلمة لتشاركوني في الاحزان والآلام ، ولكي
تروا هل يجب علي ان اصير ممثلاً قول الشاعر ؟

★ ★ ★

في هذه اللحظة استويت في جلستي وبيننا أنا احاول ان أفتح سفر حياتي
لاقرأ لهم قصتي ، واذا بموكب زفاف وجوقة موسيقى مرت من هناك ،
فتركني أصحابي ليتفرجوا او ليسمعوا تلك الاصوات •
سكت متأثراً ، ثم بكيت ما استطعت على البكاء وفي الحال انسلت
من هناك •

- ومن يسمع قصة الضعيف •

ناصح القوم

وناصح القوم الغيور هذا ، هو احد اولئك الشبان الشذوذ الذين ابتلاهم الله ببلوى الذكاء الحاد والحساسة المفرطة .
ومن كان هذا شأنه ووجد في احدى البقاع الشرقية فلا تسل عن حاله
أبدأ وان ابيت الا السؤال .

فلا تستغرب ما يحكى لك عنه من حكايات تتخللها حوادث الجنون المطبق ، او المرض المزمن ، او الموت الفجائي ، او الاتحار المهول .



سعت مرة يتكلم في احد المجالس على ملا الناس قائلا .
اننا لو ننظر الى أغلب افراد امتنا نجد جماعاتهم المؤلفة كلها تتطلب
الصعود والرقي والتمول ، بل والحياة الطيبة . ولكن أين منهم من يسعى
لهذا الغرض من طريق الحقيقة والصدق .

تلکم القهاوى ونوادى الفسق والفجور . والحانات واماكن الخمر
كلها مشحونة بالرجال غاصة بالناس على اختلاف الطبقات ، وكلهم في شغل
شاغل عن انفسهم وعن تحقيق آمالهم واحلامهم الذهبية وانى يتسنى لهم
بهذا الحال الصعود والكمال والحصول على الثروة والمال ، او نيل الحياة
بكل معانيها .

وهل هذه الاماكن هي المصانع ؟ او المتاجر ؟ او دور العلوم ؟
الحياة كلمة شريفة لها معنى لو عرفها الفرد حق معرفتها لدفعته الى
التمسك بعروة اعمال وثقى ، ولساقته الى الاستعصام بجبل جد واجتهاد
متين تبيجته الحصول على الغاية المطلوبة والضالة المشودة .



- سمعت هذه الخطابة من فم ذلك الشاب كما سمعها غيرى .
- فقلت ناصح جديد اهاب بالقوم وعساه ان يسمع .
- وبعد مدة قرأت له في الجريدة هذه المقالة :

(بين رياض الجند والهزل)

- قالوا (ان الشرق صائر الى ما صار اليه الغرب)
- ولكن متى يكون ذلك ؟

قالوا (ان الشرق تابع للغرب) ولكن ما باله يتبعه بالامور التافهات ولا يتبعه بالمهمات ؟

قالوا (ان الشرق مقلد للغرب) ولكن لم يقلده بالمقلوب ؟
الغرييون مرتقون ونحن منخفضون ، هم جديون ونحن وهميون ، هم رجال كاملون ونحن صبيان ساذجون ، وبعد كل ذلك نقول : نحن الى ما صار اليه الغرب صائرون ؟

شيوخنا قبل الموت ميتون ، وكهولنا في الليل والنهار نائمون ، فهم في غفلة ساهون ، والشبيبة الحديثون طامتهم كبرى لو يعلمون .

هؤلاء يزعمون انهم صاروا كالغرييين ولكنهم بزعمهم خاطئون .
لم يتبعوهم بالاخلاق ولا العلوم ، ولا الفلسفة ولا الفنون ، ولا الرجولة ولا الذوق السليم .

اقول (الذوق) وارجع الى اصحابنا لارى هل فهموا ما اردت بهذه الكلمة .

والحق لهم لانهم لا يدعون الا بهذا وهم - ايضا عن هذا عارون .
كل ما يرمى اليه ، وإن شئت قل كل ما يعرفه أحدهم عن الذوق ، ان يظهر امام الناس بلباس جديد وزى حديث وشكل غريب وحركات عجيبة يدعواها بالذوق او (الموضة) كما يقولون والموضة لو نظقت لصاحت

بأعلى صوتها اتركنى يا هذا فانك لم تعرفني كما عرفني العارفون تصنيف
الشعر على طرز الاسبان ، وشد الربطة على طرز الفرنسيين ، والجاكيت على
طرز الالمان ، والبنطلون على طرز الامريكان ، والحذاء احذاء الاوانس ،
والعصا عصا السياحين ، ومشية تخرج الانسان من طبيعته ، خليطه من هذا
وذاك حاصلها موضة يتبرأ منها الغربي وقد يستغربها القسم الراقي من
السودان .

والغريب العجيب ، المضحك المبكي ان (ان الربطة ذات الجناحين)
الخاصة بأهل الفنون الجميلة في اوربا قد انتشرت اليوم هنا ، بين ذوى
الادمغة الفارغة .

ولا ادري ماذا سيقول عنا اولئك الناس اعنى بهم الموسيقيون
والمصورون والممثلون ومن على شاكلتهم لو رأوها هنا كلعبة بيد الصبيان ؟
أبهذا الحال وحده ندعى ونقول : نحن لاهل الغرب مقلدون ؟

قرأت هذه المقالة كما قرأها غيري ؟ فقلت ثانية ناصح جديد اهـاب
بالقوم وعساه ان يسمع ؟

وبعد ايام طويلة قرأت له في الجريدة ايضا هذه المقالة :

كلمة في الزواج

ان الحرية العظيمة لتسوقنى على المجاهرة بما اراه موافقا لمصلحة الامة
وان خالف بعض الآراء السقيمة والعادات الفاسدة التي هي الداء الدفين فينا .
لقد قام بعض الادباء وشرعوا رويدا رويدا بتمثيل اهم دور حيوي
مفيد الا وهو دور الزواج على صفحات جرائد العاصمة . وحاولوا ان يذهبوا
بكتاباتهم الى تحليل العلل المانعة لانتشاره في قطرنا وبيان الاسباب الاولى
التي جعلته بهذه الدرجة السقيمة ، بيد انهم لم يستطيعوا على ما اعتقده
الوصول الى الغاية المطلوبة .

وعسى انهم توصلوا الى ادراكها ومعرفتها ولكنهم لم يجاهروا بها
حذرا من سخط الرأى العام او خوفا من اسباب اخر •

ان كثيرا من المسائل تكون في بعض الاوقات مانعة لتمشية امر الزواج
وفق المطلوب ولكن هناك عوامل اخرى لا نكران في انها اول عقبة كؤود في
سبيل زواج كل الشبان المهذين ذوي الافكار الراقية والعقول السليمة •

خذ لك مثلا فقدان تعارف الزوجين وعدم اعطاء الحرية للمرأة في رفض
الرجل الذى لا تريده او المجاهرة بالذى تطلبه وغير ذلك •

فأغلب الذين حكمت عليهم العادات القاهرات بأن يفقدوا كل هذه
الحقوق المهمة يفضلون العزوبة على الزواج لاسيما بعد ما رأوا العواقب
السيئة والنتائج الوخيمة التي تنتج عنه فيما لو كان بتلك الصورة كتنافر
الزوجين الذى هو سبب شقاء العائلات وحدث المشاجرات التي ربما ادت
الى الضرب والقتل او تكرر وقائع الطلاق وغير ذلك •

وليس هناك الا ان تعطى الحرية اللازمة للمرأة حتى يكون امر الزواج
ماشيا وفق المطلوب ، والا فلا حيلة لنا للخروج من هذه الورطة العظيمة •



قرأت هذه الكلمة كما قرأها غيري فقلت ثالثة فاصح جديد اهاب بالتقوم
وعساه أن يسمع •

ولكن ايه ، ليته لم يكتب ولم ينصح ، لا لان القوم صم بكم عسى ،
بل لانهم سمعوا ذلك ، فضحكوا عليه في الخطابة الاولى ، وأهاناه احد اولاد
مترفيهم المتمدين الجدد انتقاما لاجل المقالة الهزلية الثانية ، وهتكه الحثالة
والسوقة من جراء موضوع المقالة الثالثة •

أيهذا الشاب الغيور !

قم اكسر القلم وارم من يدك القرطاس المسود ،
ثم تمرد ، تمرد ، تمرد • فأنت لا زلت في هذا المحيط ، باق بين أهل
هذا المحيط •

هؤلاء هم الذين املت ان تكون كاتباً ناصحاً بينهم لتنفعهم فما رن
صدى قلبك في آذانهم الا وقاموا يسحقوك كي يصنعوا من لحمك ودمك
طعاماً يقدموه بين يدي تمثال البشرية الجائعة •

تمرد ، تمرد ، تمرد • فانت لا زلت في هذا المحيط لا زلت باق بين
اهل هذا المحيط •

اسكت ولا تكلم الناس ناصحاً بعد هذا ، فقد كفى ما ضحكوا عليك
بالامس فلا يجب ان يضحكوا عليك في هذا اليوم الجديد •

تمرد ، تمرد ، تمرد • فأنت لا زلت في هذا المحيط لا زلت باق بين
اهل هذا المحيط •



صحيفة سوداء

في تاريخ اسود

الشيخ احمد رجل من افاضل الاستانة وعلمائها في الدور الحميدى ،
عاش في ببحوحة اليسر والهناء مع ابنته سلمى وسعاد اللتين فقدتا أمهما منذ
الصغر •

وعندما بلغنا سن الشباب عقد للاولى عقد الزواج ثم زفها لشاب
كريم • اما الثانية فقد كان يرغب ابقائها الى جانبه ليقتضي بقربها ايام شيخوخته
المعدودة الباقية لكنه اضطر اخيرا الى الرضوخ للسنة الاجتماعية الجارية
فزوجها كأختها الاولى •

كامل افندي : زوج سلمى ضابط في الجيش

عبدالقادر افندي • زوج سعاد موظف بديوان الملك العثماني عبدالحميد

الشهير •



رفع الستار الكثيف يوما من الايام عن مسرح السياسة العالمية فظهرت
للناس الاعاجيب في الالاعيب •

ومثل أول فصل دموى من الرواية التى فيها اساطين السياسة ورجال
العبقرية والدهاء من الافرنج ، فاهترت له ارجاء البلاد بساكنيها المسلمين ،
وعرش الظلم والاستبداد ثابت لا يهتز ولا يضطرب •

حوصرت مدينة (بلونة) ثم اخذت عنوة فأسر القائد عثمان الغازي
وهلكت الجيوش ثم انتهكت الحرمات وسيبت النساء وذبحت الاطفال حتى
ضجت الامة وصاحت صيحة الالم وارتعدت فرائض الناس خوفا وغضبا ،

لكن عرش الظلم والاستبداد ، عرش عبدالحميد العظيم ثابت لا يهتز
ولا يضطرب •

مر يوم وتلاه آخر والاستانة تنتظر الطوارئ والحوادث الجديدة وفي
اليوم الثالث فأجاها السيل ، سيل المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم
بارواحهم العزيزة حذر الموت • فامتلات بهم الشوارع والاسواق وهم بين
باك ونادب وصائح ونائح ومستنجد ومستصرخ ولكن بمن يستصرخون
ويستنجدون ؟

أبالناس وهم رعايا مستضعفة ، ام بالراعى وهو صامت ساكت وعرشه
ثابت لا يهتز ولا يضطرب •



هناك في احدى زوايا المدينة وقف شخص تلوح عليه سيماء الشجاعة
والبسالة موليا وجهه شطر بيت ملك البلاد وهو يخاطبه بصوت خافت
فيقول :

أيها التمثال الاسود ، تمثال القوة الظالمة والجبروت • الى متى وأنت
قائم على رأس هذه الامة وييدك السوط والسيف تسومها بهما الخسف
والعسف وتذيقها الظلم والهوان •

الى متى وانت تنتهك الحرمات وتقتل وتسجن وتضرب وتعذب في
سبيل امتصاص الدماء وابتزاز الاموال •

الى متى وانت مشغول بهذا ، والاعداء على أبواب الاوطان يفعلون
ما يفعلون • وجيشك الممزق لا يستطيع عن نفسه وعن الامة دفاعا •
واتم أيها الرعايا ، أهكذا تتألمون من الجور وتتذمرون من قساوة
الاحكام ولكنكم لا تبدون حراكا لانقاذكم من ذلك ابدا •

أيها القوم الا يمكنكم القيام مرة واحدة في وجه ذلك التمثال لتحطموا عرشه
تحطيمًا • ثم تذلوه فتسحقوه سحقًا لا قيام له من بعده الى يوم يبعثون •
لئن كان هذا الامر صعبا عليكم لانكم ضعاف مستكينون ، وليس لكم
بجموعكم العظيم من الحول والطول ما يزيل عنكم شدة العذاب والهول ،
أو انكم لستم كالذين قالوا :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً

ايينا ان تقرر الخسف فينا

الا لا يجهلن احد علينا

فنجهل قبل جهل الجاهلينا

فاصبروا فسيسخر لكم الله اناسا يجعل لكم بهم بعد ضيقكم فرجا
• وبعد عسركم يسرا •

اجل اجل ، اصبروا ايها القوم فقد اشتدت الأزمات وازداد الضغط
ازديادا سيعقبه اشجار هائل عظيم يوم تضربه الضربة المرة القاضية ••••
والشخص الذي فاه بهذا الكلام المؤثر ووقف عند كلمات التهديد
والوعيد هو كامل افندى صهر الشيخ احمد الأنف الذكر •

ليس ذلك مما يجلب النظر ايها القارىء ؟

اذن لمر ماذا ستكون العقبي ، بعد تلك النية السوء تجاه رب العرش
الثابت والتاج المصون ؟

★ ★ ★

بقي كامل افندى مدة ثلاث سنين وهو في حالة سكون وسكوت يخرج
صباحا من بيته الى حيث يقضى وظيفته ثم يعود مساء كما خرج هادئا مطمئنا
وليس عليه ما يدعو الى الارتياب او الظن في انه يقوم بأعمال تحت طي الخفاء •

وهذا الحال قد صرف عنه انظار العيون والجواسيس المنتشرين في
مناكب الارض ، الذين قل من يصب من قبلهم بأذى •
اذن اين ما نواه بالامس ؟ واين ما فاه به من الكلام الحماسي الشديد؟
أكان قولاً فارغاً ساقه عليه الاحساس في ساعة الالم ثم اثنى عنه بعد
حين ام ماذا ؟

ها ان مدة طويلة فاتت ومضت وهو لم يضرب ضربته القاضية الموعودة؟
حقاً ان الامر عظيم والحادث المتوقع اعظم فلننتظر مدة اخرى •



رجع كامل افندى مساء يوم الى بيته بحالة اضطراب الفتت نظر زوجته
سلمى فسألته لاول وهلة قائلة :

— ما بك سيدى ، ومم اضطرابك ؟

— ليس من شىء سوى اني اشعر بصداع شديد في رأسى •

— كلا انى أخشى ان يكون هناك امر تخفيه عنى •

— عفوا يا سلمى لقد قلت لك الصواب فلا تضيعي وقتك بالكلام
الزائد ، دعيني وشأني •

وهكذا انقطع تحاورهما ثم عادت الى عملها المنزلي وعاد الى مكتبه فجلس
صامتا يتفكر •

وبعد مضى الساعة الاولى من الليل زاره ضيوف ثلاثة ، فاستقبلهم ثم
ادخلهم غرفته الخاصة ، وامر سلمى ان لا تدع احدا من افراد العائلة يدخل
عليهم • وبعد محاورات سرية ودعوه وانصرفوا •

ثم مضت ساعة أخرى عليه وهو لا يزال في تفكيره العميق • وكلما
حاولت سلمى الاستفسار والسؤال منه عن شىء لم يكن يقابلها الا بالسكوت •

وبينا هما في ذلك اذا بالباب يطرق ، فقام كامل بخفة وسرعة الى الطارق
وبعد دقيقة دخل ويده حقيية من جلد صغيرة فرماها على منضدته وجلس •
اما سلمى فانها لم تتمالك نفسها عن السؤال ايضا فقالت :

— ما هذه الحقيية يا سيدي ؟

— امانة اودعنيها احد الاصدقاء •

— وما الذي تحتوي عليه ؟

— لا يهمك ذلك •

— بالله قل لي ، الى متى هذا التخفي ؟

— هل فيها غير ثياب جديدة لزفافي الجديد •

— عجيب والله • ابا لالغاز تنطق في هذه الساعة انا لم افهم مرادك ؟

— كفى •••

— كفنك ؟

— نعم فيها كفي يا سلمى •

— هل صرت تهزأ بي ؟ الا تكلمني بالجد ؟ ويلاه ان قلبي يحترق •

— لا داعي لكل ذلك •

— كيف لا وانا لا اعلم ماذا عندك اليوم ، بعد الاضطراب الذي رأته

فيك • حقا انني تأثرت جدا ولا عجب فنحن في دور ملووه الفواجع والنكبات •

— كلا لا يجب عليك ان تتأثرى لهذا الحد وانت زوج جندي لم يخلق

الا للموت الزوام •

وبعد ان سكت طويلا رجع اليها فاستأنف الكلام قائلا :

— هبي بأن زوجك كان في ساحة الحرب • او انه مات في ساحة الحرب

فماذا تعملين ، وماذا تقولين بعده •

— اقول ادى واجب الوطن ثم مات شهيدا •

— وهل يؤمك ذلك ؟

— الالم طبيعي ، ولكنه حينئذ يكون المآ مزوجا بلذة عظيمة هي

الفخر التالد والشرف الخالد •

— مرحى مرحى • اذن اعلمي يا حبيتي بأنتي الان ذاهب الى

ساحة الحرب •

— اية ساحة حرب هذه ؟

— ساحة الحرب الساكنة ؟ اجل انا ذاهب الى حيث أموت موتا اما ان

يكون مصحوبا بالخيبة والفشل واما ان يكون مصحوبا بانقاذ امة كبيرة

برح بها الظلم واثقل عاتقها الارهاق •

والان تقدمى الي يا سلمى ، تقدمي لاودعك فاني مفارئك الساعة

ويقيني بأن رجوعي اليك لا يكون لا اوصيك الا بالتجلد والصبر • لك

الله ، لفظ الكلمة الاخيرة ثم ضما ضمة ارتجف لها جسده ، وخفق قلبه ، فسكبت

العبرات وتناثرت الدموع •

وبعد برهة وجيزة افترقا ، ثم قام الى الحقيبة ففتحها واخرج منها كسوة

القبر البيضاء فاكتسها ثم تناول مسدسا أخباه تحت منطقته ، وجلس يتلو

ما شاء وشاء الله من القرآن المجيد •

اما تلك الفتاة المسكينة فجثت بالقرب منه ، وقد أخذت الدهشة منها

مأخذها وهي لا تعلم حقيقة هذه الطوارئ اللغزية الجديدة ، ولا تدرى

ماذا سيحل بزوجها العزيز •

وعند اتصاف الليل ودنو الساعة الرهيبة الموقوتة ، نهض كامل

افندي لا ليمتع آخر نظراته بأولاده واطفاله فإنه لم يكن له أطفال ولا أولاد

يتركهم تلعب بهم ايدي البؤس والشقاء بعده ، بل ليقبل زوجه قبله الوداع

الاخيرة •

قبلها ساكنا والشجاعة ملء فؤاده ثم خرج متخفيا تحت جنح الظلام
وقد تركها باهتة صامتة كالتمثال الجامد •

ويا ليت الاقدار تنطق فتخبرها عما سيؤول اليه امره ومصيره في
تلك الليلة الليلاء •

« هجم خمسون رجلا في نصف الليل على القصر الحميدي
فاجبب مسعاهم ، اذ قتلوا جميعهم تحت ضربات نيران
الحراس القاسية » •

كان الناس في صبيحة اليوم التالي يرددون هذه الكلمات همسا وهم
في قلق وتشويش •
وسرعان ما بلغ الخبر مسامع سلمى فأحست بالشر واضطربت لذلك
اضطرابا عظيما •

اما ابوها الشيخ الذى حكى له كلما جرى لها مع زوجها في الليلة
الماضية ، فأن حزنه والمه وطهارة قلبه وصفاء ضميره كل تلك الامور ساقته
الى الوقوع في أمر آخر امر وادهى •

في الحين الذى كان الناس حذرين في كلامهم وقيامهم وقعودهم وكل
حركة من حركاتهم أو سكنة من سكناتهم من الجوايسس والعيون ، خائفين
من التهم التي ستلقى على الابرياء بشأن القضية الآفة الذكر ، كان هو ذاهبا
الى دار الشرطة يسأل عن صهره كامل !

ولم يتكلم بكلمة واحدة في هذا الشأن الا وقامت قيامة الشرطيين وفي
الحال ادخلوه على رئيسهم الكبير •

وهناك شرع بالتحقيق و (الاستنطاق) فستل الرئيس :

— ما هو قصدك من تداخلك في هذا الامر ؟

— لاشك في أنكم بحاجة الى معرفة الموتى الذين شاع عنهم بأنهم

قتلوا في حادثة ليلة امس . ولما كنت ظاناً بوجود واحد من عائلتي بينهم ،
رغبت في التأكد من ذلك ، وان وجدته اكون طبعاً قد رفعت عنكم مؤنة
البحث عنه وعن شخصيته . كما اني سأطلب منكم - ان تحقق ذلك -
اعطاء جثمانه لى لاقوم بواجب دفنه .

امر الرئيس رجاله بأخذ الشيخ احمد الى محل الموتى ، فأدخلوه غرفة
كبيرة قد صبغت قاعتها بالدم العييط ، والاشلاء المخرقة المنزقة مطروحة
عليها بصورة مخيفة تقشعر لها الابدان .

تقدم شرطى فقاد الشيخ من يده وجعل يريه الجثث واحدة بعد الاخرى
ويقول تفضل انظر ...

ولم تفت دقيقة او دقيقتين الاوصاح الشيخ صيحة مؤلمة قائلاً :

- هذا الذى كنت أطلبه . نعم هذا هو البطل الشهيد بطل الحرية
والمجد ، بطل الامة والوطن .

صرخ صرخته هذه وقد خنقته العبرات فشيق باكياً وهو يقول : في
ذمة الله ايها الشهيد .

وبينا هو في ذلك اذ سمع منادياً ينادى من مكان قريب ان اسكت
يا هذا ، اتبكي هؤلاء ، وهم أعداء الخليفة الاعظم واصحاب الخيانة الكبرى ،
خيانة الامة والدين .

هنا ارتجف الشيخ ارتجافة الاضعال والتأثر ثم اجاب :

- من انت ايها المنادى ؟ هلا اخذتك عاطفة الايمان هلا هزك احساس
الاسلام .

ولم يكذ يفرغ من كلامه الا وأخذه الشرطيون ثم ساروا به الى
حيث غرفة الرئيس فمثلوه بين يديه وخرجوا .

قال الرئيس •

— هل وجدت ضالتك ؟ تكلم فانت ايضا لاشك من شركائهم واطنك
لا تنكر ذلك : ما فائدة الانكار والحقيقة ستظهر بذاتها ؟ تكلم تكلم ...

— ماذا اتكلم : سلمي فاني مجيب •

— هل عرفت الجسد ؟

— لم يبق في وجهه اثر صالح لكي اعرفه منه ، لكنى استطعت معرفته
من علامة في كتفه وهي اثر جرح بليغ اصابه في احدى الحروب •

— ومن هو هذا ؟ وما هي علاقتك به ؟

— هو صهري

— ما اسمه ؟

— كامل افندي •

— ما هي مهنته ؟

— ضابط في الجيش •

— وضابط ايضا • حقا ان الامر مما يجلب النظر • ثم قل لي هل

لك اطلاع على عمله امس ؟

— كلا •

— لم تتصد للانكار انى أخاف أن يجلب اليك البلاء المبين •

— ليس الكذب من عادتي • وهل أتكلم عن أمر ليس لي وقوف على

حقيقته •

— اذا كنت يا شيخ لا تدري ولا تعلم فأني سأعلمك ماذا فعل

صهرك • اتدري ماذا فعل ؟ ان هذا اللص وجماعة من الخائنين تسلقوا ليلا

جدران قصر خليفتنا الاعظم وهناك استحقوا — بما جنت ايديهم — هذا

الجزء ، جزاء الموت الشنيع •• الى جهنم وبئس المصير •

— مهلا مهلا يا حضرة الرئيس ان الموتى لا يهانون شرعا ، واذا كان
صهري لقي جزائه في الدنيا فسيسال في آخرته كذلك ، والان اطلب منكم
اعطائي جثمانه لادفنه اليوم •

— ليس من شأنى ولا باستطاعتي ذلك ، كما انى لا استطيع اعطائك
اجازة الخروج من هنا •

— أو تريدون ان تسجنوني أيضا ؟

— لا اعلم • ولكنك تبقى هنا (طبعا) لاجل الاستعلام منك عن تلك
الجنائية الكبرى وعلاقتك بها •

— احق ما تقول ؟

— لا حاجة للكلام بعد فالامر لا بد منه •

— اذن ارجو منكم اعطائي الجثة لا غير ، ثم اذا كنتم متعطين
للانتقام فخذوه منى • وانا حي بين ايديكم تفعلون بي ما تشاؤون •

— ماذا تقول يا شيخ •• اظنك لحد الان لم تعلم خطورة الامر ؟
الى اين تطلب اخذ تلك الجيفة النجسة ؟ ان الارض لا تقبل ان تضم بين
ثناياها جثة ملوثة بخيانة ليس اعظم منها في الدنيا الا وهي خيانة الدين ،
خيانة الامة والوطن بل خيانة الخليفة الاعظم ايدى الله واعلى شوكنه وادام
ظله على العالمين •

قال ذلك ثم التفت وصاح : الي ايها الشرطيون خذوا هذا ثم غلوا
يديه ورجليه ودعوه ينتظر حكم القانون في اعماق السجون •

★ ★ ★

بعد مضي اسبوع واحد شق الشيخ احمد ، ثم القيت جثته الطاهرة

طعاما لاسماك البحار • وطرد صهره الاخر عبدالقادر افندي من وظيفته في ديوان الحكومة ثم نفي وبقية العائلة الى اقصى الارض • وهكذا كان فقد حكمت الاقدار بأمر لامرد له فجعلت هذه العائلة عرضة لغضب صاحب العرش والتاج فصب عليها جام نقمته واخذها اخذ عزيز مقتدر •



وهذه ايها القارىء منظره واحدة من مناظر الحوادث التي كانت تجري متتالية في داخل البلاد والاعداء على أبوابها يفعلون ما يفعلون ، وليس امامهم سوى جيش ممزق لا يستطيع عن نفسه دفاعا • ولكن ماذا يضر ذلك وصاحب العرش والتاج واثق من ان تاجه مصون وعرشه بان الله تعالى ثابت لا يهتز ولا يضطرب •

السيد محمود احمد

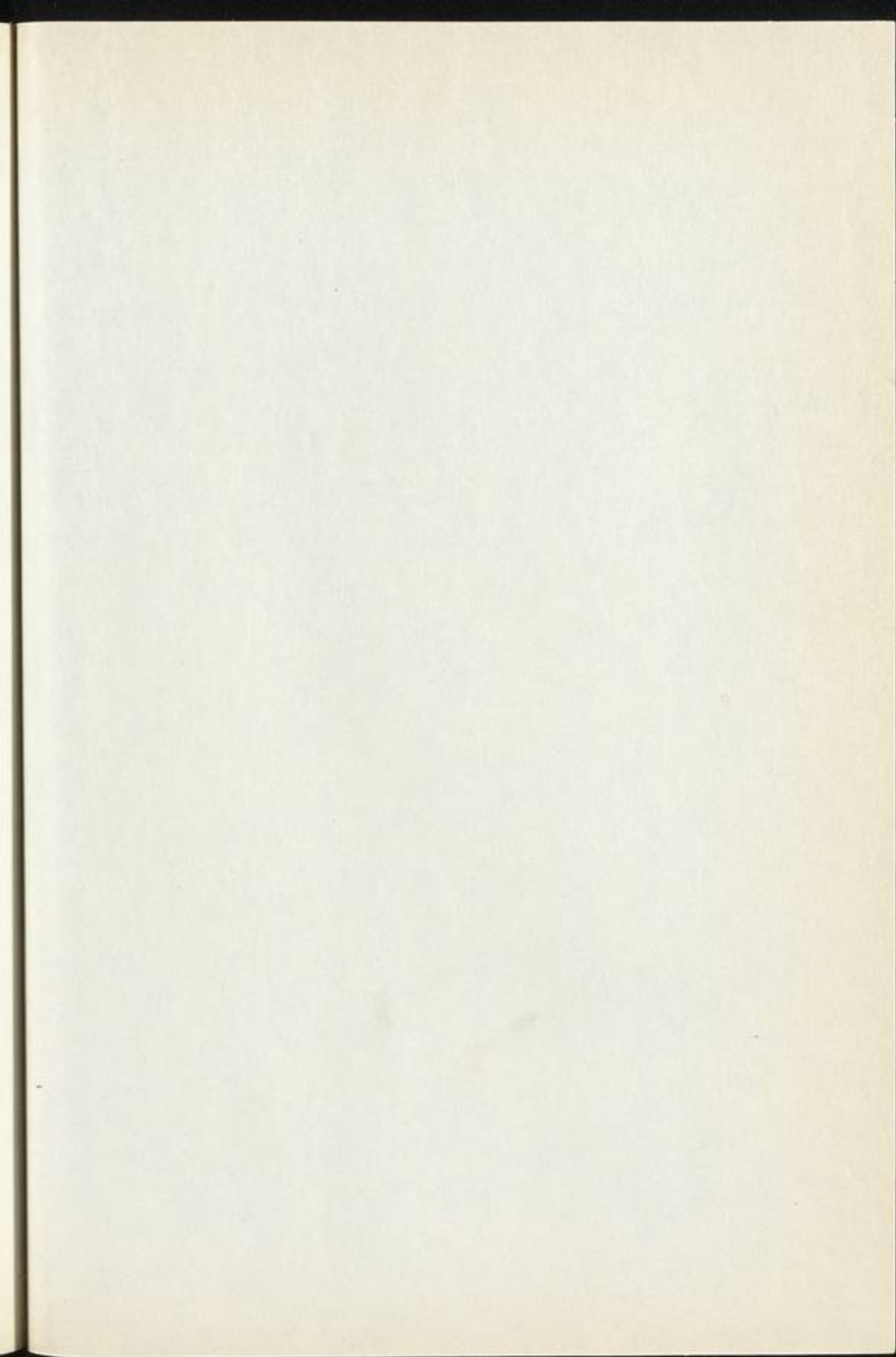
(بغداد)

اعلان للجمهور

ان الظروف القاسية قد حالت دون اظهار النكبات برواياتها وموادها التي وضعناها لها كلها ، واملنا ان تتمكن من ذلك في المستقبل القريب ، اذ نخرجها بين دفتي مجلد كبير - ان شاء الله •

المؤلف

ملحق (۱)



(*)

الشبح

شبح بين الهياكل - خطيب على منبر القبور - ميت لكنه يتكلم -
ينصح الاحياء الاموات •
يحسب الناس من بني قومي انهم في حياة هي « الحياة » بكل ما في
الكلمة من المعاني والمغازي والرموز ، أما انا فلا احسبهم كذلك •
يرى الناس من بني قومي ان عيشهم هذا هو « العيش الرغيد » ملؤه
الملذات والمسرات ، أما انا فلا احسبه الا عيشا جهنميا ليس فيه الا الآلام
والاحزان •
هم يعتقدون انهم يشون رويدا رويدا الى الامام ، أما انا فلا اراهم
الا مهرولين الى الوراء •
هم يحسبون خلاف ما احسب ، ويرون غير ما ارى ، ويعتقدون لا كما
اعتقد ، وهكذا فقد اختلفت المذاهب وتباينت المشارب فصرت كأني لست
منهم ابدا •
هم يقضون اوقاتهم في النوادي والقهوات ، أما انا فليس لي ناد ولا
قهوة غير داري دار الوحدة والافراد •
هم يخرجون الى المنتزهات ثملين بنشوة الحميا ، راتعين بين الاغصان
والاشجار مع الكواعب الرود مطربين على أصوات الطبول والمزامير ، أما انا
فمنتزهي مقبرة الاموات اخرج اليها عند اصفرار الشمس وقد اسكرتني
التأملات ، فأجلس تحت ظلال خيمة السكون مطربا على انات الارواح من حين
لآخر •

★ ★ ★

أمام قبر رخامي سور عال جلست ساكنا مطرقا برأسي الى الارض ،

(*) العراق المسائي (ملحق العراق في سنته الرابعة) العدد ٤١٦ ، ٢ ك١
١٩٢٣ ، وذكر اسمه على انه (محمود افندي احمد) ، ولعلها احدى
القصص التي اشار اليها في اعلانه للجمهور السابق •

وما هي الا برهة حتى هتف بى هاتف خفى قائلا : النذير ! النذير ! جاء
الشبح الكبير ، نذير الاموات !!!

وبينا انا افكر فيما سمعت اذ اظلم المكان ، وسمعت صرخة من مكان
قريب هلعت لها نفسي ، وضافت بى الارض الفضاء ، ثم انشق القبر أمامي
فقمتم مرعوبا ، واختبأت وراء قبر آخر عن بعد ، فنظرت واذا شبح خارج
منه ويده بوق طويل فولى وجهه شطر المشرق ، وبصوت كقصف الرعد
قال :

ايها الناس .

انى ارى وجودا اهون من عدم ، ونعما اكبر من نقم ، ورؤسا تحت
قدم ، والويل من دهمة السيل .

ارى وجوها ناعمة ، وثغورا باسمة ، وصدورا رحبة ، ولم ادر ما علة
النقمة وماكنه الابتسام ، والى من يكون الترحاب .

ارى أمما لا يقضى عليها فتموت ، ولا يقضى لها فتعيش .

ايها الناس .

اتى الامد على لبد واخلف لقمان ما وعد ، واستأسد الكلب حين
استكلب الاسد وكلكم جاهل في علمه سفيه في حكمته يعانق الامل ويفارق
العمل ، كأنكم في جهالة تختبطون .

لا وحدة بينكم ولا صلة عندكم ، اذا فشلتم وتخاذلتم ، ولقد غرتكم
احلام الحياة وما اتم في حياة .

ما كل احمر خد ، ولا كل اسود ند ، ولا كل اصفر دينار ، ولا كل
يوم يساعد على العمل . فاغنموا الايام وهي مقبلة فلن تدركوها اذا ادبرت ،
واربحوا ثمن اليوم لغد فما ابعدهم من امس وما اقربكم من غد ، وما اسرع
انتقالكم عن حال تصافحون ماضيا ويصافحكم المستقبل .

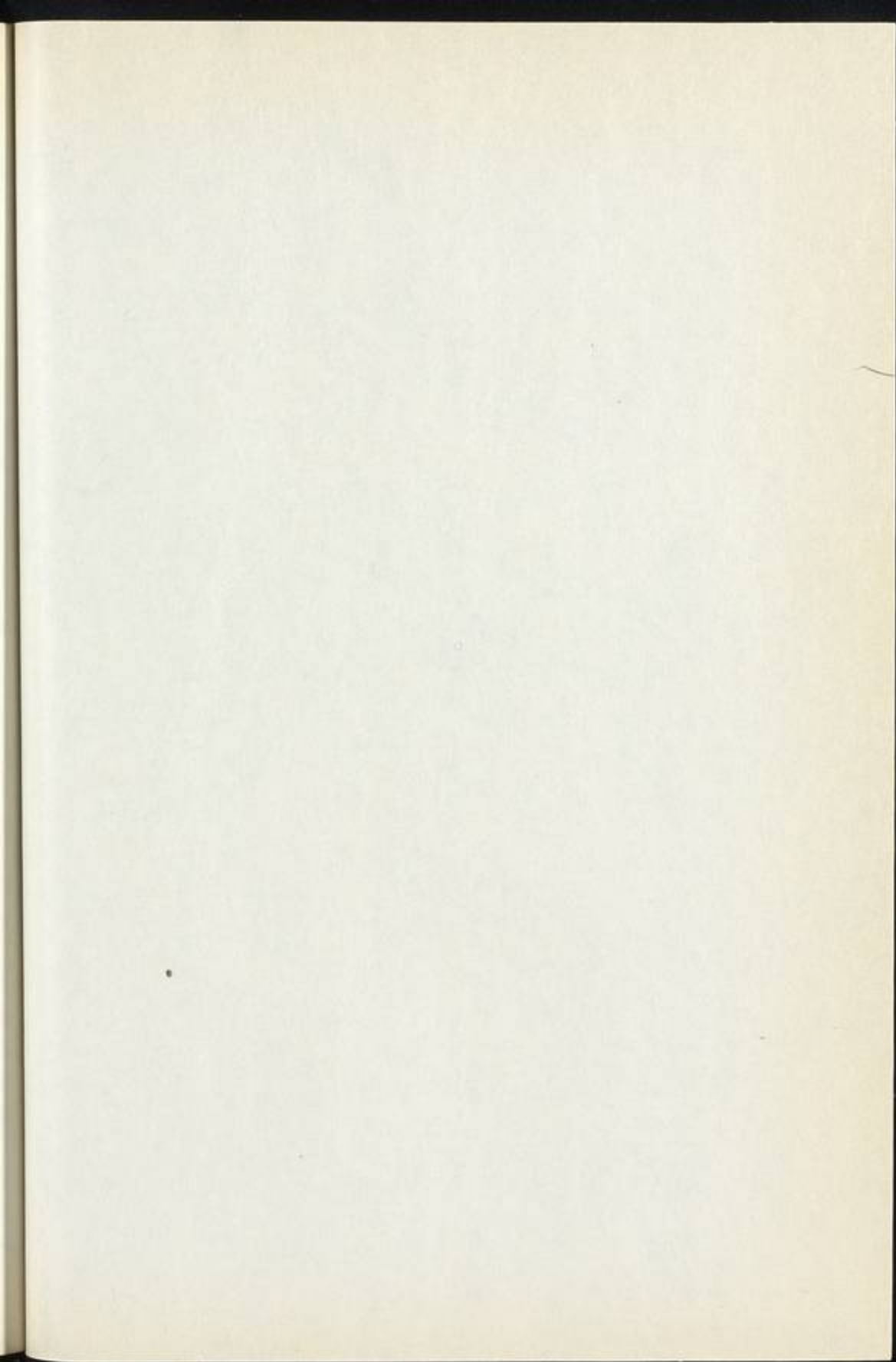


اكمل خطابه ، ثم سكت مليا ، وغاص في الارض ، فخرجت لا الوى
على شئ ، وانا احسب ان صوته البالغ عنان السماء لا بد وان سمعه الناس .

السهم المتضاربة

بقلم

محمود احمد السيد عوني بكر صدقي



الى :

صاحب (اللفز) محمد افندي احسان .

« المتألم من الحياة ، الساخط عليها ، الشانئ لها ، المعرض عنها ،
الذي لا يقيم لها وزناً ، ولا يطمع منها في شيء سوى أن يقضى أيامه
طالت أو قصرت شريفاً أبى النفس الى أن يغيب في الثرى دون أن يترك
ورائه شيئاً غير ذكرى طيبة يذكره الناس بها ، ولا ينظر الى الحياة
الا نظرة الفيلسوف الذي لا يحس بهناءه ولا يشعر بسعادة بل يرى في
كل ناحية من نواحيها شبحاً للهموم والآلام ماثلاً دائماً أمام عينيه »

السيد محمود احمد - و - عوني بكر صدقي

مقدمة

بمناسبة الطبع والتأليف

العراقيون في آخر يوم من أيام تلك النهضة العلمية الكبيرة وقموا ثم ارتدوا فرجعوا متقهقرين وبعد ذلك رقدوا رقدة طالت مئات من السنين .
وفي اليوم الذي عاد الروح الجديد الى الشرق كان نصيب العراقيين من الاقتباس منه قليلا .

السوريون والمصريون قبل غيرهم من الناطقين بالضاد خطوا الخطوة الاولى في سبيل النهوض ، بالعلم والادب . ففي القرن الماضي ظهر العلماء والكتاب والشعراء ، واخذوا يسرون تدريجا في طريق الرقي والكمال .

وبدخول المطابع في بلادهم كان ذلك اكبر واسطة لأظهار تأليفاتهم ومدوناتهم ، فنشروا منها ما نشروا ، ثم ترجموا من كتب الغربيين ما ترجموا واقتبسوا مما لديهم من العلوم والمعارف ما اقتبسوا ، وعلى هذا المنوال سعوا واجتهدوا ردحا من الزمن ، حتى اتسعت في بلادهم دائرة العلم اتساعا عظيما ، وأصبحت المؤلفات والكتب لديهم كثيرة جدا بالنسبة للبلاد العربية الأخرى .

أما نحن أبناء العراق فبقينا في مؤخرتهم ولم نستطيع على إتباع نهجهم لاسباب كثيرة أهمها عدم اهتمام الحكومة السابقة ، والفقر المدقع المخيم على البلاد ، وبعدنا عن العالم المتمدن . أجل بعدنا عن الغرب ، واهمال الحكومة السابقة للعلم في عدم نشره هنا ، والفقر المالي كل هذه هي وسائل مهمة وأسباب قوية لفقدان الامة أناسا مهذبين راقين ، ورجالا علماء كاملين ، وهل العلماء والادباء والمؤلفين الا أشخاص يخرجون من بين طبقات الامة التي اتشر بينها العلم الصحيح ؟

هذا مع أننا نستطيع التصريح بأن في العراق نوابغ ظهوروا في الايام
الاخيرة وان كانت لم تعلمهم مدرسة أو تخرجهم كلية جامعة لكنهم مع كونهم
شذوذا لا يعدون بالاصابع لم توافقه الظروف ولم تسمح لهم الفرص لظهور
عبقرياتهم وما لديهم من أدب ينشر أو علم يذاع للناس، وهكذا جاءوا فأهملوا
ثم ماتوا وأصبحوا منسيين



أخيرا تغيرت الحال بعض التغير ، اذ ظهر بضعة رجال ألفوا بعض الكتب
العلمية على أثر تقرب العلم قليلا من هذا القطر .

ومن أول الكتب العراقية التي طبعت - على ما نعلم - كتاب (روح
المعاني) في تفسير القرآن للسيد محمود شهاب الدين الآلوسي الذي نشره في
الاستانة أثناء سفره اليها .

وبعد ذلك أدخلت حكومة بغداد أول مطبعة لطبع جريدتها الرسمية
وبعض المنشورات . ثم تلتها مطبعة أهلية أخرى كانت واسطة لابراز عدة
جرائد خدمت الامة خدمة تذكروا ، لانها أيقظت ونهت الاذهان .

ومن ذلك الوقت الذي يبعد عنا أكثر من ربع قرن الى هذا اليوم لم
ينبغ في العراق الا رجالا أفراد معدودون ألفوا كتباً قليلة جدا في مواضيع
مختلفة من العلوم .

ونذكر مما طبع منها فقط .

في التاريخ

(بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) للسيد محمود شكري
الآلوسي ، و (خلاصة تاريخ العراق) و (مختصر تاريخ بغداد) للأب
دانستاس الكرملي . و (تاريخ ملوك الحيرة) لعلي ظريف الاعظمي .

وفى الادب

ديوان عبدالغفار الاخرس ، وديوان عبدالباقي الفاروقي ، و (الكلم المنظوم) وهو الجزء الاول من ديوان جميل صدقي الزهاوي وديوان معروف الرصافي ، و (الرحلة الى اسلامبول) على طريقة المقامات ، للسيد محمود شهاب الدين الآلوسي ، وديوان عبدالرحمن البناء ، وديوان ابراهيم منيب الباجهجي ، و (العراقيات) لعدة شعراء عراقيين ، و (المراجعات الريحانية) بين أمين الريحاني ، وعبدالمحسن آل كاشف الغطاء النجفي ، وديوان السيد حيدر الحلبي ، وديوان ابراهيم الطباطبائي ، وكتاب محاضرات في الادب العربي للرصافي .

وفى الدين

كتب ورسائل منها (غاية الاماني في الرد على النبهاني) و (مختصر التحفة) و (تنمة التأسيس) للسيد محمود شكرى الآلوسي و (اثبات الشريعة المحمدية) و (غالية المواعظ) للسيد نعمان الآلوسي وغيرها من كتب تحتوى على ردود على الاديان ، أو مدافعات عنها اهملنا ذكرها .

وفى اللغة

(كتاب الطرة على الغرة) و (الفيض الوارد) للسيد محمود شهاب الدين الآلوسي و (كتاب في ذوات الطرفين من الكلمات) للسيد نعمان الآلوسي .

وفى الفلسفة

(كتاب الجاذبية) لجميل صدقي الزهاوي و (كتاب الهيئة والاسلام) للشيخ هبة الدين الشهرستاني و (رد فلسفة دارون) للشيخ محمد رضا الاصفهاني .

وفي الحقوق

(الحقوق الاساسية) لسليمان فيضي الموصلى و (شرح قانون

الاراضي) للمحامي خالد الشابندر .

هذه هي اهم كتب العراقيين التي طبعت ونشرت ، وهناك رسائل عديدة في مواضيع مختلفة ، وكتب مدرسية صغيرة أغلبها مقتبس ومكرر ظهرت في حينها ثم فقدت لقلّة أهميتها .

أما الروايات وهي اهم ما يكتبه الكتّابون في العصر الحاضر ؟ فقد قيل ان بعضهم كتب شيئاً من نوعها ، بيد أننا لم نر الا (الرواية الايقاضية) لسليمان فيضي الموصلى التي طبعت أخيراً ، وقد جئنا نحن فادلينا دلونا بين الدلاء كما يقولون فكتبنا رواية (في سبيل الزواج) الشرقية الهندية و (مصير الضعفاء) العراقية .

ولا يخفى أن هذه الكتب لقلتها ولاسباب أخرى ، لا يستدل منها على وجود روح علمية كبيرة ، أو نهضة مهمة في عالم التأليف والنشر .

منذ عدة أشهر تألفت في بغداد لجنة سميت بـ (اخوان الادب) جمعت بين أشهر رجال الادب العراقي ، وبين أناس لم يكن يعرفهم العراق قبل اليوم .

وقد كان الغرض منها العمل على تنشيط العلم والادب واظهار الكتب والمؤلفات وغير ذلك . غير أنها اجتمعت للمرة الاولى والثانية والثالثة ثم قررت ما قررت ، والناس بين متفرج ومنتظر وبعد ماعلا صياح الامل والبشرى في الجرائد خفتت الاصوات وعم السكوت .



وأعقب ذلك تأسيس (المعهد العلمي) فشرع يباشر أعماله وأخذ يث
دعوته حتى نشر ما نشر ، وأعلن ما أعلن ، وخطب رجاله ما خطبوا ونحن
تتمنى له الفوز وندعو الله أن يرقيه في سلم النجاح •
وبعد مدة أعلن على صفحات الجرائد ما يأتي :

(الترجمة والتأليف)

فرجو من كافة الادباء والباحثين الغيورين^(١) على العلم والادب في
العراق وسورية ومصر وغيرها من البلاد العربية والاجنبية ان يخابروا المعهد
العلمي ببغداد لطبع ما لديهم من الترجمات أو المؤلفات ونشرها بين الناطقين
بالضاد لمكافحة الجهل الضارب أطنابه في هذه البلاد المتقهقرة في العلوم
المحتاجة للمؤلفات المفيدة •

أما الشرائط فتختلف باختلاف الآثار والاساليب وتفضل الكتب
المدرسية فالقنون العصرية فالآداب •

فليهنأ الفضلاء والى العلم والى العلم والى العلم اه •

هذا هو الاعلان الذى نشره المعهد ، والذى ما قرأناه الا وصرخنا مع
الصارخين : الى العلم والى العلم ألف مرة •

مضت الايام تتلوها الايام ونحن ننتظر كما ينتظر الموحدون نتيجة
ذلك النداء ، وهو نداء عظيم لو يتدبر الناس ، لانه موجه الى كافة الادباء
والمؤلفين ، لا في العراق فحسب ، بل في سورية ومصر أم العلوم والمعارف ،
أم الكتب والتأليفات • أم الطبع والنشر ، بل وغيرها من البلاد العربية وحتى
الاجنبية لاجل ارسال كتبهم تطبع في العراق ؟؟

(١) وهذا خطأ جمع الفيور (غيارى)

والان ذهبنا فولجنا المكتبات وفتشنا في دور العلم والمدارس وسألنا
هذا وذلك عن الكتب التي ظهرت وطبعت ، فلم تظفر بشيء • فقلنا ننتظر • •
والمستقبل كشاف •



نوجه الان نظرنا الى بغداد فنرى المنتسبين للعلم فيها يتجاوزون المئات
وكلا منهم يؤلف ويكتب ويعمل كما يقال ، لكننا يا للأسف لم نجد حتى
هذه الساعة كتابا علميا ظهر أو مؤلفا أدبيا نشر من قبلهم •
اللهم الا كتاب (اعرف بختك) الذي امتلئت الصحف العراقية بمدحه
والثناء عليه ، وقالت انه يجب أن تقتنيه كل عائلة وانه أجود من كل كتب
أصحاب (الفال) وانه من تأليف نابليون العظيم • وغيره من وريقات هي
أشبه به •



كنا كلما نهم بوضع كتيب ، أو تأليف رواية ، نسمع الضجيج والصراخ
من كل ناحية ، والاستهجان المضحك من كل جانب ، والسبب واضح بين ،
لان العالم لا يرونا الا أناسا متهوسين أو شبانا تدفعنا على ذلك حرارة
الشباب لا غير •

ولعلنا نرى لهم بعض الحق لانهم رأوا ما رأوا من دعاوى الذين
سبقونا من الرجال المحنكين فلم يعودوا يصدقوا بأحد كأمثالنا وأمثال غيرنا
من الشبان الناشئين •

أما نحن فلا نحفل بالفريقين ، فريق المدعين ، وفريق العوام الجاهلين،
وسنواظب على عملنا تدريجا لا بطفرة واحدة فهي محال ، وها نحن نخرج
هذا الكتاب الصغير (بعد الروايتين المار ذكرهما) وسنظهر الذي بعده ،
والذي بعده رغما عن الظروف آملين من أمتنا الرضى ان كنا نستحقه ،
والسلام على رجالها العاملين •

السيد محمود أحمد

السهام المتقابلة

السهام المتقابلة ، سهام الآراء الاجتماعية في الرسائل المتبادلة بينى
وبين عوني بكر صدقي ، بقيت في عالم الكسوف والخفاء مدة غير قليلة ثم ان
يد الحرية اللطيفة القوية أخرجتها وها هي اليوم تظهر أمام الناس أجمعين •
هذه السهام الحادة ، كلانا رمى بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان
ما بين الرميتين •

رمى للهدم ثم البناء والاصلاح ، ورميت للهدم ثم الفناء والاضمحلال •
هذه السهام الثاقبة ، كلانا ضرب بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان
ما بين الضربتين •

ضرب بيد المشفق الحنون مواطن الضعف والوهن ليدها فداء
للمواطن الصالحة الاخرى ، وضربت بيد العدو الغضوب كل مواطنه لاني
لم أر فيها ما يستحق البقاء •

هذه السهام الجارحة ، كلانا هجم بها على المجتمع الفاسد ، ولكن
شتان ما بين الهجمتين •

هجم لقتل الجرائم السامة ، حفظا للجرائم الحية الطيبة ، وهجمت
لقتلها كلها بدون تفريق ولا تمييز •

هذه السهام القاتلة ، كلانا طعن بها المجتمع الفاسد ، ولكن شتان
ما بين الطعنتين •

طعن الرذائل لتحل بمحلها الفضائل وطعنت الفضائل ، لانها كسرابه
بقية يحسبه الظمان ماء •



هو تمسك بأساطير الحكماء السابقين ودساتير العلماء اللاحقين ، وأنا
تمسكت بالحوادث اليومية ، والامور الجارية أمام أعيننا ، وكل حزب
بما لديهم فرحون •

هو اعتمد على القوانين الموضوعية وانا اعتمدت على القواعد الخيالية
وكلانا راض بالذى اعتمد عليه •

هو اندفع بالعقل ، وانا اندفعت بالعواطف وكلانا يحسب انه يحسن
صنعاً •

هو يصيح العواطف منبع الشرور وأنا أصيح العواطف شيء مقدس،
وكلانا يرى قوله الحق المبين •

هو متفائل بالخير ، وانا متشائم متفائل بالشر ، لاني أعتقد أن الخير
موهوم ، والدنيا ليس فيها الا الشرور •

هو نظر الى العالم من وراء زجاجة شفافة بيضاء فرأى نورا وأنا نظرت
اليه من وراء زجاجة كثيفة سوداء ، فرأيت ظلمة مدلهمة • وباعتقادي ان
الظلمة حقيقة ثابتة ، والنور طارئ عرضي يزول •

هو بصفته مصلحا يسألني قائلاً : من أى فرقة هم السراق والاغرار ؟
وأنا أقول : كل الناس سراق ، كل الناس أغرار ، الا أفراد قلائل
ضائعون •

هو يسألني قائلاً : الناس فرق ثلاث (أهل العقل) وهم الفلاسفة
والعلماء ، و (أهل الارادة) وهم الجنود والقواد و (أهل العواطف)
وهم النساء والاطفال • فبالله قل لي من أى الاقسام أنت ؟

وأنا أقول : إنني فرد مزقت غني ثياب الانسانية الكاذبة الموهومة فرجعت
كما خلقت بشرا طبيعيا لايركن الا الى الحقائق التي يأخذها عن الطبيعة فقط •

ذاك هو مذهبه ، وهذا هو مذهبي ، وللناس مذاهب فيما يعيشون •



نحن نفتخر بأننا تكلمنا بكل حرية وطلاقة ، ولكن لا نعلم هل نحن في ذلك بنظر الناس محقون أم خاطئون •

• ذلك أمر تتركه الى القراء ، فهم (حكم) فليحكموا بنا يشاءون) •

السيد محمود احمد

الرسالة الاولى

الخطبة

٥ ربيع ثاني سنة ١٣٤٠

أخي عوني :

كثرة اختلافي اليك ، وترددي عليك ، واجتماعي بك حينا بعد حين في الايام الماضية ، كل ذلك كان يمهّد لي السبيل لان احكي لك ما أشاهد وأرى ما يعرض امام عيني على ستائر سنما الحياة الكبيرة ، من المناظر الحسنة البشعة المضحكة المبكية ، وأبسط لديك ما يمر على مخيلتي في الساعة بعد الساعة من الحقائق الراهنة أو الخيالات والاهام ، وأضع بين يديك ما عندي من الآراء المتطرفة . والافكار الشاذة .

وقد كنت تتلقى ذلك مني برغبة واشتياق أولا ، حتى اذا ما افرغ منها تبدأ بتمحيصها بأعتناء تام ثم تستحسن منها ما تستحسن ، وتستهن منها ما تستهن . وهكذا كنا تتبادل الآراء والافكار وتتناظر وتتجاوز حتى نطرق كل باب ونهيم في كل واد .

أما الان وقد بعدت عنى ، وحالت بيني وبينك الحوائل فلا حيلة لنا لاعادة الكرة غير المكاتبة والمراسلة .

ليس عندي شيء يستحق الذكر ، سوى اني أورد لك حادثة شاهدتها ولا زلت حتى هذه الساعة افكر بها .

انها مسألة ربما كانت تافهة بنظر الناس ، ولكن ذلك لا يهمني ابداً .
ارجوك أن تقرأها بأمعان ثم تكتب لي عما تراءيه ولو بيضعة أسطر .

★ ★ ★

دخلت أمس المسجد الكبير فرأيت الخطيب واقفا على منبره يخطب
بالناس قائلا :

كونوا ذوي أخلاق فاضلة •

فالفرائد وحدها السبب المؤدى الى السعادة في الدار الدنيا • كونوا

صادقين •

فقد قيل أن الصدق سيد الاخلاق وأبو الفضائل •

أقول (الصدق) واعنى به الصدق في القول والعمل ، في السراء

والضراء في كل حال من الاحوال •

كونوا ابطلا شجعان •

فالشجاعة والاقدام هما عماد الاخلاق وأساس النجاح في الاعمال •

الرجل الشجاع هو الذى يقدم على الامور بقلب اقوى من الفولاذ ،

واذا ما أصابه حادث خطير يقف له رابط الجأش ، ساكن القلب ، قوى

الجبان ، حاضر اللب ، لا تأخذه دهشة ولا تخالطه حيرة أو رهبة • والرجل

الجبان بعكس ذلك : شتان ما بين الاثنين ، ذلك يفوز بالمعالى وهذا ييقى

في الحضيض الاسفل •

كونوا ذوي عزم و ارادة •

فالشجاعة وحدها لا تكفى ما لم تكن مصحوبة بالارادة التامة •

كونوا متواضعين لا متكبرين •

فالتواضع لا يزيد الرجل الا رفعة في أعين العالم • وان الناس

ليمقتون من تكبر أو رفع نفسه فوق قدرها •

ليكن الفرد العاقل ، لين الجانب سهل العريكة ، محفوظ الجناح ،

متواضعا لطيفا فمن كان بعكس ذلك أهمله الاقربون وانقض من حوله

الابعدون •

★ ★ ★

أكمل الخطيب خطبته ثم نزل وخرج ، أما الناس فتفرقوا وذهب كل
منهم الى شأنه وقد اكتفوا من تلك التعاليم بسماعها فقط •
وقمت هنيهة ثم تحسست وقلت : أيها الفيلسوف ! أنت بواد والناس
بواد •

انهم ما كانوا ولما يكونوا ذوي أخلاق فاضلة ولا صادقين ولا ذوى
شجاعة أو عزم و ارادة ولا متواضعين أبدا ، لكنهم يعيشون ••
والشدوذ النادرون ، الذين هم لمقالك تابعون ، ارنهيم ، أين هم ؟ -
في الدرك الاسفل من نار الحياة •

أجل • تلك هي نظريات ، ولكنها عقيمة لا يعمل بها • والناس
يعرفون ذلك بيد أنهم يخدعون انفسهم بها •
ويكفي ، نعم ويكفي أنها تحفظ في صدور الفلاسفة أو بين دفات
الكتب وطيات القراطيس •

أخبرني أيها الصديق هل هذا خطأ أم صواب ؟

س • م

الرسالة الثانية

المجتمع والكتاب

٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠

أخي محمود :

بالامس حظيت برسالتك التي أرسلتها الي ، ولقد سرفني منها حريتك في كلامك ، وصراحتك بما يخالج ضميرك وعدم اتباعك الطريقة التي سار ولا يزال يسير عليها بعض الكتاب عندنا فينمقون العبارات تنميماً ويزوقون الكلام تزويقاً ، فيأتون بآراء لا يقبل بها وجدانهم ، ولا ترضاها ضمائرهم . أولئك على فريقين : فريق أغرته الدنيا بزخرفها وأدهشه الاصفر الرنان بصولته فوهب كلما عزله في حياته في سبيل الحصول على أمنيته . فهو معذور فيما يكتب وغير مسئول عما يقول . لانه طوع ارادة أرباب المال وأسير احسانهم .

وفريق أضلته الخرافات ، وحالت بينه وبين الحقائق الاباطيل ، فهو لا يريد أن يكتب الا ما يكون موافقا لمشارب أبناء القرن الاول للهجرة ، كأنه نسي انه من أبناء القرن الرابع عشر ، ذلك القرن الذي امتاز بتقدم أهله وتطور أحوالهم الاجتماعية .



ولئن كنا نود أن نخترق هذه القيود ونزيل تلك الغشاوة عن أعين الناس فهل يجوز لنا أن نسعى لهدم أركان المجتمع قبل أن نبذل جهدنا لكي نشيد له بنيانا قويا .

ليست الانقلابات العظيمة التي تسبب تطور المجتمع وتغير حالته الا

نتيجة التغير الذي يحصل في أفكار الامة ومعتقداتها • فالامة العربية لم تكن لتستطيع جمع شملها وتوحيد كلمتها الا بعد أن تشربت بالمبادئ الاسلامية تلك المبادئ التي سببت تغيرا عظيما في أفكار العرب ومعتقداتهم • فمن هذا يظهر لنا أيضا أن الانقلابات السياسية كقيام أمة وسقوط أخرى ليست هي نتيجة تطور سياسى كما يظهر وانما هي (نتيجة تغير أفكار الامة ومعتقداتها) (١) •

فاذا كان الامر كذلك فأنت ترى أن الواجب يدعو كلا منا لان يبذل قصارى جهده في سبيل تهذيب الامة وتقويم معتقداتها حفظا لحياتها وصيانة لها من أعدائها وخصومها •

ولا تتشائم لمجرد علمنا أن هناك طائفة قد نبذت الفضائل ظهريا ولكنها تعيش عيشة راضية ، او أن هناك طائفة أخرى فاضلة مهذبة ، ولكنها لا تزال تتجرع غصص الآلام في سبيل حياتها •

فان مثل هذه الحال ليست بغريبة عن مجتمعنا ، ذلك المجتمع الذى لم يعلم حتى الان على أي المبادئ الاساسية سيقوم وعلى أي الافكار الاولية سيبنى ما دام في دور تطوره وتغيره •

فمهلا مهلا أيها الاخ • لا تتطرف بأفكارك ولا تنفرد بمبادئك فاننا اليوم أحوج الى اتفاق الكلمة وتوحيد المساعي على أن يكون الاعتدال شعارنا وان لا نجعل للتطرف مجالا يتسرب منه الينا • لكى تكون لنا يد فعالة في هذا التطور التاريخي العظيم ولكى لا يقال عنا أننا ضعاف لدرجة صرنا تراخى امام أمثال هذه الامور !

ع • ب

(١) جوستاف لوبون

الرسالة الثالثة

النظام الكوني

١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠

أخي عوني :

لست فيلسوفا كبيرا ، ولا حكيما عظيما فألج الباب التي فتحتها ، أو أخوض غمار البحث العويص الذي يتعلق بانقلاب المجتمعات ، وتطور الحكومات وغير ذلك •

وانما أنا مفكر نسائي ، لا أنظر ولا أهتم الا بما يقع حولي بين البشر من الوقائع المختلفة ، والحوادث الغريبة العجيبة التي تنتهي أدوارها بسقوط فريق وقيام فريق ، أو اهلاك جماعة واحياء جماعة ، أو شقاء فرد وسعادة فرد ، بدون داع ولا سبب •

ولا أدري هل هذا هو النظام الكوني الكامل الذي رضيت به أتمم البشر رضاء جعلكم تظمنون من أنفسكم ثم تنصرفون الى أمور لا طائل تحتها ؟

★ ★ ★

أنا الان معك في صداقتك ولكنك ان رمت الدخول في ذلك المدخل العظيم ، الذي تذهب منه الى حيث تذهب الامة وتقوم معتقداتها وتبدل أخلاقها وعاداتها ، فأذهب أنت ومن تريد ، واتركني ههنا قاعدا مع القاعدين •

★ ★ ★

قلت في مجتمعنا وحده تحيا طائفة من أرباب الرذائل ، وتموت طائفة من أرباب الفضائل •

ولكنى أقول لك : في المجتمعات الراقية يحيا كل أرباب الرذائل ،
ويموت كل أرباب الفضائل ، بل ليس هناك من يعرف الفضائل أبدا •
لا يمكننى الان ان آتيك بالبراهين والادلة لاثبات ذلك فالمسألة
واضحة كالشمس •

ولكن يكفى أن أسالك سؤالا واحدا • ناشدتك الله قل لى : لو كان
نصف أهل المجتمعات الراقية من ذوى الفضائل ، هل كان يتسلط الغرب
على الشرق ؟



ان كنت تخشى أن يقال عنا أننا ضعاف ، فقم أنت ومن تبعك وعلّموا
هذه الامة المستكينة ، التزاحم والقسوة والشدة والبطش والظلم والرياء
والكذب والطمع والجشع والغش والخديعة ، وأنا أضمن لك بانها ستعيش
الى أبد الآبدين عيشة راضية لم تكن تحلم بها من ذى قبل • سواء كان في
محيطها ، بنسبة أفرادها البعض للبعض الاخر ، أو بنسبتهم لأفراد الامم
الاخري •

هذا ما أكتبه لك الان ، ولئن اصررت على فكرتك الاولى ، أزيد لك
في البرهان والسلام •

س • م

الرسالة الرابعة

المجتمع والعواطف

١٧ ربيع ثاني سنة ١٣٤٠

أخي محمود :

لقد آن لي أن أجيّب على رسالتك المؤرخة في ١٠ الجاري فأرغنى سمعك ، وهون من غلواء حميتك وحماستك ، فاننا في موقف أحوج فيه الى التأمل واعمال الفكر من الاستسلام للعواطف والاميال .

قلت في رسالتك انك باحث نفسياني تبنى آرائك على ما يقع حواليك من الوقائع المدهشة والامور الغريبة التي تنتهي بسقوط أناس وقيام أناس آخرين . ومن كلامك هذا يفهم انك لا تريد أن تصدق أمرا ما لم يكن نتيجة لتجارب عديدة ، وحوادث مختلفة .

اذن لم أزعجتك رسالتي الماضية مع ان كل ما فيها كان مبني على نتيجة تجارب علماء الاجتماع وبحثهم ؟

انني لاعجب من ترددك في أفكارك وارتباكك في عباراتك (في رسالتك الماضية) فانك بينما كنت تعيب المجتمع لانه يرفع هذا ويهوى بذاك ، ولانه يداول الايام بين الناس الخ .

اذا بك تعاتبنا على رضائنا عن تلك الاحوال وانصرافنا الى أمور لا طائل تحتها (في اعتقادك) .

ان كنت قد قلت في رسالتي الماضية عند ما تطرقت الى ذكر الفضائل والردائل وتغلب الثانية على الاولى « أن تلك الحال ليست بغريبة عن مجتمع

كـمـجـتـمـعـنـا » فـلا يـفـهـم مـن كـلامـي هـذا انـي أنـفى وـجـودـها فـي المـجـتـمـعـات الـاخرى
سـواء أـكـانـت راقية أم منـحـطة كـما فـسـرتـه أنت • عـلى انـك لو سـألـتـني عـن
فـكـرى فـي هـذه المـسـأـلة لـوجـدـتـني موافقا لك فـي مـبـدأـك • فـقـي اعـتـقـادى ان
مـن أـراد مـحـارـبـة الرذائل فـانـما هو يـحـارـب المـجـتـمـع أو العـالـم بـأسـره ، الا فـرا
مـعدودين •

ولست ممن ينفى وجود أناس أبرار في هذا العالم لان ذلك توهم
وخيال محض ، ومهما ازدادت الشرور في العالم فلا بد من وجود أناس
صالحين •

هذا وقبل أن أنتهى من كلامي في رسالتي هذه أرجو أن لا تتلاعب
بك عواطفك مرة ثانية فتجعلك لا تميز بين الحسن والقبيح بل وترجع
الثاني على الاول ، وتعتقد أن الامة اذا سادت فيها الرذائل أمكنها أن تحيا
حياة سعيدة ، ذلك الاعتقاد الوهمي الذى ليس له نصيب من الحقيقة •

وفي الاخير أسالك أن تجبني : أى أمة سادت فيها الرذائل وعمت
الفوضى فأمكنها أن تحيا وتنجح في معترك هذه الحياة ؟ لانك تقول : انى
مفكر نفساني أنظر ما يقع حولى فأكتب ؟

أليس الحق في أن أسالك سؤالى هذا ؟

ع • ب



الرسالة الخامسة

العواطف شئ مقدس

٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠

أخي عوني :

لو كانت رسالتك لغيري لتأثر منها حقيقة • أما أنا فأعظمك وأجلك
لأجلها •

أجل لقد قلت فيها عني ، بانتي استسلم للعواطف والاميال •
كلمة صادفت موقعها • انا ذلك الرجل الذي لم يبدأ بسحاورتك
ومناظرتك الا والعواطف مستنده القويم الذي استند اليه •

العواطف شئ مقدس ، شئ عظيم ، به يحيى الناس ، به تجري أمور
الكون ، لا بالنظام أو القانون الموهوم الذي سنه بعض الرجال بغية
الحصول على أمر •••••

★ ★ ★

قلت في رسالتك الثانية بأن رسالتك الاولى كانت مبنية على نتيجة
تجارب علماء الاجتماع •

هل كان من أولئك العلماء (جوستاف لوبون) ؟

نعم : هو الذي استندت الى أقواله وعولت على آرائه في ذلك
الموضوع •

اذن اسمع •

أخي • لا تغضب إذا قلت لك بأن هذا الشخص الذي قال أن محمداً رجل متهوس من ذوى العقول الضيقة ، لجدير أن نضرب بتعاليمه وآرائه عرض الحائط ، فمن لا يستطيع ان يعرف منزلة محمد في المجتمع لا يقدر أن يعرف أمراً جزئياً عن الامور الاجتماعية •
لذلك فاني لا اعتبر تجاربييه مهما كانت ، والركون اليها خطأ محض •



سألتي عن الامة التي أمكنها أن تحيا بالردائل أو بالفوضى ، فاجيبك
قائلاً :

ليس من داع لذكر اسم تلك الامة خشية من أن تقع في بحر السياسة فنغرق في لجته ، ولكن يمكن أن أقول أن أغلب الامم سادت بالردائل وعاشت بالردائل ، مع أنها توصف بالتمدن والحضارة •

ولا بد من أن تتذكر ما جاء في رسالتي السابقة من التلميح عن الامم الغربية • وان كان كلامي هذا لا يكفي فسأشرح لك بعض الشرح عن المسألة في الكلمات الوجيزة الآتية : -

أخي • من الفضائل (الصدق) • وهذه خلة لو تمسك بها أهل الغرب لما خدعوا غيرهم وأخذوا بلادهم أبدا •

قالوا بأننا ندخل البلاد منقذين • فلما دخلوها أصبحوا فاتحين •

فهم كذبوا ، ولكنهم من جراء ذلك الكذب الفاحش قد حصلوا على بلاد وأقطار جعلتهم على جانب عظيم من أبهة الملك وجمالة السلطان • فما أتعب ذلك الصدق الموهوم ، وما أحسن هذا الكذب الذي به تتسع الحكومات الكبيرة •

من الفضائل (الشجاعة) • والحسين كان شجاعا لكنه قتل ولو استعمل
قبل تلك الشجاعة شيئا من الرياء والخديعة لما حل بساحته ذلك البلاء •
وكذلك الامير السيد عبد القادر الجزائري كان شجاعا لكنه غلب على
أمره •

لان البشرية تبغض هؤلاء ، وتأبى الا أن تسحقهم لتحبي على رفاتهم
مجدا لغيرهم من الظالمين •

من الفضائل (التواضع) •

وهؤلاء المتواضعون بيننا يسحقون بالاقدام •

والاغنياء المتكبرون المتعجرفون يحترمهم الناس ، بل يسجدون لهم من
دون الله • دون ان تقيدهم قاعدة أو ينعمهم قانون • أتكر ذلك ؟

إذن بالكذب والخديعة أي (السياسة) تؤخذ البلاد ، وبالظلم والتهور
يستعبد الاقوياء الظالمون غيرهم من الامم والاقوام • ك نابليون الذي كاد
أن يأخذ الدنيا كلها بتهوره وبطشه وظلمه ، لا بشجاعته وفضيلته • وبالتعجرف
والتكبر يكون الاغنياء والاعاظم محترمين مبجلين •

فهل بعد هذا نقول : ان الفضائل صالحة ، وان الرذائل بعكس ذلك ؟
أما الفوضى • فهذه الامة الروسية ، سادت بها الفوضى البلشفية ، بيد
أنها لم تخرب نظام معيشة الناس ، سوى انها نغصت عيش افراد من الممولين
القليين ، (وما أحلى موتة البعض في سبيل حياة الناس اجمعين) •

هذا وفي الاخير لا أخجل ان أقول لك بأن الجواب ناقص بعض النقص
لان الظروف السياسية تقيديني دون أن أصرح باسم تلك الدول التي لم
تتأسس دعائمها الا على الرذائل فقط •

ولكن الحليم تكفيه الاشارة والسلام •

الرسالة السادسة

العواطف منبع الشرور

٤ جمادى الاولى ١٣٤٠

اخي محمود :

وصلتني رسالتك المؤرخة ٢٠ ربيع الثاني ١٣٤٠ فأثبتت على حريتك في آرائك وصراحتك في مبادئك وما تلك الاسجية كنت اعتقد وجودها في امثالك ، فأنت الحوادث محققة ظنوني •

قلت في رسالتك الماضية أنك لا تكلمني الا باسم العواطف لذلك فانك لم تتأثر حين قلت أنك تستسلم لعواطفك وأميلك •

كلام عجيب لم تتعود أذني سماعه بعد ، ودعوى غريبة لم أكن لأتظرها من ذي قبل •

لم لم تحتل علي - كما يفعل بعض الكتاب في عصرنا - وتدعي أنك تخاطبني باسم الحقيقة ؟

أليس ذلك دلالة واضحة على انك تفكر فيما تقول ؟

نعم ان من يطالع رسائلك الماضية ويقف على مبادئك لا يتأخر من أن يحكم في أنك مفكر نفساني (كما تقول أنت) لا طفل مستسلم لعواطفه ، ولئن تغلبت عليك عواطفك في بعض الاحيان (كما يظهر لي) فليس ذلك دليل على أنك لا تفكر فيما تقول •

يقول علماء النفس : للأنسان عقل وارادة ووجدان وان كلا من هذه المواهب الثلاث متصلة بعضها ببعض اتصالا متينا لا يتأتى له انفصام ولكن

لأبد من تغلب احداهن على الاثنتين الباقيتين • فالعقل ينمو ويعظم في
الفلاسفة والعلماء ، والارادة تسمو في الجنود والقواد ، والوجدان والعواطف
تتغلب على النساء والاطفال • فبالله قل لي من أي الاقسام أنت ؟

العواطف منبع الشرور ومصدر الآثام ان تغلبت على رجل (وتغلبها
يكون عرضيا) إتزعته ثوب انسانيته وجعلته وحشا ضاريا لا يفكر فيما
يعلم ولا يفهم ما يقول •



لك بعض الحق ان تقول إن المجتمع يقوم بالعواطف لا بالنظام
والقانون • فان هذا القول يصبح في جميع المجتمعات البشرية الحاضرة التي
تأسست على الشر ولا تزال حتى الان قائمة عليه •

ولكن رويدك أيها الاخ ، ألسنت ممن يشاركني في رأبي القائل بفساد
هذه المجتمعات كافة وكثرة شرورها •

كأنى بك وأنت تبحث عن منشاء هذه الشرور وتلك البلايا فلا تجد غير
استئثار أناس واستبدادهم وسقوط آخرين واضمحلالهم ، أو بعبارة
أخرى انتصار القوة على الحق •

هب أن رجلا خير بين أن يقتل أو تحرق مدينته التي يسكنها قومه فماذا
يختار اذا كان ممن تتغلب عليهم عواطفهم ؟

بل لم نذهب هذا المذهب ونحن نعلم أن الفئة المذكورة هي دائما في
مقدمة المتهوسين أو الخائنين في كل أمة اذ أنهم يميلون حيث تميل الالهواء •
ولئن كنت تدعى أن الامم تحيا بالعواطف وكنت أنا نصير العقل الذي
هو والعواطف على صرفى تقيض فبربك قل لي من أي فرقة هم السراق
وأصحاب الرشوة والانحرار •



القوانين ثرة عقول البشر ونتيجة أفكارهم وهي في كل أمة تشمل
درجة رقيها وتقدمها • وليس لمسئها غرض شخصي أو مأرب نفسي ، لأنها
وضعت لتكون دستوراً عاماً ليس له أدنى علاقة بالمسائل الشخصية •

انى لم أستند في رسالتى السالفة الذكر الى بعض آراء (كستاف)
الا لأنها آراء قومية في اعتقادى • ولئن غلط الرجل أو كفر فعليه كفره •

وهل استنادى الى بعض تعاليمه دليل على انى آخذ بجميعها ؟
وهل يجوز لنا أن لا نستفيد من آراء (كستاف) وأمثاله من رجال الاجتماع
لأنهم أخطأوا في بعضها ؟

إذا كان ذلك ، فلنبصق بوجه (شكسير) ، ولنلطم (داتتى) ولنرفس
(فولتير) ، بل ولنترك كل صلة لنا مع العالم !!!

ان عواطفك - يا أخى - تغلبت عليك فحكمت حكماً ناقصاً كما تغلبت
على (كستاف) فأنته حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم •

اما انا فلست مع (كستاف) فى آرائه ، ولا معك فى حكمك لانى اعتقد
ان الاعتدال روح الاجتماع •

ان لم يعرف (كستاف) حقيقة محمد فذلك لانه رجل مسيحي ، وان
محمداً اتى بديانة تخالف دياناته (فى اعتقاده) فأعماه تعصبه الناشئ عن
استسلامه لعواطفه عن معرفة الصواب ولكنه لم يتعصب للمسائل الاجتماعية
الآخري ، اذ ليس هناك محمد !



انك تغالطني ايها الاخ فبينما اسألك عن الامة الموهومة التي وجدت
سعادتها وحظت بفضالتها المنشودة باستمساكها بالردائل (كما قلت انت) اذا
بك تحاول ان تذكر لى شيئاً عن التاريخ الاستعماري ومعاملة الاستعماريين
لسكان البلاد المستعمرة •

انا لا اسألك عن ذلك لاننى اعلم ان الحرب خدعة ، ولا صلة لنا بين
السياسة او المداهنة والصدق مثلا •

ولئن سادت الرذائل بين سكان المستعمرات وكانت الدول هي العاملة
على ذلك لانه يكفل لها مصالحها فهل استفاد أولئك المساكين أعنى بهم سكان
تلك البلاد ؟

★ ★ ★

اسمح لي أيها الاخ أن أقول لك أن الحسين رضى الله عنه ، كان شجاعا
لدرجة كانت فيها شجاعته سببا في قتله • فلو أنه استعمل رأيه وقبل ما أشار
عليه أصحابه قبل سفره لما قتل • اذ لا بد من الشجاعة والرأى •

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

★ ★ ★

لئن كان بعض الناس يحترمون الاغنياء ، ويسجدون لهم ، فهم أولئك
السفلة الادنياء أصحاب المآرب المنحطة الذين لا تزل عقولهم بخواتم ربها ،
بل والذين تغلبت عليهم عواطفهم !!!

★ ★ ★

أخي لا تحاول أن تغالظنى مرة ثانية ، لان للامة الروسية (وفي ضمنها
البولشفية) نظاما سديدا تسير عليه في امورها ، وقوانين ترعاها في محاكمها ،
وليست هي بدون نظام ، بل ليس أمة بلا قانون ؟

ع • ب

الرسالة السابعة

بوصه شكبير

٦ جمادى الاولى ١٣٤٠

اخى عوني :

أشكرك على قولك عنى بأننى حر فى آرائى كما انى اشكر الصدف
التي ساقتنى الى موقف ووقت فيه أمام شخص كبير مثلك وأرجو أن لا تتفارق
وتتوادع الا وكل منا أرضى الاخر •

★ ★ ★

اسمح لى أن أقل لك بأنى رجل لا أعتقد بأمثال تلك الترهات أو
القوانين التي سردتها ، ولا أعتقد بتلك الخرافات أو القواعد التي أتيت بها ،
نقلا عن علماء النفس من التفاصيل المتعلقة بالعقل والارادة والوجدان ، وغير
ذلك من المواهب •

ولئن سئلتنى عن الصنف الذى أدخل فيه بين المفكرين أو رجال الحزب
أو الاطفال والنساء ، فلا أجيبك على ذلك الا بأبتسامة لطيفة فسرها كيفما
تشاء •

أوهب انك أصرت فى طلب الجواب ولم تكتف منى بذلك ، فيمكننى
أن أقول :

أنا يا أيها الصديق لست من أولئك الناس الذين عددتهم ، ولكنى فرد
مزقت عنى ثياب الانسانية الكاذبة الموهومة ، فرجعت كما خلقت بشرا طبيعيا
لا يركن الا الى الحقائق الملموسة التي يأخذها عن الطبيعة فقط ، لا عن كذبة
رجال العلم ، ولا خونة أبطال الدين ، ولا عن غيرهم من الناس أجمعين •

وانى مع هذا لا أدري هل ستدعوني بعرفك من أولئك الخائنين ؟ أو
المتهوسين ؟

★ ★ ★

سئلتني :

من أى فرقة هم السراق والاغرار وغيرهم ؟

فحق لى أن أجيب بأعلى صوتى :

كل الناس سراق !

كل الناس أغرار !

كل الناس أشرار !

كل الناس طغات !

كل الناس ظالمون !

الا افراد قلائل ضائعون :

والظلم من شيم النفوس فان تجد

ذا عفة فلعله لا يظلم

★ ★ ★

قلت :

القوانين ثمرة عقول البشر ونتيجة افكارهم •

وانا أقول :

البشر سافلون ، وما ثمرة عقولهم الناقصة ، ونتيجة افكارهم الطائشة

الا وهي أدهى منهم وأمر •

وهل يثمر عن الشجرة الخبيثة ، الا الثمر الخبيث ؟



قلت متهما :

أن لا يجوز لنا أن نستفيد من (كستاف) فلنبصق بوجه (شكبير)
ولنلطم (داتتي) ولنرفس (فولتير) بل ولنترك كل صلة لنا مع العالم •
وأنا أقول :

نعم • لنلعن (كستاف) ولنبصق بوجه (شكبير) ولنلطم (داتتي)
ولنرفس (فولتير) أعداء الانسانية الحقة وكهنة مدرسة الاستعمار الكبرى •
أجل ، أجل ، ثم لنترك ان استطعنا كل صلة لنا مع العالم مع هذا العالم
• الدنس •



تكلمت عن الحسين الشهيد ، وعن الاستعمار ، وعن السفلة الادياء
وعن البلشفية أيضا •
أما أنا فأقول :

لنسد باب الكلام في الاستعمار كيلا ندخل في السياسات ولنقطع البحث
الذي يدور حول الحسين الشهيد ، لئلا نتعرض بالديانات ، ولنسكت عن
السفلة الادياء ، حتى لا يلعننا الناس ، ولنذع البلشفية أيضا فنحن لم نعرف
حقيقتها بعد •

أما الدول الاخرى فما المنظمات والقوانين التي لديها الا وهي كسد
في الطريق يقفز من فوقه الاقوياء ، ويقف دونه الضعفاء • فكل ما هناك
باطل والسلام •

س • م

الرسالة الثامنة

امنيّي

٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

أخي محمود :

ان أهم ما تصبو اليه نفسي ويرتاح له ضميري ، هو أن لا تنتهي من مناظرتنا في مراسلتنا هذه الا وكل منا يصفح صاحبه دلالة على العلامة الودية التي كانت وستكون الى الابد بيننا ، واشارة الى العزم الاكيد الذي وطدنا له النفس للتكامل بمساعي بعض السفلة من كتابنا (اذا صح تسميتهم بهذا الاسم) وذلك كل ما أتناه .



لا أظنني مخالفا لما تعتقده اذا قلت ان الحياة سر من أسرار الطبيعة وان الانسان محاط بالغازها ونواميسها التي لا يزال بعضها اذا لم نقل كلها - مجهول لديه . ولئن عرفنا هذا وجب علينا أن نبذل جهد طاقتنا للاستفادة من تجارب الذين سبقونا من أبناء الانسانية خاصة علماء النفس الذين قضوا العمر في البحث عن أحوال النفس وأسرارها فجاءوا بعلم اذا لا يمكننا أن نقول عنه انه هو الصواب ، فهو أقرب الى الحقيقة من غيره . لانه مبني على المشاهدة والحس ، لا على الخيالات والاهام .

ولست بسغال اذا قلت ان الاستغناء عن ذلك يزيد الانسان شقاء وتعاسة في الحياة ، اذ تكثر أغلظه وعثراته في كل خطوة يتقدمها في حياته العملية .

وغنى عن البيان أن العمر الانساني أقصر من أن يجعل للانسان راحة في مثل هذه الحال .

ولا أدري بعد هذا ما الذي يمنعك من الاعتقاد معي في أن الانسان في حاجة الى الاستفادة من تجارب أبناء جنسه الذين سبقوه • وأنت تدعى بأنك لا ترضى بأمر ما لم يكن مبنيا على الحس لا على الوهم والخيال • ولعلك تظن اني أقصد بقولي هذا أن يستسلم الانسان لكل ما قاله وما استحسنه غيره بدون ترو وتفكير • كلا ان هذا ليس من مقصدي ما دمت أعلم أن لكل منا عقلا يميز به الطيب من الخبيث •



كنت أرجو أن لا يصل بك الخيال لدرجة تظن معها بأني سأدعوك متهوسا أو خائنا فأنت في نظري معظم في كل وقت • لا لانك صديقي وان لي صلة بك ، بل لانك رجل تحترم مبادئ غيرك احترامك لمبادئك ولانك بعيد عن تهور أو إنقياد أعمى •

ولو لم تكن فيك سوى هذه الخصلة لكفى أن أدعوك عظيما بكل ما في العظمة من المعنى • لانه ليس بين الفريق الاعظم من كتابنا العقلاء ذوى المقدرة والكفاءة — كما يدعوهم بعض الاغرار الذين لا يزال الحجاب بينهم وبين الحقيقة كثيفا — من يخلو من أغراض نفسية منحطة ومآرب شخصية سافلة • تدلك على ذلك كتاباتهم التي لاتزال تزعجنا من حين لآخر • أو ليس العظيم من يعظم غيره اذا كان يستحق التعظيم •

• أخي

لعلك تريد بقولك (كل الناس سراق ...) ان الرذائل هي السائدة اليوم بين أفراد المجتمع وان الفضائل لم يبق منها الا الاسم ومن يتمسك بها فهو ضائع في هذه الحياة الدنيا •

نعم أنا وأوقفك في قولك هذا مادنا في مثل هذا المجتمع الفاسد ، الا اني لست ممن يسيئون الظن في المستقبل • فجل اعتقادي أنه من الممكن القضاء على كل الشرور وتخليص المجتمع منها ما دامت هي والسنن الطبيعية على

طرفي نقيض • فان كان وجودها اليوم عرضي لخلل طراً على المجتمع فقد يمكن
ازالتها بتحسين طرق التربية على مرور الايام •

بقيت علينا هنا مسألة واحدة ان وافقتنى فيها فقد اتفقنا في آرائنا فاني
اعتقد أن الانسان مدنى بطبيعته أى راغب في عمل الخير لذا يمكن تخليصه
من هذه الشرور بالسعى المتواصل اذ أنه لم يكن مجبولاً على الشر •

جاء في بعض الامثال (على قدر البساط مددت رجلى) وفي هذا حكمة
وعبرة لمن اعتبر • فان كانت قوانين البشر - كما قلت أنت - سافلة لانهم
سافلون • فلا يحق لنا التعامل عليها لان الواجب يقضى بأن لا تكون
القوانين فوق ادراك مسنيها أو طاقتهم • غير أنه يحق لنا الاعتراض عليها وعلى
بعضها متى ما علمنا أن مسنيها لم يكونوا لائقين لمثل هذا الامر الخطير •



قبل الحرب العامة بزمن يسير نشر اللورد كرومر كتابه المشهور الذي
طعن فيه على الدين الاسلامى فلما منه انه توصل الى حقيقة جديدة فأظهر للسلا
مساوىء الدين الاسلامي واضراره فقامت على أثر ذلك حرب أدبية شعواء
في مصر دامت مدة لا يستهان بها ولم يكن في الامكان توقيف تلك المجادلات
الدينية الطويلة العريضة لو لم يتداخل في الامر بعض العقلاء من كبار
العرب (سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين) اخص منهم بالذكر الدكتور
الطيب الذكر شبلى شميل • فأظهروا خطأ كل من المتجادلين وخروجهم عن
الطريق السوي في مناظرتهم لتشييعهم وتحزيبهم لما هم عليه من الاعتقاد •
فاللورد كرومر حكم على سوء نظام الدين الاسلامي وعدم صلاحه للمجتمع
بمجرد نظره الى انحطاط الامم الاسلامية في هذا العصر وهو حكم باطل
يشهد ببطلانه كل من له وقوف على الدين الاسلامي وتاريخ الامم الاسلامية
منذ تمسكها باهدابه حتى الان ••••• وكذلك كان معظم كتاب المسلمين في
ردودهم على خطأ لانهم حاولوا أن ينكروا انحطاط الامم الاسلامية في هذا

العصر ظنا منهم ان اعترافهم بتلك الحقيقة يضر بدينهم ولم يعلموا أن السبب الوحيد في هذا الانحطاط هم أصحاب الحل والعقد من المسلمين لا الدين نفسه .

هذا استطراد عرضي أحببت أن اورده الان لاذكرك بمنشأ أغلاط كستاف وشكسبير المشابهة كل التشابه لاغلاط كرومر وأحكامه الناقصة التي ينقض بعضها بعضا . وكل من الذين مرّ ذكرهم رجال لا يستغنى عن آرائهم في السياسة والاجتماع وغير ذلك .

الا أنهم ذكروا ما ذكروه عن الاسلام وهم مدفوعين بعوامل مختلفة كالتعصب الاعمى لمعتقداتهم أو كسجاراتهم لمعاصريهم من أبناء أمتهم أو خوفهم من الاضطهاد والقتل كما هي الحال في مسألة (داتى) فانه لما أظهر آرائه الحقيقية بصاحب الشريعة محمد (ص) تألب عليه قومه وأجمعوا على حرقه بالنار ان لم يرجع عن آرائه فلم يكن في وسعه مخالفتهم .

وعلى كل فان خفيت هذه الحقيقة (حقيقة الاسلام) الان عن أنظار العالم فلا بد من أنها ستظهر بمظهرها الحقيقى ولو بعد حين ، من غير أن تكلفنا قطع علاقتنا مع العالم المسيحي .



أما ما ذكرت في آخر رسالتك في عرض كلامك عن القوانين فما ذاك الا دليل على عدم رضائك بهذه الحال ، وهو ما أتفق به معك بيد أنى لست متشائما فجل اعتقادى أن الانسانية ستتقدم تقدما باهرا وان تعاليمها الصحيحة ستنتشر بين سكان البسيطة ولو كلف ذلك مئات بل الوف من السنين والاعوام ، لازالة المعتقدات الباطلة من الازهان .

ع . ب

الرسالة التاسعة

اعتقادي

٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠

• اخي عوني •

كأنى بك وقد وصلت بكتابتك الى حد يمكننا التفاهم به بوضوح وجلاء
ودرجة نستطيع بها من انتهاء الكلام •

وهائنا ذا أبسط لك آخر ما عندى من المعتقدات مع التقرب الى حد
التفاهم شيئاً فشيئاً ، ولكن على طريقيتى التى اتبعتها من ذي قبل •

• اخي • من اعتقادى أن أعيش في وحدة واستقلال تام ، لاني أنا في
الناس وغريب عن الناس • وان اجتهدت ما استطعت لاطهار الحقيقة التي هي
الشعار الوحيد لكل من البشر مع أنه يسترها ويخفيها الا وهي :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه

وليس عليه أن يساعده الدهر

لهذا وذاك أقر بأول كلمة من كلامك في الرسالة الماضية أعنى ما قلت
(الاستفادة من التجارب) فليستند غيرى من تلك التجارب القديمة ، تجارب
البشر السابقين ، أما أنا فلا •

• هذا مع احترامي لذلك •

وكذا (القوانين) فأنا أقر أيضا بنفاستها وجودتها ، ولكن للذين هم
يرضون منها ويستحسنونها • أما أنا فلا •

• هذا مع احترامي لذلك •

وهكذا (الفضائل) فأنا أقبل ما قلت بانها ستسود على المجتمعات في المستقبل • وان كلف ذلك ألوفا من السنين • فليطسُن بذلك غيرى من الذين ينظرون لالف سنة في غياهب المستقبل ، وهم عما قريب الى القبر صائرون ، اما انا فلا •

هذا مع احترامي لذلك •

وهكذا (آراء علماء الافرنج وتعاليمهم) فأنا أرضى لغيرى ان يتخذها او يتخذ الذى يعتقدده صالحا منها حجة له أو ناموسا يسير عليه في الحياة الاجتماعية ، اما انا فلا •

هذا مع احترامي لذلك •

وهكذا (التقرب الى العالم) ، فليتقرب اليه وليتحد معه غيرى ، ذلك الاتحاد الكاذب الموهوم الذى لو سلمنا بالمستحيالات لكان وحده هو المستحيل في الدنيا ، اما انا فلا •

هذا مع احترامي لذلك •

أما ما ذكرت من انك لست متشائما وتعتقد بتقدم الانسانية في المستقبل ، فذاك أمر غامض سيكشفه الزمان • والزمان مجهول •

س ٢٠



الرسالة العاشرة

الكلمة الأخيرة

٤ جمادى الآخرة ١٣٤٠

أخي محمود •

منذ صرفت أجنة الفكر وقلبت وجوه الأمر في مراسلتنا ، كنت قد عولت على أن لا انتهى من كلامي الا وقد توصل كل منا الى نتيجة يحسن السكوت معها ، كما أشرت اليك في رسالتي الماضية • ويقرب من ظني اننا توصلنا الى النتيجة نفسها لذلك فأنى دعوت كلمتي هذه (الكلمة الآخرة) •

تلوت رسالتك الماضية ثلاث مرات ، وفي كل مرة ذهبت في تفسيرها مذاهب شتى ، حتى أشتبه علي الأمر ، ولم أعلم كيف أجيب عنها ولست أدري هل كان ذلك ناشئا عن تعابيرك المشككة التي يمكن تفسيرها بمعان متباينة وصور متعددة ، أم عن عدم تمكن من ضبط مخيلتي التي تاهت بي (حين قرأت الرسالة) في كل واد :

وعلى كل فأنى أشكرك على كلمتك الآخرة التي دلت على احترامك مبادئ غيرك ممن يخالفونك في معتقداتك •

★ ★ ★

- القوانين ثمرة عقول البشر
- الانسانية في تقدم نحو الكمال
- الانسان مجبول على الخير بطبيعته

كل تلك الامور يعتقد بها جماعة من كبار المفكرين في هذا العالم ، يتبعهم فريق عظيم من الناس ، وهم لا يزالون يعملون كلما في جهودهم ويتفادون

بأنفسهم في سبيل تحقيق أمانيتهم ، وهم يحمدون على ذلك سواء أصابوا أم
أخطأوا . لأنهم لا يقصدون بعملهم الا الخير ، ولا يضررون الا السعادة
والهناء لابناء الانسانية كافة .

أجل . هذا ما أعتقده أنا وكل حزب بما لديهم فرحون - وما أعظمك
لاحترامك اياه .

كل ما في هذه الحياة سر من أسرار الطبيعة وكل ما فيها متحرك غير
ثابت . ولعل التفكير في ذلك يوقع الانسان في حيرة وارتباك كما هو معلوم .
وانى لا أكاد أجزم في ان آراء الانسان وافكاره معروضة للتغير في كل
طور ، بل وفي كل دقيقة من دقائق الحياة .

ذاك ما نعتقده ، وتلك هي آراؤنا في الحياة . وكلانا قد ناقش صاحبه
فعلى من يطلع على هذه الرسائل في المستقبل ، ان يحكم لمن شاء على من يشاء
والسلام .

ع . ب



بعد الرسائل

فكرة الانتحار

لم يكن ظني بصديقي (س . م) ان أرى فيه رجلا حانقا على نفسه وعلى المجتمع لذلك فقد كان استغرابي عظيما يوم كانت تردني رسائله ، حتى ذهب بي الوهم الى أن هناك يدا خفية كاتبتني وحاججتني باسم صديقي المذكور . ذلك لاني عهدته يوم مفارقتي اياه شابا مسرورا بحالته راضيا عن مجتمعه .

اتتهت رسائلنا وما هي الا أيام معدودة حتى جمعتني الصدفة وياه في مجمع حافل ، كنت اترقب الفرص فيه لاخلو به . فما انقض المجمع حتى استأذنت رفاقي . . .

تقابلت مع صديقي لأول مرة بعد مفارقتنا زمنا ، وما هي الا برهة حتى زالت كل ظنوني وصرت أعتقد ان قد تغير كل شيء فيه ، وان ما وردني من الرسائل لم يكن مصطنعا أو مزورا .

مرت علينا أيام تلاقينا فيها للمرة الثانية والثالثة فالرابعة وفي كل مرة كنت أراه فيها حزينا متألما .

وفي مرة بينما كنت أحاول تسكين خواطره اذ ناولني ورقة وهو يقول .
« هذه - هي يا أخي - آخر آمالي في الحياة » .

فما كدت انظر اليها حتى هزني التأثر هزا عنيفا ، حيث رأيت كلمة الانتحار تتخلل كل سطر من سطورها . وقبل أن أكمل قرائتها اختلط بنا بعض الاصدقاء ، فحال ذلك بيني وبين ما اروم . . .

ودعت صديقي . فجلست ليلتي وأمامي تلك الورقة، وأنا متحير مضطرب

تتقاذفني أمواج الافكار ، وتتلاعب بي زوابع الاوهام ، وما بين آونة وأخرى
أتنفض كمن فوجيء بضربة هائلة فأسأل نفسي : لم يريد الانتحار ؟ •
كان العوز والفاقة كما يقول البعض يصغران الحياة في عيني صاحبها
ويدفعانه الى القضاء على نفسه بنفسه ، فان صاحبي ليس من المعوزين ولا من
المحتاجين •

اذن فلم يريد الانتحار ؟

لو كان في زمان غير زماننا هذا وفي حال غير حالنا الحاضرة لربما خطر لي
انه يريد الانتحار تخلصا من عدو عنيد دعاه للمبارزة وهو يعتقد ان ليس في
استطاعته مبارزته ، وانه ان بارزه خاب وألصق الناس به عار الضعف والجبين
ولكن هيهات يكون ذلك ونحن في القرن العشرين •

للحب سلطة عظيمة على النفس وان المحب الذي لا يستطيع الحصول على
بغيته كثيرا ما يلتجئ الى قتل نفسه • ولكن كل ما رأيته في صديقي يدل على
انه ليس من المحبين ولا من العاشقين •

اذن لم يريد الانتحار ؟ •

مرت كل هذه الامور وسواها أمام مخيلتي كما يمر الشريط في مسرح
الصور المتحركة ، وفي كل مرة لا أهتدي الى جواب •

ثم شعرت كأني وقعت على سر مكنون •

فقلت في نفسي لقد صدق علماء الاجتماع حيث شبهوا المجتمع بجسم حي
وشبهوا الاختلالات والجنايات التي تحصل فيه بأمراض له •

أجل • الانتحار مرض من أمراض الاجتماع وعلة من علة التي لم يهتم
لا علماء الحقوق ، ولا رجال القانون حتى الآن بإيجاد دواء له •

هم يقولون : « المنتحر مجنون ، فاقد الشعور ، ضعيف العقل » أخطأوا ،
ليس المنتحر مجنون لانه حين قدومه على الانتحار لا يقوم الا بأعمال اختيارية ،
فهو عاقل مفكر حساس •

نحن لانكر عليهم ان الانسان فطر على حب الذات ، ولكننا نخالفهم
اذا قالوا ان المنتحر عدو لنفسه غير محب لذاته . ذلك لاننا لا نريد ان ننظر الى
المسألة نظراً بسيطاً . ولئن كنا نعتقد ان للبيئة تأثيراً على الانسان فاننا لا تتأخر
عن المجاهرة بأعلى صوتنا قائلين :

أنتم معشر الحقوقيين ، ورجال القانون ، أنتم انفسكم صرتم سبياً في
شقاء هؤلاء الشبان وانتحارهم .

هذه مبادئكم ، وذاك هو النظام الاجتماعي الفاسد الذي اقمتموه عليها
وتلك هي نتائجه المضرة .

الاتحار . القتل . السرقة . النهب . فساد الاخلاق . كل من هذه
مظهر من مظاهر تعاليسكم المشوشة ومبادئكم المتناقضة فمتى تقتنعون بسقامتها؟
مالكم تتسادون في خيالككم ، وتتناهون في الضلال ؟

ما هذا الغلو في حياتكم النظرية والتقصير في أعمالكم الحيوية ؟

أفلا تعترفون بتطور العقل الانساني وتقدمه ؟ اذن فلم لا تتطور قوانينكم
وتصلح مبادئكم وفقاً بالحال ورحمة بالعباد ؟

صوت ضعيف أضمه الى أصوات المصلحين ، لعل الله يصلح الحال ويرجع
اليكم الرشيد .



منذ كتبت يدي هذه الكلمات أخذت اسعى مع رفاقي في تلطيف خواضر
صاحبي (السيد محمود احمد) حتى أظنني قد أصبحت من النجاح على قاب
فوسين أو أدنى .

عوني بكر صدقي

تمت

هياكل الكهين

عبر وعظات في حكايات
وفكاهات مقتطفة من سفر
حياتنا اليومية ، ان اعرض
الناس عنها غاضبين فليرضوا
عن تلك الحياة ، ان هي
الا خير لم وابقى حتى بنشأ
النش' الجلد ١

محمود أحمد

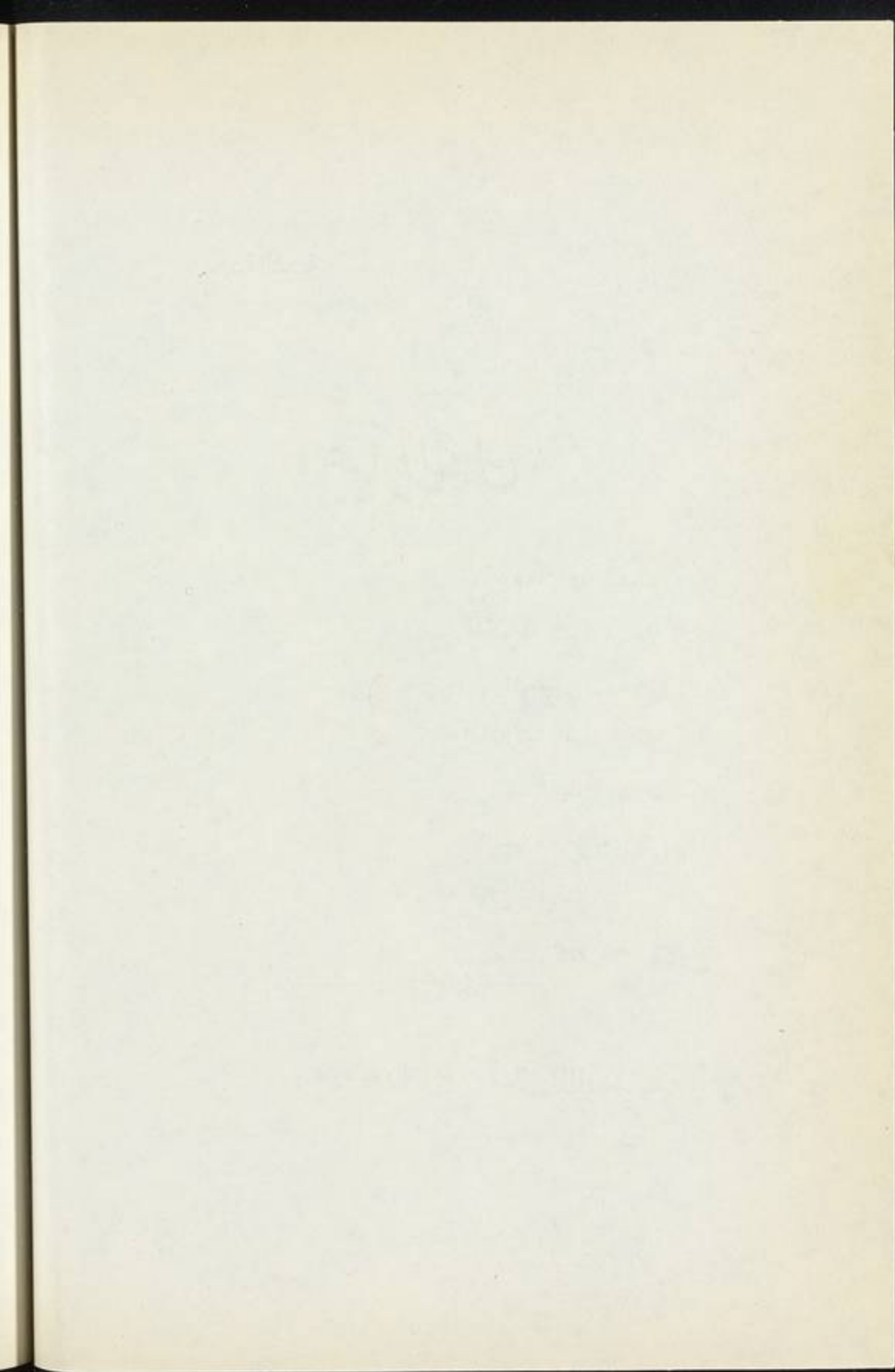


محل البيع والتوزيع : المكتبة العصرية

الشمس

٤

آنا



مكتبة الشبيبة

هياكل الجهل

عبر وعظات في حكايات
وفكاهات مقتطفة من سفر
حياتنا اليومية ، ان اعرض
الناس عنها غاضبين فليرضوا
عن تلك الحياة ، ان هي
الاخير لهم وابقى حتى ينشأ
النشء الجديد !

محمود احمد

المقدمة

١٥ نيسان ١٩٢٣

كنت اتسنى ان اكتب في كل يوم من ايامي كلمة بسيطة اضمنها ما اصادفه فيه من الحوادث تجري امام عيني • ولكن أنى يتسنى لي ذلك؟...
أجل فلولا ان نفسى السائمة المتقرزة من الحياة ههنا تأبى ان تطلع القراء في الاقطار النائبة ، على ما فينا من العيوب والنقائص الاجتماعية - خشية اعداء الحقيقة الالءاء في هذا السواد - لكتبت منها ما كتبت حتى تفيض عن المجلدات •

اما ما يراه القارئ فيما بين يديه من الوريقات الحقيمة المحدودة فهو قطرة من بحر • ولقد كتبت بكل حذر واحتراز ، ومع ذلك فلا يعجب البعض اذا قلت بانها ربما كانت هدفا لسهام الطعنات واللعنات •

محمود أحمد

هياكل الجهل

- ١ -

الكتب

تركنا جيقة في الشرق فهجمنا
على جيقة في الغرب والخبز
بين ايدينا نعرض عنه ونحن
جائسون !

(١٠٢)

١٥ تشرين الاول ١٩٢٢ •

مررت ظهر اليوم بالمكتبة العصرية والمكتبة العربية ومكتبة الشرق ومكتبة الزوراء فألفت على باب كل منها موزعا من موزعي الصحف اليومية واقفا يصيح بأعلى صوته :-

(الروايات الحديثة • الروايات العصرية • الرواية في آتين • جونسون • جونسون • طرزان • في ١٢ آنة) •

ثم نظرت فرأيت امام كل من هؤلاء اكداسا مكدسة من الروايات والحكايات وان شئت قل من الخرافات والخزعبلات ما شاءت المطابع وشاء المؤلفون •

اما الافندية فلا تسئل عن تراحمهم وتكأ كؤهم اللطيف على اولئك الباعة وتلك البضاعة - كيف لا ونحن في عصر النهضة العلمية الهوجاء !!!

★ ★ ★

بعد ساعة من الزمن كنت جالسا الى مكتبي منقبض النفس ضيقه
الصدر وانا افكر .

فكرت طويلا ثم تناولت كتابا كان على المنضدة امامي عليه هذا
العنوان : (فن التأليف الحديث) .

قلت افتحه لعل اجد فيه ما يريحني من هذا العناء الفكرى .

فتحته وقلبت الورقة الاولى فالثانية ثم قرأت :

(لقد طفح الكيل وبلغت الروح الحلقوم ، وقام المنادي ينادي ان
انبذوا تلك التأليف العتيقة بل تلك الكفائن البالية التي ورثوها عن
آبائكم واجدادكم . القوبها عرض البحار . اطمسوا معالمها . احجبوها
عن الانظار . لقد اكل الدهر عليها وشرب ودب السوس في جلودها فما
عادت تصلح لعصر النور والعرفان . ارخوا سدالا كثيفا على تلك الشروح
والتعليق الطويلة العقيمة ، وتعالوا معي القوا نظرة واحدة الى عالم
التأليف الراقية التي تدهش العقول وتلذذ النفوس وترقى بالامم الى اوج
الكمال . ولا عجب فمن بطونها خرج العلم الصحيح ومن ثناياها
انبثق الادب الرائع وعلى اعمدتها بنى الاختراع والاكتشاف بل من قلوبها
انفجر نور الحرية والاستقلال) .

قرأت هذه العبارات قراءة حماسية شديدة وما انتهت منها الا
وصرخت قائلا :-

ولقد طفح الكيل وبلغت الروح الحلقوم وقام المنادي ينادي ان
انبذوا هذه التأليف الخرافية الجديدة من روايات بوليسية وقصص غرامية
وحكايات خيالة اتنا كالسيل من بلاد الافرنج .

• نعم • انبذوا كل قديم عندكم • احرقوا كل الكتب البالية العتيقة •
• ولكن ابدلوا كل ذلك بشيء جديد خليق بكم صالح لحياتكم المقبلة •
• اتركوا الخيالات وتمسكوا بالحقائق ثم الفوا او اقرأوا الكتب التي
تعلمكم وتعلم ابنائكم طرق الحياة في جيل اليوم والاجيال الآتيات •



النايغة

احتكار التعليم مظلمة من
مظالم القرون الوسطى لن
ترقى الشعوب حتى تزول
من عالم الوجود .
(ج . ج . روسو)

آخر آب ١٩٢٢

في ناد ضخم الاسم ضئيل الغاية والمبدأ ، اجتمع رهط من المتمدينين
الجدد يتسامرون ويتحادثون باحاديث مختلفة متنوعة كانت كلها تدور حيال
السياسة والعلم والشؤون الاجتماعية وموضوع اكل لحم (زيد وعمرو)
في آن واحد .

اخيرا جرت الالسن في مجرى الحالة العلمية في المدارس العراقية ،
فاخذ احدهم - واحسبه مديرا لمدرسة قروية - يشرح كيفية الامتحانات
التي جرت منذ اسبوع واحد فاسهب فيها واطنب حتى كل ومل فمل منه
الحاضرون .

وبينما كان متمادياً في كلامه اذا بصوت رقيق يقاطعه ، فنظر واذا ذلك
الشاب الظريف ، ذلك الموسر المترف ، ذلك الشريف النبيل يوجه اليه سؤالاً
قائلاً : -

- هل سمعت شيئاً عن الامتحان الدخولي لطلاب مدرسة الحقوق
الجدد ؟

- نعم . واني اعلم مقدار الناجحين منهم ايضاً .

— كم هو عددهم ؟

— أربعة عشر من أربعة وعشرين •

— اتعرف اسمائهم ؟

— لا ياسيدي •

فرني الشاب الى الحاضرين باعجاب وغرور وقال مبتسما : هل من احد منكم يعرف اسماء الناجحين ؟

فلم يجبه احد ولكنه استمر بحديثه العذب بعد ان دخل في طور الجدل لا اللعب فقال :

(افندم) انا احد الناجحين •••

ثم سكت ولا اعلم لم لم يتم حديثه عن بقية اصحابه ؟

★ ★ ★

والبك الصغير هذا هو خريج مدرسة ابتدائية ، قفز قفزة واحدة ترك بها المدرسة الثانوية وراء ظهره ثم تعلق بابواب مدرسة الحقوق — اهلا وسهلا بالقادم الكريم •

★ ★ ★

هو يحسب ان الدنيا لهو ولعب وان اكثر الجدل هزل •

• ابوه يحسب ان ولده نابغة •

• الناس ينظرون ولا يرون •

والامر سيبقى هكذا تحت ستار مسدول • وسوف لا تمر اربع سنوات الا وتراه متربعا على كرسى من الكراسي الفخمة العظيمة ، وامامه منضدة (البليارد) تتدحرج عليها الرؤوس •

رواية بنت القمر

- في السنما -

- الليلة الاولى -

٢٤ ايلول ١٩٢٢

الصور تتحرك • والموسيقى تعزف • والناس يصفقون اعجابا
• وسورا •

يصفقون ولماذا يصفقون ؟

لان الابيض يهجم على الاسود • لان الغربي يدوس الشرقي بالنعال •
لان ضابطا اميركيا يحتقر حاكما افريقيا •

نعم • ذلك هو البطل وهذا هو الوغد في هذه الرواية السنماوية •
هكذا أراد مؤلف الرواية ، وهكذا ارادت شركة السنما ، وهكذا كان •
اما اتم ايها الشرقيون فلماذا تنظرون ولا تفقهون ؟ ولماذا تضحكون على
انفسكم ثم تسخرون منها وتهزأون ؟

- الليلة الثانية -

١٨ تشرين الاول ١٩٢٢

الآن عدت من السنما وانا - ايها القارىء - ارتجف ارتجافة
العصفور بلله القطر ، واعصابي اختل نظامها الى درجة اكاد افقد بها
الاحساس والشعور •

الآن عدت من السنما وأنا أتذمر وأصخب والعن طول الطريق ولكن
أيجديني ذلك نفعاً ؟

كانت الصور - كما كانت قبل ايام - تتحرك امام انظار الناس ،
والموسيقى تعزف بالجانها الشجية فتشغف مسامع الناس ، والناس يصفقون
اعجابا وسرورا •

كنت في مقصورة انا واثنان من رفقائي ، ننظر الى الصور تارة والى
النظارة تارة اخرى ، فلا نرى ولا نسمع الا ما يضحك وما ييكي ، والا
ما يجلب الهزؤ والسخرية والحزن والاسف الشديد •

سكنا وسكتنا حيث صفق الناس ، ثم صفقنا في مشهد مهول كان
السكون سائدا فيه فأوجب ذلك الى حدوث الاستغراب بل الهزؤ والسخرية
المرّة من الجمهور •

صفقنا ولم صفقنا

صفقنا لان اولئك الافريقيين (سود الوجوه) قد ناضلوا (بيض
الوجوه) الى آخر نفس ودافعوا عن اكواخهم وخرائبهم الى آخر رمق
من الحياة •



السيدة !!!

رواية تمثيلية حقيقية
(ريناليسيت) في فصل
واحد .



(يرفع الستار عن سيدة جالسة على كرسي ضخم عليها آثار النعمة والترف ، وتبدو على محياها مظاهر العظمة والكبرياء ، وامامها فتاة فقيرة ترتدي اطمارا بالية ، واقفة وقوف الذل والانكسار ، ومن كلامها يظهر انها طالبة الاستخدام في منزل تلك السيدة الارستوقراطية) .

السيدة

والان .. انت تطلبين الاستخدام في بيتي المحروس !!

الفتاة

نعم سيدتى .

السيدة

ما اسمك ؟

الفتاة

سعاد .

السيدة

ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

الفتاة

اسمي (سعاد) يا سيدتي •

السيدة

سعاد ! سعاد ! ان هذا اسم لا يليق ان يكون لخدمك امثلك ابدا • ولو
فرضنا انك دخلت في خدمتي فلا يجوز لك المحافظة على هذا الاسم •
والافضل ان نسميك (عمشة) •

الفتاة

لك الامر والمشيمة •

السيدة

من اية مدينة انت ؟

الفتاة

لست من اهل المدن • انما انا من قرية من قرى البصرة •

السيدة

(تتكلم باستخفاف)

ما شاء الله ! اسمعي اسمعي يا هذه : اننى اكره القرويات كرها
شديدا لانهن لا يكن الا قذرات لا يصلحن لخدمة البيوتات •

الفتاة

لا يا حضرة السيدة اننى لست ممن تذكرين •

السيدة

سيتضح لنا ذلك •• كم يبلغ عمرك ؟

الفتاة

٢٥ سنة •

السيدة

(تتكلم بفضة)

ما هذا ؟ هل تكلميني هازئة بي • انا لا اريد منك حسابا كاذبا ابدا •

الفتاة

حاشا حاشا ان اسخر منك او اهزأ بك • بل ارجوك ان تتأكدي من صحة قلبي • واذا كنت قد رأيت في وجهي بعض التجاعيد فانما هذه آثار المرض لا آثار الكبر •

السيدة

وي • وي • هذه مصيبة اخرى • افتحي عينيك يا سيئة الحظ • انني لا اقبل في بيتي امرأة مريضة ابدا •

الفتاة

(تتكلم بخجل)

عفوا سيدتي • انني كنت كذلك قبل مدة اما الان فقد شفيت والحمد لله على العافية •

السيدة

هذا امر تعرفينه انت •• دعينا الان منه •• اعلميني : ماذا تعرفين من اشغال المنزل ؟

الفتاة

اعرف كل شيء من امور تدير المنزل مع الخياطة ايضا •

السيدة

نريد تربية دجاج وطيور داجنة • هل لك المام بهذا العمل ؟

الفتاة

لا اخال ذلك داخلا ضمن وظيفتي •

السيدة

(تتكلم بشدة)

ان وظيفتك هي كل ما تأمرك به ربة البيت •

الفتاة

ولكن ...

السيدة

ولكن • ولكن • اني لا اعرف معنى هذا الكلام • اعلمي بانه يجب ان يكون من جملة وظائفك كنس البيت ورشه مع تنظيف السلم وغرفة الاكل وغرفة النوم • ثم ذلك حلقات الابواب ومساميرها « البرونزية » البارزة • وعلاوة على ذلك تنظيف زجاج الشبايك كل يوم وكذلك غسل الملابس مع الكوي والخياطة والتنظيف اذا امكن • ويجب ان تراعي في كل هذه الاحوال النظام • اجل النظام قبل كل شيء • ثم لتعلمي بانني امرأة اكره الاسراف والتبذير وعليه ينبغي عليك اذا احتجت الى شيء ان تطلبيه مني لاني سوف لا اسلمك المفاتيح ...

الفتاة

(تنظر بحيرة ودهشة ولا تتكلم)

السيدة

كم يجب ان يكون راتبك ؟

الفتاة

• « ٢٠ » ريبة •

السيدة

(وهي تصرخ)

«وي ! عشرون ريبة • هل انت مجنونة • نحن كنا نعطي للخادم سابقا
ثمانين غرشا اي « مجيدي » واحد فقط • فهل من نسبة بين هذا الراتب
وما تطلبين ؟

الفتاة

الامس مضى • وحالتنا اليوم لا تشبه الحالة بالامس • ثم انى كنت
لحد الان مستخدمة براتب « ٢٠ » ريبة •••

السيدة

يا سيئة الحظ • تستطيعين الان ان تستخدمى عند اولئك الذين كانوا
يستخدمونك بذلك الراتب •• يكفي الكلام •• تفضلي •• الباب واسعة •

الفتاة

(تتردد قليلا ثم تقول)

(١٥) ريبة • أيرضيك هذا المقدار ؟

السيدة

ولا (آنة) يكفي الكلام •• أخرجى •• أخرجى •

الفتاة

(تخرج)

السيدة

(تودعها قائلة)

الى جهنم يا ابنة الكلب • انا لا اقبل عاهرة من امثالك في بيتي •
الله يحرسه ويحرس البك !!!



الشباب المتمددين

٢٩ مايس ١٩٢٢

رجعت الى دارى وانا افكر بحديثى مع ذلك الشاب المتمددين المتظاهر
بالثراء والجاه ، حول موضوع الاشتراكية ، حيث سئلته عنها وعن تعريفها
فاجابني باعجاب وغرور :

انا عالم بها مطلع على كتبها ومؤلفاتها واستطيع ان اعرفها بكلمة
وجيزة •

ثم سكت قليلا وعاد الى كلامه قائلا :

الاشتراكية بخار الفقر •

★ ★ ★

حاولت ان افهمه انه لم يكن اول واضح لهذا العنوان بل هو مقتبس
من كتاب للشيخ مصطفى المنصوري نقلا عن بعض المصريين ، ولكن دافعا
دفعني الى السكوت فسكت •

★ ★ ★

انقضت تلك الساعة معه وانا على أحر من الجمر وكلما حاولت فراقه
والرجعى من حيث اتيت ، يتمسك باطراف ثيابى ويقول :

ساعة اخرى • بالله عليك • تعال نذهب ننظر الكتب الحديثة القادمة
من مصر في بريد اليوم •

صبرت • ثم مشينا الهويينا حتى وصلنا سوق السراي فانصعنا الى

المكتبة العصرية ، ودخلنا الباب مسلمين ، فاقبل صاحبي على الكتب وانشأ
يقلبها كتابا فكتابا ، ثم سئل الكتبي عما جاءه من تقيس المؤلفات ، فناوله
كتابا كتب على غلافه بحرف عربي جلي : (مذكرات بغي) •

قرأ هذا العنوان ثم قال متعجبا : ومن هو بغي ؟ لعله من عظماء
الاعجام ؟ انا سمعت بمذكرات لويد جورج ومذكرات غليوم ومذكرات
اسكويث ومذكرات هندنبرج ولكني لم أسمع بمذكرات هذا الرجل وعلى
ما يظهر انه ليس من المشاهير فلا اهمية لمذكراته • اهـ

يا للعجب ! يا للفضيحة ! يا للجهل !

لقد علا الضحك ، وكثر تهامس الناس من حولنا من اجل هذا الشاب
المهذب ، وهذره وهذيانه ، لا بل من سعه اطلاعه على لغة آباءه واجداده •••

★ ★ ★

وبينا نحن في موقفنا هذا اذ تناول كتابا آخر بيده اليسرى و اشار الى
عنوانه باليد اليمنى ووقف كخطيب خطير يتكلم ويقول :

هذا كتاب اشهر من نار على علم • هذا كتاب (الناشئة) للفيلسوف
« شارل وانير » • جمع فيه حكم الاولين والآخرين • فيه خلاصة الفلسفة
الحديثة • اني رأيتة وقرأته من ذي قبل • والان اوصي كل شاب ان يقتنيه
ويقرأه يامعان • اهـ

فعجبت من قوله وجئت الى جانبه لاراه ففتحه وقرأ منه ما يأتي :-

الاشتراكية : بالمعنى الذى يفهم من اللفظ هي تثبيت دعائم الحياة
الصحيحة الراقية ومبادئ التضامن العام واحترام الحرية الشخصية وربط
الفرد بالجماعة ارتباطا يكون به لهم ويكونون له •

ومن مبادئها الاهتمام بشئون الناس عامة وعلى الخصوص بالضعيف
والطفل والمرأة ثم بالمحتاج والمنكوب والمتألم والمظلوم •

ومنها اعتبار ما يؤدي من الخدمات في هذا السبيل كأنه للإنسانية عامة • ومنها ادراك حقيقة العلاقات التي تربط الفرد الى الجماعة وهذه الى الهيئة الاجتماعية كافتها ، والجميع الى ادوار التكون الاجتماعي • وكذلك العناية بكل ما يفضى الى تحسين أحوال الحياة والى ازالة الخصومات من بين المختلفين والاحقاد من قلوب الناس • اهـ

الى هنا وقف صاحبنا وقوفا قسريا وحرنا حماره ، وقد امتنع لونه وسقط الكتاب من يده على المنضدة •

فصرخت من فوري :-

بخار الفقر ! هذا بخار الفقر !!

أما هو فاطرق الى الارض وعلاه احمرار الخجل ثم اضطرب في مكانه • وما ادرت نظري الى الحاضرين الا ورأيتهم كلهم يوجهون الينا نظرات التعجب والاستغراب •

عدت اتشاغل بالكتب المرصوفة امامي ، وما هي الا برهة قصيرة حتى التفت الى صاحبي • ولكن اين صاحبي ؟

- هرب وغول الجهل يعدو ورائه •

(١)

الذئب البشري

ايه ايتها الانسانية ! بينما
انت معذبة هناك في الجسم
الذي تتعذبين فيه ، اذا
بك وهنا تتعذبين في جسم
المرأة ، في دور الزواج .
(م . ١٠)

حدثني رفيق من رفقائي ، قال :-

كانت الفتاة النبيلة «س» قد وقعت في شرك الهوى عفوا فاجبتني ثم
عشقنتني واصبحت مغرمة بي غراما فاق غرام ليلى بمجنون . اما انا فكنت
احبها حبا لم يصل الدرجة التي وصل بها لديها ولكني اقدر ان اسميه :
حب الرحمة والحنان .

لم التق بها ، ولم اكلمها بشيء غير ان الصدفة جعلتها تراني مرة اعقبها
كل ذلك .

كثبت لي بصورة سرية تارة تشكو بثها وتارة تعرض عدم اصطبارها
واخرى تطلب التلاق ...

صبرا صبرا . لا تتسرع في الظن فانها ارادت التلاق ولكن بالزواج
الشرعي .

مسكينة هذه الفتاة . فقد ظنت ان الشرع امر يمضي حكمه على كل

(١) نشرت في غير هذا المكان خطأ . (المؤلف) . وهذا المكان هو مجموعة
النكبات وقد نشرت هناك باختلاف لا يستحق الذكر تحت عنوان « بين
سكان القبور » . (المعدان)

شيء في الوجود ولم تدر بان هناك ما هو اعظم منه واكبر الا وهو سلطان
القوة والجبروت .

لم اكن مستطيعا على اجابة طلبها ذاك بل ولا قادرا على التكلم به
بوجه من الوجوه لانها ابنة ذلك الشريف العظيم ، وانا ذلك الشخص الـ . . .

★ ★ ★

آن اوان مساق النعجة الى مذبحها او قل جاء وقت زواج تلك الفتاة
فزفت الى شاب من اعيان المدينة لم تكن لها او لاهلها علاقة معه تستوجب
ذلك سوى انه امهرها الفا من الليرات .

استعاثت الفتاة ما شئت ، وبكت ما استطاعت على البكاء ولكن
لا مشفق ولا راحم ولا سامع ولا مجيب .

بعد ان اخذ ذلك الذئب الخاطف او ذلك الذي يزعمون انه زوجها
عصمتها بثلاثة ايام اصبحت واذا هي مختلة الشعور ذاهبة العقل تهذي
وترغى وتزبد وتشق ثيابها الى غير ذلك مما يأتيه كل مجنون .

وما افلت شمس ذلك النهار حتى ادخلت غرفتها لا بل مجسها مقرنة
بالاصفاد كأنها جاءت لتقوم مقام اولئك المجرمين فيما يستحقونه من
العذاب .

★ ★ ★

كنت جالسا - في احدى القهوات - الى جانب صديق من اصدقائي
اتكلم معه عن تلك الشقية البائسة ، ولم افوه باسمها حتى وقعت عليّ
ضربة شديدة من ورائي ألمتني جدا .

قمت مرتجفا ارتجافة الغضب ، وقد رفعت كرسيي لاضرب به الضارب
واعتدي عليه مثلما اعتدي عليّ ثم التفت واذا زوج تلك الفتاة واقف
يتمايل من شدة السكر وهو يقول :

أتكلم على زوجي «س» ؟

فار بجسمي دم الانتقام فوقت اثار لي ولها من ذلك الطاغية الغشوم .
وفي التو واللحظة عاجلته بضربة وثانية وثالثة حاسبا اني اقضى على جرثومة
من جرائم هذا المجتمع . ولكني لم استطع على اجراء عمليتي هذه اذ هجم
عدة رجال وافنهم من خدمه وسدته واعوانه فاقبلوا عليّ بالضرب
والطعن ، وهم يظهرون للناس انهم ينقذون الرجل من يدي كأني انا المعتدي
عليه .

قتلني الغضب والحقق ، وارتدت ان اتحرك حركة ، حركة واحدة اثار
لي بها من ذلك السيد النبيل ، ولكن اني يتسنى لي ذلك ويني وبينه
اسوار من فولاذ : المال والقانون والهيئة الاجتماعية ...

— اذن أقتل نفسي ؟

— لا . اصبر لعل الزمن ينقلب .

★ ★ ★

كنت كلما اخرج الى الاسواق ، وامر من بين الناس ارى العيون
ترمقني والافواه تتكلم عني ، ولكن بماذا ؟

انهم كانوا يقولون « أنظروا ، أنظروا الى ذلك المسكين ، ذلك الذي
لم يمسك حده ويقف عند قدره ، فتعرض او تحكك بمن هم اعظم منه ومن
اهل المدينة شرفا وقدرًا فلاقي جزائه ، يستحق ذلك واكثر » .

ثم اسمع بملء اذني الضحك ، وكلمات الهزؤ والسخرية ، والسباب
والشتم فالوي عنهم وامضي لشأني .

اخيرا فررت من هنا ، ولم يمض علي الشهر حتى وصلت المحل الذي
اردت الوصول اليه .

بقيت هناك بعيدا عشرة اشهر مرت عليّ مر السنين ثم رجعت فوليت
وجهي شطر البلاد التي طردتني •

حللت ههنا ، وانا أسئل في السر عن تلك الفتاة •

— اين الفتاة؟؟ اين هي الفتاة «س» ؟

— هناك بين سكان القبور •



القلم المكسور

النفس طموحة والدماغ مفكر
لكن القلم مكسور لم يستطع ان
يرسم لهما عن صور غير التي بين
دفتي هذا الكتيب الصغير .

محمود احمد

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text below the first line, possibly a subtitle or a line of a list.

Handwritten text in the middle of the page, possibly a section header or a main heading.

Handwritten text in the lower right quadrant of the page, possibly a list of items or a detailed note.

القلم المكسور

النفس طموحة والدماع مفكر .
لكن القلم مكسور لم يستطع ان
يرسم لما من صور غير التي بين
دفتي هذا الكتيب الصغير .
محمود أحمد



محل البيع والتوزيع : المكتبة العصرية

العدد

٤

آفات

٣

المقدمة

١٧ مايس ١٩٢٣

كل منا له نظرة : نظرة في المجتمع • نظرة في المحيط المحدود • نظرة في المجتمع الصغير • نظرة في البيت ونظرة في الكوخ الحقيق • الا ان من يعنى بتدوين هاتيك النظرات قليل ، واقل من القليل •

★ ★ ★

الكتيب الذى بين يدي القارئ : مجموعة صغيرة — صغيرة جدا — لبقايا سلسلة طويلة مضمحلة من نظراتى اليوم • املى ان تجد لها حيزا في نفوس عشرة قراء من شبيبتنا ، وكفى •

محمود أحمد

القلم المكسور

- ١ -

آراء وافكار

لست أخشى تخطئة الناس
لي اذا كنت اعرفني مصيباً
ولا يسرني تصويبهم لي اذا
كنت اعرفني مخطئاً .
(شبلي شميل)

ان الادبيات الخيالية ، والعلوم الكلامية التي سادت على المجتمعات
البشرية قد وقفت عند حدها وربما قرب اليوم الذي تبتدىء فيه بالتقهقر
سريعا .

حينذاك ينصرف الانسان الى العمل والجد في سبيل السعادة الضائعة
والحقيقة المنشودة .

★ ★ ★

لا تستريح البشرية المعذبة من آلامها التي انهكت قواها منذ القدم ،
حتى تقلب أنظمتها وقوانينها رأسا على عقب فيحل محلها النظام الطبيعي
الذي ستجده امامها - حتما - بعد ذلك .

★ ★ ★

« كل حركة تقاومها بمثلها » . هذه قاعدة يجب ان يعلمها البشر
جيدا، فلا يحاول ان يقاوم التيار الفكري بالنار والحديد . بل - اذا أراد -

فليوجد تيارا فكريا ثانيا يضعه أزاء الاول في معترك الحياة • حينئذ يرى
كيف يسقط الفاسد • ويثبت الصالح الصحيح •

★ ★ ★

من المضحك أن نرى ان ما ساد وقدس في الحياة الدنيا منذ عصور ،
من الاعتبارات الخيالية والمالية ، يكاد يسقط اليوم نصف سقوط ، وغدا
سقوطا هائلا لا قيام له من بعده الى يوم يبعثون •

★ ★ ★

العمال عليهم قوام الحياة ، والكسالى والمتقاعسون هم الجرائم التي
يجب ان تباد •



الحكمة العجوز !!!

اذا كان في نيتكم يا قوم ان
تنهضوا ، فاهدموا بنااتكم
القديم المتداعي الاركان بدلا
من الترقيع والترميم ،
واقيموا بعده صرح نهضتكم
الجديدة التي ترغبون .
(١٠ م)

كلنا متدمر • كلنا متألم ، من انحطاط الاخلاق وفساد العادات •
وكلنا يريد ان يصلح ، فيصرخ ويصيح ويكتب حتى يبح صوته ويكل
قلمه ، فيعود أدراجه ، تخفق على رأسه الوية الخيبة والاختفاق : لا أحد
سمع ، ولا احد اجاب ، ولا اخلاق صلحت ، ولا حدث اي شيء •

والسبب الاكبر ، بل العامل الوحيد في ذلك هو لان الفساد لم يحدث
قبل ساعة حتى يزول بساعة ، ولكنه قد كان حادثا منذ عصور فاخذ مكانه
من دماغ الشعب وحل محله من نفوس الناس اجمعين • فلا مبدل له ولا
مغير حتى تتخذ العدة سريعا لقلع هاتيك الشجيرات الخبيثة من الادمغة
والنفوس وبذر بذور صالحة غيرها وهكذا حتى تدرك الغاية ويتم الامر •



ان اخلاقنا وعاداتنا اليوم هي البقايا الباقية لحالاتنا الاجتماعية الاولى
المستفاداة - في كل اطوارنا التاريخية - من علومنا الكلامية ونظراتنا
الفلسفية في الكون •

ففسادها اليوم وانحطاطها لدليل كبير ساطع على فساد تلك العلوم
وانحطاط هاتيك النظرات .

★ ★ ★

قلِّب اي كتاب من كتبنا تجد الحكمة القديمة شاخصة بارزة فيه ،
وانك لا تلبث ان تمعن النظر حتى تجد امامك عجوزا شمطاء واقفة على حافة
القبر . وازائها جماهيرنا وجموعنا يسجدون لها وينظرون اليها كالمجانين ،
ولا ادري ماذا يريدون منها ولماذا لا يتركونها وشأنها فتندحر قهرا وتموت .؟
ان هذه الحكمة العجوز هي التي علمت اجدادنا ولا زالت تعلم
الاحفاد ما ملأوا به المجلدات الضخمة من الكتب والمؤلفات ، فراحوا يحملونها
على رؤوسهم وما ولجوا معترك الحياة حتى غلبوا على أمرهم وسقطوا
سقطه الأبد .

★ ★ ★

تناول كتابا من هاتيك الكتب تجد على صدره هذه الكلمة :
(القناعة كنز لا يفنى)

اي مت ايها الشعب فقرا وجوعا واقنع بما انت عليه ، لان القناعة -
يا مسكين - كنزك الذي لا يفنى في الحياة .

ثم تناول كتابا ثانيا تجد على صدره هذه الكلمة :
(رب كلمة سلبت نعمة) .

اي اسكت ايها الشعب اذا غضب منك حق او اتتهكت لك حرمة ،
فرب كلمة تقولها تسلب منك نعمة ، ولعمري أبعد هذا ذل وصغار .
ثم تناول كتابا ثالثا تجد على صدره هذه الكلمة (جانب السلطان

واحذر بطشه • لا تخاصم من اذا قال فعل) • (تقبيل اليد القوية خيرا
من مشابكتها) • (قول الحق لا يدع للانسان صاحبا) •
ولعمرك ايها القاريء ليس بعد هذه (الحكم) ولا ابغ منها فعلا في
اذلال النفوس وقهرها واضعافها وانحطاط اخلاقها ابدا •



كفى كفى صبرا ايها الاحرار • اذا كان فيكم من يشفق على هذا
الشعب المسكين ويرثي لحاله فليغيروا غارة شعواء على تلك الحكمة العجوز
التي صارت اليوم دينا للناس • وليمحوها من عالم الوجود فان اهتمتكم
الامر اليوم وتراخيتم فيه او حاولتم الاصلاح من طريق آخر فانكم
لخاسرون •

اذا كنتم ناهضين حقيقة فاهدموا قبل كل شيء بنائكم القديم المتداعى
الاركان ثم ابنوا بعد ذلك صرح نهضتكم الجديدة الممرد ، ليقوى على
الوقوف في لجج الحياة في الايام الآتيات •

المعرك الادبي

اننا نحن ابناء العصر الجديد
مقضي علينا حتما باتباع
خطوات الغرب واقتباس
ما عنده من الاخلاق والآداب
والعلوم ..

(١٠ م)

ما مضى على الشرق ربح من الزمن تمتع به في بجموحة الحضارة
والتمدن ، الا واخذت دولته تدول شيئاً فشيئاً ، فنهض الغرب لتشييد
دولته الجديدة على انقاض تلك التي اخذت تتقلص وتزول .

مرت القرون وتعاقبت العصور ، والغرب سائر في طريقه حتى اذا
ما دنت الساعة الموقوتة ، اخذت طلائعه تتقدم وتقترب من ابواب الشرق ،
بغية الولوج لتنفيذ الخطط التي - كما يزعمون - تقضي بنشر ما عنده
من شتى العلوم ، ومختلف الفنون ، ومتنوع الافكار الراقية في العالمين .

ثم الامر واستتب لنا ولهؤلاء القادمين ، فاخذت تعاليمهم تنتشر في
آفاق بلادنا وربوعنا انتشار البرق في آفاق السماء ، وكان المنتظر ان تنهياً
لنكون مثلهم أعنى نظرائهم في يوم من الايام ، الا انه سرعان ما خابت
الآمال وطاشت سهام الظنون .

اننا بدلا من ان نسعى لنخلق ونوجد مدينة كمدنيتهم وحضارة
كحضارتهم وعدة كعدتهم في المجتمع الانساني ، اذ بنا ونحن في مقاعدنا نهم
في اودية الخيالات والضلالات .

ان نظرة واحدة الى الطبقة « التي تحسن القراءة والكتابة » منا تكفي لان نعرف منها مبلغ بعض الآراء والتعاليم الغربية السقيمة الراسخة في اذهان القسم الاعظم منهم • ويعلم الراسخون في العلم ماذا تحتوي عليه تلك التعاليم المأخوذة عن بعض فلاسفة الافرنج — لا كلهم — من احتقار الشرق والجنس الشرقي احتقارا لا غاية من ورائه الا تبرير تلك « العمليات » الهائلة التي يقوم بها دكاترة الامم والشعوب •



هذا (سر تطور الامم) كتاب جوستاف لوبون احد غلاة الوطنية الافرنجية ومن كبار اقطابها ، افتحه واقراً ما كتب في الصفحة ال ٤٢ منه تجد ما يأتي :

« يجوز ان يحرز احط الافراد في سلم الانسانية جميع معلومات الاوروبي كلها بما قد يوجد فيه من قوة الحافظة التي اختص بها الافراد الادنون وليست هي من مميزات الرجال ، ومن المسلم ان نيل الزنجي والياباني الشهادة الثانوية او رتبة المحاماة امر ميسور ولكنه لا ينال بذلك الا طلاء سطحيا لا تأثير له في مزاجه العقلي

ولذلك الزنجي او هذا الياباني ان ينال جميع الشهادات الممكنة لكنه لن يرقى مطلقا بذلك الى صف الاوروبي العادي • ففي عشر سنين يمكن تلقينه التعليم الذي يتلقاه انكليزي تام التهذيب ولكن الف سنة قد لا تكفي لصيرورته انكليزيا حقيقيا اعنى رجلا يعمل كما يعمل الانكليزي في جميع اطوار الحياة » الخ •



ان صاحبنا يساوي بين الزنجي والياباني الراقي المتمدن ، ثم يقول

بان الاخير مهما رقي في سلم العلم لا يستطيع ان يكون رجلا يعمل كما
يعمل الغربي •

انني لا ادري وايم الحق هل يحتاج هذا الى رد وهذه امة اليابان
- امامنا - اصبحت تعمل كما يعمل الغربيون ، وهي تحاول ان تتفوق
عليهم وهم واقفون لها بالمرصاد •

وبعد فان كانت الجنسية الشرقية هي العامل الوحيد في جعل اليابان
الراقية ، بهذه الدرجة من الانحطاط بعرف أهل الغرب ، فعلينا اذن نحن
ابناء هذه الاقطار السلام !



اجيونا اجيونا يا ايها المساكين يا خفافيش الفلسفة في بلادنا على
اية قاعدة من قواعد العمران تريدون ان تشيدوا عماد رقيكم ، وفي اية
طريق من طرق الحياة المدنية ترغبون ان تمشوا بامتكم ، والى ابي حد من
حدود التكامل والارتقاء تحاولون ان تصلوا بجماهيركم الشرقية ، واتم
مهما جاهدتم وسعيتم ومهما ارتقيتم حتى ولو تعلقتم باهداب السحاب
وناطحتم الجوزاء فلا تكون منزلتكم بنظر هذا النوع من الغربيين الا
كمنزلة اليابان التي يساوي بينها وبين الزوج والوحوش من الافريقيين ؟

اجيونا اجيونا يا ايها المساكين يا خفافيش الفلسفة في بلادنا اي شاب
من شبانكم واي ناشئ من ناشئكم الحديثه يقرأ امثال تلك الكتب المملوءة
بهذه التعاليم الموهبة بطلاء الفلسفة والعلم ، ولا يرسخ في فكره ويتمركز
في دماغه انه منحط بطبيعته منحط بخلقته منحط بمزاجه العقلي انحطاطا لا يتبدل
ولا يتغير حتى ولو سبقت امته امة اليابان التي تضاهى امم الغرب بالمدنية
والرقي المادي والمعنوي بل انحطاطا ابديا لن يرتفع عنه حتى تبدل الارض
غير الارض والسماوات •

ألا يا ايها المساكين يا خفافيش الفلسفة في بلادنا اجيونا اجيونا اذا
كان حقا ما يقوله جوستاف عن اليابان من انها مهما ارتقت وتمدنت هي
والزفوج الوحوش على حد سواء لانها ليست من امم الغرب (اعنى لانها
شرقية) فماذا نحن عاملون بعدئذ ؟ وماذا نحن منتظرون من الايام ؟ وما هي
غايتنا من الحياة ونحن بالطبع متساوون مع اليابان بالجنسية الشرقية ؟



اننا نحن ابناء العصر الجديد مقضي علينا حتما باتباع خطوات الغرب
واقْتباس ما عنده من الآداب والاخلاق والعلوم ، ولكن يجب ان يكون
كل ذلك محورا محولا مصبوغا بصبغة جديدة بنا خليفة بحياتنا الاجتماعية
المقبلة لا ان يضعنا في موضع ما خلق لنا ، او ينسينا مكاتنا الحقيقية في
المجتمع الانساني او يسقطنا - بعبارة اوضح - الى منزلة القرود والوحوش .
يجب علينا قبل كل شيء ان نفتح أعيننا ، فنكف عن الرخص وراء أمثال
جوستاف ومن على شاكلته ، والانخداع بما يسودونه على اوجه الطروس باسم
الفلسفة والاجتماع خدمة لاغراضهم الوطنية ومصالحهم القومية في العالمين ،
فان في الغرب كثيرا - غير هؤلاء - من العلماء والفلاسفة لهم من الآراء
والافكار الاجتماعية ما تكفي لان تكون لنا منهاجا قويا ونموذجا حيا للحياة
التي تتطلبها بعد انقضاء الاجل المحتوم : اجل النهضة الحديثة التي ظهرت
بوادرها اليوم .

أدب اليوم

يجب ان ينبغ فينا كتاب في
العلم والاجتماع قبل الشعر
والخيال . ويجب ان يقرأ
الشعب كتب الحقائق
العلمية قبل السفسطات
والخياليات .

(١٠ م)

دوي دوي في الارض ، وقامت حوالينا ضجة بلغت عنان السماء .
قالوا : نهضة . قلنا : عسى ان تتحقق الآمال . قالوا : نهضة علمية . قلنا :
وما ذلك بالامر اليسير . قالوا : نهضة ادبية . قلنا : مكانكم . هذا امر يجب
النظر فيه قليلا .

★ ★ ★

ظهرت الجرائد ، واذا في صدر كل واحدة منها قصيدة خيالية لشاعر
قديم او انشودة تصويرية لشاعر جديد .

انعقدت النوادي ، وأسست المحافل ، واذا على كرسي كل واحد
منها شاعر متحمس يلقي قصيدة وطنية ربما كانت - ان لم اخطيء التخمين -
اطول قليلا من يوم الجوع .

اقيمت الحفلات تلو الحفلات ، في استقبال امير او وداع امير ، واذا
على رأس كل حفلة ادباء ما اندرهم لو كانت الساعة غير ساعة السجود في
هيكل العظمة والجبروت .

مات شيخ كان يحمل وساما من اوسمة الشهرة والصيت واذا على حافة
قبره شعراء ربما بلغوا الاربعين ، يتسابقون في مضمار الرثاء والتأبين •
حينذاك قامت الضجة الكبرى ، ودوى الدوي الهائل ، وسط تصفيق
المصنفين ، وهياج المعجبين من الناس • ثم وقف المنادي ينادي : هذه نهضتنا
في القرن العشرين •



أيه يا اخواننا ! أغثتموا أنفسكم • أفيقوا • ما هذه نهضة ، ولا هي
خطوة كبرى في سبيل النهوض الحقيقي •

لقد تلاشت الكلمات الشعرية اللطيفة في الفضاء ، وهربت من الافواه
الى عالم الخيال الذي اخرجت منه قسرا • وغدا كل شيء كما كان •

كفى كفى • كفانا هذا فلنفيق • ان الشعب أمي يجب ان يتعلم الالف
والباء • ان الشعب جاهل يحتاج العلم الصحيح ، وان الشعب جائع أيضا ،
يريد خبزا واتم تقدمون له فاكهة ، وفاكهة في غير اوانها ؟

هذه كلمة اقولها وبودي ان يكون لها وقع — ان حسنا وان سيئا —
في النفوس • والا فان بقى الجاد هازلا دون ان يشعر بنفسه ، والضاحك
باكيا والباكي ضاحكا عن غير ما سبب يوجب الضحك والبكاء ، والمدح
رائيا عند المدح والرائي مادحا عند الرثاء ، كل ذلك بلغة يسمونها لغة الشعر
والادب ، فقل اننا جماعة من الناس ابتلينا بمرض الهستريا ، يجب نقلنا
الى مستشفى المجاذيب •

مهلا مهلا • سادتي لا تفضبوا • لست بماس نهضتنا الجديدة بسوء •
ولكن اجيبوني : أتريدون ان نقول ان النهضة الادبية الحقيقية هي ان يقوم
شاعر منا فيعصر دماغه عصرا ليقلد شاعرا قديما من شعراء الخرافة والخيال،

في عمل ديوان خيالي يجب ان يكون فيه ثلاثة آلاف بيت من الشعر او
يزيد؟

أتريدون ان نقول ان النهضة الادبية الحقيقية هي ان يقوم شاعر منا ،
ينبش دواوين الشعراء الغابرين نبشا كما ينبش النباش القبور ، فيأتي بعظام
كل بيت نخره السوس ، فيمسخه مسخا ، ثم يؤلف منها القصائد الطوال
العراض • ولا يخجل من نفسه - ان لم يخجل من الناس - ان يأخذ
- مثلا - من الاغاني قول بشار بن برد وهو يمد يده للسؤال :

اطلت علينا منك يوما سحابة
اضاءت لنا برقًا وابطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييأس طامع
ولا غيثها يهمي فتروي عطاشها

فينشره محرفا هكذا :

اطلت على قطر العراق غمامة
اضاء لها برق وابطا رشاشها
فلا هي تستجلى فييأس طامع
ولا هي تستهمى فتروي عطاشها

★ ★ ★

شعراؤنا الحقيقيون - اليوم - لا يتجاوزون عدد اصابع اليد ، وهذا
مقدار كاف على رأي البعض • وفي رأبي هم فوق حاجتنا • اما (الكمية
الباقية) فخير لها ان تنصرف الى ما هو اهم لحياتنا العلمية العملية التي يجب
ان تبديء منذ الساعة •

الادب الخيالي : كمالي لا محل له في حياة امة منحطة علما واقتصادا
واخلاقا . وانشغالها به بوقت لم تزل فيه تلميذة في مدرسة الحياة ربما يسبب
الى سقوطها عند الامتحان .

يجب ان ينبغ فينا كتاب في العلم والاجتماع قبل الشعر والخيال .
ويجب ان يقرأ الشعب كتب الحقائق العلمية والعبر الاجتماعية قبل السنسطات
والخيالات - هل اتم سامعون ؟



نظرات شاب

اقل ما في اطلاق حرية الفكر
والقول تربية الطبع على
الشجاعة والصدق وبئس
الناس اذا قسروا على الجبن
والكذب .

(شبلي شمیل)

١٥ كانون الثاني ١٩٢٠

زرت صديقا لي من اصدقاءي الكثيرين - وما اقلهم في الحقيقة -
خوجدت عنده شابا عليه مسحة غربية ، كان قد قدم حديثا من اوربا .
وبعد ان عرفه بي وعرفني به ، سماه لي قائلا : (ح . ر) .
قلت : سمعت بهذا الاسم ، ولقد كنت اعلم عنه انه كان في طلب العلم
باوربا ، على اني - مع ذلك - لا اعلم سبب قدومه ؟
فاجابني الشاب قائلا : السبب واضح ... الحرب لا زالت قائمة على
قدم وساق ، وان كان الظاهر لا يدل عليها !!! وكان بالطبع غير مستحسن
بقائنا في عاصمة الالمان ، وهم الان في عاصفة جنونية جديدة ...

★ ★ ★

بعد برهة وجيزة كان كل منا يحاور صديقا الى جانبه ، وبينما انا في
تحاوري مع احدهم ، اذ سمعت (ح . ر) يتكلم بصوت عال فانصت
فسمعت آخر جملة من كلامه .

قال : « كل شعور يأتي من الدماغ الى الحواس فهو كاذب ، وكل
حسن يصدر من الحواس الى الدماغ : حسن صادق » •

سمعت ذلك فقلت في نفسي انها لكلمة ناضجة ، ويظهر انه نجح في
ذهابه الى تلك الديار •

وقد قاطع افكاري رفيقي الذي كنت احادثه فعدت الى مجرى حديثنا
السابق • واما قليل تغير نوع الكلام بيننا اذ دخل بطور عام جله بحث عن
انحطاطنا واسباب الرقي •

فوجه احدهم سؤالا الى (ح • ر) قائلا :

أخي ! انك زرت كثيرا من المدن والاقطار المتمدنة ، وعرفت
شيئا عن سكانها وعن رقيهم ، واطنك ستساعدني في رأيي اذا قلت ان الغرب
كمل وارتقى بواسطة القوانين والنظم التي سنتها له حكوماته • ونحن
لا نرقى الا اذا مشينا في تلك الطريق ؟

فاجابه على الفور :

هذا رأي عاطل • وانك لم تصب كبد الحقيقة به • فالغرب لم يرق
بذلك • واني آسف لانك لم تسمع النعمة الجديدة التي قام لها الغرب
وقعد • حيث تجد اليوم الجماعات المترتبة من الالوف المؤلفة كلها نائرة
ولسان حالها يقول :

« القوانين والنظم التي سنت ووجدت منذ الخليفة الى هذا اليوم ،
والتي أريد بها اخضاع البشر لها قد عمل البشر ضدها تماما ، ذلك لانها
آتية من طريق الامر القاسي والحكم الصارم » •

فعارضته وقلت : اذا كان الامر كذلك ، فكيف السبيل الى ايجاد امة

جديدة لنا راقية ؟

فنظر الي هنيهة ثم قال : أترضى يا اخي ان تبني لك قصرا في مستنقع ؟
بالطبع لا ... اذن كيف ترضى ان تشيد اركان امة جديدة وسط محيط ملؤه
الخرافات والعادات السقيمة ؟

قلت : الان فهست ما قصدت وما رميت اليه ، الا اننا سائرون رويدا
رويدا نحو هذه الغاية . ونحن لاشك لا تصلح لنا في مثل هذه الظروف الا
طريقة الاعتدال .

ففقته ضاحكا ثم قال : هنا ، هنا بيت القصيد ! هذا هو الهدف الذي
أرجو ان أصيبه .. أخواني ضللتهم الطريق السوي .. لااعتدال هناك ابدا
اما عندكم (فالافراط محرم والتفريط حرمان والاعتدال مصيبة عظمية
تحتسبونها سعادة ..)

قال ذلك وباسرع من ملح البصر قام فودعنا وخرج وقد تركنا ورائه
مفكرين ...

★ ★ ★

مضت ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع وانا جالس في منتزه (جسر مود)
تذكرت تلك المسامرة التي حدثت بيننا وقد قرأت الساعة في احدى الصحف
هذه الكلمات .

١ - كم سجد الانسان لكلمات حسبها آتية من مقام مقدس وما هي
في الحقيقة الا صدى هذيانه في حال ضعفه .

٢ - لا يسقط الانسان بالنسبة الى عمله ولكن بالنسبة الى اعتقاده
انه يأتي عملا منكرا او امرا فريا .

٣ -

ولم اقرأ الكلمة الثالثة بل تجاوزت حالا الى الذيل لارى التوقيع
فقرات (ح • ر) •

والان زال العجب اذ عرفت مصدر هذه الكلمات ، وهو الفكر الوقاد
فكر الشرقي المتجدد • ولكن مع الاسف اني اعلم حق العلم ان الناس
سوف يقرأونها ثم ليسخروا منها ومن كاتبها ويضحكون !!



مكتبة الشبيبة

فوضى حياتنا ، وانحطاطنا الادبي ، وفساد حالتنا الاجتماعية ، وسوء
تظننا المعيشية ، كل هذه أمور الجأتنا الى تأسيس « مكتبة الشبيبة » بغية
الحث على اصلاح ما انحط وفسد وتحسين ما شاء وتقويم ما اعوج . هذه
غايتنا منها ، فاما نجاح واما اخفاق . اقل ما فيه فتح باب جديدة من ابواب
الحياة المقبلة ، يلجها بعدنا غيرنا من الشباب الناهض .

اصدرنا الكتيب الاول (هياكل الجهل) وهذا الكتيب الثاني نصدره
اليوم وسنستمر على نشر ما سنكتبه بعد ذلك في هذا الصدد باجزاء كثيرة
ربما بلغت العشرين عددا ، دون التفات الى الرواج وكثرة القارئ أو قلتهم
وخاصة اناسا يلعبون في (بضاعة) او يتساومون بالضمائر ،
او يتلاعبون بالرؤوس . انما نحن اصحاب مبدأ جليل - وجيل كما نعتقد
وكفى .

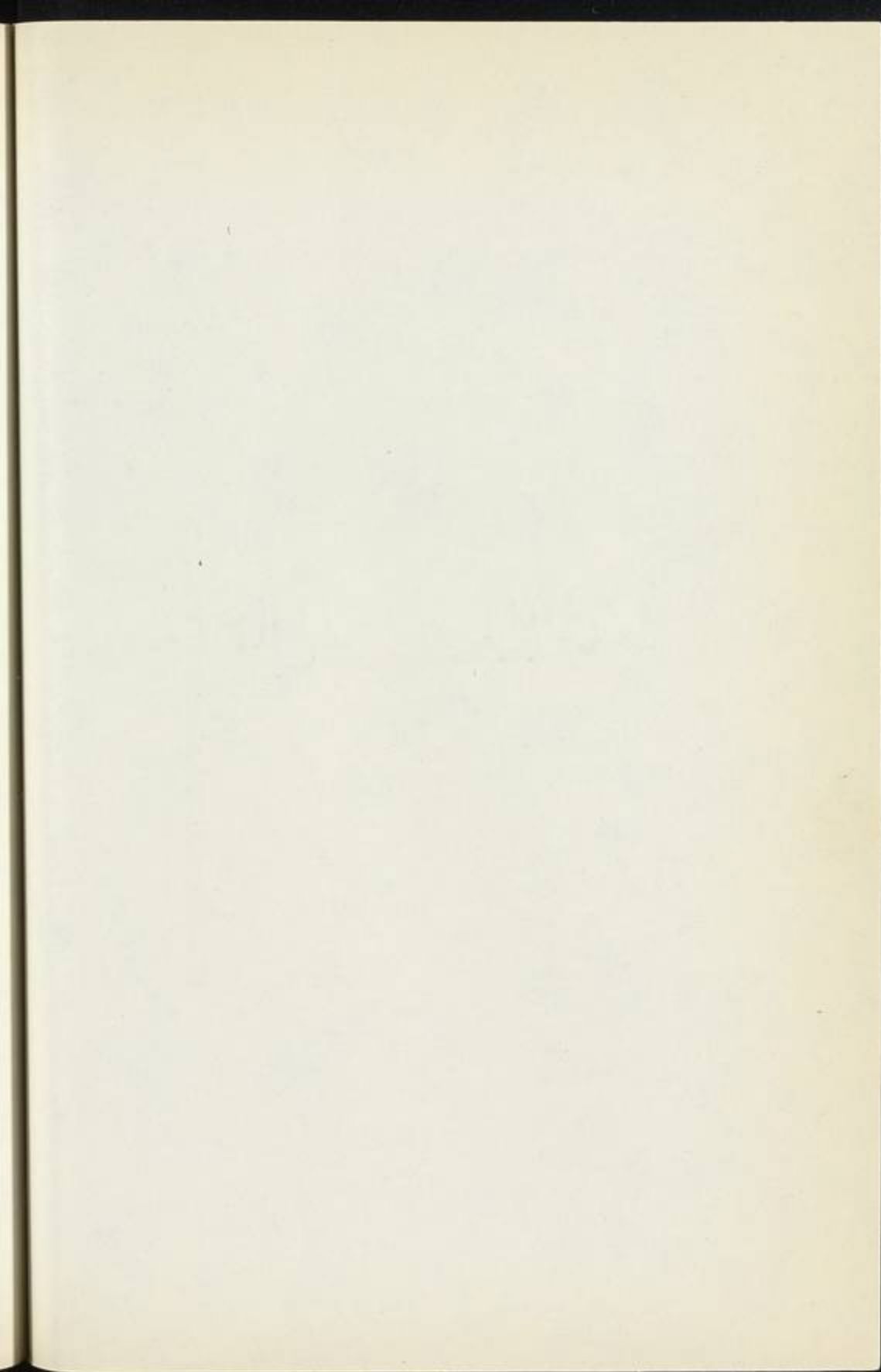
اعمال المرحلة الثانية

جلال خالد

الطلائع

في ساع من الزمن

أقاصيص



مهداة الى ودية
البلاد التي يريدنا
على الجهاد في
سبيل الحرية
والحق



قصة عراقية موجزة .

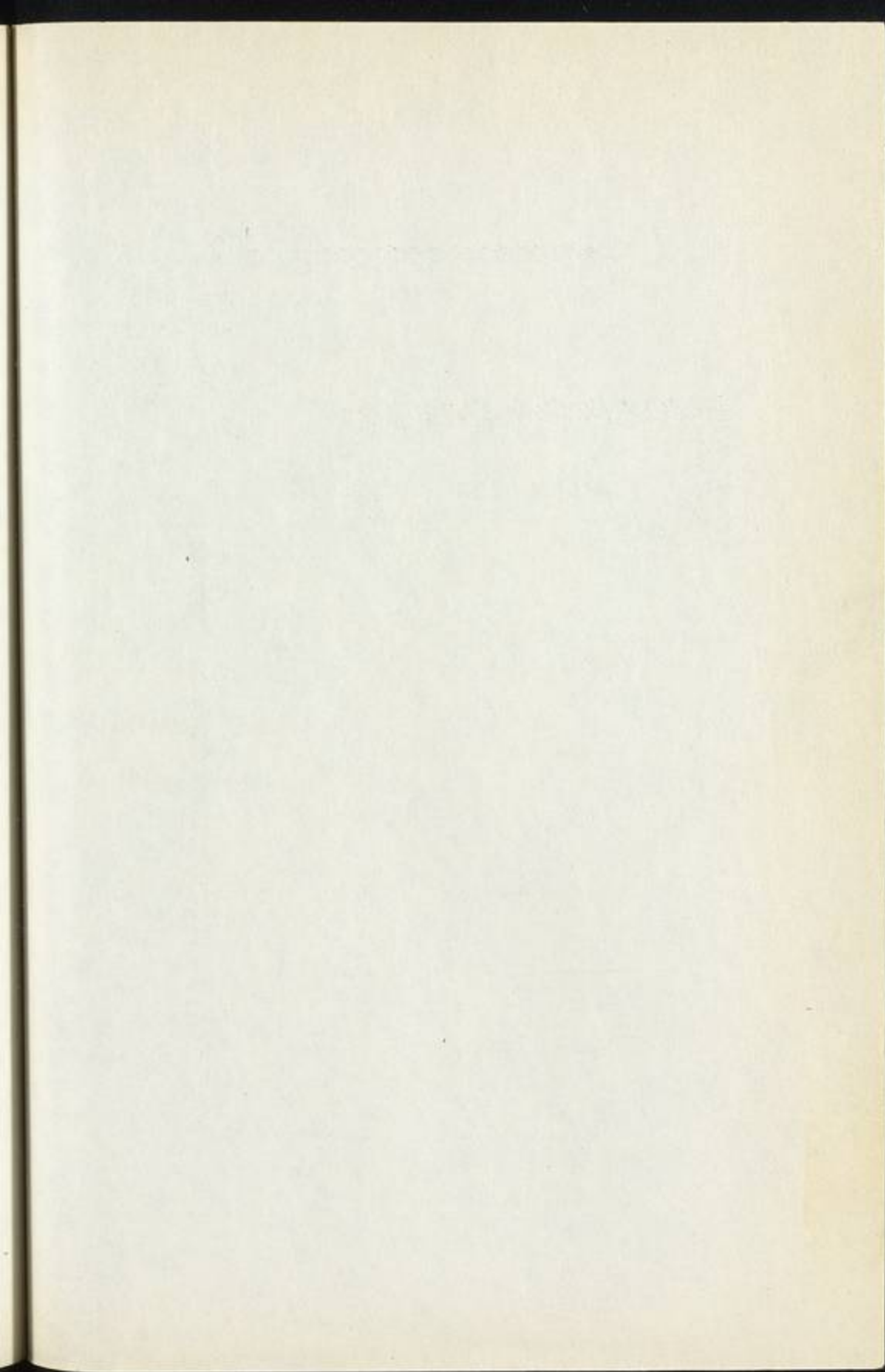
١٩٢٣-١٩١٩

لمحمود راعم
السيد المدرس

« حقوق الطبع محفوظة له »

مطبعة دار السلام ونوعيد

١٩٢٨



جلال خالد

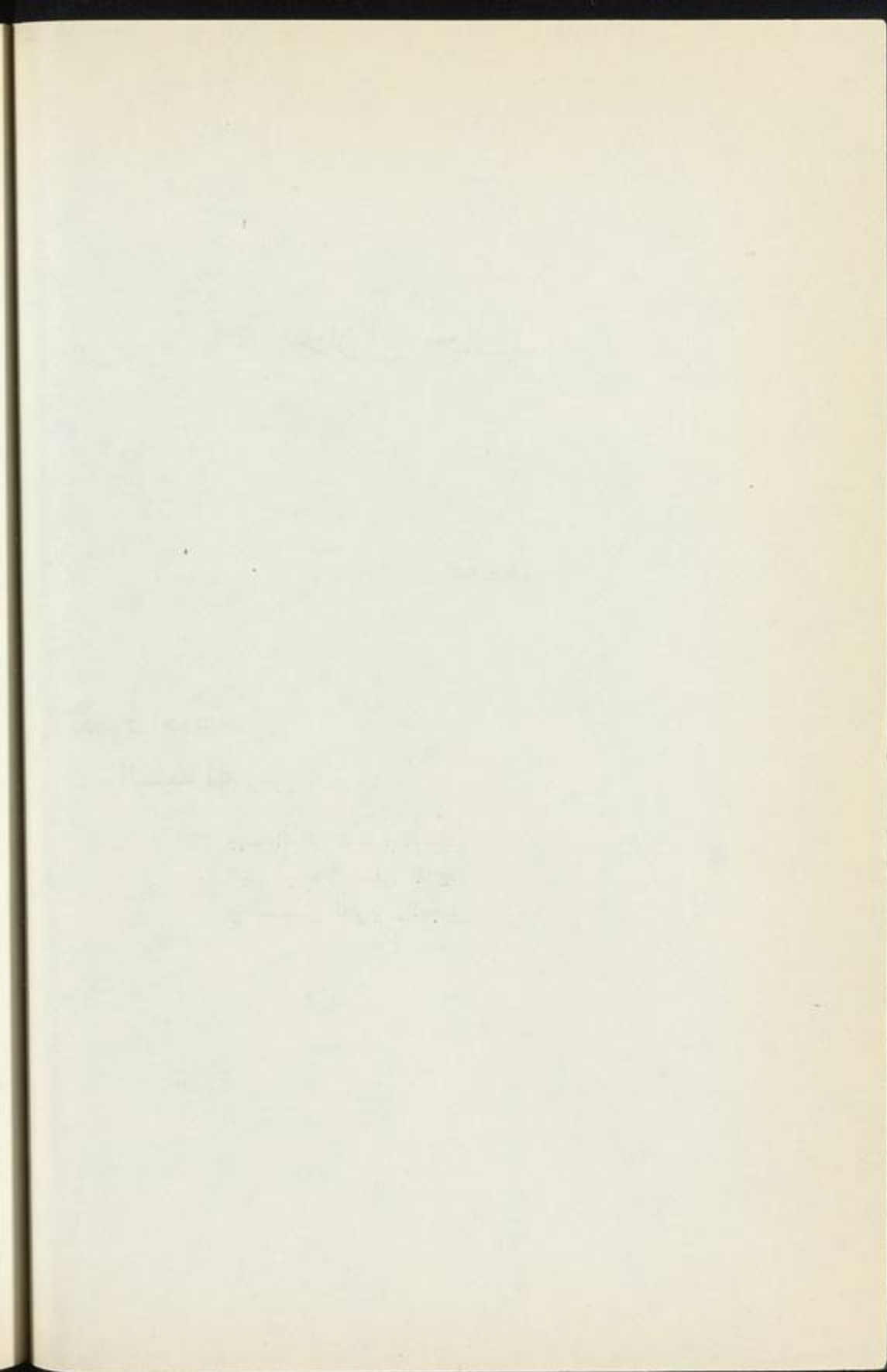
قصة عراقية موجزة

١٩٢٣ - ١٩١٩

لمحمود أحمد

السيد المدرس

مهداة الى فتية البلاد
التي تريدنا على الجهاد
في سبيل الحرية والحق



المقدمة

هذه القصة موجزة • وهي لا يجازها لا تائل القصص التحليلية الكبيرة ذوات التفاصيل الدقيقة • فانت تراها اشبه شيء بالمذكرات أو الحديث •

وهي حقيقية • استندت في كتابتها الى مذكرات صاحبي جلال خالد الخاصة ، ورسائله الى اصحابه ، ورسائلهم اليه • وقد استأذنته ان اثبت بعضها في الجزء الثاني من القصة ، فاذن لي بذلك ففعلت ، كما استندت الى احاديث الكاتب الهندوى ف • سوامى - وهو من اركان القصة - التي حدثني بها في الهند ! ولا تعجب ، فقد قدر لي ان ازور الهند كما زارها صاحبي جلال خالد ، وان اعرف صاحبه سوامى كما عرفه ، وان اصاحبه واجالسه واحاوره كما صاحبه وجالسه وحاوره • • أضف الى تلك - المذكرات والاحاديث - الرسائل التي لايزال يرسلها الي صاحبنا أحمد مجاهد • وكنت أصاحبه قبل ان اعرف خالدًا بعامين • وقد عرفت خالدًا عام ١٩٢١ •

واذا كانت هذه القصة بجملتها موجزة ، فان الفصل الاول منها والذي يليه اكثر فصولها ايجازا • وكانا طويلين مسهبين اذ كتبتهما بادىء الرأي • ثم حذفتهما منها شيئًا كثيرًا مما كنت كتبت عن صاحبي خالد ووصفت به - استنادا الى مذكراته واحاديثه - الايام التي قضاها في الباخرة التي اقلته الى بومبي ، على مقربة من الفتاة الجميلة التي أحب ، لانه لم يشأ ان يطلع الناس عليه ، ولانه نسى حبه ، وأضحى يرجو زوال الاثر الخفيف الباقي منه شيئًا فشيئًا ، كل ما تتابعت الايام وممرت السنون • وستقرأ في الفصل الثاني انه قضى سنة وبعض شهر من الزمن في بومبي • وكانت عيشته هنالك غير راضية ، رجاني ان اقرأ مذكراته المؤلمة التي سجل فيها شيئًا عنها ، ثم

انتقل الى غيرها قبل ان تدفعني الرغبة في البحث والتفصيل الى ان اقتطف
منها ما يجدر بي اقتطافه لاكمال به الفصل •

وتصلح هذه القصة الموجزة التي هي اشبه شيء بالحديث (نوقل) لان
تكون اساسا لقصة مطولة وافية (رومان) قد اكتبها في المستقبل •

محمود أحمد

بغداد : باب الشيخ
٨٣
٢٢٣
آخر تشرين الاول سنة ١٩٢٧



المجزء الاول

- ١ -

في أصيل اليوم السابع من مارس ١٩١٩ ارتقى الباخرة (بارجورا) - وكانت راسية في فرضة^(١) البصرة امام المعقل الذي يسميه الانكليز (ماركيل) - فتى من طلبة العلم في العشرين من العمر، طويل القامة ، تلوح عليه مخائل النجابة والذكاء - بيده اليمنى عصا ، وباليسرى يحمل حقيبة سوداء ، مكتوبا عليها بأحرف عربية واضحة : جلال خالد . وهو اسمه ، يتبعه حمال يحمل حقيبة كبيرة اخرى من الجلد ، ورزمة من الاثاث الخفيف .

وكان بعد ساعتين - وقد ظهرت في السماء الصافي اديمها الانجم الزهر - على السطح مستلقيا فوق كرسي طويل ، ينظر الى الماء الجاري في نهر البصرة العظيم^(٢) ، ويفكر في مصيره - غدا - اذ تخوض الباخرة لجاج البحر الزاخر ، فيكتنفها الموج المتلاطم ، وفي اجوافه رسل الموت . وكان طبيعيا تفكيره في ذلك ، وهو غير ذي عهد بالبحر ، لم يركبه من قبل . كان يظن الخطر امامه محققا ، لكنه كان به هازئا ، راضيا بالسفر رضى تشوبه اللذة ، لذة الحرية ، فهو سيد نفسه ، يمتلك زمام ارادته ، ويخرج عن بلدته بغداد الذاهلة السكرى ، تحتلها الجيوش .

وكان المسافرون عشرة من التجار العرب ، واربعة او خمسة هنود ، وامرأة بغدادية جميلة بيضاء ، قد شحب وجهها وانهكها نصب الحياة . تحمل

(١) الفرضة من البحر : محط السفن

(٢) هو الذي يدعونه (شط العرب)

نفسها من العراق الى (بومبي) ، لكي تعيش - هنالك - في (بايكلا) :
الحي الذي يقطنه العرب واليهود ، من كد يمينها ؟

- لا • بل عيش البؤس المزركش ، عيش البغي •

وقبيل منتصف الليل سعدت الى الباخرة أسرة يهودية ، قوامها أب
كهل ، وابنته العذراء ، وفتى من ذوى قرباه ؛ يريد أن يزوجه بها في
(سنغفورة) : المدينة التي طالما تردد عليها ، وقضى فيها سنين يبيع
الخرثى (١) •

وقد رحب خالد بهذه الاسرة ، لانها صحبته مذ أقلته الباخرة النهرية
من بغداد • وكان يشعر بشيء من الميل اليها ، كما كان يشك في امر الفتى •
يشك في انه سيكون الزوج حقا • وكان الفتى وجهه الى القبح اميل ، تعلقه
سحابة من الغباوة • له شاربان كثيفان • أو ليس من الظلم أن تساق الى
هذا ، الفتاة تلك الوديعه وداعة الحمل ، الجميلة جمال التمثال تفخت فيه
الروح ، وجرى في عروقه دم الحياة ؟

كان يكره أن يكون ذلك •

ولم تكن الى جانبها أمها ، « فقد ماتت منذ سنتين » قال ابوها لخالد
« عليها الرحمة واني لها لام رءوم وأب رؤف » •

وكان اسمها سارة ، واسم ايها حزقيال ، والفتى داود •

★ ★ ★

كانت الباخرة باخرة بريد • فلم تقف - في طريقها - الا مرة واحدة
في فريضة البحرين • ولم يهجم البحر • فتبدد الخطر الذي كان شبجه جائئا في
مخيلة الطالب • وما اصابه الا دوار خفيف أول الامر ثم زال • واصاب

(١) الخرثى : (الخردة)

سارة دوار شديد ، فبقيت يومين لا تتناول طعاما • ثم مرضت فنقلها طبيب
الباخرة الى غير المكان القريب منه الذي كانت فيه • ولم يسمح لنفسه
بزيارتها ، مكتفيا بالسؤال عنها من أبيها حزقيال وكان الاب بعد ان مرضت ،
يروح ويغدو ، كانه يذرع الباخرة طولاً وعرضاً ، من القلق •

ووصلت الباخرة الى بومبي • فنزل الراكبون منها • وكان آخرهم
الاب ، تتوكأ عليه ابنته ، ووراءهما داود • ونزل خالد اثرهم ، فاجتاز
الحاجز الاول من حواجز الممكس^(١) على عجل • وانشأ الماكسون^(٢)
يفحصون الحقائب • فلما انتهوا ورفع الحمال متاعه ، التفت يبحث عن
الاسرة ليودعها ، وليعرف المحل الذي ستحله من المدينة ، قبل شخوصها الى
سنغفورة ، فلم يجد لها اثرا • فأسف كثيرا • وكان يرجو ان يجتمع بها
مرة اخرى •

والحق ان ميله الى هذه الاسرة كان قويا • كان يحب سارة الفتاة ،
وان كان جبه خلوا من الامل ، لانه مسلم ، ولانها في طريقها الى الزواج •

- ٢ -

وبومبي مدينة ضخمة ، لها قيمتها التجارية ولها معاملها ، ولها منعتها ،
ولها منتزهاتها الممتدة حولها على ساحل البحر •

وفيها الجنائن الغناء استنبتتها الايدي العاملة القوية ؛ وهي مجمل
زينتها الطبيعية ، ذات الجمال الفتان •

فاما مالها فغزير ، يملأ خزائن الشركات الاجنبية والتجار الاجانب
والهنود - كذلك - • لكن الشعب الذي زاد على المليون محروم منه •

(٢) الماكسون : رجاله

(١) الممكس : الجمرك

فهو شعب فقير ، فيه السواد الاعظم الذى اذا ربح الفرد منه رب
العائلة نصف ربية كل يوم ، فهو في نعمة وخير ! •

ولو قدر لك ان ترى العامل في المعمل ، وهو مرتد ثوبه البسيط
العادي يقتله الحر والعمل المستمر المنكب عليه مستسلما ؛ وعلمت ان اجره
لا يكفيه لاسفت ولعطفت عليه ولشعرت بالنفرة من تلك النظم الظالمة
القاسية التي تستغل الجموع لاجل الفرد الذى لاينماز^(١) عنها بعضو من
اعضاء الجسم • بل هي بخصائصها الجسمية والعقلية أرجح وأعلى •

وهذا قليل ؛ فقد رأى كل زائر الهند ، النسوة المعدمات يتركن
اطفالهن في بيوتهن ، بعد ان يخدرنهم بالافيون ، ثم يذهبن يتعاطين أخس
الاعمال واحقرها • ولا اجر لهن عليها الا فضلات الموائد • ومن أعطيت
منهن اربعا من (الانات)^(٢) فقد نالت النعمة والخير الجزيل •



سنة وبعض شهر من الزمن قضى خالد فيها مكرها • وكان - آخر
كل شهر - يعتزم السفر الى سنغفورة فيصده عن السفر تردد واحجام • ولقد
قضى هذه المدة الطويلة فيها ، وهو في حيرة من غنى اغنيائها الفاحش وفقر
شعبها • ثم غادرها^(٣) شاخصا اليها^(٤) لكنه اثنى ؛ اذ تصور العذراء سارة
حاملا من زوجها داود • فارتد عنها حين بلغ القطار المحطة الاولى وآثر
الشخص الى كلكته •

جاء المدينة ظهرا فالناها بومبي الثانية ؛ بغنى اغنيائها الفاحش وفقر
الشعب •

-
- (١) انماز : بمعنى امتاز •
(٢) الآنة • جزء من ١٦ جزء من الروبية الهندية
(٣) بومبي
(٤) سنغفوره

مكث اسبوعا كاملا • وكانت المدينة في هدوء •
 ثم سمع ان بين عمال المعامل حركة ، وانهم يريدون زيادة الاجور •
 ولقد اضربوا فاخذت الحكومة تعد العدة لقتل حركة الاضراب
 يؤيدها ذوو رؤوس الاموال •
 واحتشد العمال في احدى ساحات المدينة ، يحاولون اعلان امرهم
 والمطالبة بحقوقهم • ففاجأهم رجال الشرطة فاقتتلوا • وكان خالد على مقربة
 من ساحة المعركة يتسنى ان يجد سبيلا الى شهودها •
 وكان يمزق كبده الصرخ المرفوع منها الى السموات العلى • وانه لصرخ
 الانسان يظلمه اخوه الانسان •



أعيد أمن الحكومة الى نصابه ، فعاد الى الفندق الذي يحتله ، كاسفا ،
 منقبض الصدر ، ساخطا سخطا كثيرا ما دفع غيره من ذوى العلم والنجاة
 والذكاء الى الثورة على النظم القديمة البالية ، والى الاصلاح •
 ومر - في طريقه - بجماعة من الفقراء وال دراويش أفزعهم الحادث
 فالقى بينهم - وهم هنود - فتى يمتاز عنهم بلون بشرته الضاربة الى
 البياض ولباسه • وهو داود اليهودى !
 عرفه • فناداه باسمه • واذا به حائر ، محبوس اللسان •
 هنا بدا لخالد طرف من قصة مأساة • وهنا اخذ يتضاعف في نفسه
 الشك القديم :
 كيف حال أهلك ؟

فلم يجب ، وشنف^(١) اليه كانه يقول له : - ما انا بفاهم •
هو الان متشرد ، يستجدي • وهو فاقد ذاكرته كما يظهر ، لا يعلم
من أمر سارة وايها شيئاً •
وخالد راغب في الوقوف على امرها والعلم بمصيرها ، مهما استطاع الى
ذلك سييلاً • فلم يمكنه من الافلات • كف عن المسائلة ، وما زال به يستدرجه
حتى اخذه الى الفندق • فاطعمه ، وكساه • ثم تركه اياماً غافلاً عنه ، وقد ولى
خادماً ، امر اصلاح حاله •



وكان تفكيره في هذه الايام القليلة التي مرت عليه مضطرباً ، منحصرأ
بمأساة الفتى وسارة ، التي تخيلها ، وتخيلها على نحو غريب •
حسب انها كانت تحبه وتعشقه منذ ركبوا الباخرة النهرية امام بغداد •
وانها زوجت بفتاها مكرهة ، وكان يحبها فجفته • ثم قتلها الحب وهي حامل ،
فمرض المسكين ، هذا المرض المؤدي به الى الجنون ، وهام على وجهه •
ورآها فيما يرى النائم - ذات ليلة - فرحة مسرورة ، تقول له انها لم
تتزوج بعد • وانها لاجئة اليه •
ثم هزأ من نفسه هزواً قاسياً حين استيقظ من رقادته • وعاد اليه شيء من
الجد ، فقال « حديث خرافة ، وانها لم تمل الي كما ملت اليها » • لكن الحلم
عاد اليه في ليلة ثانية فازداد اضطراباً وتفكيراً •

(١) شنف اليه : نظر اليه كالمعترض عليه او كالمتعجب منه

الساعة السابعة ليلاً •

ثوى (١) الفندق خلو من الزائرين • وفي زاوية منه ، امام نافذة مطلة على الشارع جلس خالد والى جانبه فتى هندي (٢) يرتدي الثياب الافرنجية ، وقد خلع قبعته ، فبات رأسه كبيرة مستديرة يجللها شعر كثيف فاحم منسدل الى شحمتي اذنيه • وعلى عينيه نظارة اميركية قوراء • وهو كاتب في إحدى الصحف الثورية التي طالما رعاها الزعيم العظيم « تيلاك » استاذ الزعيم « غاندي » •

وكان يتحدث الى صاحبه العراقي في شؤون الهند ، والشعوب الشرقية المستعمرة المظلومة • وكانت نظراته خارقة تنفذ الى قلبه •

ادرك الكاتب الهندي انه يجالس فتى انوفا ذا كبرياء • تلتهب شعلة الوطنية بين احنائهم • له آمال يحسبها غير محققة ، وعرف من بعض حديثه وما افضى اليه ، انه يعطف على الضعفاء البائسين في المجتمع فلا يستطيع ان ينفعهم • فيأس ، ويتشاءم •
وانه كذلك •

وكان يزيد تشاؤمه ما ائشأ يقرأ تلك الايام من مقالات الكاتبين الخياليين العربيين : جبران خليل جبران والمنفلوطي • وان كان الاول غير الثاني • ثم اضحى ينزع نزعة شبه انسانية ، ولكنها نزعة غير مستقرة • يغالبها كبرياؤه واعتداده بنفسه وترفعه عن الناس وإنزواؤه ، والانهماك في ارتداء الثياب الغالية الثمن ، وحلول الفنادق الكبيرة ، وقضاء الوقت في ابائها وغرفها • كما يغالبها مذهبه الوطني (القومي) الذي جعله كارها كل قوم عدا العرب • والفتى - بعد - متدين متعصب يكره ان يرى في الفندق رقصا فنيا ، لا لسبب اخلاقي ، بل لانه يستحرمه •

واستمر يتحدثان •

(١) الثوى : هو الصالون . (٢) اي من الهنود غير المسلمين

قال الكاتب الهندي :

- اذن ، لقد خرجتم من بغداد تخلصا من شدة وطأة الاحتلال ؟
- كرهت ان ابقى فيها وانا لا أرى امامي الا حرية مستلبة ، وحقا مضاعفا ، وسجنى يكسرون الصخر على قوارع الطرق •
- ولكننا نحن الذين ندعى بالوطنيين في الهند لا نبرحها • وههنا ههنا في هذه المملكة العظيمة المحروبة^(١) نثير المواطنين •
- ومن يدري ؟ لعلنا نحن ايضا نثير المواطنين في الغدا !
- أعتقد ان الثورة ستحدث عندكم كما نقل اليك أصحابك البغداديون في رسالهم الاخيرة ؟
- ربما • لاننا نريد حقا لنا وعدونا به • وهم جاءونا كما قالوا محررين منقذين •
- أشك في حدوث ثورة عندكم • ومع ذلك فاني اتمناها لكم ، فليس أدل منها على النهضة واليقظة ، والتمسك بالحق والحياة •
- وعندكم ؟
- لن تكون اليوم ؟
- أو لم تكن معركة الاضراب امس برهانا على تهيؤ لوثوب • فضحك الكاتب ثم نظر الى محدثه نظرة هادئة طويلة ذات معان :
- كان الاضراب موضعيا ، لا علاقة ظاهرة له بالحركة الوطنية ، والاضراب يحدث في كل البلاد حتى لندن العاصمة البريطانية ، ثم ينتهي • وينتهي بموت كثير ، وجرح كثير ، واخراج كثير من ذويه من المعامل • وقد تزداد الاجور احيانا •

(١) المحروب من سلبوه ماله وما يملك .

— لم أشهد من قبل اضرابا في بلادي • لانها لاعمال فيها ، انما فيها
فلاحون جائعون ، بيد أنهم قانعون راضون •

— أتغبطهم على القناعة والرضى بحقير العيش ؟

فسكت ولم يجب • وظهر عليه شيء من الارتباك ، فاستمر الكاتب
يقول :

— وهم لاشك مسلمون ؛ يعتقدون ان القناعة كنز لا يفنى وان
الرضى بالرزق المقسوم واجب • ولكن (الهندو) هنا اكثر منهم قناعة
واكتفاء بالرزق القليل •

— أو لم يكن المضربون من الهندو ؟ فلو كانوا قانعين بالاجور التي
يؤديها اليهم اصحاب المعامل لما اضربوا •

— لك ان تسأل هذا السؤال اذا كنت تعتقد ان العمال لا يزالون في
سذاجة الشعب • أما اذا بحثت وعرفت ان في العالم اليوم مذها اجتماعيا
قويا بانصاره وصحفه ، وانه تغلغل في اجواف المعامل ورؤوس العمال كلهم
سواء أكانوا اوربيين أم آسيويين ، وان له دعوة واسعة النطاق في هذه
المللعة ، وزعماء ودعاة يحرضون العمال على الاضراب ، فماذا تقول ؟

فابتسم في خجل لانه أحس غفلته وسذاجته ثم أجاب :

— لا اقول شيئا • هل الدعوة الى الاضراب ظاهرة ؟

واراد بهذا السؤال ان يستر ما أحسه :

— كلا • انما هي خفية • فانا مثلا احد انصارها • بيد أنني أندمج في
صفوف الوطنيين وانشر بالصحف الوطنية الان ما اكتبه من آراء ومقالات
وارجو أن اوفق الى نشر صحيفة خاصة بالعمال في العاجل القريب •

وكان خالد يصغي الى محدثه وهو يفكر :

— أجد أمامي أناسا وجهتهم في الحياة غير وجهتنا •
وانقطع الكاتب عن الحديث ، ثم دعى الخادم ، فطلب له ولصاحبه
كأسين من النبيذ :

— لا • عفوك يا صاحبي فان النبيذ يؤذيني •
ولم يكن الهندوى مغفلا • فقد كان ينتظر هذه الكلمة من رجل
متعصب لما يحسبه الدين والوطنية ، وان كان التأليف بينهما عسيرا • ولم
يلح عليه • لانه درسه حق درس ، في الايام التي مضت قبل اجتماعهما تلك
الليلة ، وعرف اخلاقه وانفته إعتداده بنفسه •

ولقد تعارفا عقيب زيارته — يوم جاء كلكنه — دار الصحيفة التي
ينتمي اليها • وكان مسرورا به : هذا الوافد من بلاد العرب النائية المجهولة
حالتها ومصائرهما • مسرورا بما تلقفه منه من انبائها ، ويريد المزيد •

ودار الحديث بينهما في مختلف الشؤون • ونقل اليه خالد ما شاهده
في رحلته من بغداد الى الهند • واثار الى الاسرة التي كانت تقصد سنغفوره
واعلمه بانها في حيرة من امر الفتى داود ، اذ عثر عليه وهو في فقر يأوي الى
الطرق مع الفقراء والدرائش ، وقد فقد ذاكرته كما يظهر ، ونسي حاله الاولي ،
لا يعلم من امر سارة وأبيها شيئا :

— أو تحسب ان الاسرة قد نكبت ؟ وان حال الفتى دليل على النكبة؟
— بل اعتقد • والفتى الان في هذا الفندق ، أراعاه ، واتمنى ان يفيق
من ذهوله فاسأله ، لقد قال لي الطيب انه مصاب بفقد الذاكرة •
— أيهمك الامر كثيرا ؟

وكان السؤال مرييا ، أحس انه ناجم عن اعتقاده انه يجب الفتاة ،
يدفعه جها والرغبة في لقيها الى السؤال عنها وايها والبحث ، فاحمر وجهه
قليلا • وكان محتوما عليه الجواب ليدفع به الريب :

— أنت تدرى انني وطني (قومي) ، ولكنني لجبي الضعفاء مدفوعا بدافع الانسانية عطفت على العمال المضربين حين أُضربوا . وهذه الانسانية هي التي تدفعني الان الى السؤال والبحث عن هذه الاسرة ، واني لاشعر بانها منكوبة شر نكبة . وفي هذه الاسرة امرأة . والمرأة هي الجنس الضعيف الجدير بالعطف . أليس كذلك ؟

— بلى والمرأة مظلومة ، مستلبة الحق كهؤلاء العمال ، وواجب علي وعليك الاندماج في الطبقة التي تناضل عنها وتناضح عما لها من آراء ومبادئ حتى تتحرر وتساوى الرجل .

— تتحرر ؟ لا أريد ان ارد عليك . ولكنني ذو دين اعتقد انه كفل للسراة بحقوقها . فاما التحرر والمساواة فلا حاجة لنا نحن اهل الاسلام بهما . وأعرف ان دعوة الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ظهرت في مصر منذ سنين فخاب اصحابها .

وهنا كان الكاتب الهندي يهز رأسه . لانه لم يرق له هذا القول ، ولم يستطع ان يوفق بينه وبين قوله « ان المرأة هي الجنس الضعيف الجدير بالعطف . ولم يشأ الجهر بانكار له ، أو رد عليه ، لانه حسب ان الانكار قد يدفعه الى الجدل . فانه ليس بمعلمي^(١) ، ذو ائقة واعتداد بالنفس والرأي ، والقول ، لا حد له .

وفارقه وكان الثوي مكتظا عند الساعة التاسعة من الليل . وذهب خالد الى غرفته ، وكان تعباً فتناول طعام العشاء ، وبعد ان قضى ساعة يكتب الرسائل الى ابيه وصحبه في بغداد ، ارتسى على سريره ، فاخذ نوم عميق .

(١) المعمي . هو الذي يقول لكل واحد « انا معك » .

وفي ضحى اليوم التالي فوجيء بجنون الفتى داود ، واعتقال الشرطة اياه . وكان والخادم الموكل به يحلان حجرة من حجر الطبقة السفلى من الفندق .

دعي الى دار الشرطة وهم يحسبونه من ذوى قرياه . فاعلمهم : انه يحييه ويرعاه لانهما ابناء بلد واحد وان كانا مسلما ويهوديا . وانهما جاءا الهند في باخرة واحدة ، فكانت وجهة المجنون سنغفورة ووجهته بومبي . وانه فارقه حين بلغا فرضتها ، ولم يعثر عليه الا قبل بضعة ايام . ألفاه متشردا يستحق الرحمة فأواه واتفق عليه .

وسجل صاحب الشرطة اسمي سارة وايها وحرفته . ثم شكر خالدًا وارسل المجنون الى مستشفى المجانين .

★ ★ ★

واتجه خالد الى حديقة الحيوان ماشيا . فما بلغها الا بعد ساعتين قضاها متجولا في الشوارع الكبيرة والاسواق شارد اللب ، أسفا لهذه النتيجة التي لم يكن يتوقعها . فقد هتف به هاتف من اعماق نفسه : ان سارة منكوبة ، كما قال لصاحبه الليلة الماضية، ورأى انه يحبها حقا . وكان يرجو ان تنكشف له حقيقة حالها على يد زوجها المشئوم ، فخاب الرجاء الان .

ودخل الحديقة ، فما اعجبه منها نظامها البديع ، وما حفل بما فيها من مختلف الحيوان والشجر والزهر . ولاح له قرد كبير في قفص ، قد تكأكت (١) عليه نسوة واطفالهن يناولنه طعاما ويضحكن .

ولم يدر لماذا خطرت له تلك الساعة قولة مشهورة سمعها من افواه رجال الدين في العراق ، مغلوطة منقولة عن العلامة داروين . تلك هي ان القرد أبو الانسان .

(١) تكأكت القوم عليه . تجمعوا .

نظر اليه طويلاً • وكان من نوع الغوريلا • فادهشه التشابه بينه وبين
الانسان لكنه أنف ان يكون متحدرا من صلبه • وقال في نفسه : أيجراً
واحد من الناس له شيء من العزة الانسانية ان يعترف لهذا الحيوان بالابوة؟!
وكانت النسوة غير محجبات • من الطبقة الوسطى من الهندو • عليهن
مسحة من الجمال الشرقي الساحر ، جمال الاعين السود • وهو كل الجمال
في الهند •

وكن مستبشرات فرحات •
ومضى ، وخيال فتاته يملأ ذاكرته ، لا يريم (٢) •



عاد الى الفندق محزوناً •

لزم الغرفة حتى الصبح • ثم خرج ضحى الى ثوي الفندق يطالع
الصحف وقد تعلم في الهند اللغة الاوردية ، فلم يجد كبير صعوبة في قراءة
صحفها • وهو بهذه اللغة كان يحدث الكاتب الهنودى « ف • سوامى »
وقد نسي ان اذكر لك اسمه •

ولم يكن يتوقع ان يقرأ له مقالا باللغة الاوردية لانه لم يكن يكتب بها •
بل بلغة اخرى من لغات الهند الشائعة في كلكته •
لكن مقالا علميا ظهر امامه في الصفحة الاولى من احدى الصحف
الاوردية التى كان يطالع • وعنوانه :

«الفرق بين الانسانية والقومية»

— وهل من علاقة بين الانسانية والقومية والدين ؟ —

وقد التهمه التهاما ، فاتم قراءته في ريع ساعة • وكان نقدا بليغا لما افضى
به اليه من آراء في اجتماعهما الاخير • ودرسا له نبهه الى خطأه وسذاجته
واضطرابه وتذبذبه بين الانسانية والقومية والدين •

(٢) لا يريم • اى لا يبتعد عن ذاكرته •

هو قارىء الان : ان الانسانية فكرة جامعة شاملة الامم كلها . وان القومية فكرة ضيقة النطاق ، الغلو فيها يدفع الامم والاقوام الى الحرب الطاحنة ، فالدمار . وان الدين فكرة وان كانت أوسع من القومية نطاقا لم تجمع الامم والاقوام تحت لوائها . وهي ذات الوان مختلفة لا اتصال بين الواحد والواحد منها . فعلى وجه هذه الكرة دين بوذا ، ودين موسى ، ودين الاسلام ، ودين زردشت ، ودين كونفوشيوس . وعلى وجه هذه الكرة حدثت اعظم المذابح البشرية الهائلة بين ابناء الدين الموسوى وابناء الدين المسيحي ، وبينهم وبين المسلمين ، وبين المسلمين والفرس ابناء زردشت ، والهندو .

وهو قارىء : ان اعطاء المرأة حقوقها لا معنى له ما لم يسبقه التحرر من الاسر ومساواة الرجل ، والاشترار معه في العمل والانتاج . وبعد فان لم يكن الكاتب الهندي قاصدا بنشر هذا المقال باللغة الاوردية ، اطلاعه على رأيه الواضح فيما دار بينهما من حديث ونقده ، فماذا يكون ؟

لم يكن القصد غير ذلك .

بيد ان الكاتب الغائب . ولهجته الخطائية الساحرة بدلت همسا خفيفا لا تأثير له . والقوة المغنطيسية التي كان يستهوى بها الضيف العربي متلاشية ، فههنا كلام صلب جامد على الورق ، والفتى غارق في تعصبه وفي قوميته . مثله الاعلى قحطان وعدنان ، والاخلاق البدوية الموروثة ، والحماسة ، واکرام الضيف ، والمفاخرة بالدم والاعتزاز بمفاخر الجدود . وهو شعلة من العواطف لا سبيل للعقل اليها .

كل ما فعله للترويج عن نفسه ، والافلات من شرك التفكير الذي اوقعه فيه الكاتب بمقاله ، الرجوع الى غرفته ، فالجلوس الى كتاب من التاريخ العربي يقرأ منه الفصول الدامية التي طالما قرأها : فصول المأساة العربية في

«الاندلس ، وكان يشبه بها المأساة العربية بعد الحرب •
ولقد بكى بكاء مرا • وهو يتلو القصيدة المعروفة بمطلعها :

« لكل شيء اذا ما تم نقصان »

ولم يكن ليكنى من قبل حين كان يقرأ هذه الفصول • لكنها العربية
ووحدها ، وسارة وجبها والياس من الوصول الى نبأ من انبائها ، وألم
الاحتلال والضعف أمام قوة الثوري الهندي الذي يهزأ بالقومية والدين ،
ويبنتي معتقده على أساس من العلم متين •

- ٥ -

بعد أسبوع •

الساعة الرابعة مساء •

الكاتب الهندي والضيف العربي في مركبة تمشي بهما وئيدا • والى
معبد الهندو الكبير وجهتها •

وكان بناء ضخما سامقا^(١) وقف خالد الى جانبه معجبا بالفن الهندي
البادى عليه وصاحبه ينقل اليه بعض ما يذكر مما كتبه الكاتب الفرنسي
غوستاف لوبون عن هذا الفن القديم ، ويبين له الفرق بينه وبين فن البناء
الهندي الاسلامي واعظم آثاره « تاج محل » في دلهي العاصمة القديمة •
ثم نزع قبعته بيده اليسرى وقد جهم^(٢) ونظر الى المعبد وهو يشير اليه
بيده اليمنى ويقول في غضب •

لكن هذه المعابد ذات الفن الذى ظفر باعجاب الكتاب في اوربة ،
لا تنفعنا نحن الهنود اليوم •

ليس لدى الشعب مدارس بقدر ما لديه من هذه الدور (٧) •

(١) السموق . العلو والارتفاع .

(٢) جهم . صار عابس الوجه .

ان تلك الدمى والصور والتماثيل التي تملأ قاعاتها يهرع اليها الناس عند كل ملمة تلم بهم ضارعين ، فلا تدفعها عنهم . ولكنهم لا يزالون يوجهون وجوههم اليها ساجدين للالهة التي تمثل . والكهنة الذين يجاورونها لا ينشرون فيهم الا ثقافة القرون الاولى ، وهي الافيون ، يخدرهم ويقتل فيهم كل عرق ينبض بدم الحياة ، فيستسلمون الى من يسومهم الخسف وينتهب من بين ايديهم رزقهم وما تفيض به عليهم الارض من خيرات .

ما في ديننا من تعاليم اكثر من تعاليم (النيرفانا) والعزوف عن الحياة ، وادارة الخد الايسر لمن يضربك على خدك الايمن . ولذلك تجدنا نحن المتعلمين علوم اوروبة ، الحاملين في رؤوسنا خلاصة ثقافة العصر الحديث ، طلاب الاستقلال للهند ، والحياة الحرة الهائلة لشعبنا والشعوب الشرقية المظلومة كلها ، تجدنا متخلفين عن هذا الدين ، نحارب ثقافته : الافيون ، العلة الوحيدة لخنوعنا وذلتنا واستعبادنا .

وانا لنستند الى الطبقة المتعلمة من الشعب والعمال وتكلم عليهم . وانا لنفرق في تلقي ثقافة العصر . فنصدر الصحف باللغات الاجنبية احيانا لنسمع صوتنا العالم ، وفرندي القبة والثياب الافرنجية ، ونرسل ابناءنا الى مدارس اوروبة واميركة يدرسون ما فيها من علوم وفنون .

كما يفعل ذلك امثالنا القائسون باعباء النهضة في الصين . فهناك في « كاتون » الجنوبية من تلك المسلكة الضخمة مصدر الخطر الاصفر على رأى الظلمة المستعمرين تبدو طلائع أخطر ثورة اجتماعية آسيوية بعد الثورة الروسية ، يثيرها الدكتور « سن يات سن » مقوض عرش ابناء السماء ، ورئيس الجمهورية الصينية الاولى .

ومن يدري ؟ ربما كان لتلك الثورة اذا حدثت ، نتيجة عظيمة ، هي طرد المستعمرين من الشرق ، وتأسيس مدينة انسانية جديدة قوامها العدل ، لا الاستعمار ولا المدمرات ولا الغاز الخاق القتال .

قلت لك : انا متخلون عن هذا الدين نحارب ثقافته لا لانه يقتل فينا
الرغبة في الحياة فقط ، بل لانه - فوق ذلك - يمنعنا من الاتحاد باخواننا
الهنود المسلمين ، كما يمنعهم دينهم من الاتحاد بنا . وانت تعلم ان الاتحاد
قوة ، والتفرق ضعف . والضعيف لا حق له ولا استقلال .

قال خالد في تردد وذهول :

- ولكن الاتحاد كائن !

فقال الكاتب وهو لا يزال تلهبه الحماسة :

- لا نريد اتحادا يدعو اليه بعض الزعماء . وهو غير متين . ان كفوا
عن الدعوة اليه هوى . نريد اتحادا صحيحا ، طبيعيا لا تفرق بعده . أو لم
يأتك نبأ تلك المذابح التي كانت تقع بين الهندو والمسلمين من اجل بقرة
نحرها جزار مسلم ، أو صور تفخ فيه هندوي جاهل على مقربة من مسجد ؟
وما دام البقر مقدسا ، ونحره محرما عندنا ، وما دام المسلمون يأكلون لحمه ،
فان تلك المذابح ستتلوها اعظم منها غدا وبعد غد .

قلت لك : انا منحلون عن هذا الدين نحارب ثقافته . ولكن أتعلم من
نحن وكم ؟ أقلية من الطبقة المستنيرة ، لا يتبعها الشعب الا لتطرفها في الرأي
السياسي واذكر اني أجبتك قبل أيام ، اذ سألتني عن الثورة عندنا ، انها
لن تكون اليوم . فكيف تكون والشعب بدينه الافيون بعيد عنا نحن دعائها؟
ولو كنا أكثر عددا منا الان لثرنا ولا تنصرنا ، ثم لسيطرنا على الشعب ،
ولسقناه بالسياط سوقا الى حظيرة المدنية والحرية والحياة الصحيحة . وليس
في ذلك ظلم أو اغتات له . انما فيه رحمة واحياء بعد موت .

يغلب على ظني ، وأكاد أعتقد ، ان الصين ناهضة ثائرة قبلنا ، لانها
تملك شيئا من الحرية ، ولان زعماءها خير من زعمائنا . وهل لدى الهنود
واحد مثل سن يات سن ؟

واذ وصل الى هذه الكلمة ظهر من منطع الشارع موكب تتقدمه
شرذمة من رجال الدين ، بعضهم يتغنى بالاناشيد ، وبعضهم يضرب بالصنوج
والطبول . فابتسم وهو ينظر اليهم ابتسامة مقتصبة أخفى تحتها ما في قلبه
من ألم . ثم التفت الى صاحبه يكلمه همسا :

الموكب موكب ميت ، يذهبون به الى حيث يحرق . ولاشك في
انهم اجتنبوا أن يمرؤا به على جامع أو مسجد حذر المسلمين . ولكن أتصيبهم
مجتنبين ذلك في الغد ؟

• واستوقف مركبة فركبا ، يريدان العودة الى الفندق .

ولم تستطع المركبة المضي في سبيلها قبل ان مضى الموكب . وكان
الكاتب الهنډوى مشيحا وجهه عنه ، وصاحبه ينظر الى الميت في دهشة وكان
مكشوف الوجه مضمخا بالطيوب والاصباغ .

واذ ساق السائق الجواد ، وتحركت المركبة من مكانها ، عاد الكاتب
الى حديثه ، فقال : وهل تحسب المسلمين كذلك مجتنبين اغاضة الهنډو في
الغد ؟

ولم يرد عليه فانه كان ذاهلا مفكرا فيما سمع :

— أهذه هي حقيقة الدين ؟ وهل الشرق صالح باديانه ؟ أم هي سبب
شقائه كما يقول ؟

★ ★ ★

وفي الفندق نقل اليه نبأ جنون الفتى داود . فعرف انه يهتم بامر هذه
الاسرة . وانه يحب سارة . وقد يؤمل لقيائها ، واكثر من اللقيا !!

— ٦ —

• أخي جلال

لم أرسلك منذ شهر . لا تعتب علي فانتى لمعذور ، يستغرق كل وقتى
اداء الواجب الوطنى . وقد حدث ما كنا نحسبه وكتبه لك صاحبنا (ك س)

قبل اسبوع : ان القبائل في شمالي بغداد قد رفعت للثورة رايتها ، واضرمت نارها الحامية • أما آن لك الاوب ؟ آلمنا فراقك •

بغداد في ٢١ أيار / ١٩٢٠

أحمد مجاهد

وكان متحمسا مهتاجا يعرض الرسالة بيد مرتجفة على صاحبه الكاتب الهندي في غرفته الصامتة الخرساء من الفندق ، عند منتهى الهزيع الاول من الليل ، ويترجم له ما فيها •

وقد سر النبا صاحبه ، وأحس انه يتملكه الزهو والشعور بالفوز والغلبة عليه ، او لم يقل له أولا :

« ولعلنا نحن ايضا نثير المواطنين غدا ؟ »

فأطرق • وما كان له الا أن يجيي العراق وثورته تحية ملؤها اعجاب واكبار •

وقام خالد الى قمطر رسائله واوراقه فاخرج منه بطاقة صغيرة ، طبعت عليها صورة ساذجة : فتى عربي وعلم مربع الالوان ، تحتها هذا البيت :

يقول للعلم الخفاق في يده

فيء من الارض ما تختار يا علم

الرمز لمثل النهضة الاعلى •

قال الهندي :

— وهل كان للعرب هذا العلم ؟ •

— كلا انما هو علمهم الجديد ، اخذت الوانه من اعلام دولهم الخالية •

يجمعها هذا البيت القديم :

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

— وهذا حق فليس بكثير على العرب ان تكون صنائعهم بيضا .
ووقائعهم سودا ، ومرابعهم خضرا ، وسيوفهم حمرا من دم العدى . لكن
البيت تحت الصورة فيه اسراف كثير . الا ما للعرب وللفتح ، يريدون ان
يفيء علمهم أي ارض يشاء ويختاروهم لم ينقذوا بعد شبرا واحدا من الارض
التي يحلون ؟ أو ليس من المعقول ان يقال له فيء ارض العرب التي تفيئها منذ
ستمائة سنة الا اعلام الدول الغالبة . وانت تعرفها . . ولكن لا . فالهدي
هنا هدي العاطفة لا المنطق المعقول . والعاطفة قوام الثورة والنهوض .

— لك حقك وما أراد ذووا هذا البيت الا الاشارة لخيال الامبراطورية
العربية التي لا تزال في بطن الغيب ، لما تولد . وقد تولد في المستقبل البعيد
المجهول .

وكان جالسا الى جانبها رجل ثالث ، هو شيخ بنغالي يقرض الشعر
ويدرس الفلسفة الهندوية القديمة ، ويقدم الشاعر الكبير تاغور ، ويتبع
خطواته ، يقلده حتى في لباسه واطلاق اللحية . جاء به الكاتب الهندي
ليريه الضيف العربي الحامل روح الشباب الثائرة ، ينير الطريق امامها نبراس
الحرية والاستقلال .

سكتا ، فاعتدل الشيخ ، وانشأ يتحدث اليهما حديثا هادئا واضحا
متقطع الكلمات :

— جيت بلاد الهند كلها حتى بلغت بومبي وكراشي فرأيت فيهما
وفودا من العرب عديدة لكنني لم أجد واحدا منها يهه أمر وطنه المحروب .
العرب في الهند اثنان لا ثالث لهما : تاجر يجمع المال ، وشيخ طريقة يستجدي .
فاتفض خالد عند بلوغ الشاعر هذه الكلمة من حديثه ، وهي حقيقة

مرة أينكرها؟ لكن الجرح كان بليغا اصاب كبرياءه القومي ، فاجاب وكأنه غير شاعر بما يجب :

— والهنود كذلك عندنا في العراق اثنان لا ثالث لهما : زائر يصرغ وجهه بالتراب ويؤدى المال للسدنة العاطلين عن يد وهو صاغر ، وحارس في حديقة الاستعمار .

ونظر الى الشيخ نظرة عصبية ثائرة .

فبهت ، وانكسرت نفسه وتقهقر لا يدرى بماذا يدفع اللطمة .

ولم يكن الكاتب الهنودى متحدا واياه بالرأى الاجتماعي والنظر الى الحياة ، لكنه كان يأنس اليه لانه شاعر بليغ يقصد للموطنين القضايد الحماسية . وقد جاء به ليريه الوطني العربي ، النموذج لشباب العرب في فكرتهم بعد الحرب .

آذته النتيجة هذه . وما كانت بحسبانه . فأدار دفة الحديث بمهارة الطبن^(١) الذكي . وبدأه خجلا ، متفكها ، متفكها .

— ان الشيخ لينظم هذه الايام قصة الكوخ الهندي ، اتعرفها ؟

وكان الفتى قد تماسك وعاوده خلقه العربي ، فكبت^(٢) الغضب والحنق في نفسه ، ورأى من المروءة أن لا يسىء الى الضيف ، فابتسم وتفتح وجهه :
— قرأتها منقولة الى اللغة العربية^(٣) .

— ومؤلفها كاتب فرنسى شهير^(٤) عاصر نابليون ، ألا تعرف نابليون ؟
ذلك الرجل الذى شتمه الفيلسوف تولستوي ، الذى الف بيتهوفن الموسيقى باسمه انشودته المعروفة فلما أن بلغه نبأ تويجه نفسه ، أرمأها غضبان أسفا ،

(١) الطبن : هو الفطن

(٢) يقال كبت فلان غيظه في جوفه أى لم يظهره

(٣) نقلها الى اللغة العربية بايجاز صاحب الجامعة فرح انطون

(٤) هو برنادين دوسان بيير مؤلف بول وفرجينى .

وكان يتوسم فيه الخير • ذلك الرجل الذي دفع البشرية لتخوض بحرا طاميا
عن دماء ابناءها المساكين •••

— على أنه شرف وطنه فرنسا! ••

والفرق بين فلسفة الكاتب الهندي الناضج المثقف ، وفكرة الشاب
العربي الحديث العهد بالحياة العقلية بين • يباعد بينهما • وعسير على هذا
الفتى الرايبي في محيط العراق ومدارسه ، المشرب ثقافة أهله القديمة ان يفهم
نابليون كما يفهمه تولستوي ويتهوفن العظيمان ، أو كما يفهمه هذا الرجل
الذي يبتنى معتقده على أساس من العلم متين •
فلم يجبه كأنه لم يسمع الكلمة التي القاها مستغربا • واستمر في
حديثه :

— والقصة حوار ينسبه المؤلف الى عالم افرنجي والى هندي ، رآه
العالم منعزلا في كوخ ، اذ كان يجوب بعض أقطار الهند • حوار ينطق بما
خيل اليه أنه فلسفة تبحث في الحقيقة الضالة التي تنشدها وينشدها الناس
كافة • ولكن الحوار ويا للأسف لا يعجبني وانت يا صاحبي؟ (١) •
— ليس لي من رأي ابيده لانني لم اشأ أن اتفهم فلسفة المؤلف حين
قرأت القصة •

وانتهى هذا الحديث في فلسفة الحقيقة فاترا باردا • ثم سأله الهندي:
أتعترم السفر الى بغداد؟

— لا أزال متردداً •

ثم انصرفا •



(١) القصة من نوع الايدياليزم • وهي ترمي الى تأييد فلسفة الرجوع الى
الطبيعة التي نادى بها جان جاك روسو • والمؤلف تلميذ روسو في هذه
الفلسفة والدعوة اليها : ومثل هذه القصة قصة بول وفرجيني التي نقلها
المنفلوطي الى العربية •

وآوى الى سريره قلقا • ولم يغمض له حتى الصبح جفن :
أيلبي دعوة الوطن العزيز ، أم يذهب الى سنغفورة اولاً ، ملياً نداء
نفسه الذي اضحى يسمعه قويا عالياً ليبحث عن أحب ؟
وكانت المعركة قاسية بين عاطفتي حب الوطن المقدس عنده ، وحب الفتاة
الظاهر بعد خفاء وكمون ! •

- ٧ -

لم يشف الفتى المجنون • وعز على خالد الوقوف على قصته والفتاة •
وكانت عاطفة الحب الوطنى قوية عنيفة في نفسه ، تفهقر امامها حبه ، فاعتزم
السفر الى بغداد •

وزار المستشفى مرتين ، يستطلع رأي الاطباء في مرض الفتى ، فقالوا له :
لن يفيق • واروه شيئاً مما سجلته عنه الشرطة ، فاذا به بضعة اسطر مبهمة
لم تزده معرفة بحاله • واستعان بصديقه الكاتب الهندوي فأعانه : كتب
الى صاحب له صحفي في سنغفورة كتاباً يطلب منه ان يوافيه بما قد سمع عن
هذه الاسرة ، وذكر له اسم الاب وابنته ، وانه طالما كان يتردد عليها ، يبيع
الخرثي ، جاء الهند من بغداد في الشهر القلاني •

وقضى خالد بضعة ايام متجولاً في المدينة وضواحيها •

★ ★ ★

وزار وصاحبه ، صبيحة يوم جمعة ، دار صحيفة اسلامية معروفة بنزعتها
الشرقية ، ودعوتها الى اتحاد المسلمين ، فرحب بهما مديرها • وهو كهل ،
يرتدي ثياب الهند العادية ، اما غطاء رأسه فقلب تركي من الجلد الابيض ،
في وجهته هلال • وكذلك كان شعار اعضاء « جمعية الخلافة » اذاك ،
وهو منهم •

ولم يظهر خالد بروحه القومي ، لأنه عرف هؤلاء الناس في الهند كارهين
نهضة العرب • ومنهم نفر يرون حتى النكبة التي مني بها الترك عقيب الحرب
ناجمة عن هذه النهضة •

وكان معلقا في الجدار المقابل لمكتب المدير ثلاث صور • الاولى صورة
انور باشا ، والثانية صورة جلال نوري الكاتب التركي المعروف ، والثالثة
صورة السائح التركي عبدالرشيد •

وجرى الحوار بين الكاتبين طويلا ، وكان الفتى العربي مطرقا ، يصغى •
وقد فهم ان هذا الصحفي اسلامي ، يقصد كتابي (اتحاد المسلمين)
والنبي « محمد (ص) » لجلال نوري ، وانه ممن دعى الى الجامعة الاسلامية
وأصابه في دعوته عنت وأذى ، فما كف عنها وما خار •

وفهم : انه يعلق كل اهمية في الشرق الاقصى على مسلمي الصين البالغ
عددهم (٣٠) مليونا كما يقول السائح عبدالرشيد ، وانه لا يرجو ان تنهض
الصين نهضة حقيقة على يد الدكتور «سن يات سن» لانه مسيحي اولا ولانه
يوجه وجهه الى الاشتراكية تانيا •

وهذا مخالف كل المخالفة لرأي الكاتب الهندي كما تعلم •

وخرجا فلفت خالد نظر صاحبه الى هذا التناقض بين رأييهما •

فاجابه وهو يتسهم ابتسامة صفراء :

— نحن مكرهون على الاتحاد بامثال هذا لكي تكون الهند كلها يدا
واحدة من فولاذ ترد اللطمات عنها بقوة ، والا فمالنا ولهم • يرمى السماء
ويغفل عن نفسه • هو تحت اقدام المستعمرين حياته ، ويمد يده ليحمي بها
حمى الخلافة •

وكانا يمشيان الهوينى ، فساقهما الحديث الى مذبحه « أمر تسار » اذ هاج

الهند سنة ١٩١٩ فاجتمعوا في احدى ساحات المدينة فمنعهم الجنرال داير
الانكليزي ، فابوا ان يتفرقوا ، فاطلق جنوده عليهم النار بامرهم ، فقتلوا منهم
(٣٧٩) رجلا وجرحوا (١٢٠٠) .

وكانا يتوقعان ان تكون ضحايا الهياج في العراق اضعاف هذه الضحايا ،
وقطعا الحديث وهما يحوقلان ويلعنان الاستعمار .

★ ★ ★

وذعاهما الدكتور (ع . صاحب) وهو وطني مسلم معروف يصاحب
الكاتب الهندي سوامي .

وكانا معه مساء على المائدة ، في بهوه الذي اعتاد ان يقابل فيه الوافدين
الى الهند من أقطار الشرق المختلفة ، وهو واسع رحب تضيئه الانوار
الكهربائية الساطعة . وقد علق في جدره كثيرا مما جمعه من صور الرسامين
النوابغ . ومنها صورة « التهاون » للمصور « استي » و « الضاحكة »
ل « كومانس » و « القارئة العارية » ل « هينر » .

ودخل عليهم ، بينما كانوا يتناولون الطعام صامتين ، رجل قصير القامة ،
قمي . على رأسه قلنسوة صغيرة سوداء ، دميمة الوجه حقيق الثياب ، فحياء
فدعاه الدكتور .

ولم يكن متكلفا مبالغا في التأدب . فجلس الى جانبه ثم مديده الى
المائدة يشاركهم فيما يأكلون .

والرجل مدرس في احدى مدارس الحكومة ، قدمه الدكتور اليهم
باسمه ولقبه « المولوي ابراهيم ابريشم والا » اي الملا ابراهيم القزاز .

كان ابوه يربي دود القز ويتاجر به . فخر آخر أمره فاضطر ابنه الى
احتراف التعليم في المدارس الابتدائية . وهو يعلم ابناء الدكتور قواعد اللغة
منذ سنة لقاء أجر زهيد .

واذ فرغوا ، واقتعدوا مقاعدهم من البهو يتسامرون ، وجه الدكتور
اليه سؤالا ثانيا ، فأثارة •

قال : قلت لك ايها الدكتور اولا ، واقول لك ثانيا : انني لا اعرف
جمالا على وجه هذه الكرة غير جمال المرأة • والرجل ، الرجل لا جمال له
اصلا ولو كان له جمال لصوره المصورون كما صوروا النسوة اللاتي تراهن
أمامك • الرجل هو الجنس الخشن كما يقولون • فله القوة مطلقا ، ولها الجمال
مطلقا • انني مسلم حقا كما تعرف • مؤمن لا اجراً ان أفسر آيا من القرآن
المقدس قبل أن ارجع الى ما كتبه المفسرون ودونه علماء الدين الاقدمون في
كتبهم • لا أستطيع ان أفكر في حكمة وضع الولدان في الجنة مع الحور • وعلي
أن أغلق على نفسي باب التفكير دون ما جاء به كتاب ديني المقدس • لكنني
مستطيع ان ابرهن على أن لا ولدان في هذه الدنيا • انني أريد ان تكون الهند
يقعة من الارض يملؤها الف مليون من البشر على الاكثر ، لكي تكافح
المستعمرين (!) ولن يكون ذلك بغير الزواج العام • ولن يكون الزواج العام
يغير التغي بالمرأة ومحاسنها ، ودفع الجنس الخشن الى حبا (!) • والمرأة
جسيمة وان كانت زنجية من افريقية • ان كآن في الجنس الخشن جمال
فلتعترف به النساء فقط (!) •

ومضى مندفعاً في خطبته المزرية الغريبة ، وهو يرفع يده اليمنى ثم
يخفضها ويهز رأسه تارة ، ويغمض عينيه تارة • وكان جسمه متحركاً كله ،
كأنه دمية من المطاط •

وكان الدكتور مغرباً في الضحك • فقد كان يريد ان يبعث السرور الى
قلبي الضيفين • فحرك لهما هذه الآلة العمياء •

واعلمه على أثر فراغه من الخطبة ان ابناؤه مرضى لا يقدرّون على الدرس •
فانصرف •

ولم يكذب يبرح باب البهو حتى كاد يتفجر خالد من الضحك • وقال
الدكتور : وهذا نوع من الناس عندنا •
فقال خالد وهو ملتفت الى صاحبه :

⊕ - وعندكم يا صاحبي انواع غريبة قد لا أجد مثلها في بلادي •
وكان يشير من طرف خفي الى الشاعر البنغالي ، لانه لا يزال ذاكرة
كلمته عن العرب ، التي جرحته الجرح البليغ •
فابتسم وهو يجيبه : وغدا سأريك انواعا غريبة أخرى •

- ٨ -

أخى الكاتب الهندي الفتى العربي اخاء صادقا • وكان ينتظر - كما
ينتظر الانسان طلوع الشمس من الافق بعد الفجر - ان يسطع نور ذكائه
الحاد قريبا فيحطم قيود ثقافته القديمة شر تحطيم •
كان يرى فيه الرجل العظيم كامنا وراء سجن سذاجته وثقافته القديمة •
وكان يحسب له حسابا ويعده ذخرا لا يام نهضة الشرق المقبلة •
وافت تعلم انه لا عيب فيه سوى حمله آراء ومبادئ غير ناضجة هي
كل ما استطاع ان يتلقفه من محيط العراق ومدارسه وبعض الكتب العربية •
وتذبذبه بين الانسانية والقومية والدين •

★ ★ ★

وجاءته الرسالة الثانية من صاحبه مجاهد :

• اخي جلال

لا يزال الاضطراب مشتدا • وقد اختيرت لجنة من « الاشراف »
فوضعت امام المفوض الملكي البريطاني قرارا يتضمن معارضة العراقيين
للاحتداب •

ان صحبنا ليدعونك • فلب الدعوة • وانبني يوم مغادرتك كلكتا •
ليس من الصالح غيابك • وسلام عليك •

بغداد • في حزيران ١٩٢٠ : أحمد مجاهد

ثم نشرت الصحف برقية مرسلة الى رويتر من بغداد في ٧ تموز ١٩٢٠
تذيع نبأ انفجار بركان الثورة في الفرات • وتلتها برقية اخرى تنقل الى الناس
انباء الحوادث الجسام • ففرغ صبره • وتمنى انه لو ييرح الهند على جناح
البرق •

واعتزم السفر في ١٠ تموز ١٩٢٠ فخطب صاحبه سوامي بالتلفون
يشاوره في ذلك •

وكان سوامي لا يرى بأسا في السفر بل يعتقد انه لا بد منه لصاحبه عسى
ان ينفعه شهود الثورة ففيها درس له ، وفيها تجربة قد لا يظفر بها بعدها •
بيد انه رغب اليه التريث يومين أو ثلاثة ايام • « فقد جاء كلكتة اديب
هندي اكمل دروسه العالية في جامعة استانبول ، وسيلقي محاضرة عن الادب
التركي في نادي الطلبة ، اليوم ال ١٢ من الشهر ، وسيكون الاجتماع كبيراً
لان المسلمين من الهنود متحمسون لكل ما هو تركي ، والطبقة المتعلمة منهم
قد رحبت بالمحاضرة - إذ أعلنت الصحف موعدها - ترحيباً عظيماً » •

وكان شعور الفتى متجها ضد شعورهم ، لا يزال عالقا بذهنه ما قرأه
من فصول في كتاب « ثورة العرب » الذي جاء به الدعاء الى بغداد بعد
احتلالها • فكره ان يحضر الاجتماع ، فالح عليه صاحبه ميينا له : ان الاجتماع
جدير بمثله شهوده • وسيخطب المجتمعين اناس آخرون لهم رأي مسموع
في الآداب والفلسفة وعلم الاجتماع •

★ ★ ★

واجتمعوا عصرا ، فخرجا يتنزهان • وسأله خالد هازلا :

— او لم تعدنى ليلة كنا لدى الدكتور ان ترينى انواعا من الناس

غريبة ؟

قال : او ليست الهند مفعمة بانواع عجيبية غريبة من الناس ؟ وهي امامك كنت تراها منذ اكثر من سنة ولا تزال • او لم يكفك يا صاحبي ان ترى شر هذه الانواع : الشاعر البنغالي ، و ابراهيم القزاز ، والصحفي الحامل الهلال على رأسه ؟

وابتسم ابتسامة الكيد ورأى خالد انه صادق في قوله وكاذب كذلك • رأى انه صادق فيما قال عن الاثنين الاخرين اما الشاعر البنغالي فلا ، فأجاب :

— وهل الشاعر الذي يقصد القصائد المثيرة للوطنيين من هذه الانواع التي عدت ؟ أتمكربى ؟

فصر به ضربة خفيفة على فخذيه ثم ضحكا •

وكانا جالسين في حديقة عامة • وحولهما المتزهون من رجال ونساء ، واطفال يلعبون •

ومر بهما بائع قصب السكر ، وهو يحمله قطعاً صغيرة في اطبق يتلوه درويش^(١) هندوي يستجدي • وكان مصاباً بعاهة يحمل كشكولا اسود من الجوز الهندي • وقف ازاءهما بضع دقائق ، فأنف خالد ان يراهما المتزهون بخيلين لا يحسنان الى معدم فقير •

أخرج من جيبه ربيبة واحدة فناوله اياها ، ولكن الرجل لم يصدق انه يتناول هذه القطعة الفضية من المال • وحاول ان يخفي دهشته فالتفت عنهما ، وهو يرفع يده اليمنى الى السماء ويتمتم بالدعاء ، ثم أخفاها بين طيات ثيابه ، قال الكاتب الهندي بعد لحظة وقد وقف الدرويش الى جانب سيد غني : — أترى هذا الشريف ؟ أنه فلان الذي لا يعرف احد مبلغ ما في خزائنه

(١) يسمى الدرويش في الهند (الفقير)

من ثروة • انه ليناول الفقير شيئاً • واعلم انه لم يعطه أكثر من (پاي) (١)
 واحد • وانظر الى الفقير ، انه ليدعو له كما دعى لك • وهو كاذب ولا شك •
 ان هؤلاء الاغنياء قساة القلوب لا يحسنون • واذا ما احسنوا الى أحد من
 الفقراء والمساكين ، فالاحسان (پاي) ، وياليتهم لا يحسنون • واذن لكان
 حال هؤلاء الفقراء غير حالهم اليوم •••

- ٩ -

ارتقى الاديب الهندي خريج جامعة استانبول منبر الخطابة في حديقة
 النادي ، وكان الطلبة حافلين • فالقى مقدمة للمحاضرة عرف فيها شناسي
 وشمس الدين سامي ونامق كمال تعريفا موجزا • وبين اثرهم في الابد التركي
 قبل تطوره الاخير •

وكان يتدفق في خطبته تدفق السيل •

ثم تكلم عن الشعراء في طليعتهم عبدالحق حامد ، وتوفيق فكرة ،
 واتبعهم بالقصصيين ، ومنهم أحمد مدحت ، وعشاقى زاده خالد ضياء ،
 وأكرم ورشاد نوري • وذكر : ان الاولين يعتبران من الواضعين لاسس
 القصة التركية الحديثة ، وأن أهم قصص العشاقى « عشق ممنوع »
 و « فروزان » • فاما أكرم فاسلامي في قصصه • واما رشاد نوري فمتجدد
 تطوري •

وكان بيده العدد الممتاز الذي اصدرته مجلة (ثروت فنون) على عهد
 السلطان عبد الحميد ، وارصدت ثمنه لابناء الشهداء والجرحي • وهو مجموع
 قصائد ومقالات بليغة واقصوصات وطنية ، والفرق بين تلك وهذه كبير ،
 لان الاقلام كانت في العهد الاول ضعيفة مقيدة بسلاسل الاستبداد •

وذكر من مجلات عهد الدستور (ثروت فنون) و (شهبال) المصورة
 و (اجتهاد) لصاحبها الدكتور عبدالله جودت مترجم بعض كتب الدكتور

(١) الباي : جزء من ١٢ جزء من الآنة

غوستاف لوبون الى اللغة التركية ، ومن الصحف صحيفة (ييام) للكاتب علي كمال و (ايلري) لجلال نوري المؤلف و (تصوير افكار) وغيرها .

وذكر من الكتاب السياسيين حسينا^(١) ويونس^(٢) والاول من اساطين الاتحاديين . ثم تطرق الى حزب الائتلاف وكتابه وفي طليعتهم (رفيق خالد) الذي كان يشن الغارة تلو الغارة على انور باشا وصاحبيه^(٣) . وجمعت مقالاته ، وكلها الطعن عليهم والتزييف لاعمالهم في كتابين اثنين .

وانشأ يبرهن بالبراهين والحجج القوية على ان نهضة الادب التركي هي التي خلقت الروح الوطنية في الشعب ، وهي التي هيأت الافكار للتجدد .

وكان المحاضر يكره الكاتب جنابا شهاب الدين ، فلم يقصر في تزييف آرائه ووظرائته التي اودعها كتبه واهمها « رسائل اوربة » و « آفاق العراق » و « رسائل سورية » و « اوراق الايام » . وقال عنه : انه رجعي ، لا مذهب له في الاجتماع وابدى استغرابه من عطفه على العاملين المنتجين ، وهتكه الرأسماليين الذين يبتزون ثمرات اعمالهم ، في احد مقالات « اوراق الايام » في حين انه تهجم على الاشتراكيين السلميين اعداء الحرب في مكان آخر من الكتاب .

وكان يبتسم وهو يذكر لهم قوله : « انني لست بنسوي ولا رجالي ولا سلمبي ولا من انصار الحرب ولا مادي ولا معنوي ، انما انا مستقل ومطلق اذا صح هذا التعبير » .

ثم سأل أقرب السامعين اليه ، وكانوا خيرة الطلبة :
أو لم يكن خيرا له لو قال « انه لاشيء ! » ؟ ألا ما اكثر أمثال هذا الكاتب عندنا ، وهم بليتنا نحن القارئين .

(١) حسين جاهد .

(٢) يونس نادى رئيس تحرير جريدة (جمهوريت) في تركيا ، الآن .

(٣) طلعت وجمال .

وانتهى المحاضر بعد حديث استغرق ساعتين من الوقت • فدوت القاعة بالتصفيق والتهنئة له • وكان خالد يسمع المحاضرة اول الامر مكرها ، فاذا به عند ختامها معجب بها والمحاضر •

ثم ارتقى المنبر بعده دكتور في الادب من جامعة برلين • فبحث في الادب الروسي بحث العارف الخبير فذكر قصة « الجريمة والعقاب » لدستوفسكي • وانها درس قائم بذاته في نفسيات المجرمين • وانها كانت احدى الوسائل التي توصل بها العالم الايطالي لومبروزو في وضع كتبه عن الجرائم والمجرمين •

واتى على ذكر تولستوي فوصف قصصه واحدة فواحدة • وأتبعه بتورغنيف • فتحدث طويلا عن قصته « الارض العذراء » وقصصه الاخرى • وبحث في الاقصوة ، فذكر اعلامها ورجالها ومنهم انطون شيخوف الروسي • وذكر ماكسيم غوركي كاتب العمال، ومقالاته التصويرية البارعة التي هزأ فيها بتيصر المانية ، وهتك فرنسة لانها اقرضت روسية الملايين من الفرنكات سنة ١٩٠٥ فاعانتها على تجنيد الجنود واطفاء نار الثورة بهم ، فتأخرت النهضة الروسية الى الحرب الكبرى •

ولم يقفه ان يذكر من اعظم الادباء الرفيق «لنين» •

وانتقل الى الادب القصصي الفرنسي فذكر علميه الطائري الصيت ليل زولا واناطول فرانس • والاول زعيم القصة الواقعية التي تستنبط من سميم الحياة • والثاني حامل رسالة « الشك » في هذا العصر • وشرح مذهبيهما •

ثم تحدث الى السامعين عن ادباء المانية وفي الذروة من صرحهم المشيد عوته وشعراء الانكليز واولهم شكسبير وآخرهم رديارد كيبلينغ شاعر الاستعمار ، وادباءهم واشهرهم اليوم برناردشو وايچ جى ويلز •

وعاد الى البحث عن الادب القصصي الفرنسي فأتى بمثل لبراعة بعض القصصيين في اللعب بعواطف الجمهور ، وحملهم على تقديس الوطنية وكره الطبقة الارستوقراطية ذات الشرف الكاذب ، التي تحرقها نار الانانية الفردية وحب الذات ، وهي لا تعرف الوطنية الا باللسان •

• وكان المثل قصة (پول دي سويف) •

وهي مومس فرنسية ذات روح وطنية قوية ، وكره شديد للامان • غادرت بلدها الذي احتلوه في احدى حروبهم مع الفرنسيين الى بلد آخر في مركبة مع نفر ممن يدعون الشرف وهو منهم بريء • وقد اصاب المركبة ما عطلها عن المسير ، فجاع الراكبون ، ولم يكن لديهم ما يأكلون ، الا هي ، كان لديها خمر ، ولحم طير ، فقدمته اليهم عن طيبة خاطر ، رغم ازدرائهم اياها اول الامر ، لانها مومس دنسة وهم اشراف •

ويحدث انهم قبل ان يبلغوا المحل الذي كانوا يقصدون اليه ينزلون قرية ، فيرى - فيها - المومس صاحبتهم ، ضابط الماني من الجيش المحتل • فيرسل اليها من يعرض عليها طلبه • فتأبى الاجابة ، ثم تأبى لا لشيء سوى انه الماني عدو لها اذ هي فرنسية • ويلح عليها فتأبى وتتجاوز الالباء الى اهائته • كل ذلك وهم ممنوع عنهم المضي لطيتهم • يمنعهم هذا الضابط الشمل بالنصر • وتلك فعلة لم ترض هؤلاء ذوي الشرف المزيف الكاذب فيريدونها على ان ترضى • ثم يحاولون ان يقدموها اليه قسرا كي يسمح لهم بالمسير • وبعد لأي تجيئهم الى طلبهم فتذهب اليه في غضب وحقق ، وفي شعور كشعور الاضحية قبل ان يضحى بها على المذبح •

فاذا ساروا ، وبلغوا من الطريق أقصى مراحلها ، وكان الليل ، جاعوا فاكلوا وشربوا الا هي • كانت ذاهلة سكرى ، فلم تأت معها بشيء من الزاد •

ويقتلها الجوع ، فلا يلتفت احد منهم اليها ؛ يعرضون عنها لانها
اصبحت دنسة اكثر من دنسها الاول بكثير .

وهنا تجهش بالبكاء ، ساخطة على الانسانية التي تحتوى جموعها على
ذئاب كهؤلاء :

أكلوا زادها حين جاعوا ، وحملوها على ما حملوها من أجل انفسهم -
كما رأيت - وهم يقابلونها الآن بالاعراض والازدراء وسوء الجزاء .
وألقى خطيب ثالث خطبة في الاقتصاد والحديث ، كانت هامة رغم
اقتضابها .



وخرج خالد من النادي وقد برق امامه نور المعرفة الحديثة الصالحة
فراى افق الحياة متسعا ، وادرك انه كان في مثل ظلمة ، لا يرى لها الا أفقا
ضيقا كإطار الصورة .

ثم اخذ يعزم على دراسة الادب والفلسفة عند بلوغه العراق .



وفي اليوم التالي كان في محطة القطار ، يشيعه صاحبه وهو باسم
ويشجعه ويحضه على نجدة الثائرين .

لكنه كان كئيبا كاسفا ، في يأس مميت .

ولم يخف على صاحبه سر ما يعاني من ألم اليأس ومراراته ، فعاهده على
ان يبذل كل ما يستطيعه من جهد في سبيل الفوز بقصة الاسرة المنكوبة . ولم
يشر الى سارة ، خشية ان يزيده ألما ويأسا .

وفارق القطار المحطة ، فازداد الفتى كآبة وشعور باليأس ، وارتمى على
مقعده خائر القوى ينتظر بلوغ بومبي : فريضة الهند الغربية ، بفارغ الصبر .

ولم يشأ ان يقيم في المدينة يوما او يومين ، فاتجه الى الباخرة ساعة وصوله • وحين دخلها واضحى خارجا عن ارض الهند ، انطفأت نار يأسه • فأخذ الزهو بوطنيته • ومضى يفخر بنفسه امام نفسه : أو لم يرفع الوطن فوق الحب ؟

وسرى عنه قليلا • فما امتنع عن مشاركة اهل الباخرة في لهوهم • وكان معظمهم تجارا ، ذاهبين الى العراق ، يحملون اليه بضاعة كاسدة ، وهم يعتقدون انها مما يحتاج اليه الاهلون جد الاحتياج ، ايام الثورة • وكانوا يلهون ويلعبون فرحين •



دخلت الباخرة فرضة البصرة في ٢٥ تموز ١٩٢٠ • واذا كان ينتقل منها الى الباخرة النهرية المقلعة الى بغداد ، بلغه نبأ سيء عظم آماله القومية تحطيمًا : لقد احتل الفرنسيون سورية العربية !

وما كان للعرب جيش يدافع عن دمشق العاصمة سيل الغزاة الفاتحين •



رست الباخرة شرقي بغداد صباحا ، بعد ثمانية ايام • فخرج خالد من غرفته شاحب اللون انهكته الحمى ، وقد صحبته منذ غادر البصرة ، يتكئ على عصا • فاستقبله صاحبه أحمد مجاهد وحده • فتعاقبا وهما يبكيان • وكان يبكيهما فرح اللقيا • كما كانا يبكيان غصن الامل الذي ذوى •

وسأله خالد عن ابيه الشيخ • فاجابه انه في الضاحية يتعهد الشجر والزرع ثم سأله عن صاحبهما (ك • س) فاجابه انه في ميادين الثورة • وكان أحمد مجاهد بعد ان سقطت دمشق يائسا كصاحبه ، متشائما ، لا ينتظر ان يكون للثورة كل ما يريده الوطنيون من نتائج وثمرات • وقد

خطب مرة او مرتين ، في احدى جوامع بغداد ، يحض على التآلف والتآزر ؛
ثم اشتد بأسه ، فانقطع عن الخطابة ، وانزوى في عقر داره •
وكان نبيا • أحس ان حمى صاحبه ليست الا صدى للصدمة التي
صدم بها العرب في ٢٥ تموز ، فلم يعلنه بأسه •

- ١١ -

أقعده المرض خالد فلم يبرح البيت • ومضى عليه شهر ، ثم أبل • لكنه
فوجيء بموت امه ، وكانت عزيزة عليه فانتكس •
وكان يعودده صحبه ، وهم قليل •
وجاءه البريد بالرسالة الاولى من صاحبه الكاتب الهندي ، مؤرخة
في ٢٠ آب ١٩٢٠ •

قرأها وهو في فراشه :

الصديق جلال خالد !

اتمنى لك هناء مستديما ، ونجاحا في اداء واجبك ، وصحة •
يؤسفني ان اذكر لك خبرا اعرف أنه لا يسرك • ولو لم اكن قد وعدتك
بان انقل اليك ما يتصل بي من قصة « الاسرة » النازلة في سنغفورة ،
لما ذكرته •

كتب الي صاحبي الصحفي : انه لم يعثر على اثر لهذه الاسرة في المدينة
اول الامر •

وانه استمر يبحث عنها فلم يهتد اليها •

وقد حدثت جريمة بعد ذلك في احدى دور البغاء ، نشرتها الصحف
كلها • وسيق المتهمون الى المحكمة • فشهد المحاكمة • وكان بين المتهمين
مومس متنكرة ، اظهر رجال التحقيق انها بغدادية ، وانها هي سارتك •••

وهنا كان خالد يجمد جمود الحجر ، ويحدق بالرسالة فيرى السطور الباقية
السوداء قد احمرت ، واختلط بعضها ببعض ، ودارت به الارض الفضاء ،
ثم أغمى عليه •

وأستدعى ابوه الشيخ الطيب وصاحبه أحمد • وقد قرأ الرسالة كلها
فاطلع على سر ابنه الذي لم يكاشفه به من هذه الكلمة وهي بيت القصيد
« ... وانها هي سارتك » • واعطى أحمد الرسالة حين دخل غرفة المريض
قبل مجيء الطبيب ، وهو محزون يهز رأسه ، ويغالب البكاء •
وقرأ أحمد الرسالة واليك بقيتها :

... وكان سقوطها حلقة من النكبة نكبت بها الاسرة بعد وصولها
الى سنغفورة ، كما يظهر من قصتها الوجيزة ، التي اثبتت في سجل الشرطة
المستندة الى المعلومات المختلفة ، التي جمعها رجال التحقيق • وقد نقلها
الي ، وها اناذا انقلها اليك :

« سارة ابنة حزقيال اليهودي البغدادي • امرأة في العشرين من العمر ،
وجدت في الشهر الفلاني تعيش في الطبقة العليا من الدار المرقمة ١٧٩ •
الكائنة في الشارع العاشر من مدينة سنغفورة • مع ابيها وفتى من ذوي
قرباها اسمه داود •

وكانت كما شهدت الاسر التي ساكنتها في عين الطبقة والطبقة الدنيا ،
لا تخرج من الدار الا قليلا •

وحدث ذات مرة نزاع بين الاب وابنته • وكان سببه رفضها تزوج
داود • وكان الاب يبيع الخريفي يعينه في العمل داود • وكان يملك مالا
قدره (١٠) آلاف ربية • نوى ان يعطى الفتى منه حين الزواج نصفه مهراً •
واستمرت المعارضة من الفتاة •

ثم زوجها كما شاء • ولم يعرف أحد كيف تم ذلك • وكان الاب

يؤمل ارثا يصيب زوج ابنته من أحد اخواله مريض يوشك ان يموت ،
فيضم اليه ما عنده من مال ، يتاجران به •

ولم يكن الجو صافيا لهذه الاسرة ، فما احبت الزوج زوجها ساعة
من الزمن • وآذاها الزوج كثيرا • ثم اتهمها بحب فتى فارسي جميل كان
يجاور دارهم •

وكانت التهمة صحيحة ، اذ اطلع الاب على العلاقة بينها وبينه •

واحترقت اذ ذاك الدار المرقمة بـ ١٧٨ • وكانت ذات طبقتين • تقطنها
أسر أربع • وهي مجاورة للدار التي يحلون • فحامت الشبهة حول نفر من
ساكنيها والمجاورين ، بينهم زوجها داود • وكان الشاهد عليه الفتى الفارسي
وحده •

ولم تثبت التهمة وكان يظهر انها غير صحيحة • وبعد شهر شرست (١)
سارة • ثم وجدت سكرى تعربد • ولو حظ انها اختلست من الوقت فرصة
فخرجت والفارسي الى نزهة في سيارة •

ولما أن جاءها زوجها لطمته ، فتنازعا • ثم هربت الى محل مجهول •
وبعد شهر ظهرت - في دار البغاء - متنكرة باسم غير اسمها الاول •
ثم تنازع الاب والفتى ذات ليلة فانفصلا •

ولم يستطع داود العمل وحده لقللة خبرته ، فخرس • وما آواه حزقيال
بعد خسارته ، فافتقر •

ثم غاب عن كلكتة •

والاب الان مريض • وقد هجر مكانه الاول ، وتنكر ، ولم يبق لديه
الا صباية (٢) من ماله ••• •

(١) شرس الرجل . ساء خلقه

(٢) الصباية . بقية الماء ونحوه في الاناء

وجاء الطبيب فجلس نبض المريض • ثم بلل وجهه بقليل من بارد الماء ،
فاستفاق •

ونظر الى الطبيب وصاحبه أحمد نظرة مضطربة • ولم ينطق بحرف
وأحس أنه في حال غير عادية • وتذكر الكتاب ثم أدار النظر حوله فلم يجده
لكنه لم يسأل عنه ، فاطرق ، كمن يستعيد الى ذاكرته ما نسي •
وكان أحمد قد أخفاه في جيبه بإشارة من الاب المحزون •

ووصف الطبيب دواءه ثم خرج ، يشيعه الاب الشيخ مرتجفا واهنا •
وافهم احمد صاحبه انه في احتياج الى الراحة • وطلب اليه ان لا يتعب
نفسه في مطالعة او تفكير • فرجاه ان يعوده كل يوم مرة على الاقل •

- ١٢ -

ومرت الاحداث المتتابعة سراعا ، كما الصور المتحركة في لوحة السينما
فتبددت الجماهير الثائرة • وحل البصرة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٢٠
السريرسي كوكس ليتسلم زمام منصبه المعروف •

وعاد « ك • س » من ميدان الثورة في الفرات منكسرا ، فالفى
صاحبه خالدا لازما بيته • وقد نقه من المرض • لكنه أضحى ضعيف
الاعصاب ضعيف الثقة بالله ، ضعيف الشعور ببهجة الحياة ، يتوهم أنه في
طريقه الى الجنون المطبق أو الانتحار •

وكانت جراح قلبه من هذه الطعنات القاسية المتتالية ، التي اصابته ،
دامية ، بعيدا عنها الشفاء •

وعلم اذ كان مريضا ، ان الكتاب الذي حمل اليه نبأ النكبة من الهند
الى بغداد لدى صاحبه • فلم يشأ ان يراه • لكي لا تزيد في ايلامه تفاصيل
القصة • وكان يكفيه ان علم من صاحبه بعد ابلاله : ان تلك العذراء الجميلة

جمال « فينوس » ، الوديعه وداعة الحمل ، التي احب ، بغت^(١) ، لانها اضطرت الى الزواج بمن لا تريد . وخيل اليه أنها كانت تحبه ، فرفضت زوجها من اجله ، فازداد سخطا على سخط . كما ازداد ضعف ايمانه ، وضعف الشعور بيهجة الحياة . وكاد يدفعه هذا الضعف الى هوة الانتحار .



ومرت الاحداث سراعا :

فاذاع السر برسي كوكس^(٢) بعد أربعة أشهر من تسلمه زمام الامر بيانا في القبائل . قال فيه : « ان الغرض من عودته الى العراق كان لتهيئة الصورة التي تنوي الحكومة البريطانية ان تساعد بها الزعماء على خلق حكومة وطنية غير دائمة تكون مسئولة - بعنايته - عن الادارة الى ان يبدو من تقدم الوطنيين ما يدعو الى تغييرها » .

ثم ألفت مجلس الحكومة برئاسة النقيب في ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٠ . وآنثذ عاد كثير من رجال الجيش العراقيين من سورية والحجاز . ومنهم صديق لخالد . قابله عقيب عودته ، فنقل اليه صور الحوادث التي حدثت في دمشق ، واعظمها حادثة « ميسلون » .

وكان خالد بعد ذلك معتزلا العالم كله ، لا يتلو كتابا ولا صحيفة . ولا يقابل أحدا من الناس الا صحبه وهم قليل . ولا يغشى الفنادق أو دور القهوة .

(١) بغت اي أصبحت بغيا .

(٢) القى جميل صدقي الزهاوي الشاعر الفيلسوف بين يدي السر برسي كوكس حين وصوله الى بغداد قصيدته المعروفة ومطلعها :
« عد للعراق واصلح منه مافسدا » ومنها :

« اراف بشعب بقاء الشرقد قصدوا
اثارة الشرفية وهو ما قصدا !!
ومنها :

« لقد اتيت بانذار ومرحمة
فلن ترى فوق ارض الرافدين عدى »
(ص ٢٢٠ من ديوانه)

وخسر ابوه الشيخ المتوكل على الله في أموره حقيرها وجليلها ، كل ما اتفقه في الزرع من مال . فقابل هذه النكبة بأشد ما يقابل الفوضى عقاب الحاكمين من صخب ولعنة .

وقطعه الاب قطع الصديق صديقا عاداه . فكان النضال بينهما عنيفا في البيت . وأضحى البيت له بقعة من الجحيم .

ووصل اليه الكتاب الثاني من صاحبه الكاتب الهندي ينبئه فيه بمغادرته كلكتة ، وشخصه الى الصين الجنوبية ، مندوبا عن صحيفته . وكان الكتاب مقتضبا ، ختمه بالاسف على الثائرين ، وبانه أرسل اليه كتبا اجتماعية ترجمت حديثا الى اللغة الاوردية ورجاه مطالعتها في أوقات الفراغ .



واجتمع خالد بصاحبيه أحمد مجاهد و « ك . س » في داره فعرض عليهما . وحدثهما عن الكاتب ، فائتى عليه ثناء عاطرا .

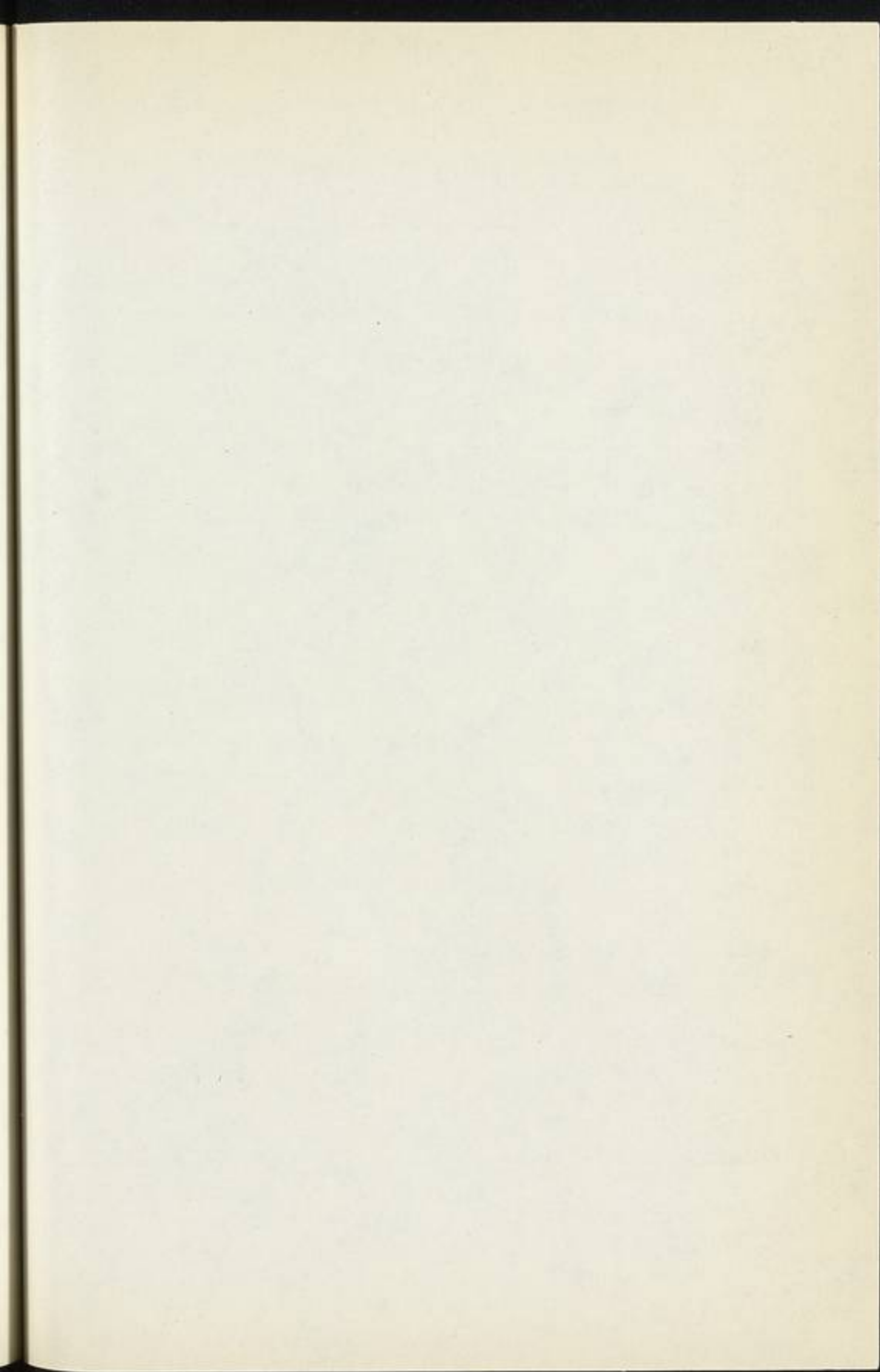
ولم يتصد لبعض آرائه التي كان يراها في الهند متطرفة تخالف ثقافته العراقية القديمة وتعصبه الديني ، والقومي .

وقال لهما : انه يحفظ له في قلبه أجمل الذكرى . وانه يتمنى ان يزور الهند مرة ثانية ، فيلقاه .



وكان صاحباه في يأس كياسه ، يبكيان الامل الذي ذاب في مدة قصيرة كما يذوب الثلج تحت الشمس . لكنهما كانا على ثقة بنفسيهما ، يعتقدان أن ما أصابه من ضعف في عقيدته وفي شعوره بالحياة ، ان هو الا نتيجة للحب الذييح .

وكان أحمد يلازمه ، ويكثر من التحدث اليه ، وتفكته ومواساته . ويرجو ان يذهب عنه الضعف والالام ، فيستقبل واياه الطعنات المقبلة في معترك الحياة بصدر البطل وثرغ باسم وأمل جديد .



الجزء الثاني

- ١٣ -

بعد سنتين •

الساعة الرابعة مساء • المكان : حديقة الصالحية من الكرخ • وخالد جالس تحت ظلال الشجر على حجر ، ينظر الى الماء الكدر الضحل^(١) يجري في الساقية أمامه ، في هدوء •

وهو الآن ناس سارة ، لا يذكرها • لكنه يذكر السقطة التي سقطت ، بعد ان اضطرت الى تزوج من لا تريد •

وتفتتح له منافذ البحث والنظر ، فيرى المرأة جاهلة شقية مظلومة ، تحتاج الى التعلم فالتحرر من أسرها والى النصر ، فيكون أول الناصرين لها في العراق •

ويذكر ما كان أفضى به الى الكاتب الهندي من آراء في المرأة فينكرها نادما على ما فرط منه •

ولقد قرأ في هذه المدة كل ما وجد في مكتبات بغداد من كتب ، قراءة درس • قرأ بعض كتب الادب العربية القديمة التي صدرت عن المطابع المصرية • وتفهم كتب قاسم أمين وكان يعرفها من قبل معرفة سطحية ، والكتب المعربة عن اللغات الافرنجية • وقرأ كثيرا من مجلدات المقتطف والهلال ، ومجموعة الدكتور شبلي شميل • وقرأ فولتير الفيلسوف • وغوستاف لوبون • فلم تعجبه - رغم الضعف الذي أصاب عقيدته اخيرا - القصة التي كتبها الاول باسم « محمد » كما كره آراء الثاني •

(١) الضحل : الماء القليل •

وتراجعت عواطفه المهتاجة أمام تعقله وتفكيره ، فأخزته فكرة الانتحار وأخجلته • وأنشأ يظهر بروح القوى الذي لا يعرف للضعف معنى في معترك الحياة •

ألا لقد بدلت الاحداث والكتب والتجارب خالداً الفتى • واذ بلغ به الدرس نظريات داروين ، فهم ان الرجل لم يقل ان الانسان ابوه القرد ، كما كان يسمع من افواه المتعصبين •

ونشر قصة صغيرة في الدعوة الى منح المرأة حريتها في اختيار الزوج الصالح • وقصة أخرى فيما حاسبه اصلاحاً للمجتمع وتقداً لنقائصه وعيوبه •

وكانت خطب الخطباء في نادي الطلبة ، في كلكتة عالقة بذهنه تحفزه الى مطالعة كتب الادب التركي وتفهمها ، والى جمع ما يعثر عليه في تضاعيفها من تاريخ او ترجمة او نقد لادباء الغرب وفلاسفته المصلحين • وقد عرف روسو فشغف به •

وظهرت قوة الثقافة القديمة الكامنة في وجدانه الباطن كالحية تكافح طلائع الفكر الجديدة • وكانت المعركة خفية غامضة بينهما تغلب هذه تلك تارة ، ثم تغلب تلك هذه تارة وهي شاعرة بالضعف ، تتوقع الهزيمة بين حين وحين •

واتشترت النسخ المطبوعة من قصته رغم ركاكة الاسلوب وتفكك الفصول •

وكان ذلك مشجعاً له على الكتابة في بعض الصحف والمجلات • وكانت تحزنه المصائب التي اصابت الشعب العربي ، فلا يرى لها سبباً غير الجهالة الطاغية العمياء ، وتفرق الكلمة ، وتذبذب المتزعمين ، وخيانة الخائنين منهم عبدة الذهب •

فكان واجبا عليه وعلى صحبه المخلصين شن الغارة الشعواء على الجهاد
والخائنين ، ورفع العشاوة عن العيون •
وفارقه أحمد مجاهد ، و « ك • س » وهما خيرة صحبه فشخص الاول
الى الفرات ، والثاني الى البصرة •

★ ★ ★

واخرج خالد من جيبه الرسالة الاولى التي ارسلها اليه أحمد ، فأعاد
تلاوتها :

أخي خالد !

١ - كنت احسبني مقبلا على جنة من جنان الفرات الخالدة في تاريخ
القرون الاولى فجتتها - هذه القرية المعروفة بشدة بأس القبائل المحيطة
بها واستبسالتها في الثورة - فرأيت الجحيم ، او كدت •
البر المنبسط حولها قفر • وما في ضواحيها الا بضع شجيرات من
الفاكهة ونخل جد قليل •

وهنا وهناك - في ذلك البر - كثبان من الرمل لا تحصى ، كانت
ولا تزال تهب عليها العواصف من جهة المشرق ، متتالية ، فتحمل منها الى
القرية وأهلها ، ما يسد عليهم عين الشمس و منافذ الهواء •
وهم بعد في فقر مدقع وجهالة وعمى عما في الحياة من مباحج ومسرات ،
دونه الموت ، كما ارى •

ولقد وليت وجهي شطر الطبقة التي تتولى الامر فيها ، فما الفيت
- امامي - الا فراغا ، والا تنكبا عن الحرية المدنية ، وازدراء للعلم • فاما
الملذات الدنيئة فلهم منها النصيب الاوفى •

٢ - واث فتدري انني غادرت العاصمة راضيا ، تركتها وانا اعازف

عنها وشناعات حياتها المستمرة تجري متبدلة متغيرة - كل يوم - كما النهر .
غير آمل اليها اياً . ولكنى الان لا ادري أستطيع - في غيبتى عنها - ههنا ،
في هذه القرية التي رأيتها الجحيم او كدت بقاء ؟

٣ - انى لوحيد . وخير لي أن أنصرف في وحدتي الى مطالعة الكتب
الادبية المصرية الحديثة ، وان كانت غير بالغة شأو ما تعرف من كتب الثقافة
التركية . لاني اريد ان ادرس الفكرة المصرية في هذه السنين طلائع فجر
النهضة . وأريد ان افهم « النفس » نفس الاديب المفكر المصري ، قائدها
وحامل رايتها في ميدان السياسة حيث الحق المهان ، والقوة الاستعمارية
الظالمة ، في نضالهما القاسي الشديد .

٤ - والصحيفة التي أبيتتم الا نشرها لبث ما في ارؤسكم من فكر ،
وما بين جوانحك من غايات ومنى ، هي منى هذا الشعب وغاياته . أصدر
منها العدد الاول ؟

اتمنى ان استطيع العمل واياكم فيها . اتمنى ان تكون الشعلة المنيرة
آفاق هذا الوطن الغارق في بحر لجى من الظلام . واتمنى لها الرقي الى
هيكل الضحايا الاقدس ، هيكل الحرية الذي شاده ابطال الانسانية من
ابنائها الغربيين نار ودموع ودما .

٥ - وارجو ان ترسل الي كتاب « الحكومة والثورة » و « آفاق
العراق » .

أحمد مجاهد

أول كانون الثاني ١٩٢٣

طوى الرسالة وهو يهز رأسه ويغغم هذه الكلمات :

« لكن الصحيفة لم تنشر بعد . وما ينشرها الا المال الغزير . والمال
مفقود . يملكه الذين لا يهمهم يقظة الشعب واصلاحه . وتملكه الخزائن
من الحديد » .

- من أحمد مجاهد الى جلال خالد -

رسالة أخرى

أخي خالد !

١ - وصل الي جوابك الوجيه^(١) .

٢ - رفيقي في حياة البيت واحد من النصارى ، انظر الى رأسه فيخيل الي انها « عش » على هيئة كنيسة من كنائس القرون الوسطى تجثم فيه ارواح الاعظم تعصبا من اهلها .

لكن الرجل يجاملني انا الذي احسبني حرا مجردا عن كل وهم وهوى وتقليد . ويؤاكلني ويستمع الي اذا ما تحدثت اليه في اسرار الطبيعة مثلا ، أو هنات الكهنوت ورجال الاديان . ثم هو يقوى على ان يزعم بين صحبه انه العصري المتسامح المثل في نفسه روح الحرية ، روح المدنية والانسانية . ولقد شاء ان اصحبه ذات ليلة الى حيث « القهوة » فما احجبت . واذ اقتعدنا مقاعدنا منها بين جمع من عدى الشعب الجهلة الاشراف ادركت في اي جو من الاجواء الفاسدة نحن ؛ وبدا لي النحس من زاوية مظلمة الى يساري ساخرا يبكي .

٣ - عدت الى الدار مثقلا بالهم والاسى . فرقدت . ثم ايقظني بعد منتصف الليلة صريخ الحارس في السوق ، وقد فاجأه لصوص من الطوارىء . الاعراب ، ونبيح كلب .

ومرت علي ساعة هادئة كان يكدر صفوى فيها بين دقائق ودقائق عويل ام تاكله بنيتها العروس تحمله النسائم من مكان قريب .

(المؤلف)

(١) لم نشر الجواب بين هذه الرسائل

وكانت غرفتي مطلة على سوق القرية • وهو رغم صغره وحقارته
مزدحم بالناس نهارا ، طوال السنة • فاما لياليه فسود موحشة • لا سيما
تلك الليلة • كذلك أحسست •

ولا أدري أي دافع دفعني - ساعتئذ - الى أن ادنو من النافذة فافتحها
فاستقبل وحشة السوق بشيء من الرضى والارتياح • وكنت اعرف مكان
الحارس منه • وكان معلقا بمسار في الجدار فوقه ، مصباح متحطم زجاجه ،
ضئيل نوره ، اوشك ان ينطفئ • فشهدت مشهدا ربما كان مألوفا هنا •
شهدت شبح الحارس ملتصقا بشبح آخر ، وكلبا حائما حولهما يهز بذيله •

صورة من صور الحياة في مستنقع !

واغلقت النافذة ذاهلا • ولم تأخذني سنة • بل تواردت علي جملة من
الافكار والاخيلة المضطربة اقلقتني • ثم رأيتني في شبه حلم امام رسم
متهدم ظننته رسم سلوى تلك الفراتية التي قتلها اخوتها الخمسة اشنع قتلة
تخلصا من عارها بعد ان ظهرت ثيبا ساعة غشيها زوجها • وكان بيني وبين
هذه الحادثة سنوات عشر ما خطرت لي فيها على بال •

واتبعت فسمعت الحارس يجادل رجال الشرطة وصوتا ضعيفا • حادثة
عادية ما اكثر امثالها في هذه القرية وامثالها ، صبي متشرد غريب لا هوية له
متهم في نفسه قبض عليه ، ثم سيق الى السجن •

٤ - اعلمك انني محزون وقد شربت كأس اليأس المرة حتى ثمالتها •
فما عدت اعالج شيئا الا عملي الذي اعمله كل يوم في غير رغبة • وما عدت
اعرف الا المطالعة وهذا الرفيق في حياة البيت • وهو رفيق غير محبوب
ولا مكروه •

٥ - بيد اني اريد ان اعرف المطالعة وحدها بعد هذا اليوم • اريد

ان اكون وحيدا في البيت فلا استطيع • لان الدار والخادم عندنا اندر من
الكبريت الاحمر كما تقول العرب •

والخادم التي تخدمنا الان عجوز تجهل انها عجوز • فهي تتعاطى
ما تتعاطاه الصبايا الاميل الى الرجال •

وهي تتبع تقاليد اهل القرية فتغادر البيت عشاء • وفي ذلك دليل على
عفاها عندهم وهو ناء عنها منذ عهد طويل • وهي تصلي صلواتها الخمس
دواماً •

٦ - وصل الي كتاب « الآفاق » فشكرتك • فاما الكتاب الثاني
فما اعجبني منه اسلوبه العربي الركيك • واعتقد ان المترجم هوى بترجمته
الى الحضيض •••

٧ - الصحيفة التي يجب أن نشرها واصحابنا خاسرة من الوجهة
المالية • لاشك في ذلك • فهل انها خاسرة من الوجهة الادبية على رأيهم •
اما انا فارجح انها ستربح من هذه الوجهة ربها لا بأس به •

أحمد مجاهد

اول مارت ١٩٢٣

- ١٥ -

- من جلال خالد الى أحمد مجاهد -

أخي مجاهد !

١ - تلوت رسالتك الثانية وانا في أشد الحيرة والعجب • لا أدري
كيف وجد اليأس سيلا الى نفسك الكبيرة ؟ أو لم تكن انت المنقذ لي من
اليأس القاتل الذي أصابني قبل سنتين ؟ أو لم تكن تهزأ بالضعف ؟ أو لم تكن
معتزما ان نستقبل الطعنات المقبلة في معترك الحياة بصدر البطل ، وثغر

باسم ، وأمل جديد ؟ أو لم تكن متفائلا رغم انف الاحداث والنكبات ؟
٢ - أطرده الخادم اذا شئت . وكلم رفيقك في حياة البيت على قدر عقله .

٣ - صحيح رأيك في الكتاب الثاني . وقد طلبنا النسخة الانكليزية من احدى مكاتب لندن . وسنرى أن النسخة العربية مترجمة ترجمة كاملة صحيحة .

٤ - لن نستطيع نشر الصحيفة . فما ينشر الصحف الا المال العزيز . وهو مفقود . وقد نملك منه قدرا يسيرا ، ان خسرناه خسرنا الحياة . وحياتنا لازمة لخدمة الشعب اليوم وغدا .

٥ - ادرس حياة القبائل في الفرات . وارسل الي نتائج درسك .

٦ - يتغنى بعض اهل بغداد هذه الايام بأغان ، يقال ان الفرات مصدرها . فهل هذا صحيح ؟ وهل لرجال القبائل المحيطة بالقرية التي تحلها من ذوق في الغناء ؟

٧ - أيكذب اليك من البصرة صاحبنا « ك . س » ؟ وسلام عليك وعليه .

جلال خالد

في ١٠ مارس : ١٩٢٣

- ١٦ -

- من أحمد مجاهد الى جلال خالد -

أخي خالد !

١ - ما رأيت لهؤلاء القوم ذوقا في غناء . ولقد سمعت عصر يوم

نائحة تنوح على مقربة من قبر في الضاحية ، ثم سمعت مغنيا يغني ، فلم
اتمكن من التمييز بين نواحها وغناؤه •

والليلة الماضية قضيت ساعة منها في عرس • اذكرها فاذا ذكر تلك الساعة
التي كان يكدر صفوي فيها تحت جناح الليل العبوس عويل الام الثاكلة
بنيته •

كان المغني فتى غرائقا ، جالسا القرفصاء ، وقد رفع يده اليمنى وكأنه
يشير بها الى حبيته العذراء يختطفها فارس مغرم بها من الاعراب •
وأنشأ يئن أنين الحامل تعسر عليها وضع الوليد • والحاضرون كذلك •
ثم انقطع الأنين فاعقبه شبه نواح وصريخ : يا أب •• يا أب •• يا أب ••
ويلاه •

وكرر الكلمة الثانية من أغنيته بضع مرات ، وهو يمد الفها مداً
طويلاً ينقطع دونه النفس • وكنت أرى الدمع مترققا في العيون •
وكان مكان العرس فسيحا • اشرف عليه من سطح حجرة نسوة
محجبات بالخمر السود •

٢ - وطبيعي ان يكون هذا الغناء ، غناء هؤلاء القوم • انه للشعر
الذي تجيش به صدورهم • وقد غلبهم الفقر واذلهم الجهل واستعبدتهم
الظلمة الطغاة عصورا ولزمهم الضعف • واني للضعيف الذليل المستعبد
المقهور الميتة روحه ، ان يحاكي هياج البحر في غناؤه وقصف الرعد ودوي
الصاعقة وصرخة المتمرد الجبار •

٣ - ولقد سكرنا ، ولقد رقصوا ، ثم رقدوا تحتضنهم الشهوة المهتاجة
المخضب فمها الوردي بدم العزة الانسانية والكرامة والرجولة دعامة الحياة
الاولى •

٤ - وجلست الى رفيقي في حياة البيت عند منتصف الليل اتلهى
معهم واضيف له بالحديث • فاعيتني غباوتهم وارهنني الحاحهم علي بان
افضي اليهم بما عندي من رأي - مستقر - في الاستعمار والدين • وانا
آبى ثم آبى •

لاني افهمهم حق فهم • لاني لا انتظر من هذه السدنة في معابد السلطة
المتحكمة بالرقاب ميلا او نزوعا الى الحق الصراح •

٥ - وآويت الى غرفتي ثم استيفضت فجرا ، فشهدت - من النافذة -
امرأة منتصبه تصلي فدهشت ؛ وكانت خادمنا العجوز • وانفتحت باب
غرفة صاحبي تلك اللحظة ، ثم رفع ستارها عن امرأة حسناء خرجت تتكسر
في مشيتها ، فتوجهت مسرعة الى باب الدار •

٦ - سأطرد هذه الخادم التقية العجوز غدا • وسأقطع هذا الصاحب
حامل الكنيسة على رأسه الفاجر في الخفاء • فان لم افعل فعجيب ان تجتمع
تحت سقف هذا البيت الفاحشة والتقوى ، « والقيادة » والصلاة •

أحمد مجاهد

في ١ نيسان : ١٩٢٣ •

- ١٧ -

- من أحمد مجاهد الى جلال خالد^(١) -

رسالة ثانية

أخي خالد !

يعجبني من اخلاق هذه القبائل المحيطة بنا شجاعتها ، ويؤلمني فقرها ،
وتمتع الرؤساء - المسيطرين عليها - بما لها من حق في الارض وما تنبت
الارض ، وجهالتها وهي الكسف من الظلام متراكم بعضه فوق بعض ،
يحتجب وراءه الخيط الدقيق من نور العقل الانساني الهادي الى سبيل
الحياة •

(١) لم يرسل جلال خالد جوابا على الرسالة الماضية .

فأما قسوتها فشديدة ، تنسينا اذ نشهد ظواهرها ، خلال الحوادث
- كل يوم قسوة الجوارح والسباع المتهاكمة على أكل اللحوم وشرب الدماء •
اخصها حوادث النعمة والثأر الذي ورثته العرب عن اجيالها الآفلة
في افق التاريخ • وانا راوٍ لك واحدة منها • هي الساعة هذه ، النقطة يدور
حولها حديث الناس •

على شاطيء القرات الواغل في البادية قرية لا فيديك ذكر اسمها ، فقيرة
متواضعة تقيم على مقربة منها قبيلة ذات بأس ، تستضعفها ، وترى شأنها
حقيرا ، كما تستضعف القبائل القرى والمدن وترى شأنها حقيرا ، لانها
لا تماثلها في اخلاقها وعاداتها وعصبيتها ، ولان لها في الحياة وجهة غير
وجهتها ، ولان ابناءها - ولا تعجب - يتعاطون الصناعات ويمتهنون المهن التي
نعرفها • ويباع عندهم الخبر ويشترى ، ولانهم لا يعرفون النعمة الوحشية
والثأر غالبا •

ولانعلم كيف استطاع واحد من اهل القرية قبل اسبوع هتك عرض
امرأة من نساءها • فقامت قيامتها ، وحتم عليها ان تسلمه او ان تؤدي دية
« الهتك » بنات ابيكارا •

ولكنها تلكأت (١) وهرب الفاعل الى مكان مجهول •

وكان للامراة ولد شرير يبلغ العشرين • سربلته القبيلة سربالا ضافياً
من العار • دونه الموت والنار - كما يقولون • وبالنقمة والثأر ينزعه اذا شاء
الفتى • ولقد شاء الفتى حقاً •

ففي عصر أمس انكفأ الحاطبات من نساء القرية اليها من البرية اذكن
يحتظبن مولولات صارخات سود وجوههن •

أتدري ان الفتى ثأر لأمه ثأراً ما عرفته القبيلة في ايامها الماضية ولا القرية؟

(١) تلكأ عن الامر : ابطأ وتوقف •

أتدري انه وعصابة له من صحبه هتكوا عرض فتاة بكر وامرأة ثيب
اخرى ، بعد ان حلقوا شعر رأسيهما وكادوا يمزقونهما بالخناجر والمدى ؟
وجاء القرية صباحها - هذا اليوم - عابسا باكيا •

• وجاء القبيلة صباحها ضاحكا كأنه صبح عيد •

ورأى الرائحون والغادون من ابناء القبائل المجاورة لها والقرى ،
وسيروا غدا وبعد غد على باب خيمة الثائرين راية خفاقة صغيرة بيضاء ملطخة
بالدم ، معقودة عليها ضفيرة من الشعر سوداء •

انه لدمها ، وانه لشعرها ، تلك الفتاة البكر البريئة التي لا تنتظر الآن
من أهلها ، وهي لاجئة الى بيت سيد القرية وشريفها ، الا الميتة الشنعاء ، والقبر
يدفنها وعارها : عار القرية كلها •

أحمد مجاهد

أول مايس ١٩٢٣

- ١٨ -

- من أحمد مجاهد الى جلال خالد -

رسالة أخرى

أخي خالد !

أريد أن احدثك في هذه الرسالة عن الفلاح أخي ابن الشعب • وارىد
بالفلاح هذا الرجل الذي يعيش في اودية العراق وفيافيه ، تحت السماء
وشمسها المحرقة صيفا ، ومطرها وبردها شتاء ، هو وزوجه واطفالهما ؛
يعمل مجاهدا واياها النهار كله في حرث الارض وزرعها ، ثم يأتيه المساء
فلا يجد بين يديه مايسد رمقه والزوج الضعيفة والاطفال ، الا لقيمات من خبز
« الدخن » غير سائغ • والدخن اقل ثمنا من الشعير • وانت تدري انه ليس

دون الشعير طعام للدواب • فالفلاح العراقي - اذن - احقر من الدواب
شأنا •

يأتيه المساء فلا يجد بين يديه ما يسد رمقه والزوج الضعيفة والاطفال
الا لقيمات من خبز الدخن تدخل اجوافهم قسراً ؛ تدخلها بعد ان تمزق
منهم الحناجر تمزيقا • هذا والموائد في قصور المالكين والبارات والفتنادق
مستدة كل صبح وظهر ومساء ، عليها من المآكل والمشارب الوان وضروب •
ولا يعوزها الا لبن البلابل ، وامخاخ العصافير •

وجميل هو خبز الدخن ، لو كان مستديماً يفوز به كل فلاح فقير •
فلقد رأيت في بعض البوادي التي بلغتها قبل سنتين او ثلاث فريقيا من
الفلاحين تعز عليهم أكلة منه • وقد يجدونها كل اسبوع مرة او مرتين •
فاما غذاؤهم كل يوم - بل قوتهم بالتعبير الصحيح - فنبات الارض والماء
وقليل من الملح •

وإذا كنت ترى في ذلك ما يدعو الى العجب والالام ، فاعجب منه
أجسامهم الناحلة المهذمة ، كيف تقوى على الجهاد والعمل النهار كله • ففي
مثل هذا الفصل الشديد حره واهل المدن نيام في سراديبهم وانفاقهم تحت
الارض ، تجد الفلاح واقفا يتصبب منه العرق يستقي الزرع ، او ماشياً وراء
الدواب يحرث الارض العذراء •

وتجد زوجه تجوب البر وييدها الفأس تجمع الحطب • وكثيراً ما يكون
معها طفلها تحمله فوق الحزمة من حطبها الذي تلقى في سبيل جمعه وتقطيعه
وحمله عنثاً لا يطاق •

ولو شئت ان تعرض حطبها على الشراة في الطرق والاسواق لما اعطاها
أحد غير « آنة » او « آتتين » لا أدري أهى ثمن له ؟ أم هي عوض عن
القوة الانسانية الضائعة في استخراجها من الارض ؟ أم هي أجر حملها ونقله ؟

والفلاحون — بعد — جهلة • لا يعلمون • واذا ما مرضوا فهم ضحايا
«رخصة تأكلها الاوبئة والامراض •

ولا اجراً حقاً أن انقل اليك نبأ واحد منهم رأيتهم يحسد حماراً لشيخ
من شيوخ القبائل ، كان يأكل الشعير في اصطبله • ويتمنى لو انه كان مثله •
ليحظى برقدة كرقدته تحت سقف الاصطبل يقيه الحر والبرد ، ثم ليحظى
بأكله من الشعير •

أحمد مجاهد

في ١ تسوز ١٩٢٣

- ١٩ -

— من جلال خالد الى أحمد مجاهد —

أخي مجاهد !

لتعلم : انه ما من شيء يجعل الفلاح راضياً بحقارة عيشه كاعتقاده
— فضلاً عن قناعته — ان هذا هو المقدر له في الازل • وقد ينال من السحق
لكرامته وعزته وحقوقه وشرفه النفسي ألواناً وضروباً في حياته فلا يتحمل
ولا ينطق بكلمة تدل على أنه يأبى سحق الكرامة والعزة والحقوق وشرف
النفس لانه صابر ، معتقد مؤمن بأن الامر ليس له فيه من شأن فهو واحد
من اهل هذه الدنيا ، ركب السفينة الذين يسار بهم وهم نيام ، كما تقول
تعاليم المكتبة القديمة الموروثة •

كذلك قدر له • والمقدر كائن سواء عليه أراد أم لم يرد • وذلك
حظه رغم أنه •

لست بمنغال فيما اكتب اليك • هذا رأي جديد صرت ارتأيه بعد
الدرس والبحث الطويلين •

ان حكم المكتبة القديمة وتعاليمها ليست - اليوم - الا عنصراً من
عناصر الضعف ، يجب ان نسعى الى محوها •

ان شعار المكتبة الحديثة « فكر لنفسك » • فلنسمع ولنطع ان كنا
نريد خروجاً عن دائرة الجمود والتقليد ، وتقدماً ، وحرباً لاوروبية
الاستعمارية بسلاحها •

ليس في المكتبة القديمة من تعاليم للقوة والحياة والتغلب على الظالمين •
انما فيها قناعة بما نحن فيه ، وصبر واستسلام للاقدار ، وخنوع •
أنها لتقول مثلاً :

« اكل وحمد خير من اكل وذم »

« العبد حر ما قنع »

« القناعة شرف المرء في الدنيا ومنزلته في الآخرة » الخ • أأكل وحمد
خير من أكل وذم ولو كان الاكل صاباً وعلقماً ؟ لا أدري أهذه الكسرة من
الخبز التي يأكلها ابن الشعب يجب عليه ان يقنع بها لانه عبد ، والعبد حر
ما قنع ، ولان القناعة الكنز الذي لا يفنى ؟
وتقول :

« لئن تتحمل المظالم خير من ان تكون انت الظالم »

« دار الظالم خراب ولو بعد حين »

« لا ينال المرء ما يجب حتى يصبر على ما يكره »

أأنتك صابر صبر الحمار الذي تضرب به الامثال متحملاً هذه المظالم
التي يصب على رأسك جاماتها ظالموك لان دار الظالم الى الخراب مصيرها
ولو بعد حين ، ولو بعد موتك ؟

وأنها لتقول في « القدر » و « الحظ » شيئا كثيرا • و « القدر »
و « الحظ » عندها كلمتان مرادفتان للدين في المعنى •

ما أنا بسحاول ان اعرض عليك كل ما تقول • فان في ذلك اضاءة
للوقت والجهد ويكفيك ان ترجع الى مجلداتها الضخمة العديدة التي لاتزال
تسلا مكتبات القوم كما تسلا اوهامها الرؤوس ، فتفهم مايجدر بك ان تفهم •
اني لاعتقد الان باكثر آراء صاحبي الكاتب الهندي التي كنت نقلت
اليكم بعضها • وكنت حين اسمعها منه استغربها • ولكنني كنت اذ ذلك
سادجا لم اعرف شيئا من تجارب الحياة ومذاهب الفلاسفة المتفكرين
ودروس المصلحين •

يجب ان يفهم الفلاح انه هو المنتج في البلاد ، وانه مظلوم • ولكن
من يفهمه ذلك ؟ ومتى يفهم ؟

جلال خالد

١٥ تموز ١٩٢٣

- ٢٠ -

- من (ك • س) الى جلال خالد -

أخي خالد

لم أكتب اليك منذ حلت البصرة • لانني كنت في سكرة ، ساهيا •
فقد أحببت وكفى • وأحببت امرأة عصبية ، شديدة الخلق ، اجتمعت فيها
خصال المرأة المتناقضة من عزة نفس ، وذلة ، وبخل ، واسراف ، وكرم ،
ونزق ، وطيش ، وعرامة ، ثم وداعة ، ولين عريكة •

وأحببتها ، وانا كما تعرفني لا اعرف الحب الا مرضا وضعفا • أولا
تذكر مقالي الذي تلوته عليك وكنت احاول نشره باحدى صحف العاصمة

خاشرت علي بان لا أفعل ؟ أو لم يكن ذلك المقال تزييفا لقصص الحب
وروايات الغرام ؟

وليست المرأة التي احببت شريفة بالاصطلاح الاجتماعي المعروف •
كانت تتخادن رجلا منذ عشر سنين • ولم يكن يعرف الناس لها أهلا •
فهي وحيدة ، غريبة • جاء بها صاحبها من ديار العراق الشمالية عقب سقوط
الموصل • وكانت صغيرة فشبت وهي لاتعرف الاله ابا واما واخا ،
وخذنا •

ثم تركها بعد هذه المدة الطويلة •

وكانت تحسب انها زوجه ، وان كان الزواج غير شرعي • لكن
السواد عندنا لا يعرفون هذا النوع من الزواج • فهزأوا بها بعد اذ اصبحت
وحيدة • وكادوا يدفعونها الى دار البغاء •

وهي الان في داري • تمنى ان لا تبرحه حتى رقدة الابد •

بيد أنني مجبر ، مضطر الى نبذها ، والتخلي عنها • وهذا ما لا أطيق •
أتخلي عنها لانني لا أستطيع ان ارفعها الى منزلة شريفة كما يريد نظام المجتمع
واتخلي عنها لان أمي وابي مزوجاني بفتاة لم أرها ، ولا أعرفها ، رغم انني •
وانت تدري انني بار بهما • أرجح قهر نفسي وكبح جماح عواطفني على
العقوق • واقول « العقوق » لانهما هكذا يعتقدان • يعتقدان انني عاق
لهما اذا ما رفضت • والرافة بهما لازمة • وان كان فيها تضحية كبيرة
لمصلحتي •

واعلمت صاحبتني أمس بالحقيقة • ويا لها من ساعة مضت علي وعليها •
ان الحزن كاد يقتلها • وتضرعت الي باكية راجية ان اتركها في البيت كخادم

تقتات فضلات الموائد • فذلك خير لها من ان تندفع في هذا المعترك ، وهي
لا تعلم لها مصيرا غير دار البغاء •

ولقد المني التضرع وبكاها • وكدت ارحمها •

ثم تسلمت من البريد - اليوم - كتابا ، ارسلته الي امي تستعجلني فماذا
انا فاعل ؟ لا أدري •

لن تكون الفتاة التي سأزوجها كما اريد • هكذا أنا اعتقد • فانها عراقية
غير متعلمة تعلمنا عاليا صحيحا • وما تعلمته في المدرسة من مبادئ ومقدمات ،
تطغى عليه ولاشك ثقافة المحيط والبيت الذي نشأت بين جدرانته •

سيكون الخلاف بيننا شديدا • وسأحيا حياة مرة ، مقلقة مضطربة ، احرم
فيها من كل راحة وهناء • كما احرم فيها من الدرس والاطلاع ، وخدمة
الشعب • أليس كذلك ؟

اجدني مضطرا الى اخراج صاحبتني من البيت قسرا لانها ابت الخروج •
وهذا ظلم ، وهذا قهر للانسانية شديدة •
وسلام عليك •

ك • س

١ آب ١٩٢٣

- ٢١ -

- من جلال خالد الى ك • س -

انني ارثي لحالك ايها الاخ العزيز • ألا لقد غلبت وظلمك ابواك • وماذا
تجدي النصيحة مني ؟

غدا أو بعد غد سيتم أمر زواجك • وستشقى وتشقى زوجك بشقائقك
وبنوك • وسيحمل الظالمان الوزر •

كلا اتمنى ان لا يكون نصيبك من الحياة الشقاء • انا لا يرضيني ذلك •
يا أخي ! علمتنا تجارب الحياة ان تزويج الامراة قسرا بمن لاتحب مؤدٍ بها
الى واحد من طريقتين :

١ - خيانة الزوج فالسقوط •

٢ - القتل البطيء ، اذا صح هذا التعبير •

وكذلك تزويج الرجل قسرا بمن لا يحب مؤد به الى واحد من طريقتين

١ - التقلب على جمر الغضى طيلة العمر

٢ - الطلاق مقوض اركان العائلة وهادم نظامها

لقد وصل الي كتابك قتلوته • وكانت بين يدي قصة مأساة لكاتب
روسى كبير ، منقولة الى اللغة التركية • وعنوانها « انت ومالك لايبك »
ورجال القصة مسلمون من بخارى • وما اشبههم بنا نحن اهل العراق
أتدري ماذا كانت المأساة ؟ :

اب من رجال الدين ، يسرق ابناءه ويستخدمهم ويساويهم بالاثاث وقذور
المطبخ من الجماد الذي لاشعور له ولا حس ويعتقد ان الولد هو وماله لايه
ان شاء اماته وان شاء احياه •

وقد قسر الاب أحد اولاده وهو مدرس في احدى المدارس الابتدائية
على تزوج امرأة لم يرها ، ولم يعرفها ، رغم ابائه ورفضه التزوج بها • فلما
أن مضى على زواجه ثلاث سنين ورزق اولادا ثلاثة ، وشعر بثقل العبء الذى
أضحى حاملا له في الحياة ، وتسرب الى رأسه شيء من الآراء الاجتماعية
الجديدة ، تنازعا •

ثم أتدري ماذا كانت المأساة ؟

تقويض اركان العائلة • وخروج الولد على ابيه في غير رحمة ولا رفق •
اني لارجو ان يجعل العقل لك مخرجا مما وقعت فيه •
وليس لي أن أشير عليك بالخروج على والديك ما دمت بارا بهما رحيماً
رءوفاً ، تخشى العقوق • وسلام عليك •

آخر آب ١٩٢٣

جلال خالد

- ٢٢ -

- من جلال خالد الى أحمد مجاهد -

أخي مجاهد !

أكتب اليك اليوم بعد انقطاع عنك ، واكتب اليك وانا غاضب علينا :
انا وانت و (ك • س) •

غاضب • لا تستغرب مني ذلك • انا غاضب ثائر •

ألا ما أضعفنا ، واضعف عقيدتنا • ما هذا الانزواء عن العالم والتلهي
بالمطالعة في زوايا دورنا ، والمراسلة والاشتغال بانفسنا ؟

ألا ترى هذا الشعب في حاجة الى رجال ؛ والى جهود تبذل في اصلاحه
وتقويم نظامه ؟

وانا وانت و (ك • س) ؟ أجساد نحن ؟ أأناكل ونشرب وننام على
وسائد الراحة والنعمة ، ثم لا نعمل عملاً غير كتابة الرسائل يرسلها بعضنا
الى بعضنا تحمل الآهات والاناءات •

وهل أصلحت الآهات والاناءات شعبا ؟

وهل في رسالتك التي كنت ارسلتها الي تصف لي فيها حياة الفلاح
العراقي وشقاؤه ، ما يسعده وينجيه من عذابه ويحرره من الاسر ؟

وهل في رسالتي التي كنت أرسلتها إليك حاملاً فيها على المكتبة القديمة
ما يشي بنا الى غاية ، وينتج لنا ثمرًا غير فيج ؟
الصحيح انني لا أريد أن اذكر (ك • س) واني لاذكره مكرهاً • فقد
تزوج هذا الفتى فاستقبل حياة وأدبر عن حياة •
استقبل حياة الزوجية والبيت ، وأدبر عن حياة الجهاد في سبيل الشعب ،
وهذا الجهاد لم ينته بعد •

أوجه القول اليك وحدك : فماذا انت فاعل ؟ ماذا يجب علي وعليك
وصحبنا الاقلين ان تفعل بعد اليوم ؟
اننا كنا وما تزال تفكر في صحيفتنا الميتة قبل ان تولد •
ولكننا ان لم نستطع نشرها ، فهذه الصحف أماننا ، ألا نستطيع ان
نكتب فيها ؟

ألا نستطيع أن ندعو الى تحرير الفلاح ؟ ألا نستطيع ان نعلم جماعة
الشباب انها ساذجة غافلة لا تحمل من الافكار التي تحملها فتية الاقطار
الناهضة من الشرق الاقشورها وما لا يفيد ؟

ألا نستطيع ان تتبع خطوات ذلك الكاتب الهندي الشرقي ؟
ألا لقد أفلست آراؤنا وافكارنا الاولى التي حملناها بعد الحرب ،
فلنشعر بافلاسها على الاقل •

ماذا ينفع شبابنا النظر الى الورا ، الى آباء وأجداد خلوا من قبلنا ؟
ماذا ينفعهم الاكباب على المنفلوطي وعبراته ونظراته وخيالات بعض
الادباء العرب ، كما كنا تفعل الى عهد قريب ؟

وماذا ينفعهم مجرد التغنى بسجد زال وعز ذهب ووعود وعدنا بها ؟

ماذا تنفعهم ثقافتهم القديمة التي لا يبغون عنها حولا ؟

• ولا أطيل •

فانتي كلما أطلت ازددت غضبا وسخطا وهياجا • وازددت ارتباكا •
وأخشى ان يرجع الي اليأس الذي كاد يقتلني بعد ايابي الى العراق •

قال لي صاحب أمس : لنهجر العراق !

وهو فتى مخلص للشعب قد يرجى منه خير • لكنه ويا للأسف يمثل
الدور الذي مثله فيما مضى ، اذ هجرت العراق فشخصت الى الهند ، فسعت
الكاتب الهندي المثقف يقول في عظمة وعزة :

« على اننا نحن الذين ندعى بالوطنيين في الهند لا نبرحها » !

وتلك كانت الكلمة الاولى من كلماته التي لا تزال ترن في أذني ، وهي
التي رفعت عن عيني الغشاوة ، وارتنى منار الطريق •

فنحن ، أتسمع ؟ نحن الذين ندعو انفسنا : الاحرار ، ابناء النهضة ،
وطلاب الاصلاح ، لن نبرح قطرنا هذا ، ولا يجب ان نبرحه •••

وهنا ، وهنا ، يجب علينا ان نفتح لنا وجماعة الشباب كلها صحيفة
جديدة للنهوض •

غدا سأرسل الى من أعرف من الطبقة المستنيرة المخلصة دعوة للاجتماع •
وسأطرح على بساط البحث منهجا جديدا لاستئناف العمل ، يتفق والفكرة
الاجتماعية الحديثة التي اوصلتني اليها التجارب ، والدروس ، والكتب
التي ارسلها الي من الهند صاحبي •

وسأمضى لطيتي بعزم لا ينشئ • فان شئت ان تأتي الينا فأت • فاننا

نريد منك البلاء الحسن في المستقبل • ولتكن لنا ركنا قويا من اركاننا
نستند اليك • وسلام عليكم •

جلال خالد

بغداد في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٣

- ٢٣ -

- من جلال خالد الى أحمد مجاهد -

رسالة ثانية

أخي مجاهد !

لم تأت وقد تكون معذورا • لا أعلم • ولكن كان من الانصاف ان
تكتب الي جوابا على الاقل • يظهر ان العزم على عقد الاجتماع لم يرضك •
وقد اجتمعنا فتحدثنا كثيرا • ثم اتهمنا فلم نرسم خطة للعمل • ولن تقدر
على ذلك •

فاننا اتفقنا على ان لا نتفق • ولم يبق لدينا بعد خيبة الامل واليأس من
مثل أعلى للعمل فالوثوب •

وكنت الرجل المتطرف الذي اقسوا على ان لا يولوه شطرا من عملهم •
وهل هم عاملون حقا ؟

وأنت ، انت لم تأت • وقد تكون معذورا • وقد يكون عذرك الانهماك
في عملك الرسمي •

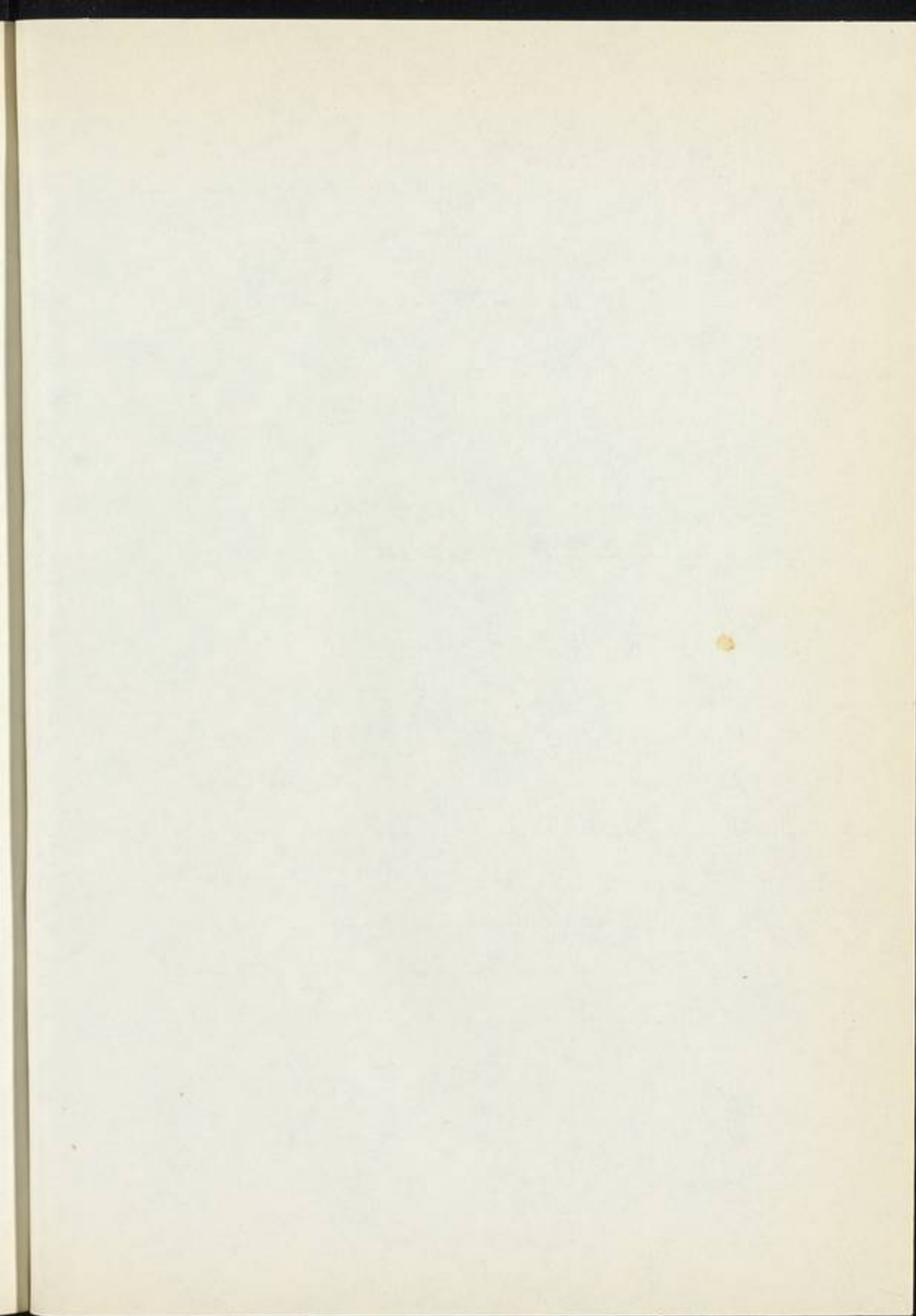
واذن ، أكانت حماسك في رسائلك فقاقيع مزقها الهواء ؟

لم تأت • لم تأت • وقد تكون منكمكا - كذلك - في جمع المال لكي تتزوج •
أجيني أنا خاطيء فيما حسبت •

ولكن لا • لن انتظر منك جوابا •

جلال خالد

بغداد آخر تشرين الثاني ١٩٢٣



محمود أحمد

الطلائع

صور وأمازيغ

— موجزة —

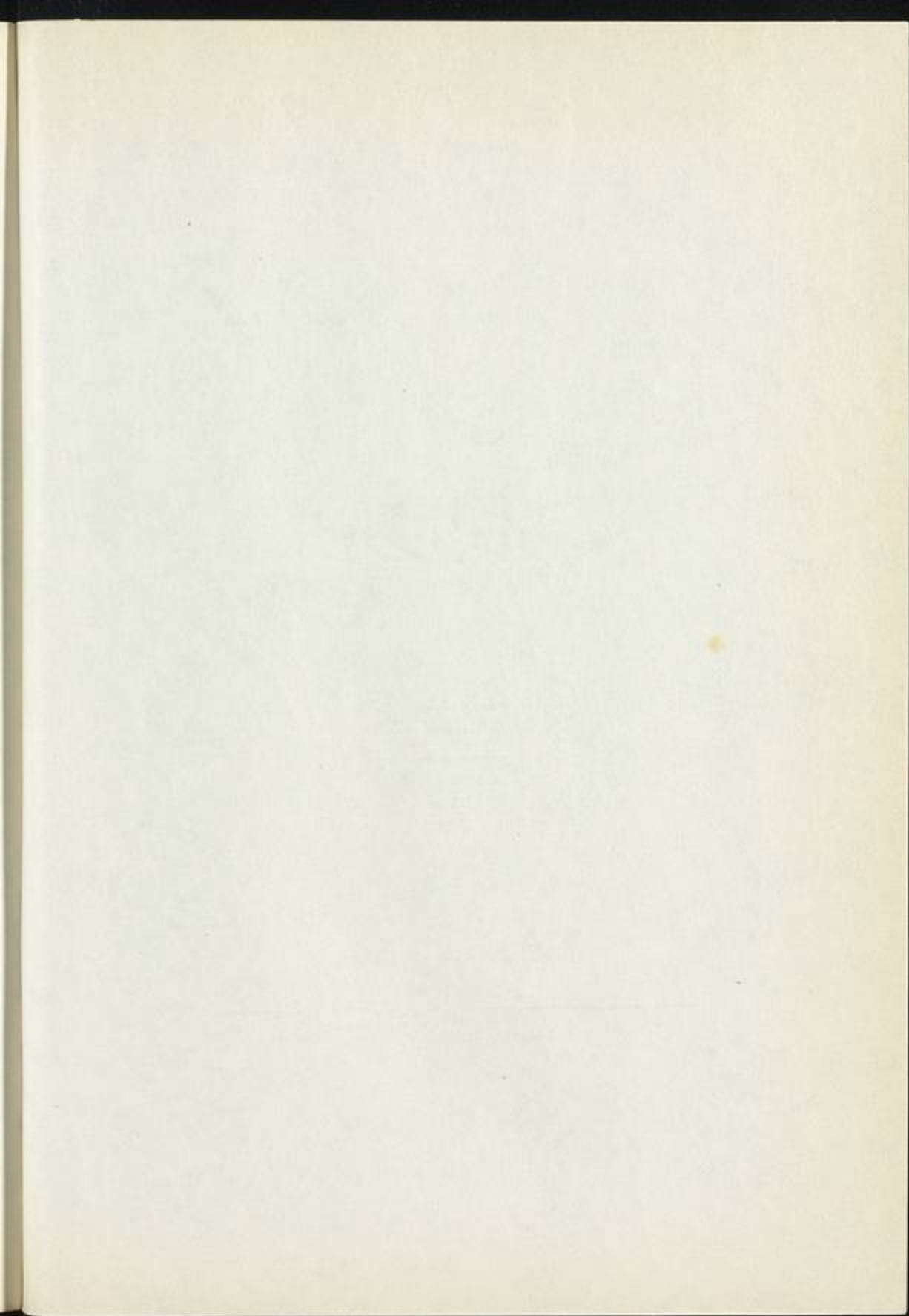
عراقية وغيرها

بعنوان

١٩٢٩

التمن رية واحدة
وصف الریح لجمعية حماية الاطفال

مطبعة الآداب بغداد



الطلّاع
صور واحاديث

موجزة
عراقية وغيرها

١٩٢٩

مهدة

الى فتية البلاد المستعدة للجهاد في سبيل الحق
والحرية ، مثلها الاعلى ، يحدوها « الامل »
الذى لا تقوى على « تحطيمه » قوة في الارض •

الطالب الطريد

حدثني والاسف يوجعه والذكرى تؤلمه ، قال :

كنت في المدرسة السلطانية العثمانية - قبل احتلال الجيش البريطاني بغداد - اميل كل الميل الى صاحبي « علي » . كان هذا الصديق خير عون لي في المدرسة ، وكنت اعجب بذكائه وهو مثلي من ابناء الطبقة الوسطى ، توفي ابوه وهو طفل ، فربته امه تربية حرة ، فكان ملقاً جريئاً ، وكان لشدة ذكائه لا يجهد نفسه في استظهار الدروس كما كان يفعل الطلبة اجمعون . وكان الى جانبنا فتى ثالث اسمه عبدالعزيز ، من ابناء الطبقة الدنيا ؛ كان اكبرنا سناً واقلنا تهديداً وأجرأنا وأشدنا بأساً ، يقلدنا - على قلة تهذيبه - في الاعتزاز برجال التاريخ العربي اجدادنا الاولين ؛ وذلكم كان ديدنا في ذلك العهد

وكان اكثرنا ايفالاً في المدينة ، يعرف شوارعها وطرقها وبعض بيوتها ، ويعاشر خارج المدرسة فتية من ابناء طبقته المكدودة فيشاركهم فيما يعتقدون من باطل العقائد والخرافات ؛ كان يعتقد مثلاً ان القبعة العسكرية التي ابتدعتها الحكومة ايام الحرب قبعة افرنجية محرم لبسها ، وان رباط العنق رمز للصليب ، وكان يجهر بذلك ، ولم يضع القبعة على رأسه حتى آخر يوم من ايام المدرسة ؛ وكان الطالب الوحيد البارز من بين الطلبة بطربوشه الاحمر ؛ اما انا وعلى فقد لبسنا القبعة تلك لاننا لم نشأ بل لم نستطع ان نشذ عن الجماعة .

وكنت اكره من هذا الرفيق الجريء - عبدالعزيز - قضاءه اغلب اوقاته في منازعة الطلبة ، كنت انصحهم وارجوه ان ينصرف عنهم وعن منازعتهم الى التوفر على دروسه ، فما كان النصح يجدي .

وكان يؤسفني انه عرف آخر امره فتى شغبا سىء الخلق ، وان كان في الحقيقة طيب السريرة خيرا . ولعلمهم كانوا يعييون عليه عدم لبسه القبعة ويتخذونه وطربوشه القديم الذى اوشك ان يبلى هزواً ؛ وهذا ما كان يهيجه . ولم يزد عقاب المدرسة الا جرأة واستمرارا في الشغب والنزاع والخروج على النظام . وكان يكره الحكومة اشد كره لانها حين اضطرت نار الحرب التى يدعونها الكبرى ، جندت اخاه الكبير وارسلته مع من ارسلت من ابناء العراق الى سوح الوغى في الشمال وكان يحسب انه لاحق به بعد سنة او اقل .

وانت قد تعلم ان هذا المسلك الذى سلكه عبدالعزيز اذ ذلك كان يجب ان يؤدى الى نكبة ، وكان طبيعيا ان يكون مصيره الطرد والحرمان من العلم ، وكان طبيعيا كذلك ان ينالني بعض الاذى من اجله ، فقد كان معظم الطلبة يناوؤن هذا الطالب ويكرهونه ويعادنه كما كانوا يعادونني . وكانوا يعتقدون انني انا الدافع له الى الشغب والنزاع والخروج على النظام ، وانتي لم أكن انصحهم وأرجوه ان ينصرف عنهم رغبة مني في ان يتوفر على دروسه ، بل جينا ، بل فرارا منهم .

واشتدت الحرب في العراق ، وطغى سيل الغزاة الفاتحين ، فغلبوا واخذوا البصرة فالقرنة فالعمارة عنوة ، فتغيرت الحال وتنكرت الايام للناس ، واقامت المشاقق للهاريين من صفوف الجيش ، ثم جندت الحكومة طلبة الصفوف العالية من المدارس واكبت على طلبة الصفوف التالية الاخرى تعلمهم كما تعلم الجند ، وتقحمهم في اشق الرياضات ، وهنا كان صحبنا الطلبة جبناء يملأ قلوبهم الرعب ! ...

اخذت بعد ذلك أكف عن نصح صاحبي وادفعه الى التهكم والتزرى على اولئك الفسل الغافلين من الشباب . وكنت محقا فقد تجرأ ثلاثة منهم

على ان يعيىوا علينا شذوذ آراءنا وتقديسنا رجال التاريخ العربى اجدادنا
الاولين •

وكنت اكره الاناشيد والرياضة البدنية ، اكره الخروج وطلبة المدرسة
الى استقبال القواد وحضور الحفلات الرسمية ، اكره مدرس الرياضة ذلك
الضابط المبدن ، ولا اريد ان اذكر لك اسمه ، كان له شاربان غليظان
منتصبان كصياصى البقر ، فكنت كلما اراه اذكر حديثا مأثورا قرأته في بعض
الكتب القديمة الصفراء ومعناه : ان من علامات آخر الزمان ظهور اناس
تكون شواربهم منتصبة كصياصى البقر ، وكنت أخشاه ، وكان صاحبي على
يسائلنى بعض المائلة في طباعي ، اما عبدالعزيز فكان اكثر منى كرها للمدرسة
واناشيدها ورياضاتها ، كان حين يخرج من البيت صبحا يتلكأ عن الذهاب
اليها ، ويحاول ان يتمارض ، كان يغادر البيت كل صباح وكأنه يسحب سحبا
الى سجن لا الى دار علم وعرفان •

وكان علينا ترك المدرسة بعد ان بلغ بنا كرهاها ما بلغ ، وقد سألتنى
عبدالعزیز ذات يوم ابداء رأيى في ذلك فلم أجبه ، والصحيح انى لم أجد
في نفسى الشجاعة التى تدفعنى الى الخروج وأياه ، فأشرت عليه بالتزام الصبر
والترثيد ، ثم انى كنت اخشى ان يقول عنى اهلى « انك قعدة مكسال تريد
التخلص من طلب العلم » فكنت - لذلك - أوثر البقاء وان كان فيه سحق
لعزة تموسنا وايلام لنا ، ولكن حادثا حدث في المدرسة اذ ذلك افرغ صبرنا •

جائنا مدير للمدرسة جديد ، وهو رجل عنيد ، كان يحسبنا مجموع
دمى من الشمع ، سهل عليه اذابتها ثم صنعها ثانية على غرار ثان ، وكان اول
من لفت نظره اليه من الطلبة : عبدالعزيز ، فقد اعار سلوكه اهتمامه وعنايته ،
وراح يرهبه ويعالج « تأديبه » كما كان يقول ، بالعصا • واذكر ان طالبا
من الطلبة الجدد ابناء الضباط الذين جاءوا بغداد - اذ ذاك - من الشمال ،
لاغاه ذات يوم ثم عبره بالفقر ، ثم اعتدى عليه ، فقابله صاحبي بالمثل ، فما

كان نصيبه من المدير الا الاهانة والطرده ؛ وبذلك اسدل الستار على حياته المدرسية ، والجيء الى التشرذ والعطالة وا اسفاه •

ولا ازال حتى هذه الساعة اذكر انسلاله من المدرسة - بعد ان طرد - في رفق ولين هو لين الانكسار والشعور بالضعف ؛ وكانوا في باحتها يحدقون اليه هازئين شامتين ، وهو يتظاهر بالغبلة فيتشاغل عنهم بتقليب صفحات كتبه التي كان يحملها في غدوه ورواحه ! • كنت معتقدا انه لن يظفر بشيء من الكرامة بعد ان ترك المدرسة واضحى « عاديا » من هؤلاء العامة الذين كان يسوقهم الشرط فرادى وثنى الى الشكنات حيث تنتظرهم الرياضة الشاقة والعمل المستديم ؛ ثم الى خنادق المعارك ينتظرهم الجوع والعري وبقر البطون بالحراب •

ثم ماذا تجدي العطالة وملازمة البيت ؟ لو كنت اعتقد انهما تجديان نفعا لكنت السابق اليهما • قلت له قبل ان يطرد بيومين : البقاء في المدرسة اجدى ، وانه - في الغد - اذا ما دعي الى حمل السلاح سيكون « ضابطا » او « وكيل ضابط » على الاقل •

كنت افكر مثله في الخروج فما انتهيت الا الى اجتنابه ، ولكنني بعد ان طرد - ولا بأس في ان اكرر هذه الكلمة - رأيتني كالوحيد ، وان كان ما يزال الى جانبي صاحبي علي ، لانه كان لنا قوة ، ورأيت ان المكث اضحى مستحيلا علي •

وقد ذهبت وعلي الى بيته عقيب انصرافنا فالقيته جزعا ، ولامني لانني لم ادعه يترك المدرسة قبل ان يلقي اهانة الطرد •

ونقل كيفية حدوث النزاع بينه وبين ذلك الطالب ، قال :-

« غادرت البيت صباحا وانا كئيب محزون لان امي لم يصل اليها كتاب من أخي الجندي منذ شهر وبعض شهر ، واذ كنت امشي في الشارع وابتعد عن البيت فاجأني رجال خمسة من الشرط يعدون وراء جندي هارب ، وصرخ

احدهم : خائن ! قف ! ثم اطلقوا عليه الرصاص فاردوه ، وسقط وهو تعب
جريح يلهث وعيناه تنظران الى السماء •

وكنت واقفا على قيد خطوة منه انظر اليه في لهفة وفرق ، وهو ملقى وقد
اصفر لونه وجلت وجهه سحابة من قتر الطريق ، وتشنجت اعصابه من الخوف ،
وجاء الشرط يتراطنون يريدون ان يرفعوه ، والتفتوا يبحثون عن حمال يحمله
الى مخفرهم ، ولا ادري ، لعله كان غريبا ان يقف واحد من امثالي امام هذا المشهد
وان كان غير سوقي في هيأته ، يرتدى لباس المدرسة وهو بلباس الجند اشبه ،
فقد رمانى رئيسهم بنظرات تطاير منها الشرر واقبل علي يدودني •

وكان نياط قلبي متقطعا من الالم ، واعرضت عنهم صامتا وقد قتلت في
كل همة ، وخشيت ان يكون هذا المصير مصيري — في الغد — اذا ما طالت
مدة الحرب القائسة ، ودعيت كما دعى اخي الى خنادقها ، فارتعدت وتسلكني
الحق والياس معا ، ولحظت ان الشمس تسلا الارحاء نورا ، ففهمت انني
تأخرت قليلا عن موعد الدرس الاول ، وكنت امشي مدفوعا بقوة خفية فما
انتبهت الا وانا على باب غرفة صفى ، وكانت مغلقة ، أو لم ترني من وراء
زجاج النافذة ؟ وانت تعرف انني لم اكن مستطيعا الدخول قبل الاستئذان ،
فطرقت الباب طرقا خفيفا لم يسمعه المعلم «

قلت : بل سمعه فتلهى عنك

قال : « ثم انت تعلم ماذا اجاب بعد ان طرقت الباب مرة ثانية وحاولت
الدخول ، أو لم يقل لي : اخرج ، اخرج ، اندفع يا حمار ! او كنت حمارا في
اسطبل ابيه ؟ وكنت كما رأيتني حين خروجكم من الصف ثائرا مهتاجا ،
واذا كنت امضي الى قاعة الماء وانا شاعر بالظما وجفاف الفم ، لقيني ذلك
النذل فلاغاني ، ثم كان من الامر ان لكمته كما رايت ساعة اقبلت علينا •
وماذا كان يجب علي ان افعل ؟ وسحقا للمدرسة بعد ان ينالني من
هؤلاء اذى ! ... »

الامل المحطم

وكان الاحتلال البريطاني العسكري ، كما تعلم ، فاصبح الناس - في بغداد - وامامهم سفر من اسفار الحياة جديد يقرأونه . هنا سيارات تروح وتغدو في الشارع العام الكبير الوحيد الذي فتحه الجيش العثماني ، وهناك مدرعات تحمل المدافع ، وفي الجو من الطائرات اسراب ، وهؤلاء ضباط صهب من الانكليز لم يكن لنا عهد بهم ، يرون بنا صبجا ومساءً مستكبرين متعاطفين ، واولئك جنود من الانكليز والهنود يرتدون احسن الثياب ويحملون خير السلاح والمونة وعدد الحرب .

ثم جاء هذا القائد الاكبر مود يزعم انه يسنح العامة والخاصة الحرية ، فيقول كلسته المعروفة « اننا جئنا محررين لا فاتحين » ؛ واقبل الهاربون من الجيش المنزق على اهليهم وقد سلسوا من القتل والاسر ؛ وظهرت في الاسواق ودوز الحكومة ودور التجارة النقود الهندية اللماعة البيضاء واوراقها ذوات الخمس ربيات والعشر والمائة والالف وما يزيد ، التي راح صغار النفوس يبدلون عزتهم وكرامتهم الانسانية في سبيل الفوز بها ، فاختمت وتلاشت الاوراق النقدية القديمة التي لم تكن لها من قيمة ، والنقود النحاسية والدراهم المقعرة الاثرية .

وشغل التغير والتبدل كل ظاهرة من ظاهرات الاجتماع ، فما مرت سنة الا واصبحت بغداد في عهد لا يشابه عهدها الذي مضى . وكان على غالب - وهو فتى في ال ١٨ من العمر حلو الشمائل عصبى المزاج من اسرة معروفة بنزعتها الدينية وميل ابائها الى طلب العلم - في دهش مما رأى من عناصر العظمة عند البريطانيين ، وقد اضحى على اتصال بانباء العالم ، فعرف شيئاً عن الثورة العربية في الحجاز ، وقرأ مما اتيح له ان

يقرأ من الكتب ، كتاب « ثورة العرب » الذي جاء به الدعاة بغداد اثر
احتلالها .

ولا علمك بعد ان هذا الفتى كان قد شب على الشعور بكرامة العرب ،
كما شب على الرضوخ لتعاليم الاسلام ؟ ولا علمك انه كان يقدر عظمة العرب
والاسلام الفاتحين ؛ فلما ان قرأ كتاب ثورة العرب كاد يجن حناسة فيها . الا
لقد جعلها فتحاً جديداً في التاريخ العربي الاسلامي ، وجعل القائم بها في صف
العظماء الذين كان يقدر ؛ ولا علمك انه قرأ تلك المناشير الخضراء التي اذيعت
اذ ذاك ففهم منها ان ثورة الحجاز تؤيدها نصوص من القرآن ، وفهم منها انها
كانت لازمة لاقامة الدولة العربية الاسلامية الجديدة .

كان الفتى نهب الحماسة ، مكبا على الاعداد الكثيرة من جريدة القبلة التي
وصلت الى ابيه يقرأها ، وعلى هذا الكتاب « ثورة العرب » يقرأه كذلك ويكاد
يلتهمه التهاماً ثم يعيد قراءته ثم يعيد ؟ وكانت ابناء القضية العربية عنده
بمشابة الغداء .

ولم تكن في المدينة مدرسة يجدر به دخولها ؛ كان فيها مدرسة للهندسة
ومدرسة للمعلمين ، دخل الاولى ثم تركها ثم اتى الى الثانية ، ولكنه لم يكن
مستطيعاً الانقطاع اليها كل الانقطاع ؛ كان كتاب « الثورة العربية » على رآيه
ارجح من كتب التربية والتعليم واعظم قيمة وفائدة .

وكان يتسنى ان يجد السبيل الى الحجاز امامه معبدة مسهدة فيمضي على
عجل الى حيث يعمل مع العاملين على اعلاء شأن « القضية ... » ، ولكنه كان
اسير محيطه واسير بيته وابيه ، فلم يكن يستطيع ان يرحل بغداد ، ولم يكن
ليستطيع ان يخالف امرا لأبيه الذي كان ينظر الى ثورة العرب نظرة كلها
ربية وشك .

وخرج من المدرسة حاملا شهادتها العادية بعد بضعة اشهر ، فأضحى
« معلما » ؛ وكانت دروسه التي انشأ يلقيها واسطة لبث الدعاية للقضية •

لقد اختار من مبادئ علوم المدرسة - وهي ابتدائية - التاريخ
والجغرافية ؛ وكان يخرج عن منهاج المعارف حين القاء دروسهما ؛ كان
- مثلا - يخلط التحدث الى الطلبة عن المجد العربي الاسلامي الماضي بالتحدث
عن المجد العربي الاسلامي الذي كان يظن انه سيتلو الثورة •

وظل على ذلك بضعة اشهر ، ثم انتهى الى نتيجة لم ترضه ؛ كان مخطئا ،
كان يحسب انه سيخلق التلامذة على غرارهِ ، فاذا به يراهم لاغين متشاغلين
عنه ، يحسبونه يقص عليهم قصصا يفكهم بها ويقتل اوقاتهم • واذا جاء يوم
الامتحان لم ينجح معظمهم في دروسه ، فيالخبية الامل !

كانت النتيجة قاسية نفهم منها انه كان مغرورا يمتلكه الوهم ؛ فكأنه لم
يكن يعلم ان التلامذة اطفال ، بعيدون عن تصور ما كان يتصور ، بعيدون
عن الطموح الى ما كان يطمح اليه ؛ وكان عليه ان يقصد في دعايته فلا يذهب
فيها الى مدى بعيد فيخسر المساكين الدروس •

وكان بعد ذلك قلما لا يستقر على حال ، سرعان ما اساء الظن بالحلفاء
الذين وعدوا العرب بما وعدوا ؛ كان يتشاءم وهو يرى الحكومة العسكرية
مسرفة في الحكم على غير قاعدة ولا قانون • ما كان يحسب ان العقبي ستكون
كما كان يرى • وكان - في بغداد - السجني المرهقون • وكان فتانا اهون
عليه ان يساق الى الجزرة من ان يشهد هؤلاء السجني المرهقين يكسرون
الصخر على قوارع الطرق ؛ وكان يطرق سمعه بين حين وآخر ان جماعة
من المواطنين يؤلفون جمعية سرية لبث الدعاية العربية ، فكان يتمنى ان يعرف
واحدا منهم يسلكه فيها •

وكان بعد ان خيب التلامذة امله يعزم على الاستقالة من المدرسة رغم
علمه انه سيغدو عاطلا ؛ والعطالة موت •

وكان معتزلاً الناس الا اصحابه وهم لا يزيدون على ثلاثة ؛ ولعل اعتزاله هذا هو الذي ابعده عن الاهتداء الى الجمعية السرية البغدادية . وكان يتضاءل وهو يشعر بانه غريب هنا ما دام لا يعرف احدا ولا يستطيع ان يشارك المواطنين العياري في خدمة « القضية » ، ثم كان من امره ان استقال .

وكانت استقالته دليلاً على يأس وعلى تشاؤم شديد . ثم بدأ بحياته التي تكهن بها ، حياة العطالة !

وقد كتب الى صديق من اصدقائه الثلاثة وكان مسافراً الى الحلة اذ ذلك هذا الكتاب :

••• ١٥٠٠ كانون الثاني •••

« جاءني امس اخونا عبدالقادر يكلمني في مسائلنا الوطنية ويشكو ••• ويقول ان احد الشبان كان يتكلم في ناد داعياً الناس الى الاكباب على المعارف والعلوم ونشرها وفتح المدارس الاهلية ، فهزأت به (اى بعبدالقادر) وقلت له ان المدارس لا تفيدها الان ما دمنا في هذه الدركة من الذلة » .

فاما ان المدارس لا تفيدها فهذا خطأ ؛ ولكنه كان يائساً يحس بالخيبة بعد ان استقال من المدرسة وانصرف عنها ، وكان صاحبه عبدالقادر لم يقل له الا « ان الوطن محتاج الى تلك المدرسة نفسها وانها ستكون قوام حياته الاستقلالية » فاناره ، فهزأ به اذ اجابه « ان المدارس لا تفيدها ••• » . وربما كان محقاً لان البلاد كان ينبغي لها ان تجاهد في سبيل آخر غير طريق المدارس ومعارفها .

وكان ابوه يعاتبه ويؤنبه لانه « رفس » برجليه اللائنتين مهنة التعليم الشريفة ؛ والحق انه كان عليه ان يصبر عليها حتى ترتفع عنه الحاجة اليه وكان تأنيب ابيه يؤلمه ، فيتمنى ان يعود الى التدريس ، ولكن كان يمنعه ويصدده حياء وترفع عن الرجوع الى اولى امر المعارف .

الا لقد ادرك بعد ان ابنه ابوه وعاتبه انه قد كبر ، فاضحى شخصاً
آخر غير ذلك الطفل المحبوب الذي كانه . الا لقد ادرك ان الاباء بعد ان
يكبر ابناؤهم يعز عليهم اعالتهم ، وكل ما يرجوه احدهم هو ان يرى ولده
ذا مهنة او صناعة يتكسب بها ويجمع المال .

بيد انه لم يكن يستطيع ان يعمل عملاً ؛ وكان حين يتصور دخوله
على مدير المعارف ويده « عريضة يسترحم فيها اعادته الى التعليم » يقول :
« لا . لا الموت خير ! » ، ثم اشتد عزمه على الخروج من بغداد والذهاب الى
طلب العلوم .

واقظر اليه كيف كان يعيش تلك الايام ؟

كتب الى صاحبه الشاخص الى الحلة في ١٨ كانون الثاني : « انني مازلت
لا اعرف لي صديقاً غير عبدالقادر والحسين ، وقد لقيت عبدالقادر يوم الاحد
الماضي في مطعم (بغداد) فما القينا مجال الحديث امامنا واسعا ؛ وكان يطالع
جريدة اذ كنت افكر شاعرا بالسأم والملل وخسارة العمر وضياع الوقت
الثمين بين اكل وشرب ونوم ؛ ولا ادري كيف كنت اشبه هذه الحياة بحياة
الدابة التي تعيش بين الرحي والمربط والمعلق ، فان هذا التشبيه لا يخلو من
الخطأ ، لان الدابة تدير الى الرحي فتنفع الناس فائدة عظيمة اما نحن فلا ننتفع
ولا نفيد » .

وكتب اليه في ٢٠ كانون الثاني :

« لم اغادر البيت الا عصراً ؛ ولم اعمل في البيت عملاً نافعا مفيداً .
كنت اريد ان اكتب رسالة فما كتبت ، وان اطالع فما طالعت ، وهكذا ضاع
قسط من الوقت ثمين كما تضيع اوقاتي كلها سدى هذه الايام .

ذهبت الى مطعم بغداد فوجدت عبدالقادر جالسا ينتظرني هنالك ؛ ثم
غادرنا المحل ، ولم يكن في حوارنا وحديثنا ما يجدر بي نقله اليك ، ولم تكن

لنا وجهة معلومة معينة فنسعى اليها في شيء من الرغبة ... بل ذهبنا
- مكرهين - الى جسر مود فالصالحية فقهوة (ن . ٠٠) وكانت خلوا من الناس ،
وكنت افضى الى صاحبي بما انا فيه من حيرة ويأس ، ولم يكن ليوافقني
- كل الموافقة - في اعتزامي الخروج من بغداد » .

وكتب اليه في ٢٩ كانون الثاني :

« لقد خرجت وعبدالقادر في الساعة الواحدة بعد الظهر فذهبنا الى مطعم
بغداد ، المحل الوحيد الذي صرنا نختلف اليه . واذ جلسنا نحسب الشاي
انهسكت في التفكير ، وانهسك صاحبي في مطالعة جريدة سياسية مصرية .
وكان جو المطعم مفعما برائحة الطعام والقتل ، والمقاعد خالية ، وكل شيء
يدعو الى السأم والملل ، وكان تفكيري منحصرأ بهذه الايام التي اقضيها وهي
خلو من اللذة والسرور . ولم اطق صبرا فدعوت صاحبي الى الخروج
والذهاب ولكن الى اين ؟ ... »

ذهبنا الى الضاحية الجنوبية الساحلية ، وحاولنا دخول احدى حدائقها
فراينا كل ما فيها من شجر قد تعرى من الورق ، فكان المنظر عبوسا يزيدنا
انقباضا وسأما ، فلم ندخل ثم ذهبنا الى آخر قهوة على الساحل واذا بجوها
فاسد الهواء ، فلم نطق صبرا فرجعنا ، ولكن الى اين كنا نريد الذهاب ؟ لم
نكن نعلم ... »

وفي هذه الرسائل الكفائية ، فانها لتريك يأسه واضحا وتريك انه كان
همه الوحيد ان يعمل عملا مفيدا نافعا للبلاد .

وقضى الامر ، فقد حمله ابوه على العودة الى التدريس ، وما كان
يخالف لايه امرا ، فذهب الى دائرة المعارف فلم يرض المدير ان يعيده الى
مدرسته الاولى ، فأب الى ابيه وهو شديد اليأس والحق ، فقال له :

« لم يقبلوني . ألم اقل لك اولا ان تركهم اولى ؟ » .

وكانت هذه الحادثة تزيد في عزمه على مغادرة بغداد .

ومل صاحبيه ، لانهما كانا اعجز الناس عن أن يخرجاه من ظلمته الى نور ،
وآخر دواء لحاله ، فقرر به ، هو المكث في البيت والاعتماد على امه بدلا عن
ايه . وكانت امه لاتشارك الاب في تأنيبه وحمله على العودة الى مهنته الاولى
أو اتخاذ مهنة جديدة غيرها . وقد كف اخيرا عن طلب ما كان يحتاج اليه من
مال من اييه ، مكثيا بما كانت تمنحه امه اياه بين حين وحين .

وماذا حدث له بعد ؟

حدث له بعد ذلك أنه خرج ذات يوم من بيته - خلافا لعادته -
يتنزه ، وكان محتاجا الى التنزه لانه نحل وضعف واشرف على المرض ، فمر به
جنود سكارى فركله واحد منهم ، فسقط على الارض وكاد يغمى عليه .

قال : « آ ؟ ابلغنا هذه الدركة الهاوية من الذل ؟ كلا ، حرام على ان
اتنسم نسائم العراق بعد اليوم . ولأهجرن بغداد كما هجر الاندلس ابناءؤها
عقيب أن فتحها الافرنج . وسواء أذهبت الي الحجاز ام الى مملكة اخرى
فان في ارض الله الواسعة موئل لى ولامثالى ... »

وكان ابوه يعرف عزمه هذا فمنعه ، ولكن أهيمهات ! فقد حال الفتى .
كان قطعة من النار المضطربة ، وظهر لاييه من اخلاقه ما لم يكن يتوقع قبل
ذلك اليوم ؛ وكان ينصحه فلا يجيبه الا بالصمت ، صمت الفولاذ الذى
لا يلين .

وكانت امه يحزنها ان تفارقه ، فكان يقول لها :

« ان حياتي ههنا - يا اماه - ضرب من الموت . وما هي الفائدة من
بقائى عاطلا اثقل كاهل ابى بنفقاتي ؛ وانه وان كان لا ينفق علي الان ، مايزال
يطعمني . وهذا الطعام الذى آكل في بيته نار تدخل جوفي ؛ وخير لي ان اكون
حرأ في بلاد الله النائبة من ان اكون مقيدا في موطنى ؛ يقيدنى هذا البيت ،

ويقيديني ما يقيد وطني كذلك . ثم انني محتاج الى العلم فهذه الشهادة التي لدى عادية لا خير فيها ؛ وهل من مدرسة جامعة في مدينته متقدمة من مدن العالم تقبل شهادة خريج مدرسة للمعلمين مدتها بضعة اشهر ؟ ... » وكان الحوار بينهما يتكرر كل يوم .

وكانت حاجته الى المال في سفره عقدة العقد التي اعياها حلها ؛ بيد ان امه لما رآته مصراً استسلمت كما يستسلم احدنا الى قضاء وقدر ، واضحت هي التي تحل عقده ، وبعد لآي جمعت له المبلغ الذي اراد ...

وكان قبيل السفر بايام قليلة ينكر امام ابيه اعترامه ، ويبالغ في احترامه وإطاعته ، وكانت امه محزونة لا تخلو بنفسها الا ويغلبها فينملها بالبكاء ، وكان الفتى نفسه محزوناً يأسف لاضطراره الى مخالفة ابيه . ويأسف لمفارقتة موطنه العزيز المقرن باصفاده . كان يتنازع عاملان : عامل حب الوطن والاهل الذي يدعوه الى التريث والبقاء ، وعامل الرغبة في السفر الى حيث يلاقي الشمس ، حيث يكون حراً طليقاً يطلب العلم ويعمل في سبيل القضية العربية . وقد غلبه العامل الثاني ، فسافر ، ولا أريد ان اطيل .

أكان يطيق الصبر على هواننا وذلتنا حر ؟

★ ★ ★

سافر

يقول (فرتر) في رسالته الاولى : « لشد ما ابهج نفسي وائلج فؤادي انني سافرت » ، وكذلك كان يقول غالب صبيحة اليوم الثاني من سفره . واقبل على سجل مذكرات له يسجل فيه ما كان يرى في الباخرة وفي المدن الصغيرة الساحلية التي كان يمر بها ، وما كان يأكل ويشرب ، وكيف كان يقضي ايامه تلك . ولا يهمننا ان ننقل الى القارىء شيئاً مما كان يكتب اذ ذلك .

وحل البصرة بعد ثمانية ايام ، فسرق اللصوص دراهمه وبعض ثيابه ومتاعه في الليلة الاولى التي قضاها في فندق عادي من فنادق فرضتها .

وانت قد تكون مستغنيا عن معرفة تفاصيل الحادثة ، حادثة السرقة
وماذا لقي غالب بعدها من اذى وعناء ؛ ولكننى اشير اليها لانها غيرت وجهة
سفره وصرفته عن غايته التي هاجر من اجلها ؛ فقد بقى محروبا اكثر من
نصف شهر ؛ وانف اول الامر ان يستغيث بابيه فيطلب منه دراهم يستعين
بها على اتمام السفر ، أو اصلاح حاله ؛ ولم يكن ليحراً ان يرسل اليه كتابا
لانه اغضبه ، اذ سافر وهو غير راض ؛ وقد اقرضه بعض كرام المواطنين
شيئا من المال اتفقه ، ثم اقرضه احدهم (١٠٠) ربية ، على ان يؤديها اليه بعد
شهر واحد . وكان يحاول ان يعمل عملا في المدينة ، ولكن كان من الصعب
على غريب مثله ان يهتدى الى عمل شريف ؛ وكان يستقرض المال وهو عالم
حق العلم انه غير مستطيع ايفاءه ؛ وفكر في امره كثيرا فاتهى الى ان الاستنجد
بالاب في مثل تلك الظروف الزمنية خير من الاستقراض والاستنجد بالغرباء .

• وكان الاستقراض عنده اشبه شئ بالسؤال .

وسرعان ما ارسل الى ابيه رسالة برقية يستغفره فيها ، واعقبها برسالة
مطولة بسط له فيها حاله . كتب اليه فيما كتب :

« انني محتاج الى ما لا يقل عن (٣٠٠) ربية ، واننى رهن اشارتك فان
شئت ان ارجع الى بغداد رجعت ، وان شئت ان امضى لطيتى مضيت ... » .
وجاءه كتاب ابيه بعد أيام قلائل ، وفيه عتاب وفيه تأنيب عنيف ، وفيه
اسف عليه شديد ؛ وقد بين له - في هذا الكتاب - انه ارسل اليه (١٠٠)
ربية ، ووعدته ان يمنحه المبلغ الباقي مما اراد وزيادة على شرط ان يطاوعه في
ارادته فيكيف عن الذهاب الى حيث قصد .

وكان غالب يرى ساعة بلغه كتابه انه مضطر الى اتباع امره ، تضطره
الحاجة الى المال ؛ وكان يرى ان هذه الحاجة الملحة الشديدة قاطعة عليه السبل
المؤدية الى غايته ، السبل كلها ، فمحطمة في رأسه الامل الذي كان يرجو
تحققه على عجل .

جلال خالد

قصته : ١٩١٩ - ١٩٢٣

كنت أقصد بكتابة هذه القصة الموجزة المنشورة في السنة الماضية الى دراسة « تفسيّة » شاب عراقي ، في العشرين من العمر ، من هذا الشباب المتحمس الذي ظهر بعد الحرب الكبرى وحدثت الثورة في الحجاز ، يتطلب الاستقلال للبلاد العربية ، واعادة مجد العرب القديم ، مجد العصور التي يدعونها « العصور الذهبية » ؛ يبرح بغداد الذاهلة السكرى تحتلها الجيوش البريطانية الهندية سنة ١٩١٩ كما برحها على غالب ذو « الامل المحطم » الذي حدثتك عنه في الفصل السابق . وهو صورة لهذا الفتى في نزعاته وافكاره . وربما انماز عنه بشيء من قوة الارادة والشكيمة ومضاء العزيمة . وقد وفق الى الخروج من العراق ، بيد انه لم يوفق الى الذهاب الى الحجاز ، مهبط الوحي الاول ومصدر النور الجديد ، نور الامل العربي الذي لاح لهم في الافق اذ ذلك ؛ فيقيم في بومبي فرضة الهند الغربية عاما وبعض شهر ، فيكرها ، ثم يروح يسيح في البلاد فيبلغ كلكتة فرضة الهند الشرقية الكبيرة ، مدينة الشباب الهنودى الوطنى المستنير ، والجمعيات السرية ، والمؤامرات ، والثوريين ، والدعاة المتصلين بالوطنيين الثوريين في الصين وغير الصين .

ويزور عقيب بلوغه هذه المدينة ، دار صحيفة من صحفها المتطرفة التي كان يرهاها الزعيم « تيلك » ، فيرحب به واحد من خيرة كتابها اسمه « سوامي » . ويميل جلال اليه فيكون له نعم الصديق ، ونعم السмир المؤنس . ثم يزوره هذا الصحفى الثورى في الفندق الذى كان يحتله . وكانت الزيارة في الساعة السابعة مساء ، فيستقبله وهو مبتهج به مسرور .

وكان يرتدى الثياب الافرنجية ، وقد خلع قبعته حين حياه فبان رأسه كبيرا
يجلله شعر كثيف منسدل الى شحمتى اذنيه . وكان على عينيه « نظارة »
اميركية قوراء . ويجلسان في ثوى الفندق امام نافذة مطلة على الشارع
فيتحادثان في شؤون الشعوب الشرقية المظلومة

ولعلك تعجب كثيرا اذ ترى الفتى العربي - اذ ذاك - ينزع الى فكرة
« شبه انسانية » وان كانت غير مستقرة ، يغالبها مذهبه الوطنى - القومى -
الذى جعله يرفع العرب على كل قوم . وقد استيقضت في نفسه هذه النزعة
الى الفكرة الانسانية منذ شهد الفرق العظيم بين سعادة الرأسماليين من
الاستعماريين وغيرهم ، في المدن كلها ، وشقاء الطبقة العاملة المكدودة من
الشعب ؛ ومنذ رأى صفحة دامية من صفحات النضال الوحشى بين هاتين
الطبقتين في اضراب حدث هنالك ؛ وكان العمال المضربون عن العمل يريدون
الزيادة في اجورهم فاحتشدوا في احدى سوح المدينة يعلنون امرهم والمطالبة
بحقوقهم ففاجأهم الجنود والشرط فاقتتلوا ؛ وكان على مقربة من ساحة
المعركة ، يسزق قلبه الصريخ المرتفع منها وانه لصريخ الانسان يظلمه أخوه
الانسان !

ونحن نقرأ في اوائل القصة خلاصة تحاورهما في تلك الجلسة ، ثم نقرأ
سؤال الكاتب عن الدواعي التى دعت صاحبنا الى هجرة موطنه وجوابه عنه
بهذه العبارة القوية : « كرهت ان ابقى في بغداد وانا لا أرى امامي الحرية
مستلبة وحقا مضاعا . . . » .

ونسترسل في القراءة فنرى جلالات يلفت نظر صاحبه الى الاضراب ،
فيبين له : انه لم يشهد من قبل اضرابا في بلاده « لانها لاعمال فيها انما فيها
فلاحون جائعون بيد انهم قانعون راضون » فيقول له : « اتفبطهم على القناعة
والرضى بحقير العيش ؟ » ويحس جلال ان قوله عن فلاحينا « انهم قانعون
راضون » قد امعضه وآلمه فسأله هذا وهو مستغرب دهش .

ثم يستمر الكاتب في حديثه : «... وهم لاشك يعتقدون ان القناعة كنز لا يفنى وان الرضى بالرزق المقسوم واجب، ولكن الهندو هنا اكثر منهم قناعة واكتفاء بالرزق القليل » * ثم يعلمه انه لا يقصد بالهندو العمال منهم ؛ فان العمال قد تغلغلت في معاملهم ورؤوسهم طلائع المذهب الاشتراكي العتيد ؛ اما غير العمال فهم ما يزالون في سذاجة وجهل ...

وهذا الحوار بينهما مفيد ملذ ، يعجبك ان تطلع منه على حقيقة هذا الكاتب الصحفي ، فتعرفه داعية خطيرا من الدعاة الى الاضراب والمذهب الاشتراكي ، وان كان يندمج في صفوف الوطنيين وينشر مقالاته بالصحف الوطنية ، وتراه متحفزا يريد لينشر صحيفة اشتراكية خاصة بالعمال وقضيتهم في العاجل القريب .

ويجرهما الحديث عن الانسانية ومذهب الانسانيين الى المرأة ، فيقول جلال : « ان المرأة هي الجنس الضعيف الجدير بالعطف » فيجيبه صاحبه : « بلى والمرأة مظلومة مستلبة الحق كهؤلاء العمال ، وواجب علينا الاندماج في الجماعة التي تحميها وتنافح عما لها من آراء ومبادئ حتى تتحرر وتساوي الرجل » * ولم يكن جلال حينئذ يجارى الكاتب فيما كان يذهب اليه . كان يعتقد ان تحرير المرأة لا حاجة لنا به ؛ وقد دفعه هذا الاعتقاد الى ان اجابه قائلا : « اعرف ان دعوة الى تحرير المرأة ظهرت في مصر منذ سنين فخاب اصحابها ... » *

ونحن نفهم انه كان خاطئا في ذلك ، كما كان خاطئا في تلقي كثير من التعاليم والاراء عن الكتب المصرية التي نسماها « الاصلاحية » ؛ والاصلاح هو الترفيع ليس غير * من تلك الكتب ، كتب المنفلوطي ومن اليه *

وكانت تلك التعاليم والاراء تفعم رأسه وتخلق له الى جانب نزعته الوطنية - القومية - ونزعته الجديدة الى الفكرة الانسانية فكرة ثالثة أخرى ،

قد نستطيع ان نعبر عنها بالتعصب كما يفهمه المتعلمون من الشباب ؛ فقد كان يكره ان يرى في الفندق رقصا فنيا أشد الكره لا لسبب اخلاقي بل لانه يستحرمه ؛ وكان يكره شرب النبيذ وسماع انغام الموسيقى ، وكان يحارب النظرية القائلة ان القرد أبو الانسان ؛ وهي نظرية مكذوبة لا علاقة بها للعلم . وكان - عدا ذلك - شعلة من العواطف لا يفرق بين المأساة العربية الاندلسية القديمة والمأساة العربية بعد الحرب . فكاتنا كلتاها عنده نتيجة لحرب دينية .



ويزوره هذا الكاتب الثوري وشيخ بنغالي من اصحابه مرة اخرى في الفندق الذي كان يحتله . فيعرض عليه - جلال - وهو في اشد الحماسة والسرور رسالة من صديق له صادرة عن بغداد في ٢٤ ايار ١٩٢٠ جاء فيها « ان القبائل في شمال بغداد قد رفعت للثورة رايتها واضرمت نارها . . . » وهذا ما كان يتوقعه ويروم . فيسر النبأ الكاتب ؛ وما كان له الا ان يحيى الثائرين من اهل العراق تحية ملؤها اعجاب واكبار .

ويجري بينهما حديث شائق عن العرب والنهضة العربية . . .

وكان الزائر الثاني شاعرا ينظم القصائد الحماسية للوطنيين ، ويدرس الفلسفة الهندية القديمة ، ويقدم الشاعر الكبير تاغور ، ويتبع خطواته ، يقلده حتى في لباسه واطلاق اللحية ؛ وقد جاء به الكاتب ليريه هذا الفتى الوافد من بلاد العرب المجهولة حالها ومصائرهما ، النموذج لفتية العراق الراغبة في الاستقلال . وكان يصغى اليهما فلما اتتيا من تحاورهما مال اليهما وانشأ يحدثهما في هدوء ووضوح . قال « جبت بلاد الهند كلها حتى بلغت بومبي وكراتشي فرأيت فيهما وفودا من العرب عديدة ولكنني لم اجد واحدا منها يهمة أمر وطنه المحروب . . العرب في الهند اثنان لا ثالث لهما : تاجر يجمع المال وشيخ طريقة يستجدي » .

وانى لاعلم - وقد سحت في الهند - ان هذه الكلمات لا تنطوى
الا على الحقيقة . ولكن الحقيقة مرة لا يطاق سماعها ؛ وقد اغضبت جلالات
اشد الغضب لانها جرحت منه كبرياءه القومي ، فاجابه وهو غير شاعر بما
يقول : « والهنود كذلك عندنا في العراق اثنان لا ثالث لهما : زائر يمرغ
وجهه بالتراب ويؤدى المال للسدنة العاطلين عن يد وهو صاغر ؛ وحارس في
حديقة الاستعمار » .

ونظر اليه نظرة عصبية ثائرة ! وقد آذت هذه النتيجة صاحبه الكاتب
فأدار « دفة » الحديث .



وكان جلال يقضى كثيرا من اوقاته الى جانب صاحبه هذا . فكان
يطالعه بكل ما لجهد الهنود - الثوريين لا السلميين أمثال غاندى - في
سبيل حريتهم من صفحات ، وهي مما كان يلذ له الاطلاع عليه ومعرفته .
ثم وصلت اليه رسالة ثانية من صاحبه ، في بغداد ، يقول له فيها « ان الثورة
ما تزال في اشتداد وان صحبنا ليدعونك .. » . وانشأت الصحف تنشر
انباء الثورة وحوادثها ، ففرغ صبره ، وتمنى ان يبرح الهند على جناح البرق .
واعترم السفر أخيرا في ١٠ تموز ١٩٢٠ . ونذكر ان صاحبه الكاتب كان
يحثه على السفر معتقدا انه لا بد له منه عسى ان ينفعه شهود الثورة ، فان
فيها درس له ، وفيها تجربة قد لا يظفر بمثلها بعدها .

ثم رغب اليه التريث يومين أو ثلاثة ايام « فقد جاء المدينة أديب اكمل
دروسه العالية في جامعة استانبول ، وسيلقى محاضرة عن الادب التركي في
احد النوادي في اليوم الثاني عشر من الشهر ؛ وهذه المحاضرة جدير بنا
سماعها وسيكون الاجتماع كبيرا » .

وكان شعور الفتى - اذ ذاك - مضادا لشعور القوم لانهم كانوا

عازفين عن العرب والنهضة العربية ، فكره ان يحضر الاجتماع ، ثم السح
عليه فرضى .

وحضر النادى في الموعد المضروب ، فسمع محاضرة الايدى خريج
الجامعة . وكانت كبيرة مسهبة تحدث فيها عن الادب التركى تحدث عارف
خير ، فاعجب بها وبالمحاضر . وتلاه ايدى ثان القى محاضرة طويلة ، حدث
السامعين فيها عن الادب الروسى العظيم والاداب الافرنجية . والقى ثالث
خطبة في الاقتصاد الحديث كانت هامة رغم اقتضاها .
وكان لهذه المحاضرات الثلاث تأثير ووقع في نفسه .

وقد شعر ساعة مغادرته النادى بان نور المعرفة الصالحة بارق امامه ،
فراى أفق الحياة متسعا رجبا ، وادرك انه كان في مثل ظلمة ، لا يرى لها الا
أفقاً ضيقاً كاطار الصورة .

وغادر المدينة في اليوم التالى . . .

وفي البصرة سمع النبأ المؤلم الذى قضى على آماله القومية ، نبأ احتلال
الفرنسيين سورية العربية . وكان لهذه الضربة ، ضربة الاحتلال الجائر ، التى
قصمت ظهر العالم العربى ، صدى في نفسه ، هو الالم الشديد الذى
امرضه ، فيئس . . .

وجاء بغداده العزيزة التى فارقها وهى سكرى تحتلها الجيوش ، فالفها
كما كانت ، محرومة من الحرية والحق ؛ لم تفدها الثورة شيئاً لانها سرعان
ما انطفأت نيرانها المضطربة ، فانكسر الثائرون . . .

★ ★ ★

ومرت على جلال - بعد ذلك - سنتان قرأ فيهما كل ما وجد في مكتبات
بغداد من كتب قيمة ، قراءة درس . قرأ بعض كتب الادب العربية القديمة

التي صدرت عن المطابع المصرية ؛ وتفهم كتب قاسم امين وكان يعرفها من قبل ،
والكتب العربية عن اللغات الافرنجية • وقرأ كثيرا من مجلدات المقتطف والهلال
ومجموعة الدكتور شبلى شميل • وقرأ فولتير الفيلسوف وغوستاف لوبون ،
فكره معظم آراء الثاني • وتفتحت له ابواب البحث والنظر فرأى المرأة جاهلة
شقية مظلومة تحتاج الى التعلم فالتحرر من اسرها والي النصر فكان لها
من الناصرين •

واذ بلغ به الدرس نظريات (دارون) فهم ان الرجل لم يقل ان القرد
أبو الانسان كما كان ينقل عنه المتعصبون • ونشر قصة صغيرة في الدعوة
الى منح المرأة حريتها في اختيار الزوج ، وقصة اخرى فيما حسبه اصلاحا
للمجتمع ونقدا لنقائصه وعيوبه •

وكان يسيل الى مطالعة كتب الادب التركي وتفهمها ، والى جمع ما يعثر
عليه في تضاعيفها من تاريخ او ترجمة او نقد لادباء الغرب وفلاسفته ؛ وقد
شغف بجان جاك روسو ••• وظهرت « قوة » الثقافة القديمة الكامنة في
وجدانه الباطن كالحجة تكافح طلائع افكاره الجديدة •

واتشرت النسخ المطبوعة من قصتيه رغم ركاكة اسلوبها وتفكك
فصولها ، فكان ذلك مشجعا له على الكتابة في بعض الصحف • وكانت تحزنه
المصائب التي اصابت الشعب العربي - كما اصابت الشعوب الشرقية الاخرى
ولم يكن يعرف لها سببا غير الجهالة الطاغية العمياء ، وتفرق الكلمة ، وتذبذب
المتزعمين ، وخيانة الخائنين منهم عبدة الذهب • فكان واجبا عليه وعلى صحبه
المخلصين شن الغارة الشعواء على الجهالة والخائنين ، ورفع الغشاوة عن العيون •
وكان - من بعد - يقرأ الكتب الثورية في نزعتها ، ويميل الى
الاشتراكية •••



هذه هي خلاصة القصة وروحها • فاما ما فيها من غرام وحب فعرضي

لا يغير من حوادثها شيئاً اذا ما انعدم • ولم يكن حب جلال ابنة التاجر البغدادي المسافر واياها والفتى الذي ينتوي تزوجها ، في الباخرة التي اقلته ، شديداً غالباً منه نزعاته ووطنيته ، بالغاً من نفسه اعماقها ، بل كان حبا بارداً — اذا صح هذا التعبير — بريئاً ، خلوا من الامل • ذلك بانها تعتق دينا غير دينه • وهذا الفرق بين دينيهما يباعد بينهما ، ويجعل اتصالهما من طريق الزواج — وهو كل ما كان يتصوره — مستحيلاً •

ويتعذر علينا ان نعلم من هذه القصة — والمذكرات التي قلت في مقدمتها اننى استندت اليها في كتابتها وتكوين فصولها وحوادثها — انها كانت تحبه كما كان يحبها ، او انها كانت تميل اليه ولو بعض الميل • بيد اننا نراه — في منتصف القصة — بعد ان بلغه نبأ رفضها تزوج فتاها ، يحسب انها كانت تحبه ، وأنها في سبيل حبه فعلت ما فعلت ! وليس لهذا الحسبان نصيب من المنطق والسداد ، وانه ليدل على تفكير غير ناضج ، ونفسية لم تهذبها التجارب واحداث الحياة بعد •

مجاهدون؟!

بلغ احمد مجاهد (ك . .) (١) البلدة العراقية في منتهى شهر كانون الاول . . . وتولى عمله في ديوان حكومتها ، فالفاه عملا عاديا تافها لا يتعدى كتابة الرسائل ، وقرارات المجلس الادارى ، وتحرير (٢) ما ينشئ الكتبة ، وهم من ابناء العهد العثماني يجهلون العربية جهلا فاضحا . وكان منفردا وحده في غرفة من غرف الديوان ، يدخلها الصبح ، ثم لا يبرحها قبل حلول الساعة الثانية - بعد الظهر - اذ ينصرف الى داره ، فيمكث فيها حتى صبيحة اليوم التالى .

وكانت البلدة ، كما رآها ، بقعة من الجحيم ؛ وما كان يحسبها كذلك من قبل ، وهو يسميها « القرية » استصغارا لشأنها ، ويصفها في أول رسالة ارسلها الى جلال خالد احد اصحابه في بغداد فيقول : « كنت احسبني مقبلا على جنة . . . فجتتها ، هذه القرية المعروفة بشدة بأس القبائل المحيطة بها واستبسالتها في الثورة ، فرأيت الجحيم أوكدت . البر المنبسط حولها فقر ؛ وما في ضواحيها الا بضع شجيرات من الفاكهة ونخل جد قليل . وهنا وهناك ، في ذلك البر ، كئبان من الرمل لا تحصى ، كانت وما تزال تهب عليها العواصف من جهة المشرق متتالية ، فتحمل منها الى القرية واهلها ما يسد عليهم عين الشمس ومنافذ الهواء . وهم بعد في فقر مدقع وجهالة وعمى عما في الحياة من مباحج ومسررات دونه الموت » .

ولم يصاحب احدا من اهل القرية ، وما كان يجالس الموظفين امثاله ، وما كانوا يقربونه . وهو يسمى هؤلاء الموظفين - جادا او هازلا - « الطبقة »

(١) (ك . .) اول حرف من اسم البلدة

(٢) حرر الكاتب : حسنه واصلحه

التي تتولى الامر في القرية » ؛ وكان غير ميل اليهم ، لانه ولى وجهه شطرهم
فما الفى امامه الا فراغا ، والا تنكبا عن الحرية المدنية وازدراء للعلم •

وكان يرى انه وحيد في اخلاقه وعاداته ونزعاته ومبدأه الاجتماعي ،
غريب عن امثاله هؤلاء الموظفين والمحيط الذى ساقته اليه الحاجة الى راتب
الحكومة • وكان يرى انه - لذلك - لن يستطيع في تلك القرية التي رآها
الجحيم ، بقاء •

وكان منصرفا في وحدته ، في بيته ، الى مطالعة الكتب الادبية المصرية ،
محاولا درس « الفكرة المصرية » في هذه السنين ، سنى طلائع النهضة ؛
محاولا تفهم « نفسية » الاديب المصري الحديث الطلق قائدها وحامل رايتها
في ميدان السياسة ، حيث الحق المهان والقوة الاستعمارية الظالمة في نضالهما
القاسى الشديد •

وكان الرجل خياليا طموحا الى تحقيق « مثل عليا » بعيدة عن رؤوس
المواطنين • كان يعتقد انه اشتراكي وان لم يكن قارئاً من كتب الاشتراكية
اكثر من كتابين اثنين ورسالة صغيرة • وكان يعرف الاشتراكية توحيداً
للسعوب على اختلافها تحت راية الاخاء الانساني ؛ اما كيفية الوصول الى
ذلك التوحيد فكان يجهلها •

وكان قبل سنتين قومياً من الغلاة في كره الشعوب الاخرى غير الشعب
العربي ، فاذا هو الان من الغلاة في حب مذهبه الجديد • وكان منذ ستة
أو سبعة اشهر يريد وصاحبه جلال واصحاب له آخرون نشر صحيفة ادبية
اجتماعية يومية لبث الافكار الحرة الجديدة ، فلم يهتدوا حتى آخر يوم من
ايامه في بغداد الى اسم يسمونها به • كانت الاسماء لديهم كثيرة منها : الشعلة ،
والفجر ، والرجل الطليق ، والقلم المتلهب ، والصحيفة المناضلة ، والفكر
الحر ، وصحيفة الاحرار ، وما الى ذلك • ولكنهم كانوا يرونها - يجملتها -

اقل انطواء على ما لمذهبهم الاجتماعي من معان سامية جليلة وغايات ذات خطر ؛ فلم يختاروا واحدا منها ، وراحوا واحدا مجاهد في طليعتهم يبحثون لصحيفتهم عن اسم آخر غير هذه الاسماء جدير بها ان تطالع القارئ به في رأس الصفحة الاولى منها ، كل يوم .

وكانوا يريدون ان يحصلوا على الورق والادوات المقتضاة لطبعها واصدارها ، ولم يدرك احد منهم اول الامر ان المال لازم لهم وللصحيفة وورقها وادواتها قبل كل شيء .

وقد دفعتهم الحماسة في فكرتهم الى ان اعد بعضهم جملة من المقالات الحارة المتلهبة ، فتلاها عليهم في الحديقة العامة (البلدية) اصيل يوم جمعة ، فصفقوا له وهنأوه كثيرا ، ذلك لانه استطاع ان يعبر عما في صدورهم ورؤوسهم من آمال واحلام ببيان خلاب مثير .

وكانوا اذا ما مضى عليهم يوم ولم يهتدوا الى اسم للصحيفة ، ولم يشتروا ورقها ، ولم يكتروا غرفة لادارتها ، ولم يستأجروا مطبعة لطبعها ، توقعوا أن يفعلوا ذلك في اليوم التالي ؛ فاذا مضى اسبوع توقعوا أن يفعلوا ذلك في الاسبوع التالي ، فاذا مضى شهر توقعوا أن يصدروا الصحيفة — كاملة — في أول الشهر التالي ؛ فاذا جاء الشهر ثم انقضى تمحلوا الاعذار لانفسهم وتمنوا أن تصدر الصحيفة في الشهر الذي يتلوه .

وأحمد مجاهد ما يزال يشاركهم في التمني ، وان أضحي بعيدا نائبا عنهم الان . وانه ليكتب الى صاحبه في الرسالة التي ذكرتها آنفا هذه السطور: « والصحيفة التي ابيتم الا نشرها لبث ما في رؤوسكم من فكر وما بين جوانحك من غايات ومنى هي منى هذا الشعب وغاياته ، أصدر منها العدد الاول ؟ أتسنى أن أستطيع العمل واياكم فيها ، أتسنى أن تكون الشعلة المنيرة آفاق هذا الوطن الغارق في بحر لجى من الظلام ؛ وأتسنى لها الرقى الى هيكل الضحايا الاقدس ، هيكل الحرية الذي شاده أبطال الانسانية ... »

ولعلك لا تدري ماذا أريد أن أقول لك بعد . اريد أن أقول لك
ولا تعجب ، ان جلالاته قد اتبته حين بلغته هذه الرسالة ؛ فصار يرى : « ان
الصحيفة لا ينشرها الا المال ، والمال معدوم ، لا يملكون منه ما يكفي
لاصدارها » . وكانت هذه الحقيقة تؤلمه ، وهي حقيقة الواقع التي هداه
العقل الى معرفتها بعد لاي ! . . . وانه ليكتب الى مجاهد جوابه فيبين له فيه
« ان الصحيفة لا يستطيعون نشرها : ما دام المال مفقودا ؛ وانها اذا ما نشرت ،
فرضا ، خاسرة من الوجهة المالية » ولكن مجاهد لم يفهم أو لم يشأ ان يفهم
كلمة من جواب صاحبه هذا . كان يتسنى - ويتمنى فقط - ان تصدر
الصحيفة في العاجل القريب مهما كان أمرهم . ولم يكلف نفسه - ولتقل
ويا للأسف اذا شئت - عناء البحث عن مصدر للمال الذي كانوا في حاجة
اليه . ولا رأى من واجبه ، مثلا ، ارسال بضع ربيات اليهم من راتبه ؛ فيكون
قدوة لهم في جمع « رأسمال » الصحيفة من طريق التبرع والاحسان ؛ بل
استسلم الى احلامه ، على عادته ، فاجاب صاحبه برسالة ثانية ، منها هذه
السطور : « الصحيفة التي يجب ان نشرها واصحابنا خاسرة من الوجهة
المالية ، لاشك في ذلك . ولكن لأنها خاسرة من الوجهة الادبية على رأيهم ؟
لما أنا فارجح انها ستربح من هذه الوجهة ربعا لا بأس به » .

ولا علمك ، هنا ، ان جلالاته كان قد استغرب سؤال صاحبه في رسالته
الاولى عن الصحيفة : « أصدر منها العدد الاول ؟ » . وكان يحسبه احلاميا
« يتويست » ، ولكنه لم يكن يتصور انه سيسمع منه ما سمع . ولذلك
كان جوابه اليه جافا مقتضبا . وهو مستغرب ، الان ، هذا السؤال الثاني ؛
فيسرقة الاستغراب الى اتهام صاحبه بالجهل وقلة الخبرة في شؤون الحياة ؛
ولقد اهمل كتابه ، ولم يشأ ان يرد عليه .

ومضت بضعة أيام عاد بعدها اليه يقرأه مرة ثانية . وانه لينتهي من
القراءة ، فيؤسفه اشد الاسف السؤال الذي مر بك ذكره . وانه ليحبيه

بجواب موجز كأنه التلغراف : « لن نستطيع نشر الصحيفة فما ينشر الصحف
الا المال الغزير ، وهو مفقود ، وقد نملك منه قدرا يسيرا ان خسرناه
خسرنا الحياة ... »

وهذه الكلمات ناطقة بان جلالا وصحبه أفقر من مجاهد واكل مالا ؛
وهذا حق . أو ليس له اليوم راتب قد لا يقل عن مائتي ربية وخمسين ؟
ثم ، أو ليس هذا المجاهد المخلص بقادر على ان ينفق من هذا الراتب نصفه ،
فيرسل النصف الباقي مقدمة لرأسمال الصحيفة ، صحيفة جهاده ؟ أو لم يكن
عالما انهم لا يملكون من المال الا ما يسدون به الرmq ؟ أكان يريد منهم ان
يضحوا بانفسهم من أجل الصحيفة فيشبعوا منه شهوة الاصلاح والرغبة في
نشر افكاره وهو مقيم على نعيه في بيته يأكل ويشرب ويطالع وينام ؟

ولكن صاحبنا لم يكن ليخطر له من هذا الذي تحدث به شيء . انه
كان مستسلما الى احلامه كما تعلم ؛ وانه كان يريد ان تصدر الصحيفة رغم
فقد المال في العاجل القريب ! واذا رأى صحبه عاجزين عن اصدارها لم يحجم
عن اتهامهم بالتقصير في اداء الواجب الذي القاه على عواتقهم المذهب الاجتماعي
الجديد . ولذلك اعتزم ان لا يشير الى الصحيفة - بعد - في رسائله ؛ ثم
اعتزم الاعتماد على نفسه في اصدارها . وكان يحسب حقا - ولا تعجب -
انه سينصرف عن وظيفته لكي يتفرغ لنشر الصحيفة . وما احقر الوظيفة
واعمالها ، وما اعظم الصحيفة واعمالها وما اجلها ! وكان يغلو وتغلبه الحماسة
فينوى ان ينصرف عن الوظيفة غدا . وجاءه الغد ، فهل استقال ؟

كلا ، لم يستقل ؛ لم ينصرف عن الوظيفة كما اتوى . فقد اختلق له
في ليلة واحدة فكرة غير الفكرة الاولى ، فكرة الامس . انه اليوم ينتوى ان
يجمع من رواتبه بضع مئات من الرييات لاصدار الصحيفة ، او لاصدار العدد
الاول والثاني والثالث منها على الاقل . وانه بعد اتوائه هذه النية لم يجد
بأسا في ان يسوغ لنفسه البقاء والتريث حتى يظفر بامنيته ؛ وكان يظن انه

لن يحتاج الى مال كثير للصحيفة • كان يتوقع انها ستتشر انتشارا كبيرا
عقيب صدورها ، او عقيب صدور الاعداد الثلاثة - الاول والثاني والثالث -
منها بتعبير اصح • وكان يتوقع انه سيربح من هذه الاعداد المعدودة مبلغا
من المال يكفى للمضى في نشرها الى حين بعيد •



وكانت حياة الرجل في تلك البلدة التي يسميها « القرية » و « الجحيم »
سيئة جدا • وقد كان كما تعلم وحيدا في اخلاقه وعادته • وكان منفردا نائيا
عن مجموعات الاهلين جميعا ، والانسان اجتماعي بطبعه ، فهذا هو خلق
الحيوان الاعجم الذي لا يطاق • وكان - آخر امره - يتعد عن الناس
كالمكره المعذب ، لانه مل الوحدة وسأم العزلة واطناه الملل والسأم •

وكان له في الدار رفيق كتب عنه في الرسالة الثانية الى صاحبه جلال
انه متعصب للدين وانه رغم تعصبه يجامله ويؤاكلة ويستمع اليه اذا ما حدثه
عن اسرار الطبيعة مثلا التي لا تقرها الاديان ، وانه صحبه ذات ليلة الى حيث
« القهوة » • ولكن كيف كانت القهوة تلك اتدرى ؟ كانت جوا فاسدا ،
كما يقول :

« واذا اقتعدنا تقاعدنا منها بين جمع من عدى الشعب الجهلة الاشراف
ادركت في أي جو من الاجواء الفاسدة نحن .. »

من هؤلاء العدى للشعب رؤساء القبائل ؛ وكانوا ابغض الناس اليه •
واقراً ما كان يكتب عنهم في احدى رسائله :

« يعجبني من اخلاق هذه القبائل المحيطة بنا شجاعتها ، ويؤلمني فقرها
وتمتع الرؤساء المسيطرين عليها بما لها من حق في الارض وما تنبت الارض ،
وجهاالتها وهي الكسف من الظلام متراكم بعضه فوق بعض ؛ يحتجب وراءه
الخيط الدقيق من نور العقل الانساني الهادي الى سبل الحياة ... »

وكان طبيعيا بعد اعتناقه المذهب الاجتماعي الجديد الذي اعتنق ، ان

يعادى هؤلاء الرؤساء ما داموا يتمتعون بخقوق أبناء القبائل ، أبناء الشعب ،
اذ يغتصبونها جهاراً تحت ظلال الانظمة السائدة .
capitals

وكان متعففا يندب الفضيلة التي غاضت في مستنقع الرذيلة . وقد حدث
له ذات ليلة ان شهد صفحة شعاعاً من صفحاتها المختلفة الكثيرة هنالك :
« عدت الى الدار مثقلاً بالهم والاسى ، فرقدت . ثم ايقضنى بعد منتصف
الليل صريخ الحارس في السوق وقد فاجأه لصوص من الطواريء الاعراب ،
ونبيح كلب .

ومرت على ساعة هادئة كان يكدر صفوى فيها بين دقائق ودقائق عويل
ام تاكله بنيتها العروس ، تحمله النسائم من مكان قريب . وكانت غرفتى
مطلّة على سوق القرية ؛ وهو رغم صغره وحقارته مزدحم بالناس نهاراً طوال
السنة . فاما لياليه فسود موحشة لاسيما تلك الليلة ، كذلك احسست .
ولا ادري اى دافع دفعنى - ساعتئذ - الى ان ادنو من النافذة فاستقبل
وحشة السوق بشيء من الرضى والارتياح . وكنت اعرف مكان الحارس
منه ؛ وكان معلقاً بمسار في الجدار فوقه مصباح متحطم زجاجه ، ضئيل
نوره ، اوشك ان ينطفئ ، فشهدت مشهداً ربما كان مألوفاً هنا ؛ شهدت
شبح الحارس ملتصقاً بشبح آخر ، وكلبا حائماً حولهما يهز بذيله : صورة من
صور الحياة في مستنقع ! :

واغلقت النافذة ... ولم تأخذني سنة ؛ بل تواردت على جملة من
الافكار والابخلة المضطربة اقلقتنى . ثم رأيتنى في شبه حلم امام رسم متهدم
ظننته رسم « سلوى » تلك الفراتية التي قتلها أخوتها الخمسة اشنع قتلة
تخلصوا من عارها ، بعد ان ظهرت ثيباً ساعة غشيها زوجها .

ثم اتبعت فسمعت الحارس يجادل الشرط ، وصوتا ضعيفاً : حادثة عادية
ما اكثر امثالها ، صبي متشرد غريب لا هوية له متهم في نفسه ، قبض
عليه ... »

واذ سأله جلال : « هل لسكان القرية وضواحيها من ذوق في الغناء ؟ »
اجابه :- « ما رأيت لهؤلاء القوم ذوقا في غناء ؛ ولقد سمعت عصر يوم
نائحة تنوح على مقربة من قبر في الضاحية ، ثم سمعت مغنيا يغنى فلم اتمكن
من التمييز بين نواحيها وغنائها » .

ثم يقول :

« .. وطبيعي ان يكون هذا الغناء غناء هؤلاء القوم . انه للشعر
الذي تجيش به صدورهم وقد غلبهم الفقر واذلهم الجهل واستعبدتهم الظلمة
الطغاة عصورا . ولزمهم الضعف . واني للضعيف الذليل المستعبد المقهور
الميتة روحه ان يحاكي هياج البحر في غناؤه وقصف الرعد ودوى الصاعقة
وصرخة المتمرّد الجبار » .

وانه لينتقل في هذا الجواب الى ان يشتر على الموظفين امثاله فهم عنده
« السدنة في معابد السلطة المتحكمة بالرقاب » .



وكان اذ ذلك ينظر الى الفلاح العراقي ، وهو ابن القبيلة ، ابن الشعب
الذي يغتصب الرئيس حقوقه ، نظرة شفقة ورحمة وحنان . فكتب الى
صاحبه آخر رسائله يصف له فيها حاله . وكان بعد ارساله هذه الرسالة
يرى ان قد حان حين اصدار صحيفته ، وحن حين الاستقالة التي اعتمدها
والانصراف عن الوظيفة . وكان يعتقد ان الصحيفة يجب ان تعطف على
الفلاح العراقي اكثر من اى طبقة أخرى من طبقات الشعب . وكان ينتظر
جوابا من صاحبه جلال فجاءه ؛ وانه ليقروء فيجد لصاحبه هذا رأيا جديدا
في حياة الفلاح . يجده يقول له : « لتعلم انه ما من شيء يجعل الفلاح راضيا
بحقارة عيشه كاعتقاده - فضلا عن قناعته - ان هذا هو المقدر له في الازل ؛
وقد ينال من السحق لكرامته وعزته وحقوقه وشرفه النفسى ، الوانا وضروبا -

في حياته ، فلا يتململ ولا ينطق بكلمة تدل على انه يأبى سحق الكرامة والعزة
والحقوق وشرف النفس ، لانه صابر معتقد مؤمن بان الامر ليس له فيه
من شأن ؛ فهو واحد من اهل هذه الدنيا ركب السفينة الذين يسار بهم وهم
نيام ، كما تقول تعاليم المكتبة القديمة الموروثة •

كذلك قدر له ، والمقدر كائن سواء أراد ام لم يرد ؛ وذلك حظه

رغم انه •••»

ويقول له في آخر الرسالة : « يجب ان يفهم الفلاح انه هو المنتج في

البلاد ، وانه مظلوم • ولكن من يفهمه ؟ ومتى يفهم » •

وكان مجاهد ، وهو ينتهي من تلاوة الرسالة ، غاضبا يلعن صاحبه ، ثم

يهم برسالته فيمزقها صاحبا يصيح : « الويل لك ! اتجرأ ان تقول لي من

يفهمه ؟ ومتى يفهم ؟ اذن ماهو واجبكم نحو الشعب ، نحو الفلاح ؟ ولماذا لا تفهمه

انت وصحبك ؟ ولماذا لا يفهم ذلك الان ؟ أتريدون ان تفهموا الاخلاص

لمذهبنا الاجتماعي الذي تتجحون به مجرد التألم وتسجيله في الرسائل

الخاصة ؟ كلا ، هذه هي الخيانة بعينها •• الا اننى لمستقيل •• الا اننى لذهاب

الى العاصمة قريبا ، واننى لمصدر الصحيفة وسأريكم !••»

وكتب استقالته مساء ذلك اليوم ؛ وكان معتزما رفعها الى الحاكم

غدا غدا •

واصابه الارق تلك الليلة ، فلم يغمض له حتى الصبح جفن • كان يفكر

في صحيفته ؛ كان يفكر في اقدمه على اصدارها وحده ، ونشرها ووقفها

على الفلاح وقضيته والسعى في سبيل تحريره ؛ وكان يفكر في استغناؤه عن

جلال وصحبه في الجهاد العنيف المقبل عليه • وكان لديه من المال المجموع

للصحيفة (٣٠٠) ربية فقط • فهل كان يحسب هذا المبلغ كافيا لاصدارها

ونشرها •

الجواب : بلى ؛ كان صاحبنا يحسب ان هذا المبلغ كاف لاصدار الثلاثة
الاعداد - الاول والثاني والثالث - منها ، وانها كما قلت لك من قبل
ستنتشر بعد صدورهما انتشارا كبيرا لشرف غايتها ومذهبها الاجتماعي ، وانه
سيربح من اعدادهما الثلاثة هذه ما يعينه على المضي لطيته والاستمرار في
نشرها الى حين بعيد .

ومضى في تفكيره يرسم لها خطتها ، فاتهى الى انها يجب ان تكون
سياسة ، فضلا عن ان تتمذهب بالمذهب الاجتماعي الذي يعتنق . كان تفكيره
المستند الى اطلاعه على حالة الفلاحين هنالك يبعده عن خطتها الاجتماعية
الاولى ؛ فقد ظهر له ان الفلاح لا يظلمه رؤساؤه فحسب بل يظلمه - كذلك -
النظام العتيق الذي يؤيد الرؤساء كما كانت الانظمة القديمة في اوربة تؤيد رؤساء
(الاقطاع) . واذن فعليه بادىء الرأي مطالبة الحكومة بحقوقه ، عليه
السعى في سبيله من الناحية السياسية اولا .

اتهى الرجل الى ان الصحيفة يجب ان تكون سياسية . واثت فتعلم ان
الصحيفة السياسية لا ينشرها الا مبلغ من المال كبير . اولا تريد الحكومة
النقود ربية ضمانا لها ! ومن اين له هذا المقدار من المال ؟ وهل يصح بعد
ان يستقيل ؟ وعلام الاستقالة وترك الوظيفة وراتبها ؟ ...

وتعددت الاسئلة في رأسه ؛ فكان لكل سؤال لديه جواب ايجابي حتى
اسفر الصبح ، وحتى اعتقد ان الاستقالة لا فائدة له منها ، وان عليه
التريث ...



وانقطعت عنه رسائل صاحبه مدة تزيد على ثلاثة اشهر فلم يكن يأبه
لذلك . ومضى يعمل اعماله في ديوان الحكومة هادئا متوفرا عليها وعلى
كتب عربية وصحف مصرية يطالعها . وفي ذات يوم وهو في غرفته من الديوان ،

وإفاه البريد برسالة من صاحبه جلال ، فتناولها وهو غير راغب كل الرغبة في تلاوتها ، لأنه لم يعد ينتظر من صحبه هؤلاء البغداديين نصيرا مؤازرا له وفائدة وخيرا . واقبل عليها يتلوها في شيء من السخرية والكره .

« أخي ! »

« اكتب اليك اليوم بعد انقطاع عنك ، واكتب اليك وانا غاضب علينا :

انا وانت ... »

فزوى ما بين عينيه ، وقد اخذه الدهش ، وهز رأسه متهكما يقول : وهل يهمني انقطاعك عني ؟ ثم اى حق لك في الغضب ؟ ورأى من العبث اضاءة الوقت في قراءة الرسالة . ولكنه استمر فيها ليسخر من هذه السخافات التي قذفه بها صاحبه بعد الانقطاع الطويل ! :

« ... غاضب ، لا تستغرب منى ذلك ؛ الا ما أضعفنا ؟ »

قال بصوت عال : الضعفاء اتمم ، اتمم ما في ذلك من شك .

« ... وما أضعف عقيدتنا ؟ »

قال بصوت عال كذلك : احرص . ويلك هذا كذب ومين . عقيدتكم هي الضعيفة حقا ، اما عقيدتي فلا تقوى على اضعافها قوة في الارض .

« ... ما هذا الانزواء عن العالم والتلهي بالمطالعة في زوايا دورنا والمراسلة والاشتغال بانفسنا ؟ »

فوجم واربد وجهه اذ أدرك ان هذه الطعنة موجهة اليه وحده ؛ وصمت قليلا ثم مضى :

« ... الا ترى هذا الشعب في حاجة الى رجال ؟ الى جهود نبذل في اصلاحه وتقويم نظامه ؟ »

قال يخاطب نفسه بصوت خافت : بلى ولكن أأتمم الرجال !؟ ومضى

يتلو :

«... وانا وانت و (•••) أجماد نحن؟ أناكل ونشرب وننام على وسائد
الراحة ثم لا نعمل عملا غير كتابة الرسائل يرسلها بعضنا الى بعضنا تحمل
الاهات والاناث؟» •

فعض على شفثيه ، وشعر بالندم على كتابة رسائله اليه •
«... وهل اصلحت الاهات والاناث شعبا؟»

وفكر بضع دقائق ليجيب عن هذا السؤال ؛ ثم اجاب مستعضا : وهل
الاهات والاناث الا دليل الشعور بالالهم • وما لجرح بميت ايلام ، يقول
المتنبى ؛ فالشعور بالالهم دليل الحياة وعنوانها ؛ والحي الشاعر بالالهم يأبى
الضيم والظلم والذلة والارهاق • وعندى ان من كان راضيا بالذلة والظلم
غير حى وان كان يدب على الارض ويستنشق الهواء •
ومضى في تلاوته :

«... وهل في رسالتك التى كنت ارسلتها الي تصف لي فيها حياة
الفلاح وشقائه ، ما يسعده وينجيه من عذابه ويحرره من الاسر؟» •
قال : فكرة سخيفة وجهل فاضح •

«... وهل في رسالتى التى كنت ارسلتها اليك حاملا فيها على المكتبة
القديمة ما يشى بنا الى غاية وينتج لنا ثمرا غير فج؟»
قال : صدقت ، وابتسم ابتسامة السخرية الصفراء •

«... اوجه القول اليك فماذا انت فاعل؟»
— وما انت عليهم بوكيل يا مسكين ، ولسوف ترى ...
«... ماذا يجب علي وعليك وصحبنا الاقلين ان تفعل بعد اليوم؟»
قال : اجب انت يا زعيم صحبك •

« اننا كنا وما نزال نفكر في صحيفتنا الميتة قبل ان تولد » •

قال : ولتبق تفكر حتى الابد ، وستصدر صحيفتك في عالم الاخرة

انشاء الله •

« ... ولكننا ان لم نستطع نشرها فهذه الصحف امامنا الا نستطيع

ان نكتب فيها ؟ »

— ومن منعك عن الكتابة ؟ ولماذا لا تكتب في الصحف اذا كنت

مستطيعا •

« ... الا نستطيع ان ندعو الى تحرير الفلاح ؟ »

وكاد ينفجر من شدة الغيظ والحقن ، فلم يسترسل في تلاوة الرسالة ،

واكتفى بان قرأ سطورها الاخرة :

« غدا سأرسل الى من اعرف من الطبقة المستنيرة المخلصة دعوة للاجتماع

وسأطرح علي بساط البحث منهجا جديدا للعمل ... »

• وطوى الرسالة ثم مزقها قطعا صغيرة ، أراماها في (سلة المهملات) •

★ ★ ★

وتلقى بعد اكثر من عشرة ايام رسالة ثانية — من جلال — خاطبه فيها

بلهجة اجف من لهجة الرسالة الاولى ، وادعى للغضب والسخرية ؛ وهذه

بعض عباراتها :

« ... لم تأت • وقد تكون معذورا • ولكن كان من الانصاف ان

تكتب جوابا ... اجتمعنا فلم نرسم للعمل خطة • ولن نقدر على ذلك •

ولم يبق لدينا بعد خيبة الامل من مثل اعلى للعمل فالوثوب • وانت لم

تأت • وقد تكون معذورا • وقد يكون عذرك الانهماك في عملك «الرسمى» •

واذن آكانت حماسك في رسائلك فقايع مزقها الهواء ؟ • لم تأت • وقد

تكون منهسكا في جمع المال لكي تتزوج • اجبني أنا خاطيء فيما حسبت ؟
ولكن لا ، لن انتظر منك جوابا » •

وكان يتلوها وهو جالس الى منضدة كتابته ، ولم يكذ يفرغ منها حتى
هاج هائج ، وانطلقت الشتائم واللعنات من فيه متلاحقة متتابعة ؛ وراح
يجرى في الغرفة جيئة وذهوبا والرسالة بيده ، وهو يكرر هذه الكلمات :

اتهمة بالخيانة والجبن يا جناء ؟ يا ايها الخونة ! يا أجلاف !



انقلاب

كان اليوم يوم الجمعة ٢٠ نيسان ٠٠٠

آب الى البيت ظهرا ، وهو شاحب الوجه كئيب ؛ ودخل غرفته فالتقى كل شيء - على حاله - كما تركه حين غادرها ، الصبح ، فالفرش مهممل غير مغطى ، وثيابه التي كان نضاها عنه مبعثرة ملقاة على الارض ، وادوات الحلاقة لا تزال في طاسها تملوها رغوة الصابون .

وكان تعباً لانه جاء يمشى من قهوته التي اعتاد الاختلاف اليها ، وبينها وبين بيته مسيرة نصف ساعة . وبعد ان التى طربوشه « وسترته » واستلقى على « كرسى الراحة » الطويل ، دخلت عليه زوجته وهي فرحة تقول له بلهجة كلهجة الاطفال .

- عندنا اليوم سمك . سأطعمك خير طعام ٠٠٠

وارادت ان تسترسل ، فقاطعتها :

- كفى فقد فهمت .

ومد يده اليمنى يشير بها الى طاس الحلاقة ، والى ثيابه ، والى فراشه ، وهز رأسه :

- واجبك اولاً . . . كان خيراً لك ان لا تهملى غرفتى فانا افضل عنايتك بها على طعامي ؛ وماذا يهمني ، فسواء على أأكلت السمك ام أكلت الحجارة . قالت وهي متظاهرة بالاسف :

المراد بالانقلاب هنا (الرجوع) وهو المعنى اللغوي الصحيح لهذه الكلمة ؛ ومن الخطأ استعمالها بمعنى (الثورة) . الا اذا كانت (الثورة) رجعية يراد بها اعادة حكم أو نظام سابق الى حاله الاولى ، بعد ان حطم وسحق .

— الا تعذرني يا عزيزي ؟ فقد الهاني وربك ، اطلقك ؛ فاني لم افرغ
من تنظيفهم وغسلهم الا الضحى ، ثم الهاني اعداد الطعام •

قال :

بلى ، فعذرک حاضر مهيب ، لديك ، ولكن لتعلمي اننى لن آكل السمك
لاني لم اردہ طعاما لى اليوم •• ولست بمغفل فانك لا تدخلين المطبخ فتعانين
مشقة طبخه من اجلى •

ونظر اليها نظرة الساخر المزدري ، فهمت غايته ، وابتسمت اذ رأت
انه محق •

قال وهو يحدق اليها :

— او انا جاهل طباعك ؟ او لست اعرف انك تدوين شوقا اليه ، وانك
رغم حرصك وبخلك قد تشترين الاكلة منه اذا ما اشتيتها بعشر ربيات ؟ !

وقام منصرفا عنها ، فخطى خطوتين الى جهة المنضدة ، فرأى في كأس
الماء طاقة من الزهر البهيج ، فلم يحفل بها وشعر بانه يأسف لضياعها في
هذه الغرفة المهمله ، كما شعر برغبة قوية في ان يلتفت الى زوجه فيخرج
لها لسانه ! ••• ولكنها كانت قد غادرت الغرفة •

ولفت نظره دفتر مذكراته ، وكان ملقى على حرف المنضدة ، فاستغرب
وجوده حيث وجد ؛ ووقف بضع ثوان جامدا دهشا •

قال في نفسه : لقد فضحت ، فانها هي التى اخرجته من خزانة كتبي
وقرائه ولاشك فعرفت سرى الذى اودعته •

واقبل على الخزانة فرآها مقفلة ، واذ ذاك وقف يفكر • ثم اولج احدى
يديه في جيبه فوجد مفتاحها ، قال : اذن انا الذى تركته ؟ بلى ، بلى تذكرت ،
وكر فتناوله ، ثم عاد الى كرسيه فاستلقى عليه ، وفتح قلب صفحاته واحدة

بعد اخرى ، ثم طواه ، وفكر هنيهة ، ثم انتهى الى انها لم تطلع على ما فيه ،
فهذه الاكلة « الثمينه » التى اعدت لا يجوز ان تكون جزاء له على ما اودع
سجله من سر قد يزهد روحها اذا ما عرفته •

ابتسم ابتسامة اذهبت عنه التعب ، وخطر له وهو يفتحه ثانية ان يكتب
شيئا فيه •

سأل نفسه ماذا يكتب ؟ قال : لاكتبن الحوار الذى جرى بينى وبين
صحابتى فى القهوه ؛ واخرج قلعه الرصاصى الاحمر ، ثم فتح صفحة يومه ،
يوم الجمعة ٢٠ نيسان وانشأ يدون :

« اجتمعت اليوم باصحابى « ع . ل » و « ص . ق » و « خ . ب »
فى « كازينو د . . . » فتحدثنا عن شؤوننا الاجتماعية ، وكان لدى اربع
رسائل من المجموعة التى اخذت تنشرها شركة تركية فى استانبول لبث المعارف
العامة واحداث النظريات الاجتماعية والفلسفية •

ومما جادلنى فيه صاحبي « ع . ل » : « قول بعضهم ان اللفاظ
كانت اولاً ثم كان التفكير ؟ »

ووقف عند الكلمة الاخيرة يحاول ان يتذكر الحوار الذى جرى • فذكره
فالفاه تافها لا يجدر به تدوينه ؛ وما عثم ان شطب على السطور التى كتب •
واذ ذاك عادت اليه زوجه تقول :

— الطعام حاضر •• الى متى تظل تؤذى نفسك بالاكثر من الكتابة ؟
وماذا تكتب الان وانت تعب ؟ فنظر اليها فابتسمت له ، فما قابلها الا بوجه
جامد كانه قطعة من الحجارة •

قال لها وهو غاضب حاقق :

— امشى • اذهبى فما انا بصاحب اكلتك هذه التى تحسنين بها على ••

- الى الشيطان بها •••

فقلت بلهجة الامر :

— يقولون لك قم ؛ فقد انهكتك الكتب والصحف ؛ أو تكتب مقالا ؟
قال :

— بلى ؛ اكتب مقالا في اكل السمك ، وفي اهمال النساء ازواجهن
من اجله ، واريد ان ارسله الى جريدة هزلية ...
قالت وهي ضاحكة :

وذاك ؛ فانك لا تتأخر عن فعل هذه الفعلة . ولعلك ستجعل من هذه
القضية قصة مضحكة .

ثم انصرفت عنه الى المائدة ، وكانت على مقربة من باب الغرفة في رواق
الدار .

وعاد الى دفتر مذكراته يعث بصفحاته فعثر على آخر السطور منها
التي كتبها في صفحة يوم الجمعة ٩ مارس .

« وقد رأيت قبل ايام في قهوة من قهوات الصالحية ، فحيته ؛ وكان
جالسا على الكرسي وبجانبه هراوته وطربوشه . فلم يتحرك ، وقال متثاقلا :
« استرح » ولعله كان يقول في سره « اليك عنى » فافهمته في خنزوانة
وغلظة اننى منقبض الصدر ولا اريد ان ازيد انقباضى انقباضا ، وانصرفت . »
ورأى ان الصفحة التي تليها بيضاء ، وكذلك الصفحات التي تليها حتى
يومه ذلك .

قال : لقد كسلت حقا ؛ فهذه مدة اكثر من شهر مضت وانا لا اجد
عندى ما اسجله في هذا السجل ؛ ولكن لا ، لا ؛ فلو كان عندى شئ لما
زادت اهميته وفائدته على اهمية هذه الاسطر التي كتبت . والصحيح اننى
ارانى قد بدلت شخصا آخر . ماذا يهمنى في الغد ان اقرأ عن هذا الصديق ،

انه كان في قهوة وانتي حبيته، وانه قال لي متناقلا : استرح ، وانتي قلت له ما قلت ؟ آكنت صيبا يوم كتبت تلك الصفحة ؟ يخيل الى انني كنت سكران اذ ذاك ، فما هذا الا حديث سكران .

وهنا استيقضت في نفسه حاسة النقد ، فرأى انه مدفوع الى تكرار قراءة مذكراته كلها . وبعد دقائق فتح صفحة اخرى تأريخها ٢٠ كانون الثاني ، فقرأ :

« لم اغادر البيت الا ظهرا . خرجت وانا كالمحموم فمررت بمرقد الشيخ (٠٠٠) فرأيت كثيرا من الرجال والنساء وقد جمعهم اليوم هذا ، وهو السابع والعشرون من شهر رجب . هكذا هم يقولون ؛ ولكن الذي جمعهم هو الميل الى السوق ٠٠٠ »

قال في نفسه : ماذا ؟

وكاد يضحك . ثم قال ثانية : ماذا ؟ أو يفيدني هذا غدا اذا ما قرأته ؟ وهل يضيرني ان يجمعهم اليوم السابع والعشرون من رجب أو الميل الى السوق ؟ ولماذا اقول « السوق » الكلمة القديمة التي لا يصح كتابتها هنا . ولا يجوز ادخالها في مذكراتي ؟ وهل هذا شيء جديد ؟ وهل كان النساء والرجال يدخلون معابد اليونان في الازمنة الخالية ومعابد الفراعنة لغاية غير الغاية التي يتطلبها هؤلاء ؟ لا ، لا . يجب ان امزق الورقة ؛ وهم بها ، فصاحت زوجه من وراء الباب :

— الا تريد ان تنتهي ؟ فالطعام يوشك ان يبرد .

فلم يجبها ومضى يقلب الصفحات ، ففتح صفحة كان كتب فيها خواطره عن حادثة الطلبة في قضية السر الفريد موند ، فتلاها ، فاعجب بها وبما اقتطفه من اقوال الصحف عن الحادثة وسجله ، على انه رأى انه قد جعل دفتر مذكراته جريدة عادية من الجرائد ، او تأريخا للوقائع والحوادث فاستغرب

وقال : ما علاقة هذا كله بشخصي ؟ ان الحادثة تتعلق بي بقدر ما تتعلق بكل مواطن ، وهي منقوشة على صفحات قلبي ، ولا يزيدني تسجيلي اياها ههنا ألما وحرصا على المصلحة العامة . الا لاعدن قراءة ما كتبت في الصفحة الاولى من دفترى لأرى اى شىء اعزمت - اذ ذلك ان اكتبه وان احفظه لايامي المقبلة فاتذكر به ايامي الماضية ؟ أكنت معترما ان اكتب مثل هذه الحوادث ؟

قالت الخادم ، وقد جاءت فوقت على اسكفة الباب بلهجتها الكردية :
- غده حازره . بيبي يكول تعالى .

وكانت لا تجرأ ان تحدق اليه ، فحين شنف اليها وصوب نظراته اطرقت
ثم انقلبت متولية عنه .

أما هو فاحس انه غير جائع ، وانه ناغم على هذا اليوم الذى سيرى
فيه وجه السمك ، وهو يكرهه ...
ومضى يقرأ الصفحة الاولى :
« الاحد ١ كانون الثاني ... »

« ما اعتدت ان ادون شيئا في مثل هذا السجل ... »

ولم يستطع ان يستمر في القراءة لان طفله الصغير ، وكان في الغرفة
المجاورة لغرفته ، استيقظ من رقاده عند بلوغه كلمة « السجل » فصرخ
صرخة مستطيلة عالية كأنه لسعه زنبور ، ثم بكى .
قال وقد عيل صبره :

٧ - اسكتوه ، ويلكم اسكتوه .

ثم وقف على اسكفة الباب ينادى الخادم :

- ويك (بتولا) خذيه ! ..

وعاد الى مقعده وهو يخاطب نفسه بصوت يسمع :- وهكذا وهكذا ،
لا يستطيع ان آكل الا ما يشتهي غيرى ، ولا يستطيع ان افكر او اكتب .
وكان الطفل مستمرا ييكي في الغرفة المجاورة . فالتفت الى ناحيتها ، فحسب
ان الصراخ يأتيه من النافذة ، فبادر اليها فاغلقها . وجاءته زوجته قبل ان
تهرع الى طفلها ، تؤنبه :

— أهكذا قضى علينا ان نعيش ؟ .. لا نرى راحة ولا هناء ؟ ! ماذا
كان يضرك لو تركت كتابتك ؟ وكيف بعد تناول طعامنا ؟ وها أناذا ذاهبة
اليه لارضعه فانه جائع ستفعلك كتابة « الكفريات » التى لا ترضى الله ولا
رسوله ، وكتابة المقالات في الصحف التى لا ترضى الحكومة ، وبينما يزداد
راتب فلان وراتب فلان تظل انت متأخرا .. وانظر ، فمن يدري ماذا هم
فاعلون غدا ، سيظردونك !

لم يجبها ، وكان مصغيا اليها اصغاءك الى طفل ينثر الكلمات يمينا وشمالا ،
ولا يفهم معناها السامعون ، لفقد الصلة بينها ، وقبل ان يسمعها ما جال في
رأسه من كلمات السخرية والزراية ، عادت الى طفلها ، فما زاد على ان هز
كتفيه ، وقال بصوت خافت كلمته تلك التى اخذها عن بعض القصص الروسية
وظالما كان يكررها لمناسبة ولغير مناسبة : « الى الشيطان بها » ؛ ثم أضاف :
« مسكينة ؛ تحسبنى مثلها لاهم لي الا العمل في سبيل الرزق والنوم واملاء
بطنى .. » ثم رفع صوته ونظر الى ناحية الباب كأنه يخاطبها فقال :
« .. واكل السمك » .

ودفعه دافع قوى مبهم الى اتمام القراءة : « ما اعتدت ان ادون شيئا في
مثل هذا السجل ، فيما مضى من ايامى . لاننى رغبم وضوحى ووضوح
آرائى واقوالى وكتاباتى ، ارغب في ان تكون حياتى اليومية غامضة ، وان
لا يعرف احد اسرارى واسرار بيتى — قريبا كان ام بعيدا — اكثر مما اعرف
عن اسرار أعدائى الابعدين الذين اكرههم واكره ان تذكر اسمائهم امامى .

وقد شرّيت هذا السجل ثم ندمت ؛ ولعلّي شرّيته بعد ان قرأت في احدى الصحف ان تولستوى كان يدون مذكراته كل يوم من ايام حياته في سجلات مثل هذا حتى مات ، فاحببت ان اقلده •

بيد اننى لم اقلد احدا في عمل منذ بضع سنوات ، وانا الان اشد ما اكون بغضا للمقلدين ؛ واذن فلن افعل كما كان يفعل الفيلسوف • لن آتى كل يوم صباحا ، مكتبى ، فاتناول هذا السجل لادون فيه مذكرات ؛ ومع ذلك فلست اريد حرقه ؛ ليق ، لا سجلا لرسوم حياتى اليومية وصورها ؛ ولا كتابا لاسرارى واسرار بيتى ، بل دفترا عاديا • «

وهنا وقف ؛ ثم اعاد الكلمات الاخيرة بلهجة السائل « بل دفترا عاديا ؟ » وراح يحدث نفسه :

— دفترا لكتابة التوفاه ؟ وهل انا الا رجل اهملته الحياة في هذه الزاوية من الارض ، فعاش عيشة الدواب ؟! وماذا لي من اسرار فامنع نفسى عن تسجيلها ؟ لا تدل هذه الصفحة الا على اننى جد كاذب ؛ فلو كان لي اسرار لكنت اسرع الناس الى تسجيلها بعد تنسيقها والاضافة عليها وزرقتها وتلوينها بالالوان الزاهية • وربما كان لي سر واحد هو اننى — قبل زواجى — احببت ؛ واننى قضيت مع من احببت حياة طيبة ؛ وهذا السر لم تطاوعنى نفسي على اهماله بل كتبته هنا ، في هذا الدفتر ، وانا من اجله اؤذى نفسى اذ اشغلها بحراسته وزجه في غيابة الخزانة خشية ان تطلع عليه •••

ثم اننى وان كنت ابغض المقلدين لم اكن في شرائى هذا السجل الا مقلدا ، فعلام المراوغة والانكار ؟

واذا كنت غير راغب في ان يكون دفترى سجلا لرسوم حياتى اليومية وصورها فماذا اريد ؟

أأريد ان يكون •••

وقبل ان يتم العبارة صرخت الخادم :

— وى وى لعنة ابو انت بزونة • بيى بزونة اكل غده •••

فاجبتها ربة البيت بصوت سمعه واضحا :

— الى جهنم ! ومن قال له يترك المائدة ؟

ثم غنمت كلمات لم يفهما ؛ وكانت الحادثة مؤلمة لها حقا ؛ كذلك
اذرك ؛ لانها تعبت كثيرا في طبخ السمك ، ولاشك ، من اجلها ومن اجله
وان كان يكرهه •

لقى الدفتر من يده ثم ذهب اليها يسترضيها ويسأل الخادم :

— ماذا اكل القط ؟

فقالت له بلهجتها المكسرة :

— والله اغاتي ما اكلت هوايه ••

فاما زوجه فاشاحت بوجهها عنه وهي تقول له :

لا اشتهي الان ، اذهب ، فكل اذا كنت جائعا ، وراها تهيم بالبكاء •
فخجل وعاد فوقف الى جانب المائدة ، فرأى الذباب يملأ اناء الحلوى ، لانها
ذهلت عن ان تغطيه ، ولم تنتبه الخادم اليه ؛ وكان الجوع والتفكير قد اخذا
منه مأخذهما ، فتناول كسرة من الخبز فالقاها في فمه وصاح :

— الا تريدن ان تأتى ؟

فلم يجبه احد ، فهز رأسه ، ثم ما زاد على ان قال كلمته التى تعرفها :

— « الى الشيطان بكم » • وزاد عليها : « لعنة الله عليكم فقد خلقتهم

لاشقى بكم » •

وجلس على مقعد ازاء المائدة ، بضع دقائق ، ثم نهض فدخل غرفته
ولبس طربوشه ، وكان ينوى ان يتناول طعام الغداء في مطعم من مطاعم
الشارع العام القريبة من بيته .

والقى نظرة على دفتر مذكراته فحسبه شخصا يعاديه . وقبل ان يخرج
من البيت اقتطع منه كل الوريقات المكتوبة . وعندما بلغ المطعم اقبل عليها
يتلوها واحدة بعد اخرى فرآها - اولها الى آخرها - خلوا من المعنى ، حتى
صفحة سره ؛ فمزقها وهو يتناول الطعام ؛ ولم يبق منها الا صورة من صور
الفوتوغرافية يوم كان في الثانية عشرة من عمره ، وكانت ملصقة بواحدة منها ،
وهذه القطعة الصغيرة :

« الخميس ٢٦ كانون الثاني . . ولد ولدى (ف .) »

وحين خرج من المطعم تنفس الصعداء ؛ وكان يتملكه شعور كالذى
يتملك احدنا ساعة يسره نبأ بعد ان يحزنه نبأ !



جماح هوى

لم يجد جميل بن سالم بدأ من الشخوص الى حيث يقيم خاله واسرته ، بعد ان اغلقت المدرسة الثانوية في الموصل ابوابها ، فعطلت والمدارس كافتها عطله الصيف ؛ وكان الفتى من جملة الطلبة ابناء صفها الاخير الناجحين .

وكان من اساتذته - في المدرسة - مدرس فذ مفرد بمذهبه الاجتماعي ؛ يعتنق المذهب المادى الذى كان الدكتور شبلى شميل من اول الدعاة اليه في الشرق العربي ؛ يجذ التفرنج ، ويتمناه لابناء الشرق عامة بمضاره ومنافعه وقشوره ولبابه ؛ يقدر مصطفى كمال باشا ، ويحسب ارتدائه والشعب التركي القبعة الافرنجية فتحا جديدا - لا مثيل له - للعاملين على تمدين الشرق ؛ يحمل له في جيبه صورة صغيرة ملونة لا يفارقها ولا ينى يطيل النظر اليها ، في ساعات فراغه ؛ يسيل الى المرأة اشد ميل ، ويعتقد انه يجيد حبها ؛ يحارب بقلمه ولسانه هذا الغزل الميثوث في كتب الادب القديمة ، الغزل الدنيء ، غزل امى ثواس واضرابه ، وافت تعرفه ؛ كما يحارب هذه العادة الفاشية في بعض انحاء العراق ، العادة التى تعصف بالاخلاق الاجتماعية فتمحوها ، وتذل المرأة ثم تدفعها الى هاوية الموت أو هاوية الرذيلة ، عادة اتخاذ الغلمان !... .

وهذا المدرس رغم ماديته لا يحب المال ، فهو قانع براتبه ويرى انه اكبر من ان يتنزل الى طلب الزيادة فيه ؛ وكان كثير الاعتداد بنفسه ، حتى ليحسبه الناظر اليه متكبرا مترفعا عن الناس أجمعين ؛ وكان يتجاهل مهنته ، فهو اذا ما احتاج الى ان تعرفه لم يقل لك انه « فلان المدرس في المدرسة الفلانية » بل قال لك وهو يوجز قوله : « فلان بن فلان من الموصل » ؛ وهو اذا ما اراد ان يرسله احد اعطاه هذا العنوان : « فلان رقم داره (٠٠٠) »

في شارع (•••) من الموصل « ؛ كان يريد ان يعرفه الناس باسمه المجرد وشخصه لا بوظيفته التي هي عرض زائل ، يلجأ اليه مضطرا ، كما يضطر المسلم اذا ما جاع وعز عليه الطعام الى اكل الميتة ولحم الخنزير •

كذلك كان شأن هذا المدرس • وكان الطالب جميل يعجب به ، ويصبو الى مذهبه واقواله ، ويرجو ان يكون في مستقبل ايامه رجلا على غراره يدعو الى اصطناع المدينة الحديثة •

ولم يكن راغبا كل الرغبة في مفارقة الموصل ، لانه كان يريد ان يكون بجانب استاذه هذا يتعلم منه ما كان يعتقد انه في حاجة اليه من آرائه • بيد أنه غادر المدينة عقب اليوم الاول من ايام العطلة ، وكانت وجهته البلاد الكردية ذات المصائف الطبيعية الجميلة ، فلم ير الطالب بدأ من الشخوص الى حيث يقيم خاله ليقتضى بجانبه واسرته شهرا من الصيف أو شهرين !•••



فاما خاله هذا ، فصاحب حقول في قرية صغيرة على شاطئ الفرات الاعلى ، ليس فيها الا دار الحكومة ودور كاتبها وجباة الضرائب والشرط ، وقهوة واحدة ، وداره ؛ وهي من الاجر الاحمر مجصصة ، واسعة باحتها ، يتكون الجناح الايسر منها من اربع حجر كبيرة ، فوقها ثلاث غرف ، بجانبها حجرة واحدة في الجناح الايمن ، يليها حمام وتنور للخبز وكن للدجاج ؛ وامام الحجر رواق من جذوع النخل والقصب ؛ والدار مشرفة على شاطئ النهر ، وخلفها طريق للسابلة من الفلاحين ؛ وبجانبها بيت من الشعر والقصب اعد للضيوف •

والاسرة تتألف من ربها هذا ، وزوجه ، وابنتهما الوحيدة •
والزوج في الخمسين من عمرها وان كانت تظهر للرأى في اقل من

الاربعين ؛ زال عنها جمالها ولكن قد بقيت منه آثار تدل عليه ؛ مترهلة-
لادمانها القعود والكسل ؛ قصيرة القامة ؛ قد نقشت يديها بالوشم الازرق
الدقيق ؛ في رجليها خلخالان من الذهب؛ وفي يديها اساور مختلفة كثيرة
من الذهب كذلك ؛ ترجل شعرها على الطريقة القديمة ، وتدل منه وراءها
ضفيرتين •

والابنة في اواخر العقد الثاني من العمر ، ناضجة ، ذات قسامة ،
وجاذبية ساحرة تسلب اللب ؛ قد برز نهداها كرماتين كما تقول العرب ،
يترجرجان عندما تمشى مشى القطة في فناء الدار بين المطبخ ومحل الماء
ومخزن المونة • اما صوتها فله رنة موسيقية رقيقة كلها غنج ودلال ؛ وشعرها
المسترسل الطويل قد لمته وجمعته خلف رأسها فكان لها منه هيئة رأس
الزهرة اليونانية (فينوس) • ولم يكن هذا الضرب من الزينة يرضى اباه
الذى اعتاد النظر الى الضفائر منذ نشأ ؛ ولكنه كان - من جهة ثانية -
لا يرى بأسا في ترك حبلها على غاربها ما دامت تحيي بين اربعة جدران
الدار في نجاء من انظار الرجال ، وامها بجانبها كالحارس الشديد • وكانت
ثيابها قصيرة كما كان يراها الاب ، طويلة اذا ما قيست بالثياب التي صار
يلبسها النساء اليوم •

وكان في يديها اسورة من الذهب وخاتمان من الماس ؛ وكانت اذناها
عاطلتين ؛ أما جيدها فتحيط به قلادة من العقيق •

وكانت نشيطة بقدر ما كانت أمها كسولا ؛ هي التي تقوم بشؤون
الدار من طهي وغيره تعينها خادم من بنات الاعراب المجاورين • وكان
الماء لديهم غزيرا يجري من تحت بيتهم في ساقية متفرعة من النهر الكبير ؛
وهي تفتسل به كل يوم عقيب الظهر اذ تنجز اعمالها • وكان يحبها ابوها
حبا جما ؛ ولم يكن حبه اياها ناجما عن « عاطفة ابوية » كما يسمونها ،
انما كان يحبها لانه لولاها لتعذر عليه اكل لقمة من الطعام في تلك القرية

التي هاجر اليها من البصرة منذ سنوات خمس ؛ كان يحبها كما يجب احدنا
دابة من الدواب يستخدمها في حرث الارض او حمل الانتقال •



وكانت ساعة جميلة من ساعات المساء حين دخل عليهم الدار جميل ،
فرحبوا به ، وكانت مدة الفراق بينهم وبينه ثلاث سنين •

وكان الفتى يود الفتاة من قبل ويعاشرها معاشرة ساذجة بريئة ، فلما
ان جاء دار ايها هذه المرة أضحي ينظر اليها نظرة حب قوية صارخة لاذعة
لم يكن له بها عهد • وكانت عادة ايها الخروج الى حقوله والاشراف على
زرعها كل صبح فلا يعود الا بعد المساء ؛ فكان المجال واسعا امام جميل •••
وكان ينتهز الفرصة ليعرب لها عن حبه ، فاذا ما سنحت له ناداها طالبا
ماء ، فاذا جاءته بالاناء ووقمت على قيد خطوة منه ارتجف واستعصى عليه
الكلام • فاذا انقلبت عض على شفتيه وقال يخاطب نفسه « لم اكن اعلم
اننى بهذه الدرجة من الضعف » • وكان منطباعا في مخيلته كثير من صور
القصص الغرامية التي كان يشهدها في دور السينما اذ يقبل العاشق معشوقته
بعد ان يبثها ما في قلبه من حب وشكاة ؛ فكان يريد ان يكون رجلا لا يقل
شأنه عن شأن اولئك العشاق •••

وكانت الفتاة تشعر بحبه وتشعر بمثله في اعماق قلبها ، فكانت تكثر
من التزين والذهاب والمجيء امامه والدخول عليه غرفته التي اخلت له من
غرف الدار ، لمناسبات تافهة ، كأن تبحث عن دبوس سقط منها حين
كنستها الصبح ، او اناء ماء تركته ••• وكان يحاول - كلما دخلت عليه -
ان ينهض من مكانه فيقبض عليها فيقبلها ، وليكن بعد ذلك ما يكون ؛ بيد
انه كان حين تطالعه بوجهها الصبيح المنير يحس انه قد سمر في كرسيه فما
عاد في وسعه التحرك ، فينظر اليها نظرة حيرى وضربات قلبه في اشتداد

وازدیاد ولسان حاله یقول لها : « احبك ! » • اما هي فتنظر اليه نظرة سريعة فتراه مرتبكا ممتقع اللون ، فتبتسم له ابتسامة الخوف والحب والامل ، قبل ان تفارق مجلسه وتنصرف • وبقي على ذلك اربعة او خمسة ايام • ثم جسر مرة على ان يقول لها « كيف رأيت الازهار الملونة التي جئتك بها ؟ واني لأعلم انها هدية حقيرة ولكنسى - والله - كنت عجلا حين بارحت الموصل ••• »

ويبسم لها ممعنا في النظر اليها نظرات حادة متلهبة ، فتجيبه : « ما هذا يا جميل ؟ (وكانت تناديه باسمه المجرد) شكرا لك على ما جئتنا به • أكننا طامعين في تأتينا بكل ما في اسواق الموصل من تحف ومتاع ؟ » • وابطأت ذات يوم فلم تخلع عنها ثياب العمل • وكانت معتادة خلعها كل يوم بعد الظهر ، وارتداء ثياب غيرها • فحمل نفسه على ان يقول لها : « اراك لم تنزعى ثياب المطبخ حتى الان ؟ » • بسمت ولم تجب ، واحمرت وجنتها من الخجل ، وهي مدركة قصده ، ثم مضت لتدخل الحمام •

وجسر على ان يسألها مرة ، وقد مرت به وكان واقفا على باب غرفته : « ما هذه الخواتم التي تلبسين ؟ أهي من الماس ؟ » فمدت له يدها ذات الخواتم ببساطة الطفل وسذاجته ، فقبض عليها بيده اليمنى وراح يظهر لها اعجابه بطراوتها ويقول : « اراك مكتنزة اللحم فقد افادك هواء هذه القرية » • وهم بيدها فادناها من فمه يحاول ان يقبلها ، وهو مرتجف مرتعد ، فرآها مسترخية له • ثم سحبتها - قبل ان يطبع عليها قبلته - بضعف بين ، مستغربة دهشة ، او متظاهرة بالاستغراب والدهش •

ولم يستطع ان ينظر اليها اثر ذلك • ثم اختلى في الغرفة يفكر فيما فعل ؛ حسنا فعل او سيئا فعل ؟ لم يكن ليبرى • وكان يقول سائلا نفسه : « ماذا ستقول عنى هذه الطفلة الغرة اذا ما خلت الى نفسها ؟ ••• » ثم

يقول : « احسبني استطعت ان ابلغها حبي ، ولكن كان على ان اقبل منها الفم
لا يدها ، وليست هي افرنجية فتحسب قبلة اليد على الحب دليلا » •



وكرت بينهما - من بعد - المحادثات • وكانت هي وامها تتناولان
طعام الظهر وحدهما ، ولكنه كان يزعم - وخاله في غيبته - أنه لا يستطيع
الاكل وحده فيدعوها الى مؤاكلته • وكان يسره ان يجالس ابنة خاله
على المائدة ، وان لم يكن مستطيعا ان يحادثها او يداعبها حذر أمها ؛ وكان
يعجبه قبل كل شيء ان يقبل شفيتها ولو مرة واحدة •

وكان يستغرب عجزه عن ذلك حتى اليوم العاشر من الايام التي
مرت عليه • كان يرى الفتى نفسه واهنة يشيع فيها الضعف بكل ما في
الكلمة من معنى ، فيزدريها ، ثم ينتوى ان يرحل عن الدار والقرية اذا لم
يستطع ان يفعل ما عزم عليه ، ذلك اليوم •

وكانت زوج خاله بعيد الظهر راقدة في مخدعها ، وهو راقداً في
غرفته المنعزلة ، يتناوم ويرقب الدار • فرآى الفتاة تدخل الحمام ، وتدخله
انسلافاً • وكان ينتظرها ان تخرج منه ليراها في زينتها وثيابها الجديدة التي
سترتدي بعد الخروج • وسكنت الام فاعتقد انها قد رقدت • وبعد نصف
ساعة ظهرت الفتاة على باب حمامها • ولم تذهب الى مخدع أمها كما
اعتادت كل يوم ، بل جاءت تمشى على مهل الى غرفة مجاورة لغرفة الفتى •
وكان الفتى ثائرا مجنوناً تلك الساعة تمتلكه عواطف مختلفة قوية دفعته
الى ان يغادر مكانه عجلاً فيعدو الى الغرفة المجاورة •

وكانت الفتاة مولية ظهرها باب الغرفة ، واقفة تصلح شعرها وترجله ؛
واذ شعرت به داخلا عليها دخوله غير المنتظر في تلك الساعة من النهار ،
التفت اليه لتسأله أو لتستقبله ، أو لتحادثه فرأته منفوش شعر الرأس

حافيا مصفرا يرتجف كالهارب الخائف المذعور ، فوجمت وجف ريقها
ولم تنطق بحرف • والله يعلم ماذا حسبت انه فاعل ؟ !

واحتضنها الفتى بقوة فالصق فمه بفمها وقبلها القبلة الاولى فالثانية
فالثالثة ، وكاد يفقد شعوره ، وهي مسترخية بين يديه لا تمنع ولا تعارض
ثم افلتت منه فرام الغرفة منقلبا •

وكان غير متوقع منها استرخاءها وهذا الاستسلام له الذي سره
كل السرور • واستلقى على سريره ليرقد فلم يطاوعه الرقاد • ثم توقع
ان تترك الفتاة الغرفة فتذهب الى حيث أمها ، ولكنها لم تفعل • ومربها
بعد ساعة فالفأها راقدة ؛ ثم مر بمخدع الام فالفأها ساكنة راقدة كذلك ،
فعاد يمشى على رؤوس أصابعه الى غرفتها ، فدخلها ووقف دقيقة على مقربة
منها يتصفحها بنظراته :

« أنت نائمة يا حبيبتى ؟ » فلم تجبه • وانصت قليلا يتسمع فلم
تطرق سمعه اية حركة في صحن الدار ، ثم انحنى ، فاحتضنها وقبلها قبلة
واحدة فائنتين ، فتململت وبدا له انها متناومة ، ولعلها كانت ترجو عوده اليها،
ثم قالت له : « ما هذا يا جميل ؟ » ودفعته عنها بيدها اليمنى الواهنة
فابتدر الباب مسرعا ، وقد هدأت عواصف نفسه بعض الهدوء •

وظل حتى قبيل المساء يتلهى بكتابه الرسائل لاصحابه ، وهو ساكن
صامت لا يكلم احدا • وجاءته زوج خاله فجلست بجانبه فلم يرفع اليها
نظره ، اذ انها اضحت عدوه الالذ في البيت المانع عنه سروره وهناءه ؛
وتناول طعام العشاء مع خاله صامتا •

ومرت به ليلة عابسة كانها سنة لم يذق فيها للرقاد طعما ؛ حتى اذا
اصبح الصبح كان يمتلكه اليأس والكآبة • وماذا يفعل بعد في دار هذه
الاسرة وهو يريد ان يحظى بالفتاة كل الحظوة ، يريد ان تكون له ، يريد ان

يتمتع بها ، وان يحسو منها كأس الحب حتى الثمالة • وكان مستطيعا ان يقبلها مرة اخرى ، ولكن القبلة اضحت عنده ضربا من اللهو والعبث بعد ان نال منها ما اراد •

وجاء الظهر فتناول طعامه في غير اشتها ، ثم زم حقائقه ، فودع زوج خاله ؛ وكانت تستغرب منه عجلته ، ولا تدرى ما الذى حدث له فدعاه الى ان يسافر حينئذ ؛ وكان عليه التريث حتى عودة خاله مساء على الاقل ! • •
والقى الفتى نظرة على الدار وعلى الفتاة ، فدمعت عيناه ؛ وزايل الدار متاقلا •



آب الفتى الى الموصل ، وآب اليها فاقدنا نشاطه الاول ، وتلك الصبوة الى آراء استاذة ونظريات ، والرغبة في الاجتماع به ، فكانت تنتابه حالات ضعف وهياج اعصاب ؛ واضحى لا يقرأ من الكتب الا الاقاصيص الغرامية • وقد سلبت منه عقله « الزنبقة الحمراء » لاناطول فرانس ، فكانت قرآنه الذى يتلو منه ما شاء كل صبح ومساء • وكانت مواقف زوج الكونت الخائنة ، الغرامية ، تؤلمه وتثير من نفسه عواطف الحسد ، والحقد عليها ؛ لانه كان يرى انه خائب لم يوفق في حبه الى ما وفق اليه عاشقها الثانى • وكان لا يدري أيوفق الى ذلك في مستقبل ايامه ؟! • • •



سکران ! ..

كتب محرر مجلة النشء الجديد في احد اعدادها هذه الاسطر ، نقلناها بعد ان حذفنا منها ما يتعلق بنا ولا يهم القارئین :

وافانى البريد بهذه « الاقصوصة » العراقية ... وهى من ذلك النوع الذى يجسم لك الرذيلة ... ولما كان ... السيد محمود افندى احمد قد وعدنا بالاستمرار على اتحاف النشء الجديد بمثل هذه الاقصيص الاجتماعية فنحن نقسح له هنا المجال ليقول مقدمته ... كى يقف القراء على الغاية المتوخاة من نشرنا هذه الاقصوصة قال :

« ... ولا يخفى عليكم ان القصة هي العنصر الالهم من عناصر الادب العالمى ، في هذا العصر ، وان الادب العربى ما يزال محروما منها ، وان من واجب كل اديب عربى ان يمارس كتابتها ، وانها يجب ان تكتب لغاية واحدة : تصوير الحياة الاجتماعية الشعبية ؛ لتظهر للعيان الجوانب الكاملة منها ، والجوانب الناقصة التى يسعى المصلحون الى اصلاحها .

وهذه الاقصوصة ستمعضكم او ستهجركم ، لا ادرى ؛ ولكنى ارجح انها ستمعضكم ، وستؤلمكم ، لانها صورة لجانب من اردل حياة يحياها نوع من الناس - اليوم - في هذا البلد .

أو قد فعلت سيئا ؟ ربما . بيد اننى مكرر قول ذلك الحكيم الذى نسيت اسمه ولم انس حكمته : « لكى تكون ذا فضيلة عليك ان تعرف الرذيلة وتشهدها ، ولكى تعالج المريض عليك ان تكشف الغطاء عن دائه ... »

وقد قيل لاميل زولا القصصى الفرنسى المعروف « لماذا لا تنزه قلمك

عن تصوير رذائل الحياة الاجتماعية ؟ » فاجاب « نزهوا هذه الحياة عن رذائلها اولاً ! » •

... وبعد ، فحسبى ان اقول : اننى احتذيت اميل زولا ، والكتبة الروسيين امثال شيكوف وتولستوى في كتابتها • وهم الاولى ينزلون الى الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانسانى ، فيقتطفون منها المواد لقصصهم ، بدلا عن ان يعرجوا الى الدرجات العليا ، فينثروا للناس الزهور ويخطفوا الابصار بالالوان الساطعة البهية ؛ فيشغلوهم عن معرفة الحقيقة ، والاهتداء الى الداء الدفين » •

وكان تعليق محرر المجلة على هذه المقدمة حمدا وثناء هما اكثر مما استحق •

★ ★ ★

غرفة صغيرة من غرف نزل حقير معد للغرباء ، في الميدان ، كان يحتل قاسم افندى ؛ وهو فتى في الرابعة والعشرين ، تنظر اليه فتحسبه لقصر قامته ونحافته صيبا •

وكان ذات ليلة جالسا - في غرفته - الى مائدة من خشب عادى غير مدهون ، يدخن ؛ وفوق المائدة زجاجة خمر ، وزجاجة سودا ، وكأس قذرة من البلور يدنيها الى فمه بين دقائق ودقائق فيرتشف منها الخمرة في نهم شديد •

وكان كل ما في الغرفة من أثاث - عدا المائدة - سريرا من الحديد اشتراه من سوق (الهرج) بعشر ربيات حين تسلم اول راتب من الحكومة ، وكرسيين من الخيزران ، وفراشه الذى جاء به من قريته ، وهو مجموع اسمال بالية ، يسترها غطاء من الصوف جديد ، يدل منظره على أنه فارق

السوق قبل ايام قلائل • وفى الحائط مشجب يتدلى منه معطف اسود اللون،
وثوب نوم وقميص ، والى جانب السرير صندوق مقل •

وكان لون الفتى ابيض ضاربا الى صفرة ينم على علة مزمنة فيه •

وكان مزهوا فرحا ، يفكر في هذه الامراة التى عرفها قبل اسبوعين في

« المحل العام » ! : (١) •

— « وما على ان افعل ؟ لقد وقعت في شركى ، فلأمنن نفسى عنها

اسبوعا على الاقل ، ولا اظنها ستستطيع الصبر ، فسترسل الى رسالها

ورسائلها تترى ، وسأظل ممتنعا حتى تبر بوعدها ، حتى تعطينى الاربعين

ريية التى اردت ! •• »

وابتسم ابتسامة طويلة اخفتها الكأس اذ رفعها بيده اليمنى المرتجفة

فسكبها في فيه صبرة واحدة •

وكان معتقدا انها ستغلب على امرها وانه سيكون الغالب حقا •

ونظر الى الزجاجة فرأى انه قد شرب منها ثلثها ، واذ كان يحاول ان

يملا كأسه التفت الى زجاجة الصودا فرآها خالية ، فارتأى ان يخرج من

النزل على عجل ، ليأخذ من البائع المقيم في الشارع على مقربة من بابه زجاجة

اخرى او زجاجتين •

وكان مستطعيا ان يكلف البواب ، ولكنه لم يفعل ، وسره اغترامه

الذهاب بنفسه ؛ وكان مكشوف الرأس وهذا لا يهم ، أو ليس هو الان حراً

كأهل العاصمة المتمدنين ، فأية حاجة بعد الى تقييد نفسه الطليقة بقيود

القرية والريف وآدابهما ؟ وليخرج الى الشارع هكذا حاسرا كالانكليز

(١) الجامع لدور البغاء في بغداد •

الذين طالما شاهدتهم ليالى الاحد يروحون يغدون في ثياب الرقص بين فندق
(كارلتون) وفندق (مود) وغيرهما .

وكان ثملا ، فقام وخطا الخطوة الاولى فاصطدم بكرسى ، وهنا فتح
الباب فتى في ثياب العامة فوقف على عتبتها :

— من أنت ؟

ثم نظر اليه متصفحاً فعرفه :

— آآآ أهذا انت يا حسين ؟ تعال ! ادخل !

ورجع الى محله مستمرا في حديثه :

— ماذا تريد ؟ أو قد ارسلتك الى ؟

قال :

— بلى

فابتسم ، ثم قهقه ضاحكا ، وهو ينظر الى رسالة أخرجها حسين من
جيبه فوضعا على المائدة أمامه ، وابتسم ابتسامة خبت ثم تأخر خطوة
الى الورا .

وفض الرسالة ، فاذا بها وريقة معطرة من تلك الوريقات التي اعتاد
ان يرسلها مثيلاتها الى امثاله ، والتي يكتبها كتبة العرائض على ابواب دور
الحكومة دواما :

« الى مهجتي وحشاشة كبدي وحبیب قلبي آآآ »

وكأنه كان يعرف هذه المقدمة المتبدلة عنده فلم يتممها ، ولم يقرأ بيتي
الشعر اللذين كانا بعدها ، بل اجتازهما الى نص الرسالة :

« آآآ يا حبیبی لیس هكذا زعلان ؟ تركتني بعد ان عرفتك وجئتني

ست مرات ، واتي وحق رأسك لا ليلى ليل ولا نهاري نهار أبكي وعيني على الطريق ، فارحم ... الخ » .

واتى عليها ثم كرر ضاحكا ضحكا سخيلا لا معنى له ، وكان الرسول خادمها واقفا امامه ينظر اليه والى اثاث غرفته الحقير في شيء من السخرية والخبث ، وكأنه كان يحدث نفسه « انها والله لاجمل منك وان لها عشاقا أكثر منك مالا وأرفع قدرا ، ومن يعرف من انت ، وأية مزبلة أنبتك ؟ ولكن إه ، عقل مومس ! »

ولما فرغ قاسم افندى من ضحكه سأله الخادم مستعظفا :

— أريد جوابا يا سيدى ، فانها — وانت قد تعرف اخلاقها — سكرى الان ؛ وقد كتب لها كاتب العرائض هذا الكتاب عصر اليوم ، فترددت وخجلت ولم تشأ ان ترسله بادىء الرأى ، ثم أمرتنى الان ان احمله اليك ، وهي مهتاجة تبكى .

وكان قاسم مشغولا بنفسه ساعتئذ فلم يسمع ما قاله الخادم ؛ كان مشغولا يسكب في كأسه خمرا ويريد ان يتجرعها فلا يستطيع ، ونهض أخيرا يحاول ان يأتي بماء ، على الاقل ، من اناء الماء الموضوع على افرز النافذة ؛ فادرك صاحبه قصده فسبقه الى اناء الماء وهو يقول :

— استرح يا عم ! • فانا خادمك لماذا لم تأمرني ؟ وتناول الكأس من يده فملاها ماء حتى فاضت ، فصاح به « كفى » • واعقبها بكلمة ثانية يشكره « عشت ! » •

وكانه كان متحمسا فافرج نصف الكأس في فمه ، ثم وضعها ، ومد يده اليمنى الى المائدة ثم اعادها وهو خجل • كان يريد ان يتناول شيئا من النقل او الفاكهة على عادة السكارى فما وجد ...

لقد كان مستعجلا أول الامر فلم يفكر في ان يهيبه له ما صار يشتهي ،

وكأنه شعر بان كرامته انحطت امام هذا الفتى الوضيع ؛ فمد يده الى جيب (صدره) فاخرج ربية واحدة ناوله اياها وهو يقول :

« حقاً لقد نسيت .. لا ادري ماذا اقول .. المحل قريب .. هنا يقال على باب السنما . خذ لي برتقانا وموزا وقليل فستق . وسأكتب لك الجواب ... »

وتكلف الابتسام ولعله كان يريد ان يقهقه ، ثم تناول سكاراة وعلبة الثقاب .

وكانت الكلمات مقطعة لان الخمرة قد فعلت فيه فعلها .

واذ كان الخادم يخرج من الغرفة كان هذا ممزق الفكر لا يدري ماذا يفعل ؛ وكان في سرور ومرح كسرور الاطفال ومرحهم ؛ ثم تناول الكأس فشرب نصفها الثاني ، وخيل اليه انه ينتهب اللذة انتهابا .

ثم مر به خاطر غريب في سرعة كلمح البصر ، فألمه وامعضه ؛ أو لم يقل له الطبيب انه مسلول ، وان ادمانه الخمرة يؤذيه ؟؟؟

لقى السكاراة ، وكانت ما تزال على حالها ، وكأنه نسى ان يشعلها ، وقال يحدث نفسه :

— لألعنك ولأمزقن ورقة دوائك ! ومد يديه الاثنتين يبحث عنها في جيبه هذا وجيبه ذلك ، فاخرجها ، ولم يفتحها ؛ وكان بين طياتها ورقة نقد قيمتها عشر ربيات هي والربية التي اعطى الخادم اياها كل ما بقي لديه من راتبه ، فمزقها ولم يدرا انه كان يمزق معها دراهمه التي ادخرها لايامه الثمانية الباقية من الشهر ، ثم أرماها وهو يخاطب نفسه بلسانه المتعثر الثقيل :

— مسلول .. مسلول .. لا تشرب ، يقول ابن الكلب ؛ يعنى انتي

يجب ان اقتل نفسي بعيدا عن السرور واللذة • وعلم الله انه كاذب ، ولو
كنت مريضا لما أحبني النساء وعشقنني •

وتمنى تلك الساعة ان ينظر الى وجهه في المرآة ! :

— آه ما كنت اصدق اتني انال هذه الوظيفة فاتفق راتبها في سبيل
لذاتي كامثالي من شباب العاصمة • وابي ، أبا الشحيح البخيل الذي كان
ييخل علي بنفقاتي ويلجئني الى العيش في القهوات ينفق على الاخرون •••
وهنا كان يتملكه حس غريب ، لان تذكره اولئك الذين كانوا ينفقون
عليه قد طعنه طعنة قاتلة •

وظفق يخفى وجهه بين وسادتيه ، ويكي •

الا لقد تصور حاله قبل ان يبرح القرية ويهجرها ، وفاقته ، وذكر
ذيتك النعلين اللذين كان ينتعل ، وتلك العباءة المهلهلة التي اكل الدهر
عليها وشرب ، وتلك الكوفية المخرقة والعقال الذي حال لونه الاسود
من كثرة ما علق به من وسخ وتراب ؛ يضاف الى ذلك ازدراء اهل القرية
اياه ، ونظرم اليه نظرم الى كلب حقير ؛ وذكر كيف انه جاء يبذل نفسه
ليلا ونهارا على اقدام شريف قريته النائب في البرلمان ، حتى اضطره الى ان
يرجو الحكومة ان تعينه لهذه الوظيفة التي اضحى فيها افنديا ؛ فازداد
بكاؤه ونحيبه •

وجاء الخادم يحمل الموز ، وخمس برتقانات وضعها على المائدة في
هدوء ، ووقف يغالب الضحك متعجبا ساخرا ؛ ينظر الى القطع الممزقة
من ورقة النقد المشورة حول المائدة ويتمنى ان يبصق في عينيه !! •



رسالة هجر

قبيل حلول الساعة التاسعة - ليلا - عاد وفيق افندى العامرى
البصرى الى داره ، فاستقبلته زوجته بوجه تملوه الجهامة ، استقبالا باردا
لا اثر فيه للحب والعطف . وتناولوا طعام العشاء على مائدة واحدة ، وهو
مشغول عنها بالتفكير في موضوع الرسالة التى اعترم كتابتها وارسالها في
بريد الصبح الى سليمة احسان الامرأة التى مال اليها وأراد أن يجها ،
ثم تولى عنها وهجرها غير آسف عليها ولا محزون .

وحين ترك الزوجان المائدة انصرفا هى الى مخدعها ، وهو الى مكتبه .
وكان بعد نصف ساعة مكبا على منضدة كتابته يكتب الرسالة في تأن
وهدوء :

« الى السيدة سليمة أحسان ! »

تناولت كتابك من ديوان البريد ، الصبح . واليك جوابي الاول
والاخير .

اخطأوك - انت وحدك يا سيدتي - التى اضطرتنى الى العزوف عنك ،
والتخلص منك على عجل . وانا الراح الان ، وهذا ما يثلج صدرى اذ
يسرنى كثيراً . أما انت فلا يهمنى ربحك ، ولا يضيرني خسارك أقل ضير .
ولا أتوقع منك أن تستغربي كلامي فانتني أريد أن أقسو عليك الساعة .
ما دمت على رأيك « قلب الحجر ، والرجل الذى ينهش فيأكل من الفريسة
لحمها ثم يتركها عظاما ! » .

وليست الاخطاء التى عدت لي في كتابك اخطائي كما تقولين ، انى
لاجهلها . ولعلك الصقت بى اخطاء رفيق لك قبلى تمتع بجنبك ، كما يقولون ،
حيناً من الزمن ، ثم افترقتما ؛ هكذا انا اعتقد . وارجو ان يكون اعتقادى

صحيحا . و اذا كنت مخطئا فخطأى الذى اخطأت واحد ؛ وهو انى اتصلت
بك ؛ وكان على ان لا افعل ، لو كنت حصيفا ذا تجارب .

يا صديقتى المسكينة .

ستقرأين رسالتى هذه ؛ وسترين ما كنت عنه غافلة حتى اليوم .
سترين انك كنت جد جاهلة ، وانك اذا كنت شقية فقد اشقاك جهلك ونقص
عقلك واخلاقك ، فهجرك زوجك ، وهجرك من بعده صاحبك بل اصحابك
الذين عاشروك ؛ ولا اقول احبوك ، لانك غير جديرة بالحب ولتأسفى على
ذلك ، فهذه هي الحقيقة يا « ست » ! » .

وقطع السطر الاخير هذا من مقدمة رسالته . ثم بدأ بالسطر الذى
يليه فكتب اسمها مجردا في اوله : « سليمة ! » ، وراح يحاول ان يسترسل
في الكتابة فلم يستطع ، اذ ألفى مجال القول امامه واسعا وشجونه متعددة
كثيرة يصعب عليه اختيار افصحها واوفائها بالقصد قبل تريث وتفكير . كان
حائرا مترددا لا يدري كيف يعدد لها اخطاءها او خطيئاتها بتعبير ثان .
لا يدري كيف يصف لها جهلها ، ويضع امام عينها « ما كانت عنه غافلة
حتى يومه ذلك » كما قال .

كان يذكر تلك الساعة كيف كان لقياهما اول مرة في الطريق ، ويذكر
كيف حياها ثم طلب اليها ان تسمح له بمرافقتها في مركبة ، فأبت اولاً ثم
رضيت ؛ ويذكر انه بعد ان صار بجانبها في المركبة سألها : « ألدريك متسع
من الوقت ؟ » وكان خاشيا ان يسمع منها كلمة زجر ، فكان جوابها : « بلى »
فقال لها « اذن لترافقيني الى حيث تنتزه في (ص .) او حدائق (ك . ر) » ،
وكان المرجح عنده ان ترفض ، ولكنها رضيت كذلك ، فهل كان مضطرها الى
الرضى ؟ هكذا يجب ان يسألها الان . ومضت بهما المركبة تمشى المشى
الوئيد ، وكانت في زاويتها اليمنى ، وكان نقابها يحجب عنه وجهها ، وكان

متعظشا الى رؤياه • وكانت تحدّثه عن زوجها وتركه اياها بعد ان طلقها وعذبها
مر العذاب • ثم لم يكن يدري ما الذى حملها على ان تقول له « والصحيح انه
رغم كل ما فعل بي حبيب لى ، وانى لا يحلو لى أحد من الناس غيره » فكانت
هذه الكلمة منها قاسية شديدة تدل على فرط سداجتها وجهلها الرجال ؛ فقد
طعنت صاحبها هذا فى قلبه طعنة نجلاء ، ولم يجد لديه ما يجيبها به غير
قوله « وا أسفى عليك ، فانك مظلومة ، ظلمك زوجك فسحقك بحذائه ،
وعاشر من بعدك (فلافة) وائت ما تزالين ترددين ذكره وتتمنين الرجعى اليه؟ » •

وتلكم كانت الخطيئة الاولى من خطيئاتها •

وكان بعد عشر دقائق من ركوبهما المركبة يقول لها « ارفعى عنك
حجابك » وعلى الاثر رفعه بيده ، ثم مال اليها فقبلها فكانت ممانعتها واهنة ،
بلى واهنة ، وليذكرها بذلك فى رسالته • وعاد الى تقيلها عقيب حديث قصير
بثها فيه حبه فقبلته قبله واحدة • ثم قال لها « اننى والله احبك » فكان
جوابها « لقد سمعت هذه الكلمة كثيرا » •

وتلكم كانت الخطيئة الثانية •

قال « يا للنكبة وسوء الحظ » وقد اعتقد آئذ انها كانت معاشرة
آخرين • وذكر على اثر نطقها بأخر كلمة من كلماتها (ف •••) الفتى العادي
القبیح الفقير فى تهذيبه ، الذى قال له بعضهم ، ولم يصدقه بادية الرأى ،
انها كانت تصاحبه فى الخفاء ، فازدرى نفسه وخجل ، لانه رآه مكبا يتناول
« فضلة » من فضلات ذلك الجلف الرذيل • وكان عليه ان يتركها وان
يطردها من المركبة شر طرد ، بيد أنه جبن فاجابها « ستجربيني وسترين اننى
لست كما تحسبين ، وستعرفين مبلغ حبى ، وستعرفين مبلغ عطفى عليك » •

وتوالت مقابلاتهما حتى بلغت خمسا • وكانت تقلهما كل مرة مركبة
أو سيارة تتجول بهما فى ضواحي المدينة ، فيتحدثان ويقبلها فتقبله لقاء

كل عشر قبلات او اكثر ، اتدرين كم ؟ هكذا يجب عليه ان يسألها ؛ وهي تدرى ولا شك : قبلة واحدة فاترة ، حتى حسب آخر الامر انها غير جديدة بالحب ، وانها ما تزال متعلقة بزوجها الاول او رفيقها بعده . ثم كان ينظر الى جمالها نظرات نقد . أما الذى نبهه الى ذلك فصاحبه - نفسها - اذ كانت تنقد شعر رأسه . وقد رأى انه مخدوع لانها لم تكن على جانب من الجمال كبير .

كانت تنقد شعر رأسه وهياته ، وهو - ولا فخر - الشعر الذهبى الكث المنسدل الذى كان له منه منظر فنان ، وتريده على ان يخلقه ويرجله ، ولكن على اى نحو ؟ على نحو شعر زوجها القديم ؛ فكان ذلك المخلوق الذى قطعها ونبذها مقياسا عندها لجمال الرجولة والرجال .

أسف حقا ؛ وتلكم كانت الخطأة الاخرى من خطيئاتها ، وسيعرضها عليها واحدة واحدة .

وتجلد ولم يكثرث ؛ وقال لها متلظفا : « ليس من فرصة سانحة .. واننى لا استطيع ان أحلق شعر رأسى الا مرة كل شهر ، وسأحلقه غدا واسرحه على النحو الذى (تشتهين) » . وكان ممتعضا .

ثم كان الاجتماع السادس . وكان المساء قد ولى واقبل الليل ، فمضت بهما السيارة في طريق خلو من السابلة ، وكان يحمل مسدسا حذر اللصوص وقطاع الطرق ، فمال اليها و

ولكنها شمست وقالت : « أفى الطريق ؟! » .

وقبيل الفراق كان ساكنا صامتا ، ولم يعد يرى اى فائدة في اجتماعهما ؛ واندفع فقال لها وهو غضبان :

- « يا عزيزتي ، لا فائدة من اجتماعنا بعد »

— « لا ، لا ، بالله عليك ... وان قلبي والله مفعم بحبك » كذلك
كان جوابها وهي متظاهرة بالتمسك به ؛ ثم افترقا صامتين .

وتلاقيا في اليوم التالي ؛ وكان مضطربا فلم يرغب في ان يصحبها
واعتذر .

وانقطع عنها اكثر من ثمانية ايام ؛ وكان فكره مشغولا بها . وفي
اليوم العاشر كان في معمله كالمريض ؛ فغادره ؛ وذهب الى بيتها وهو عالم
انه سيلاقى اخاها هنالك . فكان يقول في نفسه : سأطرق الباب فان خرج
الى أخوها فسأقول له « أهذا بيت فلان القادم من بغداد منذ عهد قريب ؟ »
ثم أعود .

وجاء الدار ولم يكن احد غيرها فيها ، فطرق بابها :

— « من الطارق ؟ »

— « انا » . وكان الصوت صوتها .

— « من انت ؟ »

— « انا فلان ! »

— « ادخل »

ودفع الباب غير متردد فالفها في الدهليز :

— « ما هذه الجرأة يا عزيزي ؟ وكيف استطعت المجيء الى هنا ؟ » .
يقبلها في حرارة ووجد :

— « لقد نفذ مني صبري ، ولماذا انقطعت »

— « او انت محق ؟ ادخل ، تفضل وسأحدثك »

ورآها تعالج الطبخ فادرك انها واخاها لا يستخدمان خادما ؛ ورآها

وهي في ثياب البيت عارية عن الزينة لا تستحق المساعي والجهود التي
يذل ... قبلها ثم قال لها :

— « ما انا بياق ، فربما دغر علينا اخوك » •

— « لا يهم ، فانى مستطبعة اخفاءك عندى في غرفة من الغرف العليا »

— كلا ، واننى لذهاب فهل انت آتية اليوم ؟ »

— « سوف ارى ، واننى لم انقطع عنك عن رغبة منى في الانقطاع ،

بل انك انت الذى قلت لى لا فائدة من اجتماعنا بعد »

وقبلها ثم خرج مسرعا •

وقابلها مساء ، فاخذها الى مثنوى منفرد « خاص » كان قد استأجره

قبل يوم ، وكان خير محل لاجتماعهما • وكانت متزينة فاعجب بها بعض
الاعجاب •



لم يكن الرجل ممن يعتقدون بحدوث الحب عند النظرة الاولى ، بل
كان يعتقد بانه يتولد ثم يشتد ويقوى بمرور الايام ودوام المعاشرة والصحبة
والمقابلات المتكررة والملابسة القوية • وكان يريد ان يجلبها ليتسلى بها
ويسليها ، مكتفيا بها رغم فقدتها الجمال البارع ، ورغم سذاجتها وجهلها
وقلة نضوجها ؛ ولذلك لم يكن لديه أى عزم على تركها بعد ان ينال منها
« غاية الحب » • أما هي فكانت تقول له جادة او هازلة : « أخشى ان تملنى
ثم تتركنى » ؛ وكان يؤنبها ويأمرها بان تكف عن تكرار قولتها هذه •

وكان يجتمع بها ، كل يوم ، في المثنوى الذى وجدته خير محل لاجتماعهما •
وفى اليوم الرابع أو الخامس اعطاها مبلغا من المال لتنفق منه اجورا للمركبات
التي تحملها الى ذلك المحل • وكانت فى اليوم التالى مرتدية ثيابا جديدة
وحذاء جديدا ؛ وكان فاتحة حديثها :

— « لقد ذهبت الى السوق فاضفت الى ما اعطيتنى امس ، مقداراً
آخر من المال ، فشريت هذه الثياب وهذا الحذاء ؛ ألا تعجبك ثيابي؟! »
قال لها : « كان بوسعك ان تطلبى منى شراء الثياب لك
فاشترتها أنا ! .. »

— « كلا ، اعطني الدراهم وانا اشترى .. كم هو أجرك الشهري ؟ وكم
تنفق منه على آل بيتك ؟ »

فاستغرب اسئلتها هذه ، وقال يخاطب نفسه : « احسبها تريدنى موردا
للمال لا موردا للحب » وعض على شفته واكتأب .

اما كلمتها الاخيرة فكانت : « سأخذ منك مالك كله » وكانها لم تجد
لديها موضوعاً تظهر له فيه « دلالتها » الا هذا الموضوع ، موضوع الدراهم ؛
وإذ ذلك احسن وفاق بمثل ماء بارد يصب على رأسه . أو لم يكن بوسعها
السكوت ، وهو ينفق عليها اضعاف ما كانت تنتظر منه بدون حاجة الى
مطالبته بالمال ، او تسيبه الى انها سوف تستلب منه اجره الشهري كله ،
وكانت تلك الساعة ، الساعة الاولى التي تحطم فيها كل امل باق له فيها .
وفي اجتماع آخر كانت تعيب ثياب صاحبها بسداجة الجهلة الاطفال
فقال لها : « ماذا يهيك ويعنيك من ثيابي ؟ أو تريننى قادرا على ان اوزع
وقتي الثمين على العناية بامرى وهو « وقف » فى سبيل حبك » ثم كان
يفكر صامتاً :

أنها ارتدت هذه الثياب الجديدة بمالى ، وقد نسيت ثيابها القديمة ،
فجاءت تزدرينى وتخجلنى اذ تظهرنى بمظهر الفقير الذى لا ثياب عنده او
الرجل الذى لا يعرف خير الثياب ...

ورأى ان يبلوها ، أهي مخلصه له الود ؟ فقال لها بعد حديث قصير :
« لقد اوجست خيفة من آلك وذويك فلعلمهم شعروا باجتماعى بك ؛ هكذا
فهست اليوم ، فماذا تقولين ؟ وهل تريدان ان نستبدل هذا المثلوى بغيره ؟ » •
أجابت وهي كالوجلة الخائفة : « بالله عليك ، اعلمنى او قد شعروا بنا ؟
وهل رأنا أحد مجتمعين ؟ » •

ثم كانت تهز كنفها هازئة لتبدد عنها الخوف والوجل امامه : « هذا لا
يهمنى ، وسواء على اشعروا بى أم لم يشعروا فاننى لن انقطع عنك ، ولكننى
اخشى ان تكون انت الراغب في قطع العلاقة التى بيننا » •

— « أنا؟! حرام عليك ان تقولى هذا القول يا حبيبتى ؛ وماذا الذى ،
أو من ذا الذى اخشى وانا رجل لى مطلق الحرية في حبى ؟ الصحيح هو اننى
اشفق عليك ؟ »

— « والله ، لا أدرى » •

وانقضت ساعة اجتماعهما فنهض ليفارقها ؛ وكان يسألها وهو يرتدى
طربوشه ويتناول عصاه : « أمستطيعه انت المجيء غدا ؟ ارجو ان تقولى
لى أمستطيعه انت المجيء ؟ لانك اذا ما انقطعت ستعذبنى » •

وكانت هذه الاسئلة تربكها وتقلقها ، فتناثرت شجاعته هباء ؛ وكانت
قبيل الخروج تستوقفه في الدهليز وتقول له : « اخشى ان لا أستطيع ••
والظاهر انك قد انتهيت فرغبت عنى ا » •

والامر لم يكن كذلك حقا ، فقد كان الرجل يشك كثيراً ، كان
يعرف انها لا تحبه الحب القوى الصحيح الذى يحملها على ركوب متن
الخطر من اجله ؛ قال لها : « اما الاجتماع فسهل علينا اذا ما تركنا هذا
المحل ، فانك تستطيعين ان تكتبى لى كتابا في اى وقت تختارينه واليك
عنوانى (وناولها ظرفا مكتوبا) ، كتابا تعليمينى فيه بالمحل الذى يجب على
ان احضره فالايك » •

— « كلا ما انا بقادرة ، ولا اظننا ... »

— لا ، لا يا عزيزتي ، لا بد من اجتماعنا ، واننى لن اسلوك او اتركك» .

ثم أخرج من جيبه صورته الفوتوغرافية فقدمها اليها ، فلم تتناولها :

— « لا اريدها ، لاننى سوف اراها صباح مساءٍ فاحزن عليك كثيرا اذ

أذكر ايامنا هذه » .

وكان « طبيعيا » ان تتقبلها لا ان ترفضها ؛ وكان هذا الرفض منها

اعلانا واضحا لعدم حبها اياه ؛ واذ ذاك استراح ضميره ...

وتناول القلم ، واكب على الرسالة يكتبها ، وهو يقول في غير تنبه

ولا اختيار ، بصوت مسموع : « استراح ضميرى ، أتسعين ؟ قلت لك

لا بأس ، لا يهم . وأعدت الصورة الى جيبي » .

وكانت الذكريات هذه مزدحمة في رأسه وهو يكتب الرسالة حتى

اذا انتهى منها تنفس الصعداء ، واعاد تلاوتها ، ثم اضاف اليها :

« اننى لمعتقد حقا بان صاحبتى لو كانت امرأة غيرك في اخلاصها

وخلقها ومعرفتها ، لدامت صحبتنا امدا طويلا ، لدامت حتى الممات ! » .

وكتب باسفلها التاريخ وامضاءه : « وفيق عامر » .

ثم طواها فلقاها على المنضدة ، ومضى الى حيث يرقد وهو شاعر بشيء

من الراحة وهدوء الاعصاب ، وكأنه القى عن عاتقه عبئا ثقيلا .

★ ★ ★

اوتسهرين؟!

قال لي صاحبي (ك . س) وهو يحاورني : « لقد انصرفت عنها منذ اكثر من شهر ، ولم أعد أحفل بها ، وكأني أحسبها الان طيفاً زارني في المنام » .

وكان يحاول أن يسترسل في حديثه فاستوقفته وانا أقول : « ولكنني اعلم أنك كنت تميل اليها ، وربما كنت تحبها ، وكانت هي الاخرى - كما بلغني - تميل اليك وتفتح لك قلبها ، وتفتح لك باب بيتها الذي قلما فتح لغيرك ممن هم مثلك أو اعلى منك طبقة وأعظم جاهها واكثر مالا . ولعلك تذكر الساعة ، ذلك المساء الجميل ، اذ كنا جلوسا على شاطئ (العلوية) فمرت بنا وأما في زورق ، فحيتك وابتسمت وراحت تعتب عليك على مسمع مني ومن امها وصاحب الزورق : « لماذا انقطعت عنا ؟ صبرا فسأنتقم منك » ؛ وكنت خجلا ، تواري خجلك بالتظاهر بعدم الاكتراث لها ؛ ولم تستطع أن تكلمها بحرف واحد » .

اجابني وهو فارغ صبره : « كلا ، وانك لخيالي غريب ، يعجبك ان تجعل مني بطل قصة غرامية ، او حادثة خيالية شعرية رغم أنني ؛ فلم اكن ذلك المساء متظاهرا بعدم الاكتراث لها بل كنت غير مكترث لها حقيقة . ولم يخجلني تفضلها على بمحادثتي امامك وصاحب الزورق ، بل اخجلني وقاحتها ، واخجلني شعوري بانها تطلب مني أن اكثر من زياراتها لا حبا بسواد عيني ، بل لتمن على بسكاراة وحسوة من القهوة وابتسامة مصطنعة لا اكثر ولا اقل ؛ وهي تحسب أنها أسرتي بذلك فمتصرفه في كيفما تشاء ؛ وانت فتعلم أنها كانت جد محتاجة الى .. » .

وكان يلقي آخر كلماته وهو حائق ، ثم استمر : « أقول لك جد

محتاجة الى ، أفهست ؟ واذن فقد كان ميلها الى مكذوبا . فاما قلبها فلم اكن راغبا في ان يفتح لي قط ، ولتصدقني ، بعد ان انفتح - على مصراعيه ! - لفلان ، ومن بعده لفلان ، ومن بعدهما لكثير ممن هم ادنى مني طبقة ، لا اعلى طبقة كما قلت . وهب ان بعضهم كان من طبقة أعلى بما يملك من مال ، هذا اذا اعتبرنا علو الطبقات وسفلها بالنسبة الى مالها ، ولكن لتعلم انه لم يكن ليجود عليها الا بما لا يزيد على ثمن عرض بغي ؛ عشر ربيات في كل زورة أو اكثر قليلا ، ليس غير ، وهذا ما كنت انا مستعدا لادائه ! »

وكانت عيناه تبرقان ، وهو ينطق بالكلمة الاخيرة بلهجة التوكيد .

وكنت اعرف صديقي ضعيف الاعصاب الى الحد الاقصى ، رغم قوة ارادته وصلابة عوده وشدة خلقه وعرامته . وكان يثيره أتفه حادث ؛ فلم أشأ ان امضى معه في هذا الحوار خشية ان ادفعه الى ما يؤله ويكدر عليه صفوه . وكنا ندخن ونحن جلوس في الحديقة البلدية في باب المعظم ، والوقت عصر .

قلت له وكان كمن يفكر ، ناظرا الى شجيرة زهر أحمر بجانبنا : « عفوا يا صاحبي ! »

فاقبل على بوجهه في اهتمام يستنطقني ، فلم أر بدا من اتمام الحديث . قلت : « كدت أغضبك وكان من حقدك ان تنفي عنك تعلقك بها عن حب وميل ؛ فانها وان كانت مغنية تمت الى الفن بصلة ، لا نميزها عن بغايانا (بنات البلد) . وهي في الحقيقة بغي بروحها لانها كانت غنية بعض الغنى ، مستطبعة ان تكف عن معاشره زيد وعمرو ، فلم تفعل . والبغى التي تنزل (دار البغاء الرسمي) فقيرة ان قعدت عن التكبس بعرضها يوما من ايامها المشؤومة السود ، لم تجد واحدا من اخوتها بني الانسان يمد اليها يده بالمعونة والمدد ؛ فهي على الاغلب بنى بجسمها لا بروحها ، وقد تكون روحها

أظهر من أرواح الكثير من اللائي يسكن القصور وخدورها • اما انها اظهر
وانقى نفسا من صاحبتنا هذه فامر لاشك فيه ولا شبهة عندي •• «
قال وهو يهز رأسه دليلا على التصديق : « برافو ! صدقت ، ان الامر
لكذلك » •

واحسست اني قد رفعت عن صدره كابوسا ثقيلًا كاد يخنقه ، اذ عبرت
عما يخالج ضميره ، ونصرته وجعلته محقا كل الحق في نبذها •

ثم قال : « ولتصدقني اذا ما قلت لك انني لم أمل اليها أقل ميل ، بل
كنت في ترددٍ عليها اول الامر أبلوها وأجرب بمجالستي اياها تجربة نفسية
استخلص منها عبرة • هذه هي الحقيقة • وما كنت عابئا بظنون الناس بى
وتقولهم عني • وكنت عازما على التخلي عنها بعد مدة قصيرة من الزمن سواء
أرضيت أم لم ترض ؛ لانني ادركت انها تريد التمسك بى الى حين بعيد ، ولو
بعد قضائي لها حاجتها ، وهي مقدمة الفصل الاول الذي ستدخله من فصول
حياتها هنا ؛ كنت عازما على التخلي عنها لاني الفيتها ناقصة الخلق ، وضيفة
النفس ، واطئة المدارك ، ليس لديها اقل نصيب من خصال المرأة الباهرة ،
كبيرة السن ، عاجزة عن ان تسمو الى الدرجة التي استطيع معها معاشرتها،
عاجزة عن فهمي وامثالي الذين اذا مالوا الى امرأة باهرة الخصال ، مالوا
كل الميل فاجبوا حب الخلود » •

وكنت واجدا في حديثه هذا شيئا من اللذة ، فرنوت اليه اصغى • قال
وهو ينهض من مكانه ويخطو خطوة او خطوتين ، فيقتطف زهرة من شجيرة
الزهر الاحمر التي كانت بقربنا ، ثم يقبل على وييده اليسرى الزهرة يعبث بها،
ويده اليمنى في جيب « سترته » : « ولتعلم ايتها الاخ انني لم اكن مندفعاً
لتحقيق رغبة جنسية كما يندفع غيري من الرجال ••• وقد أفعمت ساعات
اجتماعي بهذه الامراة المسكينة بعواصف ••• وانني في غنى عن ان اقص

هذه القصة على احد غيرك ، لانك صاحبي المطلع على خوافي حالي ...»
و كنت مشتاقا - من قبل - الى ان اسمع منه حديثهما ، ولكنني
كنت اتحاشى واجتنب الخوض معه في حوار يؤدي الى ذكرها ولو
عرضا ؛ فاما الان وعروة الصداقة بينهما منفصلة فقد استدرجته ، ولم أر
بأسا في ان يسمعي شيئا عما جرى بينهما ايام كانا متصاحبين ، وكان البعض
يحسبهما في غمرة الحب .

قلت له وقد اقتعد كرسيًا من الحديد أمامي ، وانا مبتسم : « حتى
هذه ، وهي امرأة ضعيفة لم تنج من عواصفك يا فلان ؟ ! الا انك لرجل
قاس غليظ القلب ، ولا تغضب . ولا سبيل لواحد مثلك - في هذا الزمن -
الى ان يعاشر الرجال امثاله ، بله النساء ! »

ثم قلت ، وكان يهز كتفيه ساخرا ، وانا انظر اليه نظرة ذات معنى :
« أو قد سحقتها ؟ » .

قال بلهجة المنكر الصادق في انكاره : « كلا ولم أفكر يوما ما في أن
اسحق امرأة مثل هذه لا حول لها ولا طول ، ولا يقيم لها حتى الراغبون
فيها وزنا . ولكنني (ثم تردد قليلا) .. ولكنني قد اهنتها وهي جديرة
بالاهانة ، وكان لها صلف ، كان لها خنزوانة فارغة جرحتها ، فاريتها أي
الرجال أنا . ولم أسلمها زمام نفسي لتمتطيني كما امتطت غيري ثم تسوقني
الى حيث تريد . وذلكم كان مطمحها وغايتها ، بيد انها خابت وفشلت ،
ويا للأسف . »

قلت : « أو ترى بأسا في ان تحدثني عنها ولو بالقول الوجيز ؟ »

قال : « أما قصتها كلها ، أو قصتي معها بتعبير أصح ، فليست جديرة
بان تسمعها . وأقول لك مجبلا انني قسوت عليها ، وما كان علي ان افعل
غير ذلك بعد ان اختبرتها ورأيت منها ما رأيت ؟ »

واستمر في حديثه حتى النهاية وأنا صامت ساكن : « الغريب في هذه
الامرأة انها تفخر بأنها راقية ، متعلمة تحسن الادب ، ولكنها لا تحسن عملا
الا مهنتها العادية الخلو من عناصر الفن العالي ، والا إستدراج الرجال بغية
استلاب اموالهم . ويظهر أنها عاشرت أناسا - وان كانوا ذوي غنى -
اغبياء منحطة اخلاقهم ، فلم تكتسب منهم الا ما هو من اخلاقهم اسوأ
واحط .

اذكر انني جئتها يوما بباقة زهر مزينة بخيوط من الحرير ، واذ
دخلت عليها ثوبها في دارها صافحتها ثم وضعت الزهر على كرسى ، وجلست ،
ولم اقل لها ان هذا الزهر لك يا صديقتي ، وكانت تلحظه بعينها بين دقائق
ودقائق وهي متلهفة اشد التلهف الى ان اقول لها في ذلة وخضوع مثلا :
تفضلي ياسيديتي فتقبلي هذه الهدية مني ، فلم افعل حتى خرجت ؛ فقالت
وأنا على باب الثوب وهي مكتئبة : نسيت الزهر ياسيدي . قلت
الزهر هدية مني . قالت : شكرا ، وزايلت الدار غير ملتفت الى كلمة
شكرها . وقد سألتني مرة : أو تأمر بشيء ؟ وانا عالم انها كانت تريدني
على ان اطلب منها السماح لي بمشاربتها ، فقلت آيبا : كلا . واكتفيت ،
فلم تجب .

وكانت تشير في احاديثها من طرف خفي الى طمعها وحبها المال الحب
الجم ، فقالت مرة : ان اللائى يحترفن الغناء اذا ما قعدن عن العمل يوما لم
يقبل لهن احد ، من عاشرتن واحببتن من الرجال ؟ ولكن كم الدراهم التى
ربحتن ؟ وكان المال مثلها الاعلى .

وكانت غبية بحيث قالت لي مرة : انها طالما تمنى ان يزورها اناس من
اهل الحل والعقد والنفوذ فلم تفتح بابها لاحد منهم . فهي بذلك كانت تمن
علي بقبولها اياي زائرا في بيتها ، مع ان حاجتها الي كانت شديدة ؛ ولم

يكن سواي ، من اهل هذا البلد ، من يخفل بها ويعنى بشؤونها ، ويسعى الى انجاز مهمتها - وانت تعرفها - .

وكنت اتركها اياما ، فلا تدع فرصة تسنح لها الا وارسلت الي فيها رسولها ، يدعوني الى بيتها ، وكثيرا ما كان الرسول يأتيني في اليوم الواحد مرتين او ثلاثا ، فاذا ما جئتها الفيتها كما تركتها ! ...

ولم يكن جمالها بارعا . وهي كبيرة السن . وكنت اول الامر اجمل انها في الاربعين من العمر . واخيراً عرفت ذلك ، فلم اعد اطيع رؤياها .

وكانت جاهلة بحيث لم تعرف حتى آخر يوم من ايامنا انني الهو بها والعب واتفكه ، لا اعشقها ولا احبها الحب الصحيح .

وبعد فاني رغم ذلك كله لم اندم على شيء ! وكالرجل الشهم اعترمت ان اتمم انجاز ما وعدتها به ! ووعد الحر دين .

فاما اهاتتي اياها فكان فيها شيء من الظلم لها ، بيد انني كنت اراني إذ ذاك مدفوعا اليها بقوة من نفسي وعواظني ، لا ترد .

سألتها مرة : أو قد ذهبت الى (لبنان) في الصيف الماضي ؟ قالت : بلى . قلت : اذن كان يجب ان يفيدك هواؤه ، وانت نحيفة كما اراك ، فما السبب ؟

قالت وهي غير راغبة في الجواب آذاني هواء هذه المدينة الفاسد . قلت اما جسمك فمستلى ، ولكن وجهك ؟!

فاكتأبت اذ شعرت بوقع الطعنة ، وانصرفت الى قطها الابيض تلاعبه ، ولم تنطق بجواب .

قلت ، وقد طغا علي شعور غريب كشعور المنتقم اذ ينتقم من عدوه : شعرك ، اى حلاق يحلقه لك ويرجله ؟

قالت ، وهي مستغربة مني هذا التطرق الى جسمها وانتقاده عضواً عضواً : أو أنت ترى في ترجيله عيباً ؟

ورحت اسألها : او تسهرين ؟ لعلك تسهرين كثيرا فأذاك السهر
فغارت عينك ؟ !

وكانت الكلستان هاتان « رصاصتين » اصابتا منها الفؤاد . قالت بصوت
خافت وكادت تفيض شؤون عينيها بالدمع : كلا لست بساهرة ، ولكن سجن
الدار وفقد العمل والاصحاب !

وخطر لي آتئذ ان اذكرها بساضيها لانها كان ديدنها التظاهر بالعفة
كانها « مخدرة » لم تر وجه الرجل في حياتها . سألتها وانا هادىء مستعد
للمفاجآت والطوارئ : لعل صاحبك (فلان) هو الذى يساهرك وتساهرينه؟
ولا تسأل عن استغرابها ذكرى خدنها ورفيقها الاخير هذا . فاجابتنى مكرهة
وقد زوت ما بين عينيها : انه لا يتردد علي

واعقب ذلك سكوت ، وسكون كسكون الرمس في الصحراء . وكنت
أقصد بتذكيرها بصاحبها ان تفهم انها امرأة بغى طالما تمتع بها الرجال ،
فعلام التظاهر بالعفة ؟ وعلام هذه الخنزوانة الفارغة ؟ واى جمال جمالها هذا
الذى يرفع منها رأسها المثقب الاجوف ؟

وكان ذلك ، يا صديقي ، آخر عهدي بها ؛ وانى لاحسبها الان طيفا
من الطيوف كما قلت لك في فاتحة الحوار . . . !



حادثنان

((١ - نكتة العمامة))

- من حوادث بغداد قبل خمسين سنة -

نكتة سوداء ، من سخام القدر ، كانت في عمامته ، لم يقطن اليها ؛
وقد جاء القهوة على عادته ، ورأسه مغمم بخيلاء الفحولة والبطولة ، كأنه
صنديد من صنديد العرب في الجاهلية .

وكان « الشطب » المفضض الطويل في يده اليسرى يدخن به ، والدخان
ينبعث من بين شدقيه غزيراً ، مزاجه انقاسه الحارة ، وانها لعمر ك « البخار »
المتصاعد من « مرجل » غيرته التي عرفها الناس « آية » من الايات !!

لقد قال له صاحبه ، قبيل ساعة : « ان وسخاً أو سخاماً على رأسه » ؛
وكان الناظر الى وجهه يرى الشر عليه بادياً في وضوح .

ثم قام الى بيته متثاقل الخطى ، قابضاً بيده اليمنى على خنجره ، رسول
الموت الذي طالما ازهق الارواح .

★ ★ ★

وعاد بعد قليل ، فاقنعد مقعده الاول من القهوة ، وجعل يدخن ،
كما كان ...

ومر به صاحبه ، فرأى النكتة ما تزال كما رآها اولاً ، فجلس الى
جانبه ، ثم مال اليه برأسه يكلمه هسماً : « ان في عمامتك لنكتة سوداء
نبتك اليها فلم تزلها بعد » .

كان الجواب نظرة تطاير منها الشرر ، ولكنه لم يفقه لها معنى .
وكان سكوت ؛ ثم قام الرجل تاركاً صاحبه جالساً في مكانه ، دهشاً ؛

ومشى الى بيته متثاقل الخطى ، قابضا بيده اليمنى على خنجره ذلك الذى
طالما ازهق الارواح •

★ ★ ★

وعاد بعد قليل ، فاقتعد مقعده الاول من القهوة ، بجانب صاحبه ،
ثم جعل يدخن كما كان •••

- غريب هذا الذى اراه منك ايها الاخ؟! أنت آت من بيتك ؟
أغفلت كذلك عن ازالة النكته؟

وهنا انفجر الرجل من شدة الغيظ ؛ وقام على قدميه مرتجفا ، وقد
دارت به الارض الفضاء :

- ويك لم تبق الامى العجوز !

★ ★ ★

لقد نحر الصنديد البطل زوجه واخته بيده واحدة تلو الاخرى كما
ينحر الجزار البقر ليزيل النكته من عمامته •

فالنكته هي الوصمة • وعمامته هي : التاج الشرف فوق هامته في هذه
الحياة • وما يوصم الشرف واصم غير هذه الضعيفة الذليلة المستعبدة :
المرأة •

ولم يستطع المسكين ان يفهم النكته : نكته ، والعمامة : عمامته من
القماش !

« ٢ - نقمة وحش »

- من حوادث العراق في الربع الاول من القرن العشرين -

• هو ابن القبيلة الشديد بأسها ، العزيزة التي لاتضام •

• هو ابن المدية والسيف •

• هو ابن الخيل والليل والبيداء •

وقد هتك عرض امه واحد من اهل القرية المستضعفة التي يبيع ابناؤها
الخبز ويتعاطون الصناعة •

فلتسلمه او فلتؤد الدية بنات ابكارة •
ولكنها لم تفعل • وهرب الفاعل خشية العقبي •

★ ★ ★

كان الوقت عصراً • وكان السكون شاملا القرية •
ومرت بضع دقائق ، فاذا بدوي اطلاق نارية يخترق ذلك السكون •
ومرت ساعة ، جاء بعدها الحاطبات من بنات القرية ونسائها مولولات
صاخبات صارخات ، سود وجوههن •

★ ★ ★

هو ابن القبيلة القوية العزيزة التي لاتضام •
الا لقد ثأر لامة ثأراً ما عرفته القبيلة في ايامها التي خلت - من قبل -
ولا القرية •

الا لقد هتك عرض فتاة بكر من فتيات القرية ، وفعلت عصابته
بامرأة اخرى - مثل ما فعل - بعد ان حلقوا شعر رأسيهما وكادوا يمزقونها
طعنا بالخناجر والمدى ، ثم آبوا الى دارهم آمنين •

★ ★ ★

وجاء القرية صباحها عابسا ، باكيا •
وجاء القبيلة صباحها ضاحكا كأنه صبح عيد •

وانت ترى ، هنالك بين بيوتها المنتشرة في السهل ، جمعا من الرجال
تحت خيمة كبرى من الشعر الاسود ، ينتظرون طعام الوليمة اولمها
الشيخ الرئيس •

وانت ترى على باب الخيمة راية صغيرة خفاقة بيضاء ملطخة بالدم ،
معقودة عليها صغيرة من الشعر سوداء •

انه لدمها ؛ وانه لشعرها تلك الفتاة البكر البريئة ، التي لا تنتظر الان
من اهلها ، وهي لاجئة الى بيت سيد القرية وشريفها ، الا الموتة الشنعاء
والقبر يدفنها وعارها : عار القرية كلها •



البعث (*)

- من الصور البارزة في الادب القصصي الروسي -



يبدأ الكاتب الفيلسوف (تولستوى) هذه القصة بأن يريك ، في صبح يوم من ايام الربيع باسم ، سجننا ، في مدينة روسية كبرى ، فاسد الهواء مظلماً ؛ ثم يريك سجاناً واقفاً لدى باب حجرة من حجراته (ماسلوف) احدى المجرمات ؛ ولقد خرجت فدنت منه مستسلمة ، ومشت وهو يقودها حتى انتهت الى مكتب السجن ، فسيقت منه يحرسها جنديان شديدان الى محكمة الجنائيات .

وانه ليتحدث اليك بحديث قصير فيه شيء من العطف عليها ؛ ويعرض عليك قصتها المحزنة الاولى التي ابنتت على اساسها قصته التي كتب .

تقرأ : أنها كانت طفلة ضائعة من بنات الفلاحين ، وانها نشأت في بيت لعمتى أمير روسي نشأة طهر ، وانها كانت - كما هي الان - ذات جمال ساحر وشيء من مبادئ العلم ؛ كانت جميلة فاستغواها الامير ، وهو شاب ، فانفوت ثم ادى لها الثمن بعد حين ، مائة روبل ، واصبحت حبلى .

وتقرأ : أنها طردت فالتجأت الى « الخدمة » في بيت رجل ، راودها عن نفسها ، فأبت ؛ ثم الى امرأة تبيع الخمر ، فوضعت عندها وليدها ، وكان جميلاً ، مات بعد ايام قليلة ؛ ثم مضت تبحث عن مأوى لها ومرتزق ، فسا آواها احد الا وهو طامع فيما يطمع فيه منها كل الرجال .

(*) نشرت بالسياسة الاسبوعية في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٧

وتقرأ : انها املقت فاستسلمت ، وهي تنحدر الى الهاوية مدفوعة بدافع
الاملاق القاهر القوي ، فكانت بغيا بضع سنين ، ثم سيقت مجرمة كما
رأيت •

وينتقل بك ، والفصل الثالث من القصة في أوله ، والوقت ضحى ،
الى قصر لهذا الامير ، فتعلم انه يدعى (ديمتري نيليدوف) ، وانه « محلف »
في هذه المحكمة التى تساق اليها المجرمة البغي التى عرفت ، وترى القصر
فخما انيقا ، مفعمة مقاصيره وغرفه بالاثاث الثمين • ويريك الكاتب ، في شىء
من الهزو لا يكاد يبين ، الامير متنقلا بين غرفة الماء ، وغرفة الثياب والزينة ،
وغرفة الاكل ، ثم يريكه جالسا يتناول فطوره ، ومن كتب ثلاثة واصلة اليه
في بريد الصبح ، يتلوها ، تعلم قليلا من سيرته ، وهي سيرة طبيعية لواحد من
امثاله : عهر ورذيلة ، في جاه وثناء •

ولشد ما يضحكك ، ويؤلمك كذلك ، أن ترى بعد ساعة من الزمن ، المحكمة
منعقدة ، والامير جالسا بين المحلفين ، وقد جرى بالمجرمين ، وكانوا رجلا
وامرأة عجوز او امرأة اخرى هي صاحبتة تلك التى استغوى •••

اما القضية فقضية جرم فظيع : قتل رجل تاجر بالسم ، وسرقة خاتم
له ومقدار من ماله •



ويلفت نظرك من التهمة غرابتها ، ومن المحاكمة تفاهتها ، ومن الحجج
« الرسمية » ضعفها ، كما يلفت نظرك وقمة هذه المجرمة البغي امام القضاء
تدافع عن نفسها دفاع الميهض الجناح ، الفاقد النصير الناظر الى هوة الهلاك
فاغرة فاها ، وهي على قيد خطوة منه ، ونظرتها في فترة قصيرة من المحاكمة الى
جهة المحلفين ، وبينهم - كما تعلم - هذا الرجل الامير « الشريف النبيل »
صاحبها ، يشهد مصرعها الاخير •

تراها واقفة تدافع ، وتدافع في ضعف هو كل ما تبقى لديها من قوة
وحول :

« لم اسرق شيئاً : .. ان التاجر (سميلكوف) الذي احضرت لديه
ذلك اليوم ، في فندق (مافريتانيا) ، كان قد شرب كثيرا ، فسكر ، فأذاني ،
ثم استرضاني بخاتمه ، فهو هدية منه الى .

ثم عذبنى ، فاستتجدت بـ (سمعان) و (بوشكوف) (*) فاعطيني
مسحوقا ابيض قالوا لي انه مخدر منوم ، واثارا على بذرته في كأس شرابه
ففعلت ؛ ولو كنت اعرفه سما قاتلا لما فعلت ... »

وترى وكيل النيابة قائما بعدها يخطب :

« ان هذه الامراة ، هذه البغى الفاجرة كانت قد نشأت ، أتعلمون
أين ؟ في بيت اسرة رفيعة المنزلة في المجتمع ، فهذبته واحسنت تثقيفها
وتعليها ، بيد انها تركتها وأقبلت على بحر الرذيلة فخاضتها خوضا ... »
ثم ترى المحامى عنها يلقي خطبة دفاعه :

« ان هذه الامراة كانت ساذجة طاهرة الذيل ، فاستمالها اليه واستغواها
قتى ، وقد ارماها ، هو بنفسه ، في بحر الرذيلة ... »

ويريك الكاتب ، عند هذه النقطة من الحديث ، الرئيس موجها الى
المحامى دعوة شديدة بالرجوع الى الموضوع .

وبعد ، « فباسم ذى الجلالة القيصر ، حكمت محكمة الجنايات الكبرى
بمقتضى المادة (...) من قانون العقاب على (ماسلوف) وخدامى الفندق
(سمعان كارتين كين) و (بوشكوف) بحرمانهم من الحقوق المدنية ،
وبالنفي الى سجون سيبيرية » البقرة من الجحيم .

(*) هما الرجل والامراة : خادما الفندق اللذان جيء بهما معها

- « انه لا محالة ميت » •
- « يجب فك ازرار ردائه » •
- « كان على الطبيب ان يفحصهم ، وان يؤخر الضعفاء منهم فقد اخرجوه وهو اقرب الى الموت منه الى الحياة » •
- « هذا امر لا يريد ان يعرفه اولو الامر » •
- « ارفعوا رأسه واسقوه قليل ماء » •
- « انه ليموت ! » •

هذه مفاجأة غريبة تفاجأ بها ؛ هذه احاديث مختلفة لها قيمتها في هذه القصة ؛ وأنت لا تدري من هذا الذى يموت ؟ الميت سجين منفى الى (سبيرة) ، منفى مع (ماسلوف) واكثر من سبعمائة رجل وامرأة شاءت ارادة القضاء القيصرى ان تنفيهم في أشد شهر من فصل الصيف حرا ، في تموز ، وهم يتساقطون الان على الارض الصخرية المتلهبة ، تحت الشمس المحرقة ، تساقط الورق المحترق من يابس الشجر ، امواتا •

والكاتب (تولستوى) لا يصل بك الى هذا المنظر المحزن المؤلم من القصة، الا بعد ان يكتب لك كثيرا جدا عن الحياة الاجتماعية في عاصمة القيصر طاغوت الظالمين ؛ لا يصل بك الى هذا المنظر الشنيع الا بعد أن يريك مناظر شتى من مناظرها ، بعد ان يدخلك القصور ، ودور الرقص ، والمجتمعات التى يجتمع فيها ابناء الطبقة الحاكمة الارستقراطية العليا ، ومجلس الشيوخ؛ فترى الرجس والفحش ، وترى الظلم وموت الشعور الانسانى ، وترى القصف واللهو واللعب والرقص فوق رفات الضحايا من ابناء الطبقة العاملة من الشعب ، بين انين الاطفال الجياع ، وعويل الايامى ، وبكاء المرضى من الرجال والنساء •

والكاتب مولع بوصف تلك الحياة في عاصمة القيصر ، ولا يصفها
عامة بل يصف لك كل منظر منها وصفا خاصا به ثم يضمه الى المنظر الذي
يتقدمه ويلحق به المنظر الذي يليه .

وأنت امام هذه المناظر ثائر هائج ان كنت تحس حسا انسانيا حيا غير
مريض ؛ وانت امامها مستغرب ، دهش كذلك .

وأنا أعجب كيف لا يكون الواحد منا ثائرا هائجا ، مستغربا دهشا ،
وهو يشاهد على مقربة من ابناء الطبقة العاملة من الشعب الجائعين المرضى
المظلومين الذين لا يقطنون الا الاكواخ والسجون : هذا الغنى الذي يملك
أربعة وخمسين الف فدان من الارض ، ولا يعرف كيف يصرف غلتها وفي اى
وجه ؛ وهذا المحامى الذى يعتقد ان بقاءه وامثاله احرارا طليقين ، من لطف
القضاة بهم والشرط⁽¹⁾ ليس الا ، وانهم لو شاءوا لارسلوهم الى (سبيرية)
فاهلكوهم ، وان لهم الحق في ذلك ؛ وهذه الاميرة - الشريفة طبعاً - التي
اعتادت ان تدعو الناس الى وعظ كاهن في قصرها ، فتبكي عند استماعها له ،
واعتادت ان ترى ان تصديق « الفداء » والايمان به لازم لها تكفيرا عما تفعل
كل يوم من ضروب الذنوب والوان الخطيئات ، وهي تعتقد بوجود سجن
ابناء الطبقة العاملة من الشعب ومعاقبتهم دائما ابدا صونا للنظام ، وهذا
الامير الخطر الذى يأكل من المآكل اكثرها كلفة واعلاها نوعا ، يعدها اناس
ذوو مشاهرات كبيرة ويركب المركبات المزينة الغالية الثمن والحياد الكريمة ،
وهو يعتقد بأن من طبيعته فعل ذلك ، كما ان من طبيعة العصفور اكل الدود
واكتساء الريش ، ويعتقد بأن استنزافه اموال الشعب امر مؤد حتما الى ملء
صدره بالاوزمة وعلامات الشرف من نجوم وصلبان ؛ وهؤلاء الضباط
الذين يشربون الخمرة كل يوم ، فيسكرون ويعربدون ، ثم يتبارزون حتى

(1) الشرط : رجال البوليس

يجرح أو يقتل بعضهم بعضا ، فيقابل عملهم بالارتياح والاستحسان ؛ وهذا « البارون » الذى يقتل الف رجل من بنى القوقاس المنادين بطلب الحرية ، من أجل وسام واحد يناله ؛ وهذا (الجنرال) الذى لا يدين بدين ولكنه - مع ذلك - يفرق بين الاولاد وامهاتهم وآبائهم لانهم ثمره زواج مخالف في صفة عقده وصيغته لما تريده كنيسة الارثوذكس ***

أنا أعجب كيف لا يكون الواحد منا ثائرا ، دهشا ، وهو يشاهد على مقربة من ابناء الطبقة العاملة من الشعب الجائعين المرضى المظلومين الذين لا يقطنون الا الاكواخ والسجون ، هؤلاء الناس ، وهم بشر مثلى ومثلك يحيون تلك الحياة التي اشير عليك بقراءة القصة نفسها لتطلع عليها باوضح مظاهرها •

ولنعد :

- « انه لا محالة ميت »

- « ارفعوا رأسه واسقوه قليل ماء »

- « انه يموت *** »

ومات المسكين ، ثم تلاه آخر ، وتلاه آخر ؛ ومرت القافلة الكبرى ، قافلة المنفيين لا تلوى على شيء ، حتى اذا ما بلغت القطار ركبت ، فحملها الى آخر محطة من محطاته في المنفى •

ومرت ايام ، ومرت اشهر ، واذا بـ (ماسلوف) تعيش ، ولكن في عالم غير الذى ودعت ؛ تعيش بين المفكرين الاحرار دعاة الثورة ومعظمهم استاذ عالم ، أو فنان ، أو كاتب ، أو شاعر ، أو صحافى ، أو خطيب *** وهي تسمع احاديثهم ، وهي تتأثر بأرائهم ، وهل تميل الى واحد

منهم اسمه (سيمون) وهي تحبه وتعشقه فتنسى كل شيء ، تنسى كل ما
جرى لها حتى فعلة (نيليد) وحكم القضاء !

★ ★ ★

- « يا عزيزي (نيليد) انه يريد ان احيا معه ، فماذا ااروم اكثر من
ذلك ؟ سأتزوجه » .

- « وهل تحيينه ؟ »

« وهل تحيينه » يقول الامير (نيليد) فما أوقحه ! وماذا يريد منها
بعد ، وهي في (سبيرة) ؟

أنا لا أدري ماذا يريد ؛ اما الكاتب فيقول : انه جاء يستغفرها
ويريدها على الرضى به بعلا لها ، في سبيل الرب .

وهذا هو اكبر موطن ضعف في هذه القصة ؛ وهذا هو اعظم دليل
على رهبانية الكاتب الفيلسوف .

وانت لا تدري ان (نيليد) سعى في سبيل تبرئة هذه الامراة التي
جنى عليها بغدره وخيائته ، وانه رفع امرها الى مجلس الشيوخ ، وانه
اخفق فجاءها الى (سبيرة) يطلب منها الغفران .

ولعلك تدري فتسأل نفسك : هل كان (تولستوى) جادا في اسفاهه
بقصته الى هذه الدركة من الضعف ؟ أكان جادا أم هازلا ؟

ربما كان جادا ، وربما كان هازلا ، فانا وانت معي لا نستطيع ان نتبين
جده من هزله في اسلوبه ؛ ولكننى استطيع ان اقول لك : انه رجل من رجال
الكنيسة رغم اتصالها منه ؛ وانه متدين مترهب ، وانه بهذه العقلية « عقلية
المتدينين المترهبين » كتب القصة ، فلا لوم عليه اذا ما جاء بالامير (نيليد)
مجلس الشيوخ ف (سبيرة) وجعله يطلب الغفران من ضحية شهوته في

سبيل الرب ؛ لا لوم عليه اذا ما فعل ذلك ، وهو الذى ختم القصة - هذه -
بآيات من الكتاب المقدس تظهر لك ما في قلبه وما في رأسه •

- « يا عزيزي (نيليد) انه يريد ان احيا معه ، فماذا اروم اكثر من
ذلك ؟ سأتزوجه » ... ولقد طردته طرد الاعز الاكرم للاذل ، وتولت عنه
منقلبة تقول له : « عفوك ! »

وشاء (تولستوى) ان لا يعيده الى سيرته الاول بل جعله دينا اول
ما فكر فيه التحديق الى الانجيل •

وكانه « بعث » بعد موت ليحيا حياة جديدة •

وانى لاسخر من هذه الخاتمة حقا ! •



بعض قصص تركية

١ - لرشاد نوري

قلت مرة (*) : اننى أرى من واجب الادباء عندنا - تمهيدا لادخال القصة ادبنا - ان يعرضوا علينا نحن القراء نقلا او تلخيصا او تحليلا ، نماذج مما شاع وانتشر منها في الاداب المختلفة العامة وعلى الاخص منها الاداب الشرقية من روسية وتركية وما اليها ؛ فانها تنفق واذواقنا ، ولا تكون بعيدة نفسيات اشخاصها عن نفسياتنا كالقصص الافرنجية التي اسرف في نقلها الى لغتنا كتاب لا يفقهون .

وكنت ارجب كثيرا في ان انقل بقلمى من اللغة التركية التى اعرفها بعض القصص الكبيرة ، فلم اوفق لذلك ؛ لانني مقسور على اضاءة وقتى الثمين وجهدى في سبيل الرزق ! بيد انني اختلست بعض الساعات من ايامى الماضية ، فترجمت واوجزت قصصا مختلفة صغيرة نشرت بعضها واخرت بعضها الى حين .

وكنت وما ازال مولعا بقراءة قصص كاتبين اثنين هما اشهر كتاب القصص التركية : رجائى زاده ارجمند اكرم ، ورساد نورى .

وهما ، بعد ، اكثر قراء واوفر حظا من الاقبال .

والاكثرية الى جانب رشاد . لانه نزاع في قصصه الى الحرية معبود الفريق الناهض من الشعوب الشرقية المكدودة في هذا العصر ؛ نزاع الى هدم التقاليد البالية ؛ نزاع الى شن الغارة الشعواء على المحافظين الرجعيين .

(*) في مقال نشرته بجريدة الاستقلال الصادرة في ٥ تموز سنة ٩٢٧ بعنوان (نزعة من نزعات الادب القصصي التركي) .

وأنت تفتح المجموع - من مجاميع قصصه - المسمى « ضيف الرب » فتقع عينك على قصة عنوانها : « المعايب المدنية » (*) فتسأل نفسك « أالمدنية معايب ؟ وما هي هذه المعايب ؟ » فإذا ما قرأتها الفيتها حواراً بين محافظ على القديم ، ذى دين ، وبين غنى يفهم التمدن على غير الوجه الصحيح . والاول يخطب ابنة الثاني لولده . وهو يعرض عليه طرفاً من اخلاق ولده الشاب الذى لم تدخل فمه قطرة من الخمر ، ولم تكن له علاقة بامرأة من النساء الا واحدة احبته وهي ذات زوج فراودته ، فابى ان يدفعها بيديه الى خيانة زوجها . وهو يفخر بان ولده أبى قبول منصب كبير عزل عنه صاحب له ، لان المروءة وحق الاخوة يقضيان عليه بان لا يأكل لقمة اخذت من بين شذقى صاحبه الحميم ؛ ويفخر بانه رأى ذات ليلة في الشارع امرأة يستدرجها ويستغويها بل ينتهبها لصوص الاخلاق ، فانقذها .

فإذا بالغنى التمدن يتهم الولد بالوحشية ومرض النفس لانه لم يشرب الخمر ؛ واذا به يفهم انه ناقص الغريزة الجنسية الانسانية لانه لم تكن له علاقة بواحدة من النساء ؛ وانه لا يعرف مصلحته الاقتصادية فيضحى بالمنصب من اجل صديق ، وانه لا يعرف قيمة لحياته اذ عرض نفسه للخطر من اجل امرأة .

هكذا هو يعتقد لانه متمدن متفرنج ؛ وربما كان المؤلف رشاد نورى يعبث به وربما كان يعرضه على القارئین نموذجاً لعقلية متفرجة « خاصة » عرف بها فريق كبير من سكان استانبول ، لا سيما الاغنياء .

والقصة تنتهي بخيبة أمل الخاطب ، لان صاحبه لم يشأ أن يعطى ولده ابنته المتمدنة التي تنتظر الزواج المائل لايها على الاقل .

وفي المجموع القصة الاولى ، وهي كبيرة وعنوانها عنوان المجموعة

(*) نشرناها كاملة بمجلة المعرض البغدادية ، المحتجة الان

كلها : « ضيف الرب »^(١) . وهذا الضيف شيخ من المنتسبين للدين كذبا وزورا . يزور أسرة معروفة في إحدى المدن التركية ، فتضيفه لانه ابن شيخ زاهد متوف معروف عند هذه الاسرة ، وهو يدعي انه في طريقه الى مدينة أخرى ، فاذا مرت ايام ثلاثة ادرك رب الاسرة ان الشيخ معتمزم الإقامة في البيت ، ويقيم الضيف اياما أخرى ورب الاسرة يتوقع منه الرحيل ، فلا يراه الا مقيما . وهنا يكشف امه العجوز بالامر ، ويكاشفها بانه عازم على طرده من البيت ، لان الرزق ضيق نطاقه ، ولان الشيخ اضحى يعالج مرضى المسلمين بالتائم والرقى ، فاضحى بيته اشبه بزواية او مستشفى ، ولانه فوق ذلك اضحى يأكل ثمرات الحديقة ! ويؤذن آذان الصبح قبيل الفجر - كل يوم - فيوقظه من النوم ؛ فلا تجيبه الام الا بمثل هذه الكلمات « ويك يا بني ! انه لضيف الرب ؛ ورزقه على الله . وكيف نظرد شيئا تدخل البركة وملائكة الرحمن البيت الذى يحله !؟ » .

وتنتهي القصة بحوادث ثلاث جسام :

فقد هتك « ضيف الرب » عرض المريبة وهي امرأة عاشت في البيت ثلثي عمرها ، فطردوها ؛ ثم انتقم رب الاسرة منه فطعنه طعنة كسرت له ساقه ؛ ثم اقسام : ان امرأته طالق ان دخل « ضيف الرب » البيت مرة اخرى ، فاذا برجال الشرطة يأتون به البيت محمولاً على تابوت فيضطرونه وشيوخ (المحلة) الى ان يعالجه فيشفيه ، او يرفع امره الى المحكمة ، فتسجنه .

واذ ادخل البيت ، اضحت امرأة صاحب البيت طالقا ! ...



وفي المجموع قصة صغيرة عنوانها « اسرار المعتكف » ؛ تعرف منها

(١) « تاكري مسافرى »

ومن القصة السابقة كيف كان بعض الشيوخ المتظاهرين بالصلاح والزهد في
تركية يعبثون بالناس ، تحت ظل النظام الاجتماعي القديم .

فانت ترى شخصا معتكفا ، على رأس جبل ، كأنه منقطع الى عبادة الله
وبجانبه فتاة قروية ساذجة يلقي عليها هذه السؤالات :

- ما عمرك ؟ وما اسمك ؟ هل لك اب أو أخ ؟ وما الذي جاء بك
معتكفي هذا ؟

وانت تفهم من اجوبتها انها مخدوعة وقد ساقها سوء حظها وجهلها
الى فح هذا الصائد الملعون . تقول : انها شابة فقيرة تميل الى لبس الثياب
واللعب والمرح والسرور ؛ لكنها وعمتها العجوز في عسر ؛ وقد بكت من
اجل عبادة يومين في العام الماضي فلم تفر بها ؛ وانها ؛ وعمتها زارتا قبل يوم
بيتا في قرية على مقربة من الجبل ، فرأتا في القطار سيدة جميلة ادهشها
ما عليها من ثياب واقراط ثمينة وخواتم . ولم تدر المسكينة ان هذه السيدة
بغى ساقطة ؛ فسألته من اين يأتى بعض السيدات بالثياب الثمينة والاحجار
الكريمة من الماس . فقابلتها بضحكة وهي تقول : ان الطرق اليها كثيرة ، فذلك
المعتكف المقدس مثلا (واشارت بيدها الى حيث يعتكف هذا الوحشي) الذي
كان لي ولصويحباتي أول ينبوع فاض علينا منه الخير ، فان شئت فاذهبي اليه
والشيخ رجل مبارك سيعلمك السر الاكبر » .

وقد هربت من عمته فجاءت تتعلم منه السر الاكبر .

وانت ايها القارئ اعرف بالنتيجة المخزية لهذه الزيارة !!

واذ حل اليوم الثاني ، واصبحت الفتاة فاقدة طهرها ، دعاها الشيخ
المعتكف الى الذهاب عنه ، فنظرت اليه في ريب مخيف ثم قالت :

- « لكن الوفاء بوعدك اولا . لقد اردت ان توصلني الى معرفة
السر الاكبر . ففعلت ما امرتني به فلم اتعلم شيئا ؟ ! »

فيجيبها : « ويل لك ايها الطفلة الغافلة ! ابقى سر لم تفهميه منى ؟ وعما قريب سيأتيك الغنى كما جاء تلك السيدة (وصلت خانم) وغيرها من السيدات ! » وفي المجموع قصص طريفة أخرى لا سبيل الى تلخيصها أو عرض جملة منها في هذا الكتيب الذي ضاق بمواده^(١) ؛ منها قصة فتاتين استنارتا بنور العلم الحديث وأشربتا حب الادب ، فراحتا تعشقان ذلك الشعر الملهم الفياض ، شعر عبدالحق حامد والمرحوم توفيق فكرة . وانتهما لتستظهرانه ، وتخلو كل منهما في غرفتها بديوان شاعرها وكتبه كل ليلة كما يخلو العابد في غرفته بمن يتعبد ، فتتناجا روحاهما ، روح الشاعر وروح الفتاة ثم تطغو حولهما انوار الشعر البهية فتغمرهما ساعات .

ويحدث انهما تجتمعان ذات ليلة فتفضي احدهما الى الاخرى بما عندها من حب لشاعرها ، فيتصل شيء من حوارهما بسمع الام والام لا تعرف حامدا ولا توفيقا ، فتحسبهما عاشقين لهما من هؤلاء الذين يعاشرون النساء سرا فيفسدوهن في بيوت خدرهن . وكذلك يعيش الشباب الناهض الى جانب اهل العهد القديم ، مضطهدا مظلوما .

وللكاتب قصص كبيرة معروفة ؛^(٢) ومجاميع قصص صغيرة اخرى اكثرها انطباقا على الحياة الشعبية (الكواكب المنطقفة)^(٣) .

(١) ترجمنا جملة منها وسنشرها وغيرها مما ترجمناه عن الكتاب القصصيين المعروفين في تركيا اليوم بكتاب اعتزمنا اصداره بعد هذا وتجد عنه (اعلانا) في الغلاف . المؤلف . ونص اعلانه الذي نشره في الغلاف « للمؤلف : مجموعة قصص تركية اجتماعية ، شعبية ، وغيرها ، مترجمة عن اشهر كتاب الترك المعاصرين - ستظهر قريبا - » ولم يستطع ان يحقق ما اعلن عنه المعدان .

(٢) اشهرها (جالى قوشى) .

(٣) « سونمش ييلد يزلر » .

لم يكن نصيب (بك اوغلى) الحي الاوربي من العاصمة القديمة في ايام النهضة التركية الاخيرة ؛ الا اللعنة . ذلك لان الاجانب من روم وغير الروم الذين كانوا يقطنونه آذوا الشعب بعد ان غلب على امره ؛ كما انهم قبل ذلك اليوم العصيب كانوا القرحة في جسمه ؛ استنزفت دمه الحيوى ؛ فاضحى واهنا ضعيفا .

ونعنى بدمه الحيوى « ماله » ونعنى بدمه الحيوى « فضيلته الحرية » التي لا قوام لامة بدونها .

لقد كان (بك اوغلى) كما يقول الاديب التركي المعروف ارجمند اكرم :
الحي الملوث الفاسد الجامع لكل ما في الشرق والغرب من رذائل وشنائع ؛ يجمعها في اماكنه المعدة للميسر في دور بغائه وفي مقاصفه اكنان الرذيلة التي غاض في اجوافها كوكب سعد الشعب وثروته وقوته وصحته واسباب عظمتها كلها ، فكان الانحطاط الهائل الذى شهده الناس جميعا اواخر ايام الحرب في العاصمة القديمة اذ دخلها الفاتحون فاسلمت نفسها اليهم ؛ ولم ينقذها بعد ذلك الا ليوث من الجانب الاسيوي البعيد عنها الذى سلم مما ابتليت به .

وطبيعي ان يكون شأن ذلك الحي ما ذكرنا ؛ ما دام الساكنون فيه اناسا لا تربطهم بالشعب رابطة ، ولا يشعرون بما به من واجبات الاجتماع وآلام ، ولا يتكلمون ما يتكلمه ، ولا يؤدون ما يؤديه من ضرائب في مقدمتها ضريبة الدماء ، لانهم اجانب ، تحميمهم امتيازات الاجانب .

ولقد حدثت الحرب الكبرى التي مرت بنا ايامها السود ، فما بقيت امة من امم الارض في معزل عنها ، وقد اصاب الواحدة منها ما اصاب غيرها

من تقص في الرجال والاموال ، الا اولئك ، سلموا ، ثم ازدادوا مالا ، كما
ازدادوا فحشا وتهديما لجسم الشعب ، وكانوا فوق ذلك ملجأ للخونة
والجواسيس •

في هذا الحي الملوث ، في تلك الايام المشؤمة السود ، حدثت حادثة
مؤلمة كانت ركنا مهما من اركان قصة شعبية كتبها الاستاذ الكاتب ارجمند
أكرم فاسماها (اليوم اذ يغيب)^(١) ، ويقصد بذلك الاشارة الى أفول
الشمس التركية التي أشرقت في آفاق الاناطولى واستانبول حقبة من الزمن ،
قبل أن يغلب الشعب على أمره ويستضعف في الارض • وقد اختار الكاتب
لقصته هذا الاسم لأنها كانت معرضا لصور مختلفة - رغم قلتها - من صور
تلك الايام ايام الحرب ، ايام الانكسار والفشل وأحتلال الاجانب وحكمهم
الجائر الرذيل ، الايام التي ما يزال يذكرها الشعب بقلب تملؤه الحشرات
ويحز فيه الالم حزا •

ورجل القصة البارز من بين رجالها ، ضابط يفقد حميته واخلاصه
اذ يقع في شرك حب امرأة أجنبية من نساء (بك اوغلى) ، فتسوقه وواحد
من آلهما الى ان يسترق الاموال من خزانة الجيش بطرق شتى ، فيشرى ويحيا
معها حياة الرغد الراضية ، والناس يهلكون جوعا ، وهو هاجر زوجه وامه
ثم هو مقصر في تأدية واجبه الشعبى ، لاه بنفسه ولذاته وعشيقته •••

فاذا ما نضب معينه واتتهبت منه هذه الامراة ما اتتهبت ، قطعته
وهجرته هجرا لا رحمة فيه ولا رفق ؛ واذ ذلك يعود الى الرجل رشده الذى
مزقه الحب الكاذب ؛ وصوابه الذى اضاعه حب الشهوة والمال ، فيرى انه
جد خائن لشعبه ، وانه جد خائن لزوجه ، وانه مجرم ذليل مهان لا ينظر اليه
اولئك الغرباء الذين دهوروه وأسقطوه في حضيضه الا وهذا لا نظرات

(١) « كون باتاركن » .

الزراية والاحتقار ، لانه لم يعد بعد من الرعايا المستقلين في ديارهم ذوى الكرامة الموفورة والجانب المحترم ؛ بل من العميد للاجانب ترفرف على رؤوسهم راية الاستعمار .

وكانت هذه القصة من خيرة قصص الكاتب ، فاقبل عليها القارئون اقبالا عظيما . وهي مكتوبة بقلم ناري متلهب واسلوب تضطرم فيه العاطفة الحية الشعبية اضطراما . ويكفى ان يقول الكاتب عنها في حديث له افضى به الى احد الصحافيين اخيرا « انه كان يكتبها والعاطفة بين جنبيه نائرة وشؤون عينيه تفيض بالدمع الغزير » ، فكأنه كان في تلك الساعة ساعة الكتابة والتأليف يشهد حوادث القصة مشاهدة عيان^(١) .

وللكاتب قصص شعبية صغيرة كثيرة تنشرها له المجلات والصحف دواما اليك نموذج منها قصة (الفاتحة) :

★ ★ ★

كانت سنة ١٢٢١ رومية .

كنت ذاهبا لاداء مهمة رسمية في مدينة (اشقودره) ، وكان المنتظر ان انزل من الباخرة الفرنسية التي اقلتنى من (استانبول) ، في (ييره) ، وان تقلنى بعد ذلك باخرة صغيرة من البواخر اليونانية الى (دراج) .

أوغلنا في بحر (مرمره) ، وكان الجو صافيا ، وقلب الباخرة خاليا ، ولم تكن لى علاقة باكثر من ثلاثة أو خمسة من المسافرين اجتمعوا في بهو الدرجة الاولى ؛ رجحت على الاجتماع بهم الخروج الى سطح الباخرة ، ومقابلة الوجوه والسحنات الغريبة ، ففعلت واقتعدت مقعدا طويلا ارسل النظرات منه الى آفاق البحر البعيدة ، واشعة الشمس تتكسر على صفحته فتبدل لونه .

(١) سنكتب عنها فصلا كبيرا وافيا في الكتاب الذي سنصدره بعد الطلائع .

واذ آذنت الشمس بالمغيب ، تلاشت من امامي سواحل (الروم ايلي)
الدقيقة كانها الخيط ممدودا في الافق ؛ ثم شعرت ببرودة الهواء فاضطرت
الى مغادرة مكاني •

ولكننى لم استطع المكث في غرفتى ، فقد كانت تفعمها رائحة
(السينتينة) القوية التى اهاجتنى فعكرت على صفوى منذ ان غادرت
استانبول ؛ وادركت اننى غير متمكن من النوم او قضاء الوقت فيها ، فعدت
الى الخارج ميمماً مجتمع المسافرين ، وكانوا غير قليلين ، ترى ذوى الاسر
منهم جماعات يلهون ، وآخرين تضمهم حلقات صغيرة من احبتهم يتسامرون •
وكان سرور هذه الجماعات الصغيرة ونشاطها دليلين على ان قلوب ابناء الطبقة
الدنيا اكثر فراغا من قلوب ابناء الطبقات الاخرى^(١) •

وكان النائبى عن هذا المحيط المفعم مسرة وطمأنينة ، رجلا واحدا • وكان
هذا الرجل الدالة ثيابه ونظراته القوية القاسية على انه من (الالبانيين)
الشماليين ، متكناً على الحاجز في مؤخرة القوم ، يمتص الدخان من سكارته
باستمرار وانهماك •

نظرت اليه فاذا بعينه تنطقان بالاضطراب « والمعانى الوحشية »
كذلك •

بقيت هنالك ساعة تقريبا ، فظل الرجل طول هذه الساعة ساكنا في
هياته ، وكان يبدو لي انه يرسل النظرات الحائرة الى نقطة في الافق مبهمة
فلم اشك في انه كان يتعقب شبحا او خيالا •
واعتكز الليل ، فرقد الركب جميعا •••



(١) يريد الكاتب ان يقول انهم سعداء بفراغ قلوبهم وسداجتهم وجهلهم وهذا
خطا على ما ترى •

واسفر الصبح ؛ فرأيته اذ كنت اتجول على سطح الباخرة قبيل تناول
الفتور في هيأته الاولى ؛ وقد استحال بياض عينيه دما ، ونظراته المتعبة
ينبعث منها الدخان •

الان احسست ان للرجال مأساة ؛ فدفعتني « حب الاستطلاع » الى ان
اقترب منه ، والى ان أسأله حتى اطلع منه على دخيلة نفسه :

قلت له : - يبدو لي ايها الرفيق ان ركوب البحر يؤذيك ويسلب
راحتك ، وانك لم تنم في هذه الليلة التي مضت •

فقابلني بوجهه الجهم :

- كلا فالبحر لا يمسنني منه اذى •

- لك ان تصحبنى الى غرفتى اذا شئت فتستريح •

- هنا خير •

على ان دعوتى قد لقيت منه رضى ، فابتسم لى ، ثم ناولني دفتر سكاثره
وانشأت اسأله وانا اصنع سكاراة :

- من اى بلد انت ؟

فذكر لي اسم قرية من قرى (اشقودرة) •

- احسبك قادما من (استانبول) ؟

- بلى •

- اذهبت اليها في تجارة ؟

فلم يجب ، وتراءى لى من عينيه الحماوين بريق ، وعلت وجهه ظاهرة

الم دفين ، اراد ان يخفيها فاشاح به عنى •

قلت :

- استودعك الله فانتى لشاعر بالبرد •

وتركته منفردا بالمه الخفى ، صامتا لا يجيب •

★ ★ ★

كانت الباخرة التي انتقلت اليها في (بيرة) باخرة يونانية صغيرة ، ارتقيتها على عجل ، فحجزت لي من غرفها الاربعة واحدة •

واقلعت متجهة بنا الى الجنوب ، يحيط بها الهواء الشديد ببرده ، وكانت الامواج تهز باخرتنا هز الوالدة ارجوحة طفلها حتى بلغنا قناة كورنت ثم استقبلنا بحر الادرياتيك •

وكان ركب الباخرة كالسكارى من الدوار • وكنت قابعا في مضجعي في غرفتي ، ولو انني استطعت خروجاً منها لما استطعت وقوفا على قدمي ؛ وكان يصل الى مسمعي الدوى المخوف ، دوى المياه المرتفعة من الموج ••• واقبل الليل ، فسكن البحر قليلا ؛ فخرجت استنشق النسيم ، اعالج به الدوار الذى كاد ينفجر من شدته رأسى •

وكان منظر البحر والسماء جميلا ، والليله مقمرة ، والقمر الذى يبدو من بين الغيوم الكثيفة المتتالية في جريها ، ينير وجه الدأماء فترى الامواج الهادئة وكأنها نقط وخطوط من الابريز ؛ وكنت انظر الى هذا الشعر الطبيعي - من محلى - بلذة عميقة •

وكنت متكئا على السارية في شىء من الدهش والذهول⁽¹⁾ •

(1) كنا نحترز من استعمال كلمة (الذهول) في مثل هذا المحل لمخالفة معناها القاموس لما يقصد به الكتاب ، ولكننا جرينا بعد ذلك في استعمالها على قاعدة الكتاب المصريين المعروفين امثال هيكل وطه حسين •

ثم ظهر امامى شبح • فنظرت فاذا به صاحبى الالبانى • وكأنه خرج
من باطن الارض تلك الساعة ، فقابلته - ولم اكن اتوقع ذلك - مرة اخرى •

لم يرني • ومشى متثاقلا حتى اقترب من حاجز الباخرة ، ثم وقف
وحسبت انه سيلقي نفسه في البحر بيد ان قوة مجهولة سمرتني بالسطح فلم
استطع ان اسرع اليه ، انقذه • وظلمت انظر اليه في استغراب وسكون •

تقدم خطوة او خطوتين فادركت من نظراته القلقة الحائرة واضطرابه
انه يبحث عن موضع معين من البحر ؛ وكان يبدو من الجهة اليمنى (فانار)
يضىء ثم ينطفئ ثم يضىء ؛ فلما ان اقتربت الباخرة منه وحاذته ، انحنى ،
ورفع يديه كما يرفعها المصلي عند الدعاء فقراً شيئاً ، ثم عاد •

وشعرت وهو يسر بي بالليل الى مساءته مرة ثانية •
قلت :- مرحبا •

فوقف وشنف الى وهو يقول :- عليكم السلام !

- ما اغرب هذه المصادفة فقد تلاقينا كذلك •

- كذلك كان ؛ وهل انت راحل الى (دراج) ؟

ولم يكن عابسا « ذا اسرار » هذه المرة ؛ بل ظننت انه محتاج الى
محاورتي والافضاء الي بما يؤلمه •

مددت اليه علبة سكاثرى ، • ثم سألته :

أكنت تشكره تعالى على نجاتنا من زوابع البحر وهياج امواجه ؟
تنفس الصعداء ؛ ورأيت ، على ضوء القمر ، عينيه تدمعان •

تردد لحظة ، ثم قال :

- كلا • ولكنني قرأت الفاتحة •

- الفاتحة ؟ على روح من ؟

- ابنتي ؛ ومرقدها تلك الناحية التي مررنا بها قبل دقائق • وهنا
تفتح ، فلم يعد يلتفت الى سؤال مني ، فانشأ يتحدث الي في تهيج
محسوس :

- سيدي انتي ألباني ، بلغت الخمسين من العمر ؛ اعد في بلادى من
الاشراف ؛ وكان ابي يلقب بالاسد لانه رأس عصابة تتألف من عشرين رجلا
من عشيرتنا ، فعارك الجبلين (في حرب الجبل الاسود) ثلاثة اشهر دفاعا
عن القرية ، فأنا ابن ذلك الاسد الضرغام • أمي لا اقرأ ولا أكتب ، ربيت
في كنف اجدادي وآبائي ، وقد اوصاني أبي الذي قتلته رصاصة من يد نذل
بثلاث وصايا : (١) ان اثار له ، (٢) ان اكره الجبلين مادمت حيا ، (٣) ان
اجعل حماية عرضى وشرفي فوق كل شيء •

وقد تأرت له ولله الحمد ، وانا انتهر الفرس الان لارى الجبلين
مبلغ كرهى لهم •••

ثم قطع حديثه ، وطفق يصنع سكاراة له وكأنه كان يحاول ان يكتب
هياجه •

فسألته وكلى رغبة في ان يستمر :

- بلى ؛ وبعد ؟

قال :- ثم عملت بوصيته الثالثة قبل خمسة عشر يوما •

- كيف كان ذلك ؟

- كان لي ابنة في منتصف العقد الثاني من عمرها ، وهي الوحيدة ،
وكانت بيضاء كالثلج في اعالي الجبال ، حمراء كالوردة في الصحراء ، رقيقة
ذات شجاعة كشجاعة الرجل ؛ تصيب « البيضة » برصاص البندقية على بعد
(١٠٠) خطوة ! ولو لم اكن قد تأرت لجدها لتأرت له هي نفسها •

وقد مرضت ذات يوم ، فلم يشفها ما عالجنها به من علاجات بلادنا
فرايت ان آتى بها استانبول • وفي الليلة الاولى من سفرنا ، الفيتها تبكي ؛
قلت : ماذا جرى لك يا ابنتي • فافضت الى بسر ألمها ؛ وكان قد دنسها نذل
مجاور لنا •

وما اتمت ابنتي اعترافها الا وشعرت بألم الطعنة النجلاء اصابتي
كالرصاصة وانجس لساني • ثم ذكرت وصية ابي الثالثة • فقلت لها : الى
يا ابنتي فانى اريد ان احدثك قليلا •

ثم خرجنا من غرفة الباخرة ، واشرفنا على البحر • نظرت فما كان احد
قريبا منا ، فأريتها البحر دون ان افوه بكلمة ؛ فادركت ما اردت وقالت
« عفوك يا ابي » • ثم القيتها في البحر أفهمت ياسيدى ؟

وها انا ذا أتلو الفاتحة على روحها ، وقد مررت بمشواها ؛ وانى
لوالدها مهما كان امرها •

انظرن !

- نموذج من الادب القصصي الارمنى -

ك * زهراب افندى ، الحقوقي المعروف ، الذى كان نائبا عن الارمن في المجلس النيابي العثماني قبل الحرب الكبرى ، اديب رقيق ، له كتب ادبية مختلفة منها كتابه المسمى (الحياة كما تكون) حوى طائفة من قصصه الهائلة الطبيعية الحقيقية الملونة بالوان الحب الزاهية *

ترجم الكتاب الى التركية الكاتب (ديران كلكيان) * وقدم له مقدمة بليغة بين فيها قيمة الكاتب وكتابه ومما قال فيها :

« بما ان الكاتب معدود من اصحاب مذهب (الروماتيزم) لم يبعد عن قلبه محبة (الجميل) (والجمال) ، ولم يهو الى المزابل لكي يصور للناس الحقائق ، انه يجسم للقارئ سقوط الطبع البشرى ومناقضاته ، ولكنه يكره تصوير ما هو معرى ، فلا يتصدى الى رفع الستار كله وسكب النور الكهربائي على المناظر الشنيعة ؛ انه يكتفي برفع طرف منه فقط *

يريك النوازع والعقلية التي تدفع الانسان الى الماديات ، قبل ان يعرفها لك *

وتحليلاته لا يميل بها الى التفاؤل مطلقا ، ولا الى التشاؤم مطلقا ، فهو يظهر لك الضعف في ارادة الفرد الجزئية بالنسبة الى عوامل المحيط الذى يحيا فيه وما تتطلبه طبيعة الفرد نفسه *

ولعل خلاصة فلسفته : « القدر » و « المقدرات » الخ *
واليك خلاصة قصة من قصصه :

هذه القصة تتألف من أربع قطع ، وان شئت فقل اربعة فصول

صغيرة ، عنوانها «أظن !»

والقطعة الاولى كأنها الشعر المنشور ، بديعة يصف فيها جمال الغادة

التي أحبها وأحبتته •

وفي الفصل الثاني يريك كيف أنها كانت تعلنه بحبها بتلك اللهجة

الريفية اذ تقول :

— روجي ! انك لحياة لي ؛ أفهمت ؟

وكيف كان يحاول ان يهدى اليها رسه فتقول :

— كلا • فانك هنا ؛ ههنا في سويداء قلبي ؛ وأنت لي كلك الي أفهمت؟

وكيف كانت تقول له احيانا :

أتعلم انني اذ أسمع طرق الباب وصوت المشى على السلم ، أعرف أنك

قادم ، فارتجف ارتجافة الحب •

وكيف انها عاهدته على الحب كما عاهدها عليه •

فاذا كان الفصل الثالث ، أعلمك أنه فارقها ، ولكن الحب باق •

ومرت سنة واحدة على فراقهما ، ثم يأتيه من أزمير فتى كان يصاحبه،

ويعلمه بعد بضعة ايام انه يرغب في الزواج ، وأنه يريد التزوج بهذه الغادة ،

غادة صاحبه التي احب ، ولا يزال لها في قلبه المكانة العليا ؛ والفتى وحيد

ليس له الا صاحبه هذا يؤدي له واجب الخطبة قبل الزواج ؛ وهذا المحب

الواقى كان قد عاهدها على ان لا تكون لغيره ! ...

واذن فقد أستقط في يده ، واذن فهو يأبى ان يخطبها بنفسه لصديقه ،

والصديق يلح عليه ثم يلح ؛ ولا يرى له عذرا ؛ لانه يجهل مبلغ حبه لها

وان كان لا يجهل انهما كانا في محل واحد من المدينة ، يعرفها وتعرفه ،
ويجيبه الى طلبه بعد لآى •

ويذهبان معا • والمحب ذاهل ، قلق ، لا يدري بأى وجه سيقابلها
وسيطلب يدها لصاحبه ، وهو الذى كان يغار عليها من النسيم • وتصور
له نفسه كيف انها ستقابله بعد الفراق ، فترتعد ، ثم تلقى نفسها في حضنه
صارخة ، ثم يعمى عليها بعد ان تقول له : « لن اكون لغيرك » •

ثم يعود الى التجلد والى التظاهر امام صاحبه بالجد والاهتمام بامرہ •
فاذا كان الفصل الرابع رأيتهما في دار الفتاة ، في الثوى بين ابويها وذويها
وهم فرحون جميعا الاله • وتدخل عليهم فتاته الجميلة فتصافح القادمين
مصافحة عادية ! ولا تظهر عليها اية ظاهرة للارتباك والقلق • وتجلس تملوها
سمات المهابة والرزانة والجد •

فيكبر حبيبها هذا الخلق المتين منها ، وهذا التجلد ، وهذا الصبر على
الحب • وتتم الخطبة على يده ، فيتصافح العروسان ثم يروحان يتحادثان في
سرور ولذة •

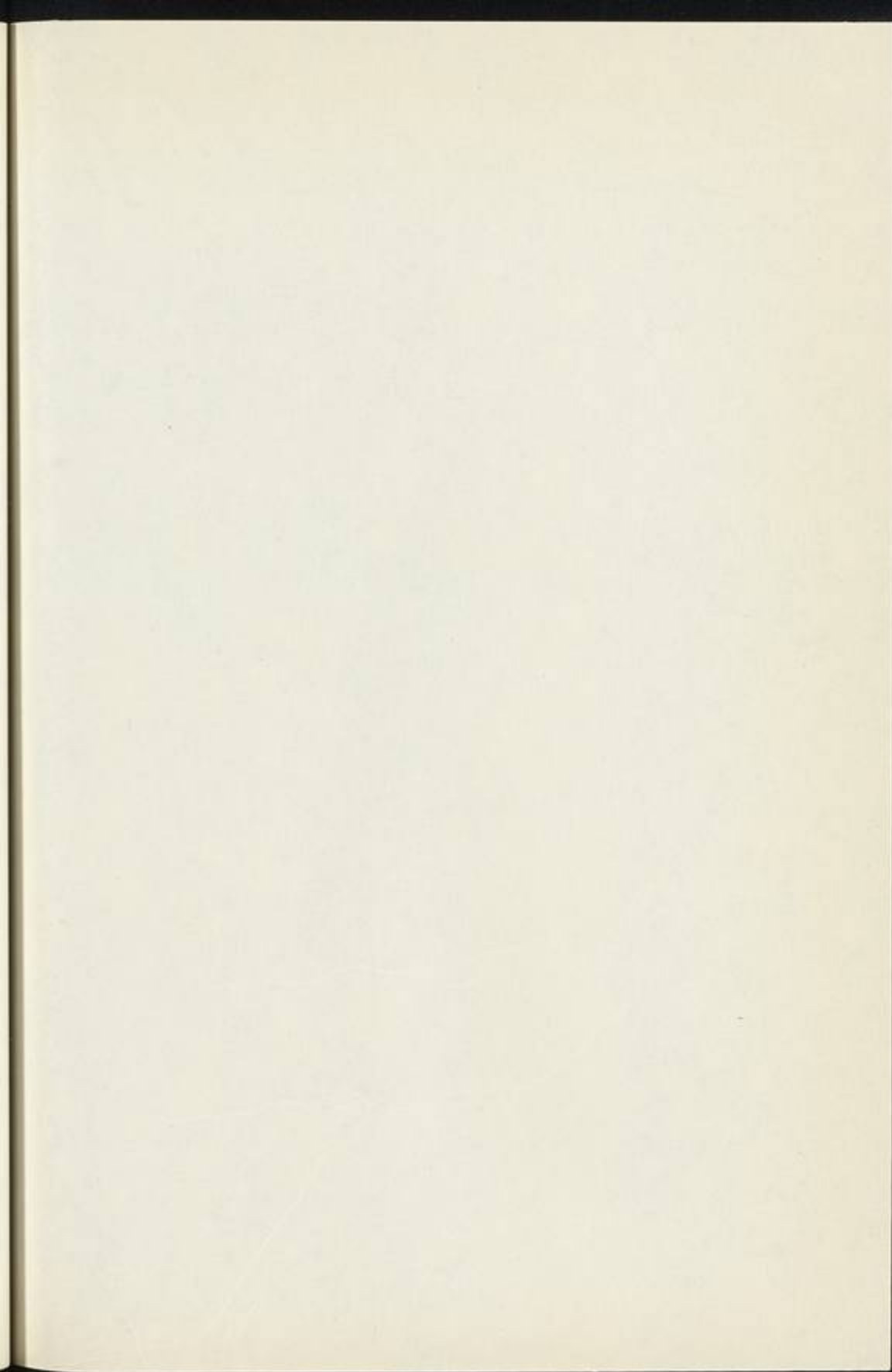
ويلحظهما صاحبها الاول هذا - بعد بضع دقائق - ينظران اليه اثناء
حوارهما ، وهما جالسان على بعد منه امام النافذة في زاوية الثوى ، فييسمان •
وهنا تزداد في نفسه الهواجس : انها متحدثة الى زوجها عنه ؟
أنها قادرة على التماسك ؟ ام انها كاشفة لزوجها قصة حبها ؟
ويقرب منهما ، فيقدمها الزوج اليها :

يا عزيزتي ، انه من أخلص أصحابي وأحبهم الى ، وأحسبكما متعارفين
قبل هذا ، أليس كذلك ؟

بيد ان الحبيبة اضحت جاهلة حبيبتها ، تتصفح وجهه تصفحاً شديداً
وهي تجهد نفسها ، محاولة ان تذكره فلا تستطيع ؟ ويشعر صاحبها بذلك
فينكمش ، ويتضاءل امامها ، ثم يحاول ان يكون هو الاخر جاهلا او متجاهلا
اياها .

وبعد لحظة ، والجالسون لم يعودوا ينتظرون منها جوابا تقول لزوجها :
(أظن) انني كنت رأيت هذا السيد مرة ! .





محمود أ. السيد

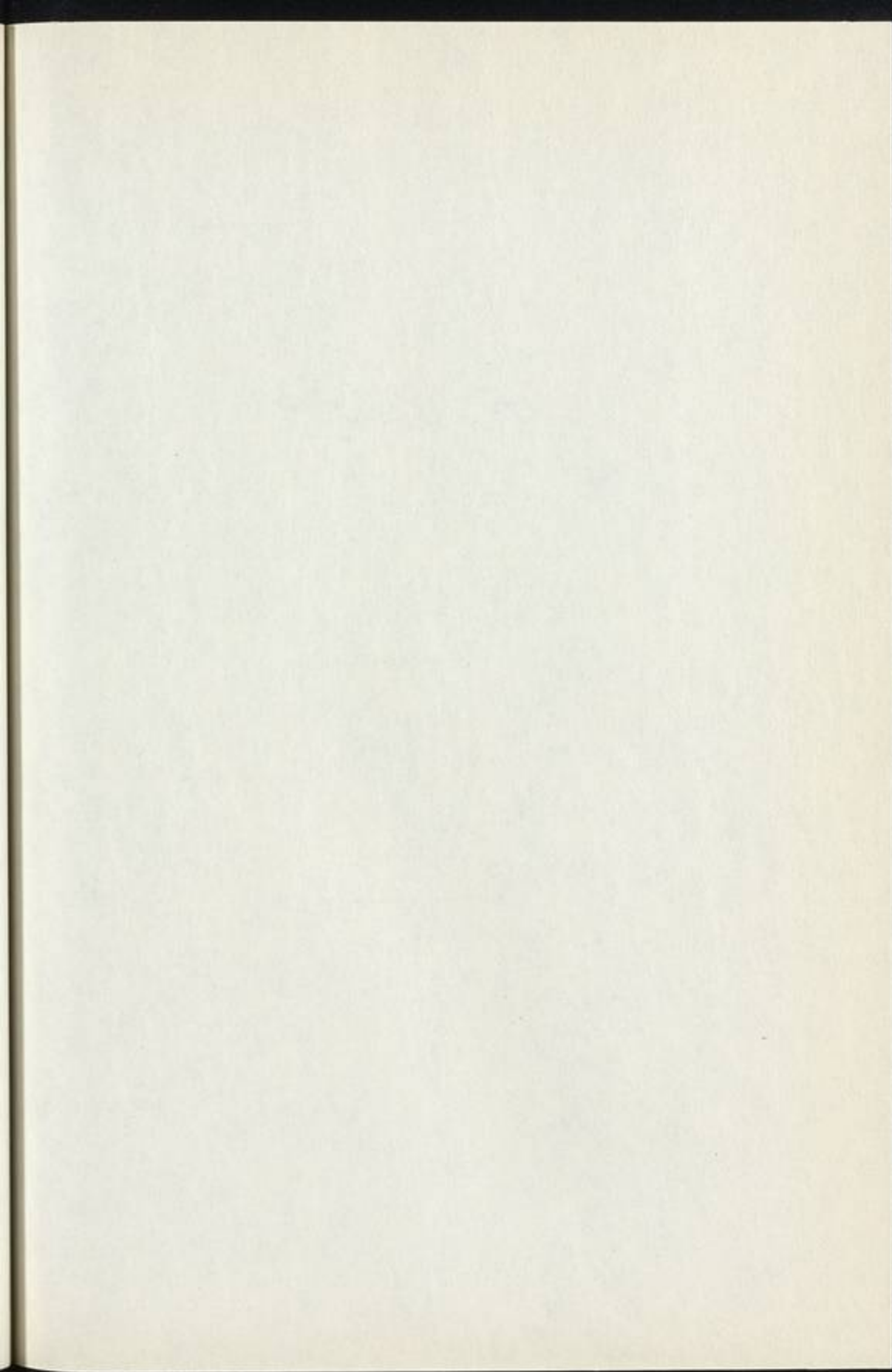
في ساع من الزمن

« صور عراقية »

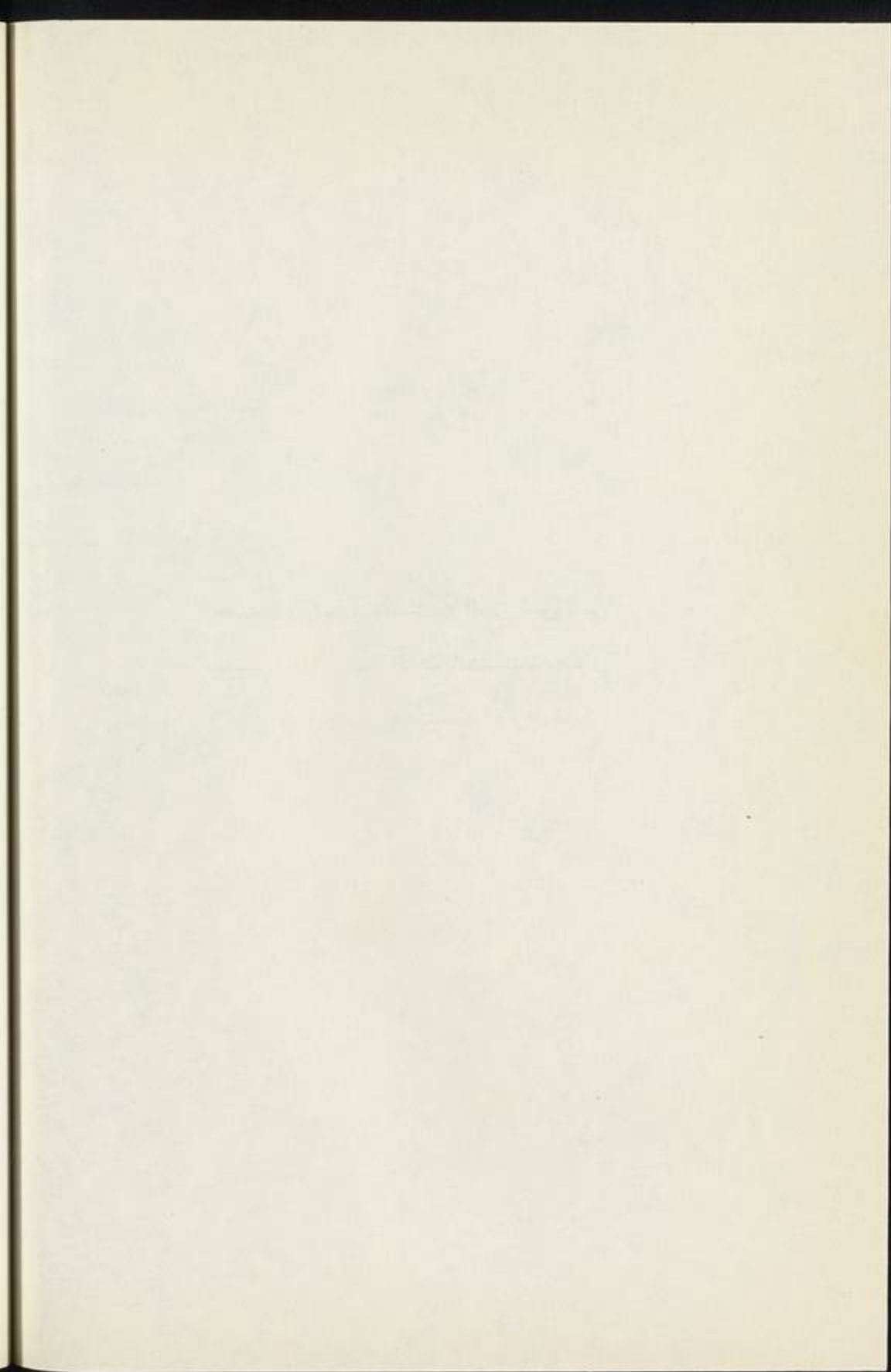


الجزء الأول

طبعة اولى
بفداد
١٩٣٥
حقوق الطبع
محفوظة



يهدي المؤلف كتابه الى كل من
يعنى بدراسة الادب الحديث في
العراق ، والى صحبه الاكرمين .



مقدمة

لست أديبا - محترفا للأدب - ولكني أحب الادب ، لأنه « المعنى » الذى
يسمو على « مادة » الدنيا ، ولأن فيه « الفكرة » الباقية على الدهر ، و « حرية »
من الحرية ، و « قوة » من القوة ، و « حقاً » من الحق الشامل العظيم •

ولست فناً ولكني أحب الفن ، لأنه « رمز الجمال » الخالد خلود

الأكوان •

ولقد كان حبي للأدب والفن يهيب بي - بين حين وآخر - ويدعوني الى
كتابة صور تمثل حياتنا بأسلوب القصص : الفرع الباسق من « النثر الفني »
الذى نرجو له نمواً عندنا وازدهاراً ، فكنت البي دعوته في بعض أوقات
الفراغ •••



ليس في هذه الصور المختارة - مما كتبت ونشرت في الصحف والمجلات
من قبل - لنشرها في هذا الكتيب ، ما هو واقع ، من أوله الى آخره ، بهذا
التسلسل المنطقي والاطراد المعروضين في حوادثها ، وليس في هؤلاء الاشخاص
الذين يظهرون فيها من عاش بالاسم الذى أسميته به ، وفي المحل الذى
احلته فيه ، وحيى الحياة التى ألبسته ثيابها واستعرت له عناصرها
واسبابها ، على ان الاجزاء التى تألفت منها كل صورة

— منها — لم تقبس الا من حياتنا الواقعة ، ولم تنقل الا عن الحوادث الجارية
من حولنا ، في موطننا هذا « في ساع » وأيام قريبة أو بعيدة مضت « من
زمننا » هذا ، دع عنك ما يحيط بها ويبرقعها من غلائل التصور وشفوف الخيال •
فأرجو ان تقرأ على ضوء هذا الايضاح الوجيه •

محمود أ • السيد

بغداد : ضاحية الاعظمية • عام ١٩٣٥

بداي الظايز (*)

« بدآي بن فائر »

- ١ -

كان اليوم العاشر من شهر مايو ...

كان الفرات فائضا توشك أمواجه الطاغية أن تجرف السدود المقامة على ضفتيه . وكان الفلاحون من أبناء القبائل المختلفة ، في منطقة خضراء بين ذي الكفل والكوفة - كأمثالهم في مناطق الفرات الاخرى - ساهرين عليها ، مقيمين حولها ليلا ونهارا وجلين ، يخيفهم الخطر الجاثم حياهم منذ شهر ، وقد اشتد بعد أن كان ضعيفا مبهما .

وكان الصبح ...

وكان النسيم يهب بليلا فينعش هؤلاء المساكين ، ويحيى فيهم عنصر النشاط الذي كانوا في أشد الحاجة اليه ، فقد أنهكهم النصب ، وآذاهم الجهد الذي بذلوا منذ طفى الماء ، وهم يصارعونه ليحولوا بينه وبين زرعهم - مع أنه جزء قليل من زرع الرؤساء المالكين - وماشيتهم ، وهما لهم قوام الحياة .

وكانت سنابل القمح المنتشرة المتكاثفة في الحقول على مقربة من بيوتهم - وهي من القصب البالي والحصر وجريد النخل - ومن النهر ، مصفرة ناشجة تبهج الناظرين . وكان وقت حصادها جد قريب .

(*) نشرت بالرسالة في ١٥ يوليو سنة ١٩٣٥ . ويقرا الاسم الاول بفتح الباء وتشديد الدال .

وحان الضحى ؛ فحانت ساعة العمل لتقوية السدود وتسكينها فانتشرت
جموعهم كالنمل تحمل الى المواقع الواهنة منها التراب من أطرافها ، ثم تعود
التحمل اليها التراب كذلك والحطب والقصب والحصر والعمد والجبال وما
اليها ؛ ثم تعود مرة أخرى ، فأخرى ، يسوقها المهندسون والرؤساء المالكون
في غير مالين ولا امهال •

وحان الظهر فاستراحوا قليلا ثم عادوا يعملون •

وتغير الطقس ، آتئذ ، تغيرا مفاجئاً - ومثل هذا التغير مألوف ومعتاد
في العراق - فحجبت وجه الشمس عاصفة شديدة أثارت الموج في النهر ، وعظم
بها الخطر ، لان السدود قد كانت احتملت من جريان المياه الطاغية وتيارها
القوي أكثر مما تطيق احتماله ، فكيف بها الان وقد أخذ الموج يلطمها
فيونها ويكاد يهدمها تهديما •

وكان الخطر أعظم ما يكون في الضفة اليسرى من النهر ، لان اهلها
كانوا أقل عديدا من جيرانهم أهل الضفة اليمنى ، وأرضهم أوطأ من أرضهم ،
وسدودهم أضعف من سدودهم •

وكان الرؤساء جميعا ، هنا وهناك ، مع وفرة غناهم ، وامتلاكهم الدور
والاحراز والارضين دون الفلاحين ، أحرص منهم على حفظ السدود لحفظ
الزروع • فداروا حولهم يشجعونهم ويضربون المقصر المتخلف منهم عن
صحبه بالعصي والسياط •

حان الاصيل ، وبدأت قصتنا ؛ فوقف فتى طويل القامة ، مفتول
الساعدين ، آدم اللون ، يدعونه بداى الفايز ، ويتميز بخنجر مفضض لا
يفارق حزامه ، أمام رئيس من رؤساء القبيلة التي ينتمي اليها ، معتدلا يعلوه
الشمس ، وتهز كيانه نخوة الاعراب ، وقد اصابت منه ضربة عصا كما أصابت
غيره ضربات ؛ وسواء أكان لتلك الضربة سبب من تقصير في العمل أم لم

يكن ، فان بداى الذى كان شادا في قبيلته في بعض خلاله ، قوي الشكيمة ، عزيز النفس ، معتزا بقوة جسمه ، لم يحتملها ؛ فوقف يتمتم متظلما في شبه ثورة وعصيان •

وبهت الرئيس ، فنظر اليه مستغربا مستنكرا : مستغربا شمه ونخوته وقد حسبها طيشا ونزقا وخنزوانة عبد ، وحمله خنجره المفضض حتى في ساع العمل العسير ، مستنكرا تظلمه ، وكيف لم يحتمل منه ما احتمل الآخرون أذلة خاضعين •

وأقبل عليه يريد أن يضربه مرة ثانية ؛ ثم اثنى عنه في لحظة فأنشأ يرميه بسا هو عند القبائل شر من ضرب العصي وأنكى ، قال يعيره :

« ويلك يا جبان ! هل يرفع أنفك فيميزك عن اخوتك الطائعين هؤلاء خنجرك المفضض هذا ؟ ولأي يوم كريمة تحمل هذا الخنجر وتلك البندقية التي تعلقها بالسدره ؟ وأين كان هذا السلاح يوم قتل جسام أخاك عباسا ؟ ولماذا لم تتأثر له به حتى الان أيها الجبان الذليل ؟ ! »

واذ نطق باسم جسام شدد « السين » تشديدا غريبا ومد « ألفه » وهو يشير بعصاه اشارة ذات معنى الى ضفة النهر المقابلة ، ثم اذ أتم كلمته ابتسم ساخرا متهكسا وتولى ، وهو مدرك أية طعنة نجلاء طعن الفتى •

وسمع بداى هذه الكلمة الطاعنة أمام الجمهور الحاشد من الفلاحين الذين كان يراهم دونه شمما واباء للضميم ونخوة ، وهو في أسوأ حال من الاضطراب النفسي والغيظ ، وعض على شفته اذ أخذته العزة ، فصاح صيحة كاد ينفطر لها فؤاده : « أخسأ ! أنا أخو شمسة ! ولا تقمن ولادفعن عني عاري ! » •

وترك العمل وهو حائق غضبان • وشعر بأن حياته أضحت عبأ ثقيلا عليه • و « النار ولا العار ! » وهل يهमे بعد الزرع وغير الزرع ؟ « لقد قتل جسام من أبناء القبيلة المجاورة أخاه عباسا ، في نزاع على دين قديم ،

منذ عهد قريب ، وتلكأ عن أداء ديته • هذا ما كان يعلمه ؛ ولكنه لم يكن راضيا بالعار الذي خلع عليه هذا الحادث منه جلبابا أسود ضافيا • لم يكن ساكتا عن حقه ، والثار في القبائل كالدية ، حق • على أنه لم يربدا من التريث حتى تنجلي هذه المصيبة التي حلت بالقبائل الفراتية كافة : مصيبة الفيضان • فكان من المروءة تركه وشأنه ؛ أما وقد سبق السيف العذل ، فغير أمام الناس ، فلا كانت الحياة ان لم يثار وينتقم •••»

هذا ما فكر فيه في دقائق مسرعة كالثواني ، ونقض عباءته ليزيل ما علق بها من تراب حين العمل ، ثم تناول بندقيته غفي ملتفت وراءه ، وتواري عن الانظار •

- ٢ -

• ونحن الان في الضفة اليسرى •

أقبل الليل ؛ وانقلب الفلاحون الى بيوتهم ، وهم يتوقعون الخطر الجاثم حيالهم ، يتوقعون أن تتدفق المياه عليهم في هذه الليلة ان لم تنقص قليلا ، وبقيت الريح العاصفة على شدتها تثير أمواجها فتوهن السدود • وكان الاعياء أخذا منهم مأخذه فرقدوا متوكلين على الله ، الا الحرس منهم الذين أقاموا على السدود ، فكانوا متحفزين للعمل ، يروحون ويجيئون كأشباح الجن ، يلفهم نور القمر الضئيل الذي حجبت سطوعه الريح الذارية وما كانت تحمله للقوم من غبار كثيف •

• وكان جسام القاتل واحدا من هؤلاء الحرس •

وكان وهو في جباسته ، مطمئنا غافلا ، لا يدري أن بداى قد أقسم لينتقم لشرفه في تلك الليلة ؛ لا يدري أنه جاء دارة القوم خلصة وقد عبر الفرات على زورق من زوارق الصيد صغير ، بعد لاي وجه كبير ؛ وأنه كان - وقد مضى الهزيع الاول من الليل - يكمن له وراء نخلة في طرف

حديقة مجاورة لبيوت القبيلة مما يلي مضرب الحرس ملثما بكوفيته ،
متلفعا بعباءته السوداء ، مصمما على قتله •

وكان موقع الحارس جسام قريبا من الحديقة ؛ وكان خصمه يتبينه ؛
وكان يعرفه مستدلا عليه بصوته الذى كان يرتفع بين دقائق ودقائق اذ ينادي
صحبه نداء الحذر والاتباه • وكان ينظر اليه وهو واقف في الظلام ، ظلام
الحديقة الذى كان يستره ، كالخزير الحاقق على الصياد ، ويقول بصوت
خافت ، وكأنه يتوعده :

« اصبر لي قليلا يا ابن الكلب •••• »

ثم حشا بندقيته ، وقد اشتدت ضربات قلبه ، وبدت على وجهه سيماء
الانسان الوحشي القديم ، وثنى ركبتيه وأطال النظر في عدوه ليسدد الرمي ،
وكاد يطلق رصاصاته الخمس التي أعدها لقتله ، لولا أن رأى بجانبه حارسا
آخر أقبل عليه مسرعا • فكان على بدأى لقتل واحد منهما أن يقتل الاثنين
معا ، وهذا ما لم يكن يريد به ؛ لان ثأره على تلك الصورة يخلق له مشكلة
يصعب عليه التخلص منها ، فقد يغتفر له ذوو جسام وأبناء قبيلته قتله لانه
قاتل أخيه ، ولكنهم لا يغتفرون له قتل الثاني ؛ ولا بد لهم من قتله بعدئذ
ليثأروا به منه •

وتملكته الحيرة فلم يدر ماذا يفعل •

ثم بدا له أن يتوقع عودة القادم ، لينفرد بفريسته ؛ وبينما هو في موقفه
هذا ، ارتفعت من جانب بعيد قيد غلوة صيحة حارس يستغيث •

لقد حم الامر ؛ وتفجرت المياه من ثلثة حدثت في السد المصاقب ،
ومضى الحرس وفي طليعتهم جسام ، يعدون مستبقين لسد الثلثة ، فلم
يتسكنوا من ذلك ، ولم يكن دفع المياه المتدفقة المتحدرة تحدر السيل من
أعالي الجبال مستظاعا •

واستيقظ أبناء القبيلة فروعهم الحادث ، وشعروا بوقوع الكارثة ، فأضاعوا رشدهم ، كما أضاعوا من قبل جهودهم كلها في الزرع وفي إقامة السدود . وحاولوا كفاح المياه العرمة فحاولوا عبثا ، وراموا مستحيلا .

وما كان امامهم الا الهروب ، فكان النساء يولولن ، والاطفال في خوف ورعب يتصارخون . وكان جسام ذا أسرة تتألف من زوج ، وثلاثة أطفال ، وأم عجوز ، وأخت . وكان الرجل آخر هارح الى امه والى أطفاله لينقذهم من العرق ، وقد خسر مع الخاسرين نصيبه في الزرع ، ونسي بقرته وغنمه ؛ وعلى هذه البقرة والغنم تقوم حياتهم بعد الزرع

وأدركت الرحمة الطبيعة حينئذ ، فسكنت الريح ، وانفثت الغبار ، فبدا القمر المنير زاهيا متألثا يطل على هذه الفاجعة في قسوة وجمود .

- ٣ -

وبعد ساعة أو أقل كانت الثلثة متسعة ، تنصب منها في السهل الكائن وراءها حيث البيوت ثم الحقول ، مئات الالوف من الامتار المكعبة من الماء . وكان بدای يشهد هذه الفاجعة التي فجعت بها القبيلة في دهش وتألم . وكانت نفسه ساكنة هادئة بعد أن أفلتت فريسته منه ، وأحس شيئا يتنزق في جوفه . ثم استيقظ في نفسه شعور غريب جديد ، هو غير الشعور بالضراوة والرغبة في الانتقام والثأر . وذهل عما جاء من أجله ؛ فاقترب من بيوت القوم قليلا ، فرأى - مما رأى - أطفال جسام الثلاثة في صراخهم وعويلهم ، والاب يحمل منهم الاثنين الكبيرين وكانا في الرابعة والخامسة ، نحيفين واهنين من مرض أو جوع ، وزوجه تحمل بعض المتاع وتقتاد البقرة ، وأخته تريد أن تحمل أمها العجوز ، والطفل الثالث ، وهو في الثالثة من العمر ما يزال على الارض متشبثا بأذيال أمه يرتجف ويعول باكيا ، والام ذاهلة تنحني فتتناوله لتحمله فوق المتاع ، فيفلت منها زمام البقرة ؛ ثم يذكر الاب ، وهو دهش

يحمل طفليه ، غنمه فيذهب اليها حيث كانت في زريبة مجاورة ليسوقها
أمامه ... وأبناء القبيلة كل منهم مشغول ببلائه ، وقد اختلط الحابل بالنابل ،
فكانوا في مثل يوم المحشر الموعود .

وكانت الكلاب تنبح شاعرة بالخطر نبيحا صاخبا يبلا الجو .

وحينئذ كان بداي يحكم لثامه شدا ، ويتكعب بندقيته ، ويشسر عن
ساعديه ، ويبادر لنجدة هذه الاسرة وعونها . وأقبل على الام الذاهلة فتناول
منها طفلهما فخفف عنها حملها الثقيل . وحسبه جسام ، وقد حانت منه التفاتة
اليه في الزحام ، واحدا من أبناء عمه ، فخاطبه مرشدا ومشجعا :

« دونك السد ! »

وكان السد الممتد على طول النهر والمؤدي الى قرية قريبة ، الطريق
الوحيد الذي لجأ اليه القوم طلبا للنجاة من العرق لقربه من بيوتهم وارتفاعه
عن السهل المنبسط الذي أخذ الماء يغمره شيئا فشيئا ...

واذ تخلصت زوج جسام من وليدها ، واطمأنت لنجاته ، استطاعت
سحب البقرة وراها ، واستنقاذ ما حملت على ظهرها من متاع البيت .
وحملت أخته أمها العجوز . وبلغوا يخوضون الماء المتدفق خوضا ، معه ،
وهو حامل طفليه . واستعدوا ليمشوا وراء قافلة القبيلة التي رحلت من
مستقرها وقد مسها ضر أليم . وأقبل أثرهم الرجل المثلث حاملا الطفل الصغير
فأنزله الى الارض ، واقترب حتى قابل جساما فحل عنه لثامه ، ونظر اليه ، في
ضوء القمر ، محمقا كأنه يقول له :

« هلا عرفتي ؟ فأنا خصيمك طالب ثأر عباس ؟ »

ولبثا دقيقة ينظر الواحد منهما الى الآخر ، وقد أوشكت أن تشور فيهما
نوازع الرغبة في الاقتتال ، هذا ليدافع ، وهذا ليثأر وينتقم .

ونحى جسام طفليه عنه في تأن وحذر ، ومد يميناه الى خنجره • بيد أن
بداى أخلف ظنه فما زاد على أن هز رأسه ، وقال له بصوت أجش :

« اذهب الان ! •• مع السلامة •• خلصت •• ولكن لا تنس أن لك
ساعة أخرى ! »

وانكفأ الى زورقه مسرعا ، تاركا نأره^(١) وزوجه التي اتبعت اليه آخر
الامر ، في حيرة واستغراب •



وآب بداى الفايز الى قبيلته ساكناً هادئاً ، فخوراً بالفعلة التي لم يفعل
مثلها أحد قبله ، اذ أنجد أسرة حين لم يكن له من انجادها بد ، واستحيا
لاجلها ، ولو الى حين ، نفساً ما كان لها الا ان تموت •

— ٤ —

ومر عام على هذا الحادث ؛ فعادت قبيلة جسام الى أرضها الاولى ، بعد
أن زال عنها الماء الذى غمرها أشهراً ، وأنشأت لها سداً جديداً على ساحلها ؛
ثم ارسلت رسلاً الى القبيلة الثانية يسعون بين بداى وجسام بالصلح ،
ويحملون دية القتيل مالا وامرأة ، وهي أخت القاتل ، فتزوجها بداى زواج
« الفصل » على سنة القبائل الموروثة وتقاليدها •

ولم يعد أحد يجرؤ ، بعد ذلك ، أن يعير الفتى بأنه نام عن نأره نوم
الجبان الذليل •

(١) نأر الرجل : قاتل قريبه •

ابوجاسم (*)

- ١ -

حدثني صديقي ابراهيم والذكري تؤلمه ، قال :

« كنت في المدرسة الثانوية - السلطانية العثمانية - قبل احتلال الجيش البريطاني بغداد بسنة أو أقل ، أصاحب طالبا من ذوي الذكاء الواعد والخلق الجميل . كنت في السادسة عشرة من العمر . وكان هذا الصديق - واسمه علي بن حسن - خير عون لي في المدرسة . وكنت أعجب بذكائه ... وكان جريئا يسمو على أقرانه بكثير من المزايا والصفات .

وكان الى جانبنا طالب آخر يكمل لنا « ثلوثا » مقدساً بالأخاء والود أسمه عبد العزيز . وهو من أبناء الطبقة العاملة . كان أكبرنا سناً ، وأقلنا تهديبا ، وأجرأنا قلبا ، يقلدني وعليا في الاعتزاز والتفاخر برجال التاريخ الاسلامي العربي : أجدادنا الأولين . وذلكم كان ديننا في ذلك العهد : فجر الحرب العالمية الاستعمارية الكبرى وضحاها .

وكان أكثر حبا لبغدادنا وايعالا فيها ... يعاشر خارج المدرسة فتية من أبناء طبقته المكدودة فيشاركهم فيما يعتقدون من باطل العقائد والخرافات . وكان يرى - فيما يرى من غريب الآراء - أن القبعة العسكرية « الانورية » التي ابتدعتها الحكومة الاتحادية ابان الحرب لرجالها ولطلبة المدارس ، قبعة فرنجية حرام على المسلمين لبسها ، وأن رباط العنق رمز للصليب . ولم يلبس القبعة حتى آخر يوم من أيامه في المدرسة ، فكان الطالب الوحيد البارز من بين الطلبة بطربوشه الأحمر القديم . أما أنا وعلي فقد لبسنا القبعة تلك لاننا لم نستطع أن نشذ عن الجماعة شذوذه .

(*) نشرت بالرسالة في ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

وكان هذا الصديق الجريء يقضي أغلب أوقاته في منازعة الطلبة وتحديهم، فكنت أنصح راجياً منه أن ينصرف عنهم وعن مشاغبتهم ومنازعتهم الى التوفر على دروسه ، فما كان النصح يجدى .

وكان يؤسفني أنه عرف آخر الأمر بأنه شكس سيء الخلق ، وان كان في الحقيقة طيب السريرة خيراً . ولعلمهم كانوا يعيبون عليه كرهه للبس القبعة « الانورية » لغير ما سبب معقول . وكانوا يتخذونه وطربوشه القديم الذي أوشك أن يبلى هزواً ؛ وهذا ما كان يهيجه . ولم يزد عقاب المدرسة اياه على شغبه الا جرأة واستمراراً في الشغب والنزاع والخروج على « النظام » .

وكما كان يكره القبعة ، كان يكره الحكومة - الاتحادية - أشد الكره، لأنها حين اضطرت نار الحرب جندت أخاه الكبير وأرسلته مع من أرسلت من أبناء العراق الى سوح الوغى في القوقاز ، فققدت أسرته بذلك قوامها وسبب حياتها ، لانه كان قائماً مقام أبيه الشيخ الكبير الذي لا يستطيع عملاً ، وكان يحسب أنه لاحق به في العاجل القريب .

وظاهر أن هذا المسلك الذي سلكه عبدالعزيز يومئذ كان يجب أن يؤدي الى شر . وكان يجب ان يكون مصيره « الطرد » من المدرسة والحرمان من العلم . وكان متوقعا كذلك أن ينالني بعض الاذى من أجله ، فقد كان المدرسون والطلبة - الا القليل منهم - يناوئوننا معا ويكرهوننا ويعادوننا . . . واشتدت الحرب في العراق . وطغى سيل الغزاة الفاتحين . غلب البريطانيون ، وأصبحوا على أبواب بغداد ، فتكرت الايام للناس ، وجندت الحكومة طلبة الصفوف العالية ، وأكبت على طلبة الصفوف التالية الاخرى تعلمهم كما تعلم الجند فنون الحرب والضرب ، وتقحمهم في أشق الرياضات العسكرية لتلحقهم بهم . وهنا كان صحبنا الطلبة جميعا - في مدرستنا - جنباء ، يملأ قلوبهم الرعب والخوف .

أما عبد العزيز فقد استيقظ في نفسه من جراء ذلك شعور بغض للمدرسة، بغض للخروج مع الطلبة - على ما كانوا يفعلون في كثير من الاحيان - الى استقبال القواد وحضور الحفلات الحكومية ، بغض لمدرس الرياضة الذي أرسل الينا آتئذ من الجيش ، وهو ضابط فظ بدين ، ذو شاربين غليظين منتصبين كالصياصي ... وكان يخشاه .

وكان - من بعد - حين يخرج من بيته صباحاً يتلصقاً في الذهاب الى المدرسة ، ويحاول ان يتمارض لكي ينقطع عنها أياماً قليلة أو كثيرة . كان يغادر البيت كل صباح وكأنه - كما كان يقول لي - يساق الى سجن لا الى دار علم وعرفان .

وجاءنا اذ ذلك مدير للمدرسة جديد . وهو رجل عنيد ، كان يحسبنا مجموع دمي من الشمع يسهل عليه اذابتها ثم صنعها ثانية على الفرار الذي يريد . وكان أول من لفت نظره اليه من الطلبة : عبدالعزيز ، فقد أعار سلوكه اهتمامه وعنايته ، وراح يرهبه ويعالج تأديبه وتهذيبه بالعصا . وأذكر أن طالبا من أبناء الضباط الذين جاءوا بغداد في أواخر أيام الحرب من البلاد الشمالية ، سمعه ذات يوم ثم عبره بالعامية والفقر ، فقابله بالصفع والضرب الموجه المهين ، فما كان نصيبه من المدير الا الاهانة و « الطرد » . وبذلك أسدل الستار على حياته المدرسية ، وألجىء الى التشرذم والعطلة ! وأسفاه !!

ولقيته بعد ذلك فألقيته جزعا . وقص علي قصة النزاع بينه وبين ذلك الطالب - ولا اذكر اسمه الان - قال :

« غادرت البيت صباحاً وأنا كئيب محزون ، لان أمي التي لا تفتأ تذكر أخي الجندي ليلاً ونهاراً بالحسرات والدموع ، وأبي المقبل على آخرته غير آسف على شيء في الدنيا ، وهو يحبه حبا جما ، لم يصل اليهما كتاب منه منذ شهر وبعض شهر ؛ فأفرغ ذلك صبرهما بل أفقدهما الرشد . واذا كنت

أمشي في الشارع فاجأني خمسة من الشرط يعدون وراء رجل علمت من بعد أنه جندي هارب • وصرخ احدهم قائلاً : « خائن ! قف ! » ثم أطلقوا عليه الرصاص من بنادقهم فأردوه • وسقط تبعا جريحا يلهث وعيناه تنظران الى السماء • ووقفت على مقربة منه أنظر اليه في لهفة وفرق ، وهو ملقى وقد اصفر لونه وجللت وجهه سحابة من قتر الطريق ، وتشنجت أعصابه من الخوف ، وأقبل الشرط يتراطنون يريدون أن يحملوه ••••• أعرضت عن هذا المشهد الذي ألمني أشد ايلام ، وانصرفت صامتا ، ولحظت ان الشمس تسلا الارحاء نورا ، فعرفت انني تأخرت عن موعد الدرس الاول • وكنت أمشي متباطئا ذاهلا ، ثم اتبعت فإذا أنا على باب غرفة صفي ••••• طرقت الباب طرقا خفيفا مرة فمرتين وحاولت الدخول فجابهنني المعلم ناهرا اياي بقوله : « أخرج ، أخرج ، اندفع يا حمار ! » أو كنت حمارا في اسطبل أيه ؟ وكنت حتى حين خروج الطلبة من الصف اثر الفراغ من الدرس نائرا مهتاجا ، فلقيني ذلك النذل فلاغاني فلكمته ، وماذا كان يجب علي أن أفعل ؟ وسحقا للمدرسة بعد أن ينالني من هؤلاء فيها أذى ! » •



وقال صديقي ابراهيم وقد حدثني بحديثه هذا بعد انتهاء الحرب ومرور سبعة أعوام على نهايتها :

« ثم احتل البريطانيون بغداد ، وفرقت صروف الزمن بيننا - بعد ذلك - اذ رحل بي أبي وأسرتنا كلها الى الحلة ، فأقمنا فيها قرابة سنين أربع ، فلما عدنا اليها لم أسمع لصاحبي عبدالعزيز ذكرا • »



وكتبت هذا الحديث لظرافته عام ١٩٢٩ • ثم مضت على ذلك أعوام ثلاثة ، فبدا لي يوما أن أسأل ابراهيم :

« هلا بحثت في هذه المدة الطويلة الماضية عن رفيقك القديم ؟ رفيق المدرسة وطريدها عبدالعزيز ؟ »

فأجابني وهو شاعر بما يتضمنه سؤالي من ملامة :

« لقد بحثت عنه في الايام الاخيرة ، فبلغني من أنبائه ، أنه كان هاجرا قبل مدة غير محدودة بالضبط الى البصرة ، ليتكسب فيها ويعيش عاملا لدى احدى الشركات الاجنبية ، فانه أضحى في غفوان شبابه ، وبلغ السن التي يستقل المرء فيها بالكفاح والجهاد في سبيل الحياة ، وان أخاه الجندي المحارب لما يعد ، وهلكت أمه ومات أبوه فقيرا معدما ، لم يترك له الا ديونا ودارا ، بل كوخا باعه الدائنون ، ولم يف ثمنه بعشر معشار تلك الديون . ولم يكن متعلما حرفة ، ونسى ما تعلمه في المدرسة العثمانية من مبادئ العلوم . وكان يزاول بعض الاعمال الشاقة التافهة التي يزاولها العمال الذين هم من أدنى الدرجات ، ولا يأخذون عليها أجرا يستحق ذكرا . هذا كل ما سمعته عنه . ولا يعلم أحد على التحقيق أذهب الى البصرة أم الى جهة أخرى . »

قلت :

« أولا ترى من واجب أوفاء اتمام البحث عنه لاستئناف الصلة به والوقوف بجانبه في معترك الحياة ، في هذا المجتمع الذي طغت فيه المادية والانانية والفردية ، المجتمع الجائر القاسي الذي لا يرحم الفقير ، وأن تنفعه وتعينه على اكتساب الرزق ، فانك موسر بعض اليسر » .

قال :

« وهل تحسب عبدالعزيز المشاغب في المدرسة ، الذي لم يعرف سوى عزة النفس والاباء في أيامه الماضية عدة وخلقا ، والذي لم يستعن أحدا من صحبه يوما ، لو وجدته الآن لمدي ولا مثالي يده في ابداء حاجة واستعانه ،

مهما كان معسرا تنقض ظهره الشدة والفاقة ؟ كلا . أنا لا احسب ذلك ؛ بل احسب أن تلك الفترة من أيام مراهقته وفتحة شبابه ، كانت مقدمة وعنوانا لما كان مقبلا عليه من أيام شبابه ورجولته » .

ثم سكت وسكت .

وبعد شهرين أو ثلاثة أقبل علي يزورني في داري ، وما عثم أن راح يحدثني عن رفيق صباه عبدالعزيز الذي عثر به آخر الامر فقال :

« ولقد وجدته آخر الامر وصافحته ... ولكن أين ؟ احزر أين وجدته ؟ في السجن ! ولا تتغرب ؛ فقد ذهبت يوم الجمعة - أمس - الى هناك لازور صديقي الصحافي عبدالصمد الذي سجن متهما بنشر ما لا تجيز الحكومة نشره ، واذ كنت أدخل الحجره التي يسمح بمقابله السجنى فيها ألفتني أمامه وجها لوجه . وكان يكلم زائرا غريبا يرتدي بزة العامة ، ربما كان صديقا له . ولم أعرفه الا بعد تأمل فيه قليل ، لان سحته قد غيرتها السنون ؛ وحيته فحياي وبسم لي ، ثم سألني : « أوقد نسيته يا ابراهيم يا حبيبي ، يا رفيق الايام الحلوة التي لن تعود ؟ وهل نسيني على كذلك ؟ وكيف هو ؟ ... الخ » ودمعت عيناه من شدة الفرح ببقياي ، وكان طليقا جريئا ، كما كان في المدرسة ، في محادثته السجنين وصاحبي الصحافي عبدالصمد الذى لم يكن يعرفه من قبل . ورأيت أن لهجته في الكلام أصبحت عامة سوقية خالصة ، تميزها التعابير والالفاظ التي تجري - عادة - على السنة هؤلاء الذين عرفوا بفعال « الشقاوة » - كما نسميها - التي تظهر فيها ، في أغلب الاحيان ، شجاعة نادرة في غيرهم ، و « أريحية » ونجدة وكرم على فقر ، وجرأة في اجترام الجرائم ، وكرهية شديدة لكل من يمت الى الاجنبي الغاصب بصلة باقية من عهد الاحتلال المظلم ، على ما تعرف . ولا أدري كيف أدركت أنه محكوم عليه بعقاب السجن لاجرامه جريمة قد لا يفخر المرء بهه

عندنا ، فلم أشأ أن أسأله عما أدى به الى حاله تلك . ومن الغريب أنه لم يكن يرى في أمره غرابة ؛ وكأنه كان معلوما عندي ما اجترم فلم يخبرني به ؛ وسرعان ما راح يودعني ، اذ كانت الفرصة المسووح بها لزيارة السجن ضيقة جدا ، متسنيا أن يلاقيني عقب خروجه من السجن ، و « أن يكون تحت النظر » على حد تعبيره الشعبي الرمزي الجميل ، « فانه لا يزال على وده القديم ، وذلك الصاحب الذي لا ينسى الصحب على طول الزمان ، ولا يرضى عن الوفاء بديلا » وترك المجلس لي ولصاحبي منصرفاً عنا في لباقة وحسن أدب، كما ينصرف الواحد منا عن اثنين لديهما سر ، ولم يكن لدينا - في الحقيقة - سر غير أمره . فانتني كنت في أشد الشوق الى سماع قصته ، وبتعبير أصح : قصة جريسته من صاحبي عبد الصمد ؟ وقد احجمت عن سؤاله عما ادخله السجن ساعة لقيته لكي لا أجرح منه شعوراً طالما كنت أقدره ، بل أقدمه في أيامنا التي خلت ، في أزهى زمان وأحلاه ، زمان الدرس والتحصيل . وقال لي عبد الصمد : « هذا فتى باهر الخصال يا أخي ، ولا أرى فائدة في ان أقص قصته عليك في اسهاب وتفصيل ، فهو الآن مجرم محكوم عليه بالسجن ثلاث سنين لأنه جرح رجلا من الاجانب ، كان يحترف عملا فنياً لدى شركة أجنبية في البصرة ، وكان عبدالعزيز « يشتغل » هناك بيده كعامل لا شأن له ، ورئيسه ذلك الاجنبي ، على انه كان شخصا مخيفا بين العمال، خشن الطباع، شرسا، كذلك قالوا عنه . وليس في حادثته التي طوحت به الى السجن ما يستغرب منه ومن أمثاله في العراق اليوم ، فقد اتتهره ذلك الاجنبي ذات يوم ، وشتمه واهانه لأنه أخطأ في عمله بعض الخطأ ، فما كان منه الا أن قابله اهاتته اياه بطعنة بسديته ، فجرحه ، ولم يصب منه مقتلا . أما هو فما يزال يذكر الحادثة غير مكترث بما صار اليه من جرائمها ، لانه يرى لها سببا من أسباب التفاخر بالجرأة والشجاعة ، ولا سيما أن المجنى عليه اجنبي من بقايا الذين جاءوا في الحرب في « الحملة » على العراق ؛ وهو يقول لنا عنه في

سداجة ويكرر قوله مرارا : « ليته كان من أبناء أمتنا أمثالي ، اذن والله لما جرحته ، لما جرحته » ؛ فانظر الى رقة شعوره وشدة كرهه للاجانب الذين أرهقوا البلاد في الحرب الاستعمارية الكبرى وبعدها ... والعبرة ليست فيما حدثتك ، بل فيما أرى عند هذا العبد العزيز الذي لقبوه في السجن بأبي جاسم كما يلقب العراقيون عادة فتيانهم ذوي « الاريحية » والنجدة والشجاعة ، مجرمين كانوا أو غير مجرمين ، من فلسفة القوة والامل والتفاؤل والاستهزاء بصروف الحياة ؛ فاتي - وقد خصني بصادقته وترحابه منذ أن دخلت السجن - قد أسفت على حالي كثيرا ، وطالما اسودت الدنيا في وجهي ياسا وتشاؤما ، فاذا سمعت نصائحه الساذجة في ظاهرها ، التي كان يديها لي احيانا ، وضحكاته ذات الرنين العالي ، وأغانيه الشعبية التي لا يفتأ يرسلها من نفس زاخرة بالاحلام والامال ، تفرجت نفسي من اليأس ، وتبددت عني سحب التشاؤم والاسى ؛ فوالله ما نفعني في هذه الايام العابسة الكتب وفلسفاتها المهذبة المصقولة ، بقدر ما نفعني نصائح وضحكات وأغاني هذا الصديق الجديد في السجن ، بل في مدرسة الرجال والابطال ، على ما يسميه ؛ وأنا ناقل لقوله فما علي من لوم ، فالناس تسمي السجن مدرسة المجرمين » .



قال محدثي ابراهيم :

« ثم زائلت السجن وكلني أسف على حياة صاحبي القديم ، التي أحسبها ضائعة بعد هذه الحال التي صار اليها ... وفي نيتي أن أزوره يوم الجمعة القادم » .

قلت وأنا مصغ له في غير أسف :

« ولكن عبدالعزیز أبا جاسم ، وهو جدير بلقبه هذا ، كان شريفا من قبل ، شريفا من بعد ؛ ورب مجرم معذور ؛ فاما أنه كان فقيرا وسوف يغدو كما كان ، فما في الفقر من عيب . وما ضاعت حياة من كان مثله اباة وعزة نفس ... »

الدفتر الأزرق (*)

- ١ -

« لا أدري هل يعد المرء اذا كان حر الضير في البلاد التي ترفع رجال الفن والادب على ذوي المناصب والوظائف ، الفترة التي يقضيها في الوظيفة مضطرا ، من عمره الذي يهنأ ويسعد فيه بالحرية التي يفسدها جوها الخائق المغلف بالقيود والعبودية ، والسلوك المصطنع وآداب كلها رياء في رياء ؟ »

سؤال جال في خاطر علي بن غالب « الكاتب الاول » في ديوان الحكومة ، في العمارة ، الذي كان يلقيه بعضهم جادا وبعضهم هازلا بشاعر الفلاحين والشباب ؛ وهو يستقبل نسائم الصباح الرقيقة ذات الاريح ، في يوم من أيام الربيع ، عام ١٩٣١ ، ويمشي الهوينا على ساحل دجلة ، وييده كتاب تسلمه في ليلته الماضية ، من الحكومة ، تعلمه فيه بأنه قد أعفي من خدمتها أجابة لما طلب منها من قبل : كتاب كان يحسبه صك حرته التي رجا دوامها الى يوم الممات .

(*) نشرت بمجلة الحديث في آخر سنة ١٩٣٥ بالعدد الممتاز الذي هيء لاول سنة ١٩٣٦ .

وكان علي بن غالب فتى عصبي المزاج ، ذكي الفؤاد ، مرهف الحس ،
 في الثلاثين من العمر ؛ متحدرا من أسرة قديمة في العراق ، معروفة بنزعتها
 الدينية ؛ قننت شماله دهرا ، ثم سكنت بغداد وأنشأت طفولة فتاها - هذا -
 في بحبوحة من العيش فيها ، اذ كان أبوه قاضيا مدنيا ، من خيرة قضاتها ،
 قبل احتلال البريطانيين اياها . وكان برا به ، بدأ يعلمه على قدر ما يستطيع
 من التعلم في مدارس ذلك العهد ، ويعدده للرقى وارتفاع المنزلة ، وكأنه كان
 يعده لفتح الدنيا ! وبنى على حبه قبة من الاماني . ثم مات بعد ستين من
 تأريخ الاحتلال . وكما اختل نظام حياته المدرسية كأبناء جيله جميعا ،
 باختلال نظام الحياة الاجتماعية في الاحتلال ، اختل نظام حياة أسرته بموت
 أبيه ، وطحنها الفاقة وأرزائها ... وكان احتواء عالم الخدمة الحكومية في
 أدنى مراتبها ، فأفنى فيها عقدا من شبابه ، منتقلا من بلد الى آخر ، جاييا
 فحاسبا فكاتبا ، حتى يومه الاخير الذي صمم فيه على اغتزالها ، والشخص
 الى العاصمة ، للعكوف فيها على الأدب الذي شغفه حبا ، وقرض الشعر ،
 ونشر صحيفة أدبية خالصة ؛ جمع لأجلها في أكثر من عشرة أعوام - من أثمان
 لقيمات استفضلها من طعامه ولذائذ ومتع كثيرة حرم نفسه منها ، فعاش
 عيشة جافة خشنة أنكر فيها حتى الحب الطاهر البريء مع فرط شاعريته وميل
 الشعراء أمثاله ، معظمهم الى اللهو والعبث والشرب من كأس الهوى حتى
 الثمالة - « مالا » اعتقد انه يكفي لنشرها ويزيد ؛ وانه مستطيع العيش من
 أرباحها ، ولو لم تزد على دينارين كل شهر ؛ كما جمع له جملة كبيرة من الشعر
 الذي نظم ، حافلة بقصائد الحماسة ، وأحلام كأحلام الفلاسفة ،
 وأماني الجمهور ، ومثل الحياة العليا ، على ما كان يتصورها ويصورها
 ويؤمن بها .

« ألم يعش الكاتب آرثر غريفيث مؤسس الشين فين ، وهو يصدر الصحف
ويجاهد في سبيل ايرلندا ، هو وأسرته بستة جنيهات كل شهر ثم بجنيهين
اثنين ، ومات بطلا عظيما على فقره ؟ وما قيمة هذه الحياة التافهة في الوظائف
التافهة بين ناس تافهين ؟ » •

ذلكم سؤال آخر جال في خاطره • على أن هذا السؤال كان يتضمن
جوابه قاطعا ، من وصف « التافهة » الذي كرره مخاطبا نفسه ، ثلاث مرات ،
للحياة وللوظائف وللناس ، ويقصد بهم من كانوا أمثاله من خدم الحكومة
كبارا كانوا ذوي القاب وفخفة أم صغارا •

« وحسنا فعلت » •

الى هذه العبارة تناهت أفكاره متسلسلة في منطق رآه محكما مقبولا ،
وقد أدى به المسير الى سوق فيه خان يستأجر المسافرون منه السيارات التي
تقلهم الى بغداد ، وكان معتزما السفر اليها بعد يومين • وقضى حاجته التي
قصد الخان من اجلها ، ثم آب الى بيته في ضاحية البلد ليزم حقائبه ويجمع
متاعه ، ولم يكن عجلا ، وكانت أوبته في الطريق عينها التي جاء منها ، فحاذى
ساحل النهر مرة ثانية ، والقى الى الساحل الثاني الذي نبتت واكثت فيه
غابة جميلة من شجر الحور والغار ، ثم الى البلدة ، نظرة مودع راحل الى لقاء
الشمس ! وعادت أفكاره اليه متسلسلة من النقطة التي انتهى اليها :

« أجل حسنا فعلت • • وهل تهمني وعود صادقة أو كاذبة ينثر زهرها
في طريق مستقبلي ، الرؤساء ؟ وعود بأنني سوف أكافأ بمنصب غير صغير
جزاء خدمتي الطويلة في الدولة ! المنصب ؟ »

نطق بكلمته الاخيرة بصوت ، مع أنه كان خفيضا ، كاد يسمعه المارون
فى الطريق ، وقد ملئت نفسه اشمئزا واحتقارا • وقفى على ذلك :

« ولكن المنصب غير الصغير يا هؤلاء سهل نيله على الاخرين الذين تسند
ظهورهم رجال من ذوي السلطان والجاه ، ومن لهم أخلاق وصفات لا أعرفها
ولا تعرفني •• وماذا بعد لو بلغت درجة من سلم المناصب العليا ، ورحت
فى هذا المجتمع الحادث بارستقراطيته الهزيلة المستعارة ، الكوكب الساطع
والرجل المحسود؟ ماذا بعد؟ أفحسب الانسان فى الدنيا الصعود على الاكتاف
فتعنو له الرقاب فى سني العمر المارة مر السحاب ، الزائلة بزواله من عالم
الاحياء؟ أم أن هناك شيئا آخر : مجدا خالدا غير مجد التسلط والحكم ؛
مجد الخدمة فى سبيل المصلحة العامة والتبريز فيها عن طريق الآداب مثلا،
والتضحية لاجل الخير والحق؟ وسحقا ! »

قال كلمته الاخيرة شديدة متفجرة من أعماق قلبه :

« سحقا لهذه البيروقراطية التي أرى بوادر الصبوة اليها من بعض
شباب الجيل الجديد ، أسوة بجيل مخضرم ، وجيل قبله من عبدة المناصب
والجاه الآتي من سبيلها ، والالقاء » •
ومضى فى منطقته هذا ، وهو ماض لطيته ، يتمنى أن يتم له النصر
فيما اتوى •



ان طاعة عمياء ، بل عبودية مطلقة فى عقد من السنين ، فى دواوين
الحكومة ، لم تقو على أن تهزم نفسا حرة شاعرة بطبيعتها ، قوية بوجدانها
وانسانيتها ؛ ولم تمت أملا نشأ لدى صاحبها هذا الفتى من نظره ومطالعاته

ليلاً ونهاراً ، في الكتب والدواوين ، وتلاواته تراجم الرجال النوانغ والابطال
في أمم الارض ، بأن يكون له في الحياة مجراهم ، وأن يكون شاعراً ، ولكن
لا يعبث ولا يتغزل ولا يمدح ولا يهجو ، بل ينطق بروح الشعب الكريم .
وكان ما فعل يومئذ تكرارا لما فعل قبل ذلك بأعوام عدة ، تقادمت في
كتاب تأريخه في الحياة .

- ٢ -

في أواخر ايام الحرب ، حين بدأ احتلال البريطانيين العسكري لبغداد ،
وجاء قائدهم يزعم أنهم جاؤا محررين لا فاتحين ، وشمل التغيير كل ظاهرة
من ظاهرات الاجتماع ، كان علي بن غالب - وهو يومئذ قد ذرف على الثامنة
عشرة من العمر - في دهش مما رأى من عناصر القوة المادية عند هؤلاء
الغالبين ، وفي عجب من قائدهم ومما زعم . وأضحى على اتصال بانباء العالم ،
فعرف شيئا جديدا مسهبا عن الثورة التي قامت في الحجاز ، ولم يكن يعلم
عنها قبل ذلك الا نبا مقتضبا من أبناء الحرب المختلفة ؛ ثم قرأ مما أتيح له أن
يقرأ من الكتب ، كتاب « ثورة العرب » الذي جاء به الدعاة بدعايتها ،
بغداد عقب احتلالها .

لقد كان هذا الفتى نشأ وشب على الشعور الوافر بكيان العرب وكرامتهم
ومنزلتهم في التاريخ ، كما نشأ وشب على التعاليم والآداب الاسلامية . وكان
يعظم رجال العرب والاسلام الغابرين . وأن قرأ كتاب « ثورة العرب » كاد
يجن حماسة فيها وايمانا بها - كما جن حماسة فيها وايمانا بها كثير غيره من
الشباب - بدون ادراك لما كان يكتنفها من أحييل السياسة الاستعمارية ، ولا
بحث عن جميع أسبابها ومسببيها ، فاعتبرها فتحا جديدا في التاريخ العربي
الاسلامي الحديث .

واستأنف دراسته للعلوم ، التي بدأ بها في المدارس العثمانية • لم تكن في المدينة مدرسة يجدر به دخولها للدرس والتعلم فيها • كان فيها مدرسة - شبه مدرسة - للمهندسة ، ومدرسة - شبه مدرسة - للمعلمين ؛ دخل الأولى ثم تركها ثم دخل الثانية ؛ ولكنه لم يكن مستطيعا الانقطاع اليها كل الانقطاع ؛ كان كتاب « ثورة العرب » على رايه أرجح من كتب التريية والتعليم وأعظم قيمة وأجزل خيرا •

وكان يتمنى لو يجد السبيل أمامه مهدة ، فيمضي الى حيث يعمل مع العاملين على اعلاء شأن « القضية العربية » في العالمين ، التي جعل كل يؤمل فيها حرية تامة للعرب في بلادهم ، ومصيرا رائعا زاهرا كانت تستقبله الاجيال الماضية منذ سبعة قرون مليئة بالاحداث الدامية والمصائب والخطوب •

وتخرج في المدرسة بعد مدة قصيرة عينتها لها حكومة الاحتلال ، فنصبوه معلما في مدرسة ابتدائية ؛ فكان له في الدروس التي أنشأ يلقيها ، وفي اتصاله واجتماعه بالمعلمين مجال واسع للدعاية للقضية •

وظل على ذلك قراب العام ؛ ثم لم ينته الى نتيجة مجدية ترضيه •

وكان بعد ذلك قلقا لا يستقر على حال ؟ سرعان ما أساء الظن ، كما أساء الظن أمثاله من المواطنين ، بالبريطانيين ، والحلفاء جميعاً ، الذين وعدوا العرب بما وعدوا من التحرير والخلاص ، ولم يتحقق من وعودهم شيء • وكان يتشاءم بالحوادث الجارية في العراق ، وهو يرى الحكومة العسكرية مسرفة في الحكم على غير قاعدة من العدل المدني المعروف • ما كان يحسب من قبل أن العقبي ستكون كما كان يرى • وكان في بغداد السجني المهرقون من أبناء الشعب الذي ظلم ؛ فكان لقاء الموت اهون عليه من أن يشهد أولئك السجني المهرقين يكسرون الصخر على قوارع الطرق • وكان يطرق سعه في تلك الأيام أن رجالا من المواطنين المغامرين يؤلفون جمعية سرية لبث الداية « للاستقلال »

والسعي في سبيله ، فكان يؤمل أن يعرف واحداً منهم يسلكه فيها . وأخذ ينشد مع أمثاله أبناء الشعب يوماً للخلاص . وعزم على ترك التعليم في المدرسة مع علمه أنه سوف يغدو عاطلاً . ثم فعل ما عزم عليه .

ولم يهتد الى الجمعية الاستقلالية التي كانت تعمل في خفاء شديد .

ثم صح عزمه على الذهاب الى حيث يعمل مع العاملين على اعلاء شأن القضية العربية في العالمين . ورأى مع ذلك واجباً عليه العودة الى طلب العلوم ، العلوم العالية ، لكي ينفع الأمة أكثر مما ينفعها معلم صغير . ولم يكن ذلك متيسراً له في بغداد .

وكانت أيامه خلواً من اللذة والسرور

وحدث له في تلك الأيام ، أنه خرج ذات مساء من بيته - خلافاً لعادته - يتنزّه ، وكان محتاجاً الى التنزه لأنه نحل وأضعفه الهم المقيم وما تحملت نفسه من آلام جيله المرزوء ، فمر به جنود سكارى فركله واحد منهم ، كما ركل شيخاً واهنا مستطرقاً فسقط على الارض وكاد يغمى عليه . قال :

« يا ويلتنا . لقد بلغنا هذه الدركة الهاوية من الذل وهوان الاستعباد . كلا . حرام علي أن اتنسم نسائم العراق بعد اليوم . ولأهجرنه كما هجر الاندلس أبناءؤها عقيب أن فتحها الفرنج . . . وسواء أذهبت الى مهبط الوحي أم الى بلاد أخرى فان في أرض الله الواسعة موئلاً لي ولأمثالي . . . »

وعرف أبوه عزمه هذا فأراد على الاثثناء عنه رفقاً به واشفاقاً عليه ؛ ولكن هيهات ؛ فقد حال الفتى ، فكان قطعة من النار المضطربة كرهاً للمستعبدين القاهرين وصلابة وعناداً .

وكانت حاجته الى المال للاستعانة به على السفر عقدة العقد التي أعياء حلها . وعظفت عليه أمه أن رآته مصراً على ما اعتزم ، فباعت حلياً لها على غير

علم من أبيه ومنحته الثمن ، وكان قدراً قليلاً من المال الذي أراد واحتاج إليه .

وكانت محزونة في الايام الاخيرة التي اقتربت فيها ساعة فراقه ، لا تخلو بنفسها الا ويغلبها فيتملكها البكاء . وكان الفتى ، كذلك ، محزوناً لا يظن ان له الى الهجرة وفراق موطنه المقرن بأصفاده . كان يتنازعه عاملان : عامل حب الوطن والأهل الذي يدعو الى التريث والبقاء ، وعامل الرغبة في السفر ، الى حيث يكون حراً يطلب العلم ويعمل في سبيل القضية العربية ؛ وقد غلبه العامل الثاني ، فسافر على طريق البصرة على نية السفر منها الى الهند فالحجاز ، او مصر اذا وجد سبيلاً اليها ، كما وجد سبيلاً اليها من قبل كثير من طلاب الحرية ودعاتها .

يقول « فرتر » في رسالته الاولى من رسائل « آلامه » :
« لشد ما أبهج نفسي وأثلج فؤادي أنني سافرت » ؛ وكذلك كان يقول ابن غالب صبيحة اليوم الثاني من سفره .

وحل البصرة بعد أيام ثمانية ؛ فسرق اللصوص دراهمه وبعض ثيابه ومتاعه في الليلة الاولى التي قضاها في فندق من فنادق فرضتها . ذلك ما كان مخبأً له في لوح القدر ولم يكن يحسب له حساباً . ولقي بعد هذه الحادثة أذى وعناء ، وغيبت وجهه سفره وصرفته عن غايته التي هاجر من أجلها ؛ فقد بقي محروبا وجاع أياما ؛ ثم اضطر الى العودة ، وقد حطمت الحاجة الملحة الى المال أمله الذي كان يرجو تحقيقه .

وبعد أشهر قليلة توفي أبوه . . .

ثم زال عهد الاحتلال البريطاني العسكري بحدوث الثورة في العراق ، ولقد آزر القائمين بها كجندي صغير مجهول .

ثم . . . ثم في غمار من البأساء والرزايا « دخل خدمة » الحكومة العراقية التي قامت بعد الاحتلال في ظل الانتداب ، اذ ضاقت به سبل العيش .

وتلك أيام خلت في تأريخ حياة ابن غالب ، لم يبق منها الا الذكريات •
وكما ترك مهنة التعليم من قبل ، ترك خدمة الحكومة ؛ وكما حاول السفر الى
الحجاز من قبل ، حاول السفر الى بغداد ؛ وكما أراد أن يخدم قضية استقلال
العرب من قبل ، راح من بعد يدرس قضايا المجتمع وشؤون الناس ، وينظم
الشعر وهو مندفع بحب التضحية ولو بالنفس في سبيل المصلحة العامة ،
والحق ، والخير ، حين لم يلف حوله الا الانانيين ، وطلاب المادة والمنافع ،
ومآرب الدنيا •



كان الذين يعرفون ابن غالب من الموظفين وغيرهم يلقبونه جادين أو
هازلين بشاعر الفلاحين والشباب ، لانهم كانوا يعلمون انه ينظم الشعر فيما
يجب أن يكون من أغراض الشباب في يقظته ، وفي الحث على تحقيق نهضة
الفلاح واصلاح حاله ، وان لم يكن ينشر منه شيئاً •••

وقضي الامر أخيراً ، فجاء الفتى العاصمة التي كان يحسبها « العاصمة »
غير مقدر ما كان أمامه من المصاعب والعقبات ، للاشتغال بالادب في سبيل مبدأ
وعقيدة ، في مجتمع أخذت تسوده طبقة تعلي المادة على كل مثل ومعنى ، وتبعد
العجل الذهبي ، فكادت تنحل فيه الروابط الادبية الانسانية بالتنازع على
الحطام ؛ ولا حاسب حساباً لما سوف يجابه من عناء وأذى في نشر صحيفته
التي ساءها الشفق ، وآلى أن يصدرها كل أسبوع •

وكذلك ؛ فقد أدمت الاشواك قديميه ، وهو في المرحلة الاولى من
الطريق ؛ فأغلقت صحيفته التي أصدرها في اليوم الاول من أيار - مع أنها لم
تلاق من القراء اقبالاً كبيراً - اذ اتهمت بعد صدور العدد السابع منها بالزلل
عن الخطة الادبية المرسومة لها •••

وخسر معظم ما يملك من « مال » في « مشروع » الصحيفة . وأدرك أن حساب « البيدر والكيل » لم يواز حساب الزرع الذي زرع ، وسقام من دم القلب وماء العين ، ولم يجن من ورائه ثرا . على انه ، مع ذلك كله ، لم ينطقيء سراج الوحي في يديه ؛ فمضى قدما يقصد القصيد بين الفينة والفينة وينشره في بعض الصحف ، التي كانت تتقبله على أنه كلام مقفى موزون يصح أن يملأ من صفحاتها فراغا ، ليزجي قراؤها به وبما ينشره غيره مما يسمونه أدبا بعض أوقات الفراغ .

وكان يقيم في غرفة صغيرة في نزل مهمل صغير وكان ماله ينضب درهما تلو درهم ، وهو لا يبالي به وذوى غصن شبابه ، فكان يسرع الى الكهولة وتسرع اليه وأطلت عليه الفاقة بوجهها الكالح الكريه ولم يخطر بباله أن يستعين أحدا وأتى عليه عام طويل خاله دهرًا ليس له منتهى

- ٤ -

« وهل رأيت صورة « الفلاح البائس الصغير » التي نشرت في صدر جريدة الاهالي يوم الجمعة الماضية بعد الصور التي نشرت قبلها ، وفيها المناظر المؤلمة للبؤس والشقاء في بلادنا ، تنبيهًا للغافلين ؟ »

القي المحامي عبدالله الاشعري ، وهو صديق مؤازر لعلي بن غالب ، وان لم تتعد مؤازرته له القول والكلام المنسق الذي لا يبطن ايمانًا راسخًا بما كان يؤمن به ؛ القى اليه هذا السؤال وهما يتحاوران ، وقد خرجا الى الصالحية في أصيل يوم صائف ؛ وصادف يومهما مرور سنة كاملة على تأريخ صدور الشفق الذي زال وتلاشى في ظلمات الاقدار .

قال علي وهو ساهم يتملكه الاسى :

« لم تكن تلك الصورة بالشيء الجديد عندي • انها صورة للبؤس والشقاء ! وأني قد ألفت مشاهد البؤس والشقاء ، مذ عرفت الحياة في هذه المملكة ، التي تكتظ بها ، في بواديها حيث المنابت والحقول وأكواخ الفلاحين ، وفي قراها ومدنها : مواطن العاملين المتكسبين أرزاقهم نجوما ضئيلة وثمالات لا تكاد تسد الرمق صابرين ••• ألفت مشاهد هؤلاء البؤساء ، وقد آلتني كثيرا ، وأحزنتني كثيرا ، وقلت في بؤسهم وشقائهم شعرا كثيرا أرسلته في صحيفتي وفي غيرها ، على ما تعرف ، فما أفادهم ألمي ولا شعري شيئا ، وما أغناهم حزني فتيلًا •• فالفلاح ابن الشعب جاهل حاله اليوم ، جاهل ما يزيد له من خير • ولو هتفت به هاتف يعلمه تأويل ما لم يعلم ؛ لمنعه جهله من أن يفهم شيئا • وتلك هي معضلة المعضلات في هذا المخلوق الكثير عديده « القليل » بجهالته ، وغفلته ؛ أليس كذلك ؟ »

قال عبدالله :

« نعم • ان العلم خير من الجهل لهذا « السواد الاعظم » ، فانه هو الذي يرفعه الى مصاف البشر المدرك حقه ، العارف ماله وما عليه للمجتمع » •

قال علي :

« ولكن العلم ، أو التعلم لن يكون ممكنا له اليوم ولا في الغد ان بقينا على حالتنا الراهنة التي تعرف » •

أجابه :

« فماذا اذن ؟ أترى أن هذه الصورة التي نشرت في الاهالي لفلاحنا الصغير المظلوم لن تكون مفيدة كمسمار ، على الاقل ، ينفذ في رؤوس طال تحجر الادمغة فيها ، أو في صدور طال تحجر القلوب فيها ، عسى أن يحرك منها ساكنا فتلين بالرحمة ؟ »

قال علي وهو يقاطعه مستفهما :

« قلوب من تعني ؟ »

« لا أعني أحدا معينا ؛ ولعلي لم أحسن التعبير ؛ فان في النداء الذي

كتب تحتها لغنية وبلغة » •

أجابه وهو يتسم ابتسامه سخر :

« هذا ما توقعت • على أني أقول لك : ليست رحمة تلك التي تنتظر نداء ؛ وليس قلبا قلب الانسان الذي يرى الجائع الفقير البائس ، وهو الغني الطاعم الكاسي ، فلا يمدد يد المعونة اليه ؛ ويدرج أمامه الشقي المستلب حقه ، المظلوم ، فلا يسمح له دمة ولا بأسو له جرحا في القواد ، الا إذا ناديته مستنجدا مستعظفا ، وزججت في رأسه مسارا كمسار الاهالي ••• وبعد فأن النظام الاجتماعي فاسد يا أخي ؛ النظام هذا الذي يجعل المرء جائعا عاريا بدون ذنب ، وهو فوق ذلك يعمل ، ويزرع ، وينسج ؛ ويحيا في الكوخ القذر ، في ركامات من الجرائم ، وفي الادواء ، بدلا عن الحياة الموفورة مادة ومعنى • انني أعلم أن طبيعة هذا النظام الاجتماعي في الزمن الواعل في القدم ، قد استوجبت هذه الحالة السيئة حقا • وربما كان يبدو هذا النظام طبيعيا صحيحا لاجدادنا ، اما نحن : أنا وأمثالي فنراه اليوم غير صحيح ، فلا بد من اصلاحه بتغييره على عجل » •

أجابه صاحبه وهو يحاوره متظاهرا باخلاص النصيحة له مع الميل الى

التعقل والحكمة :

« غير صحيح ••• بلى ، ولكن كيف تغييره ؟ أقول : كيف يستطيع الاخ

تغييره على عجل - هذه هي المسألة كما قال شكسبير على لسان بطل من أبطال رواياته - لاصلاحه على ما يريد ، وهو النابت في غير تربته ، الصارخ في واد

سحيق منعزل بعيد عن يسمعون!؟ وهل نسي أو تناسى كيف ماتت صحيفته
في مهدها ، وتلاشت كصيحة خافته في عواصف الرياح ؟ »



« النظام الاجتماعي فاسد » هذا ما انتهى الشاعر اليه بعد عنائه المستديم ،
وشقائه وحيرته ، وصرخاته التي بثها في شعره ، الذي كان - مع اخفاقه في
عالم النشر - يؤمل أن يطبعه في كتاب ينشره كديوان . « فلا بد من اصلاحه
بتغييره على عجل » وهذا ما اعتزمه كفكرة ثابتة أفعت رأسه وألح عليها
وألحت عليه . « ولكن كيف يغيره ؟ كيف يستطيع تغييره على عجل لاصلاحه
على ما يريد ؟ وهل نسي أو تناسى كيف ماتت صحيفته في مهدها فتلاشت
كصيحة خافته في عواصف الرياح ؟ » هذا ما سمعه من صاحبه مرة ومرة ،
وراح يفكر فيه أياما وشهوراً فشهوراً ...



في ذات مساء - في يوم ثورخه في قصتنا أنه من أوائل أيام العام الثالث
لصدور صحيفة الشفق - نقلت سيارة المستشفى اليه شخصا جائعا مريضا
ناحل الجسم ، في أظمار بالية ، يهذي ويقول كلاما غير مفهوم . وذلكم كان
صاحبها عليا ..

وقال الاطباء عنه اذ فحصوه ودرسوا حياته الماضية : انه مريض بالتهافت
العصبي ، بعد جهاد فكري عنيف ، وسهاد طويل مبرح ، وخيبة أمل عظيم ،
ثم أنه مريض بجنون الفكرة الثابتة . وتحقق لهم أن هذا المرض موروث في
الاسرة التي نشأ فيها الفتى من جده لاييه ، وأن بنيته كانت تحمل استعدادا
شديدا له . وقد كان محتملا أن لا يصاب به لو لم « تسكره » النفاقة وتذله
عن العناية بصحة جسمه ، ولو لم يولع بالادب ولاسيما الشعر منه ولوعا

استنفد منه شعلة الحياة ، ولو لم يجاهد - منفردا - بصحيفته وبالشعر الذي نظمه بماء العين ودم القلب - مكلفا نفسه فوق وسعها - في سبيل ما كان يؤمن به ويراه دعوة الى « اصلاح » اخطأ في تقدير موعد تحققه ، فسحق الفشل نفسه سحقا .

ولم يكن في الناس من يعطف ويأسف عليه عن مودة ورحمة البعض الذين قرأوا شعره وأعجبوا به ، وحسبوا له حسابا في عالم الادب الحي الجديد .

وكان معارفه الاقربون من هؤلاء وغيرهم يجهلون في أيامه الاخيرة مكانه ، لانه كان هاربا من المدينة متخفيا عنهم في كوخ في ضاحيتها . ولم يجدوا وراءه - في ذلك الكوخ - سوى ديوان شعره مكتوبا في دفتر أزرق الغلاف كبير ، يقول في مقدمته : أنه يسميه « الدفتر الازرق » ويتخذ له اللون الازرق غلافا وشعارا لانه يرى فيه - في هذا اللون العجيب - رمزا للتناؤل بالمستقبل السعيد والرجاء ، وقصة أو تاريخ موجز للكاتب الايرلندي المجاهد الفقير « آرثر غريفث » وصورته في إطار أسود صغير .

لقد انطفأت شعة كانت تضيء .

وبعد ذلك ؟

بعد ذلك كان أناس من « حديثي النعم » بعد الحرب و « الاحتلال » ، من الفريق « الفرانكوفيل » والفريق « الانكلوفيل » ، الذين لم يكونوا يشعرون برابطة تربطهم بالناس وبأي مثل أعلى ، والذين اعتادوا أن يتأنقوا بالكلام وبيعوا غيرهم ، في الابهاء والمجالس والاندية ، حول اخواند الخضراء والصفراء « فضلا » و « زيادة من عقل » ، يزورون مستشفى الامراض العقلية أحيانا فيمرون به ، واذا يذكرون أمره يقول بعضهم متهكما :

« اليكم ما تفعل حرفة الادب : مثل الجنون ان لم يكن ذلك المرض
جنونا مطبقا » •

فيقول آخر متزريا :

« بلى ، وكان صاحبنا يريد بالشعر وقصائده أن يقلب الدنيا •• وكان
عليه أن يفكر في كيف يرتزق ليعيش أولا ، فانه لم يكن يجد كسرة من الخبز
يتبلغ بها في أواخر أيامه على ما سمعت ؛ وهذه هي مصيبتنا نحن اهل الشرق
عباد الوهم والخيال ، نرعى النجوم ونغفل عن أنفسنا ••• »

ويقهقهون ثم يقهقهون ضاحكين ، فترجع الجدران وسقوف الحجر
والدهاليز قهقهاتهم أصداء كأصوات القرودة والغيلان ؟



نكتة العمامة (*)

على الشرفة الغربية الكبرى ، في فندق دجلة الكبير ، المشرف على الصالحية وجسرهما ، في ذات ليلة قمراء من ليالي صيف عام ١٩٣٥ ، كنا جماعة صغيرة من اخوان الصفاء فيها طبيب وكيميائي وصحافي وأديب ؛ نحف بسيدة فاضلة ، وافدة من بلاد المجر للسياحة ودراسة تقاليد العرب ، وأطوار سكان البادية ، وأحوال العامة ، والادب الشعبي غير المكتوب في العراق . نكرمها مكبرين همتها القعساء التي جشمتها عناء السفر الى بلادنا ، في هذا الفصل الذي يشتد حره ، فيهرب منه - ومنها - كثير من أهلها الملاء المترفين الى مصائف لبنان وغير لبنان ، فراحت تنتقل بين القبائل أياما وأسابيع ، ثم تعود الى هذا القصر الذي أعده أصحابه نزلاً للتجار والسياح والسياسيين والعلماء الاجانب من أوريبيين وأمريكيين وغيرهم ، لتدون مذكراتها العلمية ، وتسجل ما تقف عليه من قصص وأساطير ، وما يحكي لها الرواة من حكايات وروايات تستعين بها على أداء مهمتها العلمية ، ولتستريح يوماً أو أياما قليلة ، ثم تعود الى زيارة القبائل والتنقل في القرى والمدن باحثة مدونة ، ثم تعود . . .

ومع أنها كانت تبدو للرائي في أقل من الاربعين من العمر ، فقد كان يعلوها جلال الشيوخ . وهي تنتمي الى « عصابة علمية » تضم رجالا أفذاذا من الباحثين وعلماء المشرقيات . طويلة القامة ، مغولية الملامح ، لانها من سلالة الهون . عالمة بخمس لغات ومنها التركية الحديثة التي تعلمتها في استانبول . وقد عرفناها في ذلك الفندق مصادفة . وكنا تؤمه كل ليلة - في الشتاء والصيف - لنزجي فيه بعض أوقات فراغنا بالحديث والمسامرة ، واستطلاع طلع « الغريبين » الكثيرين الذين نراهم فيه ، فنتقرب اليهم

(*) نشرت بالعدد ١١٦ من الرسالة ، المؤرخ في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥ .

متشوفين ، متبينين نواياهم ونوايا حكوماتهم في بلادنا ، منافحين عنها ، ذاكرين لهم ما يخفى عليهم من محاسنها ، وما في طبيعة قطينها وقطين الشرق كله ، وقرارات نفوسهم من سمو في الخلق والعاطفة وقرب الى الانسانية والحق والخير ، ناعين على الغرب ماديته وحضارته الرأسمالية الاستعمارية . وكثيرا ما كنا نجادلهم عن ايمان بحقنا وبحق الشعوب المظلومة في الحياة ، فننتصر عليهم أحيانا بقوة الحجّة ، وينتصرون علينا أحيانا بالعناد والمغالطة والمكابرة وما اليها مما يتسلح الغربي به في منازلة الشرق اليوم .

• وكان اسم هذه السيدة المجرية ماجدا .

قالت ماجدا تخاطبنا في شيء من الاستغراب :

« اليكم حادثة من حوادث قطركم هذا ما كان أغربها عندي اذ تلوتها مجملة في هذه الجريدة الانكليزية التي تصدر عن عاصمتكم دار السلام ، بل التي كانت يوما ما دار السلام . » وأخرجت جريدة « التيمس » البغدادية من حقيبتها فألقته على المائدة التي كانت في وسط مجلسنا مغطاة بالاقداح والكؤوس . ثم ابتسمت وابتسمنا مدركين المعنى المقصود بقولها عن بغدادنا « التي كانت دار السلام » لانها أصبحت دار الحرب منذ سنة ١٩١٧ ، الحرب النارية الدامية أولا ، والحرب السياسية ثانيا ، وقالت :

« هل يصدق أحد منا نحن معشر الاوربيين لو سمع هذا الخبر في بلده ، اذا كان يجهل حقيقة الحياة الاجتماعية في بلادكم : ان صبيا في الحادية عشرة من العمر وأخا له أصغر منه سنا يقتلان أختا لهما لانها انحرفت عن صراط العفاف . هذا ما تقوله هذه الصحيفة - اليوم - عن صبيين من حي باب الشيخ . فوا عجبا ! حتى الصبيان تجعل منهم النخوة البدوية والغيرة قساة ذباحين ؟ »

قلت وقد بدا لي أن أهون عليها ما سمعت :

« لقد نقلت هذا الخبر جريدة أخرى كذلك ، وقالت عن الصبيين القاتلين - اللذين بالغت جريدة « التيمس » في تصغير سنيهما - انهما يحترقان نحر الجزور لدى جزار . وربما كان احترافهما هذه الحرفة التي ألفا فيها رؤية الدماء والضحايا من الخراف وغيرها صباح مساء ، ذا أثر عميق في نفسيهما ، فهان عليهما ما فعلا . وأرجو أن لا ترى سيدتي الفاضلة في ذلك دليلا على وجود ميل طبيعي في مواطنينا الى التوحش وقتل الانسان » .

وأردت أن أعلل الدوافع التي دفعت الصبيين الى اتيان هذا الامر ، فلم تدع لي مجالا للكلام ، بل قالت ، بعد ان مضت تبدي ، بإشارة موجزة ، اعجاباً خارجاً عن موضوعنا بالقمر الزاهر المضيء فوق دجلة ، في سماء معروفة بجمالها لدى كل غربي ساح في البلاد العربية وبلغ بغداد :

« كلا لم يخطر ببالي أن أتهم العرب العراقيين بالميل الى التوحش وقتل الانسان لعين الاسباب التي تدفع غيرهم من أبناء البلاد المتأخرة الى القتل وازهاق الارواح ظلما وعدوانا . ولكنني استغربت أن تقع في مثل هذه الاونة مثل هذه الحادثة ، التي تدل على روح قديم وعادات ، كنا نقرأ في الكتب الباحثة في أحوال العرب وعاداتهم وأخلاقهم وتأريخهم أنها كانت ، وحسبنا أنها زالت من جراء الاحتكاك والاتصال بالغرب ، بعد دخول البريطانيين هذه الاقطار ، منذ أكثر من ثمانية عشر عاما ، الاتصال الذي له حكمه في تغيير العادات والاخلاق » .

قال الطبيب من أصحابنا وهو باريصي التحصيل لاتيني الثقافة :

« لا شك في أنه كان لدخول الانكليز بلادنا واتصال الغربيين بنا واتصالنا بهم اتصالا لم يكن من قبل ، تأثير في تغيير بعض العادات والاخلاق في المدن

الكبرى ولاسيما العاصمة ؛ ولكننا لو نظرنا مليا في التغيير الذي حدث، لوجدناه منحصرًا لدى الطبقة العليا وبعض أبناء الطبقات الأخرى ، في الأسر التي تعددت فيها « الدماء » واختلف ميراث السلالات المختلفة المتواشحة بالتزواج . فكانت النتيجة حدوث انحلال أخلاقي في أفرادها ، لا نرى له مثيلا في أبناء القبائل والارياف والبوادي ، والعامّة في المدن - الذين هم في الاصل القديم من أبناء القبائل - والذين ينتسب اليهم هذان الصبيان . الا تؤيدونني في هذا الرأي يا رفاقي ؟ »

سكت بعضنا ، وقال بعضنا :

« بلى »

وقال أحدنا وهو الصحافي :

« ان أكثر عاداتنا وتقاليدنا - وقولي تقاليدنا أصح من قول السيدة الفاضلة والاخ الطيب أخلاقنا - لم يتغير بعد . وأعني بتلك العادات والتقاليد ما كان متأصلا في روح الشعب ممتزجا بدمائه منذ قرون وأزمان . فالعراقي العربي الخالص في الزمن القديم ، الذي كان يقتل زوجه أو أية امرأة من آل بيته وذوي قريابه ، اذا ما حادت عن طريق العفاف واستزلها شيطان من الانس وعبث بها فأثمت معه ، هو هذا العراقي العربي - سواء أكان خالصا في عروبه أم لم يكن وهو يدعيها - الذي يعيش في القرن العشرين ، والذي يمثله خير تمثيل بطلا الحادثة التي أتاحت لنا الفرصة لهذا الحوار ، الا ما شذ من الناس . وهؤلاء الشاذون ممقوتون مكروهون يلبسون ثياب الخزي والعار أنى حلوا وأقاموا . وقد يوجد فارق بين رجل الامس الذي كان يقدم على قتل وسفك الدم في بيته لدرء العار عنه ، على الشبهة والظن ، ورجل اليوم الذي يتبين ويترث حتى يأتيه اليقين بما يصح أن يدعو له الى ما لا بد له منه لكي يجري حكم التقاليد ، ويحيا في قومه عزيزا شريفا لا يطأطأ رأسه العار ولا يذله ، ولكن هذا الفارق طفيف » .

قالت وقد تلذذت الحديث ، وزادها الولع بتدوين الحكايات والروايات
عن تقاليدنا وعاداتنا شوقا الى استماع شيء جديد مما يدخل فيما خضنا فيه :

« الا تحدثوني بحادثة من حوادث العهد السابق لعهدكم الحديث ،
أسجلها الى جانب هذه الحادثة التي سوف استقصيها وأدونها بتفاصيلها ، فانها
تغني عن كثير مما يصح أن يروى عن قوة التقاليد - على ما يسميها السيد
الصحافي - عند العامة ، وغيرتهم وحرصهم على المرأة من أن تمتد اليها يد
الغريب بما يشينها ويدنسها ؟ »

قلت :

« أي عهد تعنين ؟ »

« العهد الذي ختمته نهاية القرن التاسع عشر ؛ اذ أننا نعتبر تلك النهاية
آخر خيط من الليل السابق لعهد اليقظة في بلادكم وبداية الاتصال بالعالم
المتمدن » •

قلت :

« سأقص عليك قصة البطل الغيور عبدالحميد ، وهي قصة لحادثة واقعة
في النصف أو الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، مما حكى لنا مشايخنا من
حوادث بلدنا هذا ، قالوا :

نكتة سوداء من سخام القدر كانت في عمامته ذات يوم ، لم يفتن اليها ،
وقد جاء القهوة كما كان يجيئها كل يوم ، مرفوعا رأسه على الرؤوس ، مفعمة
نفسه بخيلاء الفحولة وكبرياء البطولة ، البطولة التي اعتلى عرشها المكين في
البلد بحق ، فهابه الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتناول الرواة في الاحياء
أخباره في كثير من الوقائع الخطيرة التي صادف والاحداث التي شهد •

وكان الشطب - وهو آلة التدخين عند القوم في ذلك الزمن - المفضض

الطويل في يسراه يدخن به مفكرا صامتا ساهما ، والدخان ينبعث من بين
شديقه كثيفا •

لقد قال له صاحبه أحمد العلوى ، وقد لقيه في الطريق قادما من بيته
قبيل ساعة : « ان وسخا او سخاما على رأسه » ، وانصرف لطيته ... وكان
الناظر الى وجهه يرى الشر عليه باديا في وضوح •

وما عثم أن قام الى بيته متثاقل الخطى ، قابضا بيده اليمنى على خنجره ،
رسول الموت الذى طالما أزهدق الارواح •

وعاد بعد قليل ، فاقعد مكانه الاول من القهوة ، وجعل يدخن كما
كان ...

ومر به صاحبه ، وكانت القهوة حافلة بالكهول والشيوخ ذوي النظرات
القاسية والعمائم الكبيرة ، فنظر اليه قليلا ، ثم أقبل عليه ، فجلس الى جانبه ،
ومال اليه برأسه يكلمه همسا : « ان في عمامتك لنكتة سوداء نبهتك اليها فلم
تزلها بعد » •

كان الجواب نظرة تطاير منها الشرر ، ولكن احمد لم يفقه لها معنى •
وكان سكوت ، ثم قام الرجل تاركا صاحبه جالسا في مكانه ، دهشا ،
ومشى الى بيته مرة أخرى ، متثاقل الخطى ، قابضا يمينه على خنجره ذلك
الذى طالما أزهدق الارواح •

وعاد بعد قليل ، فاقعد مكانه الاول من القهوة ، بجانب صاحبه ، ثم
جعل يدخن كما كان ...

قال له أحمد :

« غريب هذا الذى أرى منك أيها الاخ ! هل أنت آت من بيتك ؟ كيف

غفلت كذلك عن ازالة النكتة من السخام التي في عمامتك ؟
وهنا انفجر الرجل من شدة الغيظ ، وقام على قدميه مرتجفا ، وقد دارت
به الارض الفضاء :

« ويلك لم تبق الا امي العجوز ! »

تلك هي القصة التي قصها علينا المشايخ فيما قصوا وحفظوا من حكايات
بغداد في زمن قديم خلا .

لقد نحر عبدالحميد زوجه وأخته بيده، واحدة تلو أخرى، كما ينحر الجزائر
الخراف والبقر ، ليزيل السخام من عمامته . فعمامته - على رأيه - هي التاج ، تاج
الشرف والعرض والكرامة فوق هامته في هذه الحياة ، وشرفه وعرضه وكرامته
شرف أسرته وعرضها وكرامتها ، وكل أولئك من شرف قبيلته وحيه وعرضهما
وكرامتهما ، فان وسخ العار ذلك التاج وذنسه فلا يظهره منه الا الدم
والموت . ولم يلم الرجل على ما فعل أحد ، لانه فهم ما قال له صاحبه على غير
حقيقته ، بل لاموا صاحبه الذي لم يستطع ايضاح ما قصد بعبارته التي توهم
سامعها الاشارة والرمز الى العاب والعار . فعبدالحميد كان يمثل العربي
العراقي ابن الشعب والقبائل بالامس ، وان كان يسكن داراً في بلد لا خيمة
في بادية ؟ وهذان الصبيان يمثلانه اليوم أتم تمثيل . فهما وذلك في الحقيقة
واحد في ثلاثة ، وان تباعد بينهما وبينه زمانهما وزمانه .

قالت وكأنها استدرجتني الى استعلام رأي لي فيما كنا نتحدث فيه :

« وما رأيك أنت في هذا العقاب الذي كانت تعاقب به المرأة عندكم اذا

مازلت بها القدم ، وما زالت تعاقب به ؟ »

أجبت على سبيل حكاية الواقع غير منتصر لرأي من الآراء :

« لا يسمي الناس قتل المرأة عندنا اذا ما أئمت عقاباً ، بل يسمونه -
بحكم العادات والتقاليد الموروثة - محواً للعار وتطهيراً للعرض من الدنس .
وإذا كنا نعتقد أن حياة الشعب المادية هي التي تملي عليه منهاج أخلاقي
وتقرر له عاداته وتقاليده . »

« بلى . أعتقد ذلك . . . »

« . . . فان الحياة المادية لشعبنا الفقير المسكين لم تتغير بعد تغيراً
جوهرياً بالاتصال بالغرب ، لكي تتغير تلك العادات والتقاليد لديه ، بل
تغيرت الحياة المادية في القصور ، ولدى بعض المتفرنجين من الموظفين . . . »



عاتكة (*)

- ١ -

شعر الضابط صالح بن أرشد بكآبة تستولي عليه ، حين ايقظته عصافير الصباح المسفر بزقزقتها ، التي ملأت جو الحديقة الصغيرة المتصلة بداره .
وارتدى ثيابه ثم تناول طعام الصباح صامتا ، وخرج الى المعسكر ليؤدي واجباته في الجيش المقيم .

وقضى نهارا بطيئا مملا كيوم الفقير .

وفي العشاء ، اذ كان يحسو الشاي مع صاحبه الضابط أسعد بن محمد ، في الساحة المطلة على دجلة من النادى العسكرى ، جاءه كاتب النادى برسالة واردة عليه في بريد المساء . وكان في الرسالة دعوة موجهة له من عاتكة .

سأل نفسه : « أأنها هي عاتكتي التي ترجو وتريد لقائي !؟ »

وقرأ الرسالة مرتين أو ثلاثا وهو غير مصدق أنه ملاق ، بعد فراق دام أربعة أعوام ، تلك المرأة التي أحب ؛ عتوكة التي محضته الود الخالص ؛ حبيبته الأولى التي لم يذق للحياة طعما لذيذا بعدها فراح يجتنب النساء جميعا ، معتقدا أنه عرف في حياته حبا واحدا طاهرا مضى كالحلم الهنيء ولن يعود

واضطرب قلبه ، وأهاجت الذكرى نفسه .

ثم جعل يدخن شارد اللب ، ناظرا الى صورة القمر الفضي الجميل المنعكسة في صفحة النهر المنساب بقوة الأبد وطمانينة الخلود والزوارق

(*) نشرت بمجلة الحديث الحلبية سنة ١٩٣٣ .

تجري فيه والسفن مختالة بأشرعتها اختيال العرائس ، يعني ملاحوها الاغاني
الفراية المشجية العذبة الأغاريد •

والتفت الى صاحبه ينبئه بدعوة صاحبه غير المتوقعة هذه ، وينقل اليه
قصتها • فحكى له فيما حكى : انها كانت ذات زوج ظالم شرير ، ولم يكن
لها أهل يعنون بأمرها ؛ وأنه عرفها وأحبها وأحبته بعد أن هجرها زوجها
وطلقها - وكان ذلك في الموصل - وعزم على أن يتزوجها ••• على أنه سرعان
ما فارقها مرغماً ، إذ سيق وكتيبة الجيش التي كان يعمل فيها هناك ، الى
الجبال الكردية ليحارب العصاة الخارجين على الدولة ، ثم سيق منها الى
البصرة فبطائح الفرات فالجبال الكردية مرة ثانية ؛ وانقطعت عنه أخبارها ؛
وقيل له أنها غادرت الموصل ؛ ولم يعرف أحد مصيرها وختام أمرها من بعد •
« وبعد » قال صالح :

« فانها كانت سيدة طاهرة عفيفة على إملاق • وكانت مستطبعة أن
تخونني في حبي البريء فلم تفعل ••• »

وكان الضابط أسعد لحدائثة عهده بمصاحبه ، يجهل قصة غرامه القديم
هذا ، فأعجبه أن يسمعها منه كاعتراف يلذ السامعيه •

واندفع صالح يفضي اليه بسريره وكأنه كان يلقي عن كاهله عبأ ثقيلاً :
« انها لم تقل لي : « أحبك » بلسانها • كلا • ولكن عينيها ، بل كل
جوارحها كانت تنطق بآيات حبا • وتلك لغة كنت أفهمها منها كما أفهم من
غيرها الكلام المسموع ••• » ثم استرسل في حديث طويل ، وصف به جمالها
الفتان ، وسحرها ، ورقة طبعها ، وخلقها العظيم • وبدت على وجهه أمارات
الأعياء من اضطراب نفسه ، الذي لم يقدر على كتمانها ، وبدا لصاحبه وهو
مادى متشائم يكره المرأة ، ويشك في اخلاصها الحب وطهارتها ، ويعتقد أن قلبها

وقف على منفعتها ، أن يقطع سلسلة هذه الذكريات الحزينة ، فقال له حذرا لا يدري كيف سيفسر قوله :

« لكن من ذا الذى يعلم سر المرأة يا أخي • فليس مثلها من يستطيع كتمان البغضاء والحب والموجدة والهوى • وربما كانت السيدة ترى من دواعي منفعتها التظاهر بحبك والحنان عن غيرك ، لأنها لجأت اليك مضطرة مكرهة لكي تتزوجك فتعيش في حماك • »

فقاطعه صالح ولم يدع له مجالا لقول غير هذا ، قائلا :

« كلا ثم كلا • وقد كان لجمالها طالبون وشراة كثيرون ولكنها لم تشأ المتاجرة به • واني لمعتقد أنها أخلصت وما تزال مخلصه لي حبا • • »
وأدرك صاحبه أنه يحاول عبثا تهدأته ، على انه سأله :

« هل تعتقد حقا أنها ما تزال مخلصه لك ؟ انك كنت تجهل مصيرها فيجب أن تعرف ماذا فعل الدهر بها بعد فراقك إياها ، قبل أن تعتقد هذا الاعتقاد • ولست أحسب انها • • »

وتردد ثم أتم جملة الاخيرة في حذر ظاهر : « بقيت حتى الان على إملاقها معتكفة في انتظارك »

وأراد أن يفسر قوله فأسكتته صاحبه بقوله :

« فهمت • فهمت • فما من حاجة لا يوضح • »

« نعم • ثم أنك لتعرف طبيعة المجتمع البشري الشرير القاسي • ولعلها بلغت العقبي التي تبلغها كل واحدة مثلها ليس لها أهل ولا مال ولا زوج • »

« ربما • ربما أصبحت حالتها سيئة اذا كانت • • »

وأحس الخجل وكادت تخنقه العبرة ، ثم أتم قوله : « لم تجد لها معينا

أو سندا تكل إليه أمرها فيغنيها عن مصاعب العيش ويدفع عنها الحاجة الملحة
في الحياة . . . ومع ذلك فإني أستبعد بلوغها العقبي التي عنيت • أستبعد
سقوطها ، لأنها كانت قوية الروح . . . »

وتلاشى حديثهما في فلسفة وبحث في « كيف تكافح المرأة القوية
الروح عوامل السقوط ؟ »
ثم سكتا •

وراح صالح يلقي الى ماء النهر بنظراته الشاردة ، وهو يذكر صاحبه
حين سافر فودعته وداعا صار الأخير ؛ وقالت له كلمة نطق بها فؤادها قبل
لسانها :

« لا تنسني أيها الحبيب ! »

- ٢ -

في أصيل اليوم التالي أعاد تلاوة كتابها ؛ وحفظ رقم الدار ، من محلة
الميدان التي دعت إليها للاجتماع به فيها ، وهي « دار خياطتها وصدقتها
الحميمة سلمى » كما كتبت له • وكان يسأل نفسه : « كيف
ومتى جاءت بغداد ؟ وأين كانت تعيش قبل اليوم ؟ ومن أعلمها أنني هنا في
هذه المدينة ؟ ومن كتب لها كتابها إلي ؟ »
ثم غادر داره عجلا •

دخل دار الخياطة سلمى فوجدها ساكنة هادئة ؛ ولم يقابله أحد سوى
خادم حبشية قادته الى غرفة الاستقبال • وكان مصفر اللون ، متوقعا مفاجأة
عاصفة في لقاء التي أحبها حبه الاول والاخير ؛ وقد أخذته عاطفة من الحنان
اليها اقتلعت قوة جنانه من الاعماق ، فجعلت منه رجلا ضعيفا تائبا يستعد للجثو
بين يديها ، طالبا منها الصفح والغفران •

ووقف وسط الغرفة أمام عاتكة يصفحها ويحييها • وألفاها لأول
نظرة متغيرة جد التغير ، شاحبة ذابلة ؛ وقد تسدل شعرها المقصوص على

كتفيتها وانتشر على جبينها في تطاول وثورة ، كأنه يعصى أناملها التي عالجت رده الى نظامه فأبى إلا انتشارا وانتشارا . وقال لها عقب التحية ، وقلبه يخفق جبا لها وودادا :

« ألا لقد تغيرت محاسنك يا عاتكة وا أسفاه فهل تغير قلبك ؟ »

ثم جلس على كرسي قبالتها ، فنظرت إليه نظرة معجمة وضحكت . وتناولت سيجارة وناولته مثلها ؛ وجعلا يدخان . وأحس أنها لم تفهم أو لم تشأ أن تفهم ما قال . وكانت تحاول أن تقول شيئا فتحركت شفاتها ولكنها لم تنطق بحرف . وضحكت مرة ثانية ضحكة وقحة صاحبة أربكته وأضاعت عليه فاتحة الحديث ؛ فتحير ولم يدر ماذا يقول فأثر السكوت . ومرت بضع دقائق بطآء في سكوت أنقد صبرها ، فنبذت سيجارتها ؛ ثم نهضت فاقتربت منه ناظرة إليه نظرة البغي تعري الرجل وتستغويه ، وسألته في غنج :

«أوقد تغيرت محاسني حقا ؟ لماذا ؟ لماذا لم تقبلني أنا البنت الحلوة عتوكة يا ابن الناس ؟»

وانبعثت من فمها رائحة الخمرة : « قل لي . أجبني . ألم أعد أعجبك كما كنت ؟ »

وتطرحت عليه ، ولقت ذراعها الايمن على عنقه وعضت على شفتيه
عضة شديدة .

قال لها منكرا عليها ما فعلت ، وقد رأى امرأة نصفا واقفة على عتبة الباب تنظر اليهما وتبتسم :

« ماذا جرى لك ؟ أوقد جننت ؟ »

وصارعها بقوة فتخلص منها .

ثم قال لها بصوت خفيض وقد خجل وانكشفت عن عينيه في لحظة غشاوة
الخيال والوهم :

« ولقد تغيرت أخلاقك كذلك ! الا قليلا من الحشمة والتأديب ياعاتك ،
فنحن ضيوف هنا ، وهذه سيدة غريبة عنا ... »

وأشار الى ناحية الباب إشارة خفيفة برأسه • أجابت بصوت مرتفع
مسموع :

« يوه ! وماذا يهم هذه أختي وأمي • هلو سلمى ! »

ونفضت فاهتزت ترقص وتغمز بعينها وتغني أحط وأسفل الاغاني
الشائعة في أفواه رادة الحانات ومكانم الدعارة •

وبقيت سلمى ثابتة في موقفها غير عابئة بها • وكانت تنظر الى ضيفها في
خبث وتجسس ، أخت له رأسها تحييه ، وانقلبت وهي تقول :

« سأعد لكم القهوة فأعذروني اذا ما تركتكم الآن • »

وبعد دقائق هدأت عاتكة ؛ ثم عادت تحاور صاحبها فاحصة وجهه
بنظراتها كأنها تقرأ فيه كتابا :

« يا حبيبي هل تزوجت ؟ وكيف هي زوجتك ؟ يقولون انها ليست
جميلة • هاه هاه • • وهل عندك منها بنون ؟ أدعو الله أن يميت زوجتك • أن
يقتلها • أن يهدم الدار على رأسها هاه هاه ... »

ونظقت بكلمات بذئية وسباب ، ثم كررت ضاحكة ضحكة المستهزيء ،
وجلست على طرف مائدة في وسط الغرفة :

« ألا زلت تحبني أم نسيتهني ؟ ... »

ولم يدر أية زوجة تعني فانه ما يزال عانسا • وأدهشته أسئلتها المتتالية

والجمل القصيرة التي جعلت تلقيها عليه في غير تفكير بتأثيرها فيه ، ولا توقع
لجواب منه •

قال لها :

« كلا لم أنس • »

وهز رأسه ، وشعر بأن يدا قوية خفية تسد فمه فتمنعه من اجابتها •
وندم على اجتماعه بها ؛ وأحس طعنا كطعن الخناجر في قلبه ، وانه نافر منها
ومن صوتها ومن حديثها نفورا شديدا •

ثم استلقى على كرسيه لاهيا بتدخين سيغارة ، ومضى يفكر في أمرها ؛
واستغربت حاله ، فأخذت تفكر في أمره هي الاخرى •

واتقى النظر اليها ، وأنشأ يلهو ويتشاغل عنها بالنظر الى الاثاث والستائر
وتقوش سقف الغرفة والصور الكثيرة المعلقة في الجدار ، فألقى بينها صور
نسوة عاريات وصور راقصات معروفات في بغداد ؛ وخيل اليه وهو مستغرق
في التفكير انهن يتحركن فيتبسمن ساخرات به •

وجاءت الخادم تسقيهما القهوة ، ثم جاءت على أثرها سلمى • واذا الفت
« صاحب عاتكة » مبتعدا عنها ، صامتا متغير الجهامة والسحنة ، استقطعت
سلوكه ؛ وبلهجة صريحة لم يكن يتوقعها نبهته الى وجوب انتهاز الفرصة
السانحة « فاللذات خلس » ؛ واستدارت في سرعة ولباقة كلباقة المشعوذ
الماهر ، فرمزت لعاتكة بعينها رمزا قابلتها بمثله ؛ ثم زابت الغرفة •

وأقبلت عاتكة عليه تداعبه وتضحكه وتسأله :

« هل تشكو مرضا ؟ وكيف ولماذا تقابلني بهذا الجفاء والبرود ؟ »

ومع أنه تحرك مستعدا لمفارقتها ، تكلف السرور ، واضطر الى مجاملتها
بعبارات مصطنعة لا معنى لها ولا رابطة بينها •

وحينئذ شق سكون الدار أصوات رجال ونساء آتية من غرفة مجاورة
لغرفة الاستقبال ، فوجف وأرهف سمعه ••• وقبل أن يسألها عما سمع ،
قالت له وكأنها تتكلم عن أمر مألوف :

« مالنا ولهم انهم أصدقاء سلمى • وهذه خياطة شهيرة يتردد على دارها
كثير من الراقصات وأبناء الاكابر • وياليتني كنت مثلها • انها تعرف كيف
تجمع المال ••• »

واستأنفت محاولتها لاستماتته ، فاقتربت منه تلاعبه وتناجيه وتعبث
بشعره ، وأفرغت آخر سهم من كنانتها فقبلته قبلة عنيفة لم يعد مثلها منها ؛
وأسمعتة كلاما يندى له الجبين حياء •
ونهض ليفارقها •

وقال لها بصوت متهدج ، وهو يلبس سدارته :

« كنت أظن ••• كنت أظن أ ••• » وارتجف ، وغير عبارته : « أنا أذهب
الآن لأنني تعب أشعر بصداع في رأسي • أما أنت فسوف ألاقيك في فرصة
اخرى • وأنا آسف ••• »

وما عثم أن أفلت من يده زمام نفسه ، فوعظها ومحضها نصحا جميلا ،
ورجا منها أن تكون بعيدة عن الخمرة ، ذات أدب وحشمة ووقار كما كانت
معه من قبل •

وكانت المرأة كالحية تتلوى • وحين مد اليها يده ليصافحها ويودعها لم
تمدد اليه يدا • ونظر اليها فشهد النار تنبعث من عينيها الزرقاوين اللتين
نطقتا بألوان من معاني الكره والنقمة والاحتقار • وقالت له وصوتها يتهدج
يلهجة الاستنكار والاشمزاز :

« لا أصافحك يا سيدي • والآن جاء دوري ، فهل أنت مستمع لجوابي؟
هه • هل أنت مستمع؟ »

وألقت عليه جوابها مقتضيا موجعا أليما :

« ان العلاقة التي كانت بيننا قد انقطعت بمحض إرادتك ، لأنك كنت
سوفافا في عقد زواجنا ؛ واكتفيت بوعد لي ربما نسيته يوم حم القراق • وانني
كنت فقيرة على ماتعلم • ومع أن العلاقة التي كانت بيننا نزيهة لا غبار عليها فقد
تقول غني لسببها الناس بالاقاويل ، فنالوا من عرضي كل منال • ولم يعد
يرغب في زواجي أحد • فأنت أنت المسيء الي • وانني غدوت بعد مصارعة
البلايا والنوب ذات بضاعة تباع وتشترى • ولا يخجلني ذلك • فان أعجبك
أن تتسلى وتلهو فانني متهياة لك تهيؤي لغيرك • وانني ليسرني أن أسكر
وأن أعربد ؛ وأن أفعل غير ذلك • تلك هي مهنتي التي لم يعد من سبيل الي
تبديلها •• وهذا الذي شهدته مني ولم يعجبك هو نموذج لما تخلقت به
وتعودت عليه •• وانني لم أطلبك لكي أعود الي سابق عهدي معك • كلا •
فلن أكون لك • ولن أحرم نفسي من لذائذ الحياة التي لا بد لي منها أو أموت
المأ وكمدأ •• هل أنت سامع؟ »

وتولت عنه بعد أن تركته كالجريح • وخرج من الدار منهزما كسيرا •

- ٣ -

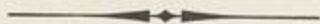
وبعد يومين ، إذ كان حزينا ، يعاني الهم الذي تملكه من جراء الصدمة
الشديدة التي صدمته من كان يدعوها « عتوكة حبيتي الاولى » ، وهو
يتنزّه وجماعة من صحابته الضباط في الجيش ، في الجادرية ، لقيها سافرة
حاسرة سكرى ، جالسة في سيارة ، تفحش القول وتفهقه ضاحكة بملء

شديها ، ومعها ثلاثة رجال سكارى يصفقون ويغنون غناء كالصراخ
والعواء • وقبلها أحدهم في غير ما خجل ولا حياء •

وحينئذ أدرك صالح أن هذه المرأة أضحت غير التي كان يعهد بها ؛ وانها
الآن غريبة عنه ، فلينس الى الابد ذكرها •

ورأته ، فأخرجت له لسانها ، فأشاح بوجهه عنها •

وهناك ، في الجادرية ، على الشاطيء ، جلس يرنو الى الافق البعيد ،
وقد تفرق صحبه في الغابة ليصيدوا الطير ، مفكرا ثم بكى ؛ وانطوت عنده
صفحة من صفحات الوجود •



الذكرى (*)

تخرج جميل بن سالم في مدرسة الحقوق فسلك لتوه مسلك المحامين في العاصمة ، وتطوع للدفاع في محاكم الجنايات عن كل متهم بجريسة ، يعتقد أنه منها بريء • وكان وافر العلم ، ذلق اللسان ، خطيباً منذ كان طالباً في المدرسة الثانوية ثم في مدرسة الحقوق ؛ فارتفع له بعد بضع سنوات من ممارسة المحاماة ، صيت حسن بين الناس في أروقة المحاكم وأبائها •

وأرادته أسرته - وهي من طراز قديم ، لا ترى للرجل من فضيلة مع العزوبة - على الزواج فنزل عند ارادتها بارد العاطفة ، مسلماً بقضاء نازل ، وأمر لا بد منه لكي يختم به حياة لم يكن فيها عفواً ولا زاهداً •••

وفي اليوم السابق ليوم الزفاف ، أقبل على دفاتر مذكراته يطلس ويمحو منها ما كتب عن حوادث غرامه ومعاشقه حتى حينه ذلك ، وكانت كثيرة بالنسبة الى ما يحدث لامثاله من أبناء جيله • وفتح في مكتبه صندوقاً من خشب الابنوس صغيراً - من المخلفات الموروثة لدى الاسرة - وأنشأ يقرب فيه رسائل وصوراً وزهرات قديمة يابسة ، وهنات شتى مما خلف له اللائي أحبهن ، وبتعبير أصح : اللائي اتصل بهن •

هذه رسالة من سليمة التي عرفها في الموصل بلدته ومسقط رأسه ، قبل أن يأتي بغداد لدرس القوانين وعلم الحقوق ، ثم تزوجت بعده من فتى غفر لها ماضيها ، ومع الرسالة زهرة حمراء اخلفتها السنون • وهذه رسائل عشر كاملة مربوطة بخيط من الحرير معطرة بعطر باريسى مما يتطيب به بنات المسارح ، وهي رسائل الممثلة كريمة التي صاحبها زمناً ؛ ثم أساء اليها فهجرها

(*) نشرت بمجلة الحديث في اكتوبر سنة ١٩٣٥ .

لسبب تافه ، واذ رام العود اليها لم تغتفر له الاساءة والهجر ، فنبذته • وتلك صورة ورسائل لاعداد لها من كاتيا السائحة الرومانية التي عرفها قبل ثلاثة أعوام في أحد الفنادق ، وقد زائلت بغداد بعد شهر وبعض شهر من تعارفهما ، وراسلته زمنا في حرارة من الود وشوق الى استئناف الصلة به ، ثم قطعت عنه رسائلها ، ولم يعرف لذلك سببا • وتلك صورة لمغنية سورية رومية الاصل ، ورسالة واحدة منها غريبة الخط ، غريبة المضمون ***

واذ كان يجمع هذه الاوراق وأخر غيرها ، وخصلا من الشعر ، والهيات المختلفة ، مفكرا في أن يلتقي بها في النار تطهيرا لنفسه من آثار ماضيه ، واستعدادا لصلة ، بل حياة جديدة في ظلال الشريعة القاهرة والقانون ، سقطت من بينها صورة صغيرة حائلة اللون ، كأنها كانت منزوية متخفية على استحياء ، فتناولها صامتا ، وقلبا بين يديه ، وحينئذ عادت الى ذاكرته أيام حبه الاول في الحياة •

كانت الصورة صورة ابنة خاله وداد • لقد ذكرها • • وذكر الايام التي كان فيها طالبا في المدرسة الثانوية ناجحا في آخر صفوفها ، يقلد أستاذه عصام الدين في مادته وميله الى التفرنج كالترك الناهضين ، ومحاربه هذا الغزل المبتوث في كتب الادب القديمة ، الغزل الدنيء ، غزل أبي نؤاس وأضرابه ؛ أيام كانت « العطلة » في الصيف ، فذهب الى حيث يقيم خاله أبو وداد ، في القرية التي يمتلك مزرعة صغيرة فيها ، الكائنة على شاطئ الفرات الاعلى ، ليقضي بجانبه وأسرته بضعة أيام متمتعا بحياة الاعراب والريف ، في داره المربعة الكبيرة ، الساذجة البناء ، ذات الحجر الواسعات ، والتنور ، وأكنان الدجاج ، والرواق المستطيل المبني بجذوع النخل والقصب ، التي الماء يجري من تحتها ، وخلفها طريق السابلة من الفلاحين ، وبجانبا بيت من الشعر معد للضيوف ؛ تلك الدار الريفية الجميلة التي جاءها فأحبها ، وأحب العيش فيها اذ ألقى خير اكرام كان يتوقع من سيدتها : زوج خاله الريفية ذات الوشم

الكثير والخلال من الذهب والاساور والصفائر ، ومن وداد التي رآها يومئذ متغيرة جد التغير عما كان رآها قبل ذلك ببضعة أعوام ، ذات قسامة وجاذبية ساحرة تخلب اللب ؛ وقد لمت وجمعت شعرها المسترسل الطويل خلف رأسها ، فكان له منها هيئة رأس الزهرة اليونانية فينوس ؛ وكانت تدللها أمها وتحليها خواتم الماس وقلادة من العقيق • وكلها لأول مرة - في تلك الزيارة - عما جاءها به من هدية من الازهار الملونة المصطنعة :

« كيف رأيت الازهار التي جئتك بها يا وداد ؟ واني أعلم أنها هدية حقيرة ، ولكنني والله كنت عجلا حين بارحت البلد ••• »

وبسم لها فبسمت له وأجابته :

« ماذا تقول يا جميل ! شكرا لك • وهل كنا طامعين في أن تأتينا بكل ما في أسواق الموصل من تحف ومتاع ؟ »

ثم سألتها في يوم آخر مداعبا :

« ما هذه الخواتم التي تلبسين ؟ هل هي من الماس ؟ »

وأحبها حبا لاذعا ، وربما أحبته هي الاخرى مثل حبه ؛ وعاد الى اهله ممتنيا نفسه بأن تكون له في مستقبل أيامه ، فيفوز بالسعادة كلها والهناء ••• وذكر زيارة خاله وأمها وأياها أسرته ، بعد ذلك ، وما تهامس به الاقارب والجيران من حديث ما عقدت عليه الاسرتان من نية تزويجه بريحاتهما وداد ؛ وكيف ظفر بتلك الصورة منها اذ صحبها وأخته ناجية الى مصور صورهما معا في صورة واحدة ، ثم صورها وحدها ، فكانت الصورة الاولى نصيبها والثانية نصيبه • وذكر ساعات حلوة بريئة اللذة طاهرة المتاع بقربها قبل الفراق ، الذي أعقبه نعيها بعد أشهر قليلة ، اذ هلكت بمرض التيفو ، فجر عليه هذا الحادث ، بل هذا المصاب سرا وعذابا ، أديا به الى تشاؤم ويأس ألقيا به في أحضان اللذات الرخيصة والخطايا ، فعبث بهذه وبهذه، ولهى بتلك

وبتلك فيما سماه - في حينه - حبا وغراما • وذكر كيف قصد قبرها الراقد
في تخوم القرية الفراتية المصاغبة للصحراء في ليال قرّة من الشتاء ، وكيف بلله
بالدموع ليلة كاملة ، حتى كادت نفسه تزهب حزنا واسى عليها ؛ ثم كيف
قضى خاله نجه ، اذ ضمر كبده أسفاً على ابنته ، ولم يمهله الداء بعدها عاما
واحدا • ذكر كل ذلك ، وعاد الى الصورة يضمها الى صدره ، ثم فاضت عيناه
بالدموع •

وسرعان ما ألقى بجميع ما احتوى صندوق ذكرياته في نار الموقد ، غير
أسف على شيء منها ؛ ولكنه أبقى على صورة وداد ، لانه رأى فيها شبح
صباه الطاهر كله الذي تولى بما كان فيه من حب طاهر ، لم يعرف مثله من
بعد ، ولا بد له من المحافظة على ذكره •

وكان المساء فغابت الشمس في آفاقها ، وشجبت أنوار النهار • ودق في
تلك الساعة طبل من طبول الافراح التي أقيمت لزواجه ، ولكنه لم يكن
مستبشرا ولا فرحا بما كان مقبلاً عليه •
وأرقت في ليلته ، تلك الذكرى •

رصاصة في الفضاء (*)

- ١ -

حادثة غريبة حدثت في مرقص الهلال في بغداد :

كان أول من استقر عليه نظري في ذلك المرقص « البلدي » ليلة حدثت هذه الحادثة التي أروها لكم ، وهي من ليالي صيف سنة ١٩٢٨ ، ثلاثة حسبهم من طلبة المدارس العليا أو صغار الكتبة في الدواوين ، على مقربة مني يقصفون وينظرون الى من حولهم من النظارة مستكبرين ، ناقدين المرحح نقد راغب في اصلاحه : اصلاح الرقص الخليع فيه والغناء المحزن القديم .

وكان النظارة تجارا صغارا وذوي حرف وعمالا ، رأيتهم اخوانا متقابلين في حلقات صغيرة من الكراسي الخيزرانية حول موائد مربعة مكسوة بقماش الكتان ، تغطي كل مائدة منها أطباق النقل والاقداح وزجاجات الخمور ، وأنوار المصابيح الكهربائية المعلقة فوق رؤوسهم ، الملونة بألوان العلم العراقي ، تبدد الظلام ...

وكان « جماعة » من الشباب « العوام الاريحين » ، ذوي العباءات الرقيقة السود التي تشف عما تحتها ، والعمائم « العصفورية » المرقشة باللون الازرق ، يتراشقون بالنكات والفكاهات من وراء حوض مبلط بالقاشاني الاحمر كان في وسط المرقص تجلله الاعلام وسعف النخيل ، وأصواتهم وكلماتهم الشعبية الظريفة تثير الضحك ، وتحيي في نفوس القوم اللذة والسرور .

(*) نشرت بالرسالة في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٥ .

وكانت الراقصة المغنية الاولى ، تلقي فاتحة الاغاني ، التي أعدت للقوم
في تلك الليلة - وهي عامية مشجية - جذلة ، أو متظاهرة بالجدل ، واثقة
بنفسها كما كان يبدو من حركاتها ، معتقدة بأنها تجيد الغناء . ثم أشدت
هذه الايات من الشعر الشعبي الجديد :

« عن قص الشعر لا تلومونا والوقت هذي فنونه »
« قص الشعر صار بوطننا على المودة شحلو فنه »
« قص الشعر لنا زينة شبه الذهب بالخزينة »
« كل من يمشي بخياله والمحب تنظر عيونه »

وقال واحد من الثلاثة - أولئك الذين حسبتهم من الطلبة أو صغار
الكتابة - وهو بدين ذو وجه مربع كأنه مصنوع بفأس النجار ، يخاطب أحد
صاحبيه مشيراً إليها :

« انها لذات وجه صغير جداً ، وقد صبغت وجنتيها بالصبغ الاحمر
التستر اصفراره ولا شك ، فما أقبحها ! »

ورفع الى فمه كأسه ، ولم يستمر في انتقاده . أجاب الذي خاطبه وهو
أشقر اللون حسن البزة :

« كلا يا أخي . انها لجبيلة يجملها شعرها الفاحم المقصوص طبقاً
للطريقة العصرية التي شاعت في الايام الاخيرة . »

وراح ثالثهما ، وهو فتى غرائق ، طلق المحيا ، باسم الثغر ، يشعل طرف
سيگارته ويدخن صامتا ؛ والتفت اليه ذو الوجه المربع يسأله :

« هل سليمان قادم الينا ؟ »

« سوف يأتي . ولكنه لن يأتينا بقلب مفتوح للسرور ، انهم ظلموه حقاً

اذ استلبوا منه وظيفته ، على ما تعلمان . »

قال الاول ، وقد احتسى آخر حسوة من كأسه :

« ليس في خدمة الحكومة شرف للانسان ، فان كان سليمان فتى
« وطنيا » مخلصا في عقيدته السياسية فأمامه سبل العمل المطلق كثيرة ،
والجهاد .. ان خوض المعركة في ساحة الجهاد الوطني قد اقتربت ساعته ؛
فالشعب قد أرهقته الضرائب ، والاستقلال الذي وعدونا صار مجموعة من
المناصب العالية ، وعمت في نظمنا الفوضى ، فماذا نريد أكثر من ذلك لكي
نسوغ خروجنا ونهوضنا نحن الشباب ؟ والى متى نحسب أن سبل العيش
مسدودة أمامنا ، فلا نعرف من طرائق الارتزاق والتكسب الا الوظيفة ؟ »
قال له صاحبا :

« صدقت .. هذا صحيح . »

وبعد حوار قصير سكتوا ، وكانت فترة بين فصلين .

- ٢ -

أقبل الفتى الذي عرفت من بعد أنه هو سليمان على صحبه في بداية
الفصل التالي عجلا يلهث ، فحيا ، وألقى على المائدة جريدة كان يحمل ، ونزع
سدارته ، ثم جلس ، وكانت آثار التعب باقية عليه ؛ واستغرب صحبه حاله ،
وناوله ذو الوجه المربع سيغارة ثم سأله :

« هل حدث حادث غير الذي نعلم ؟ وهل كان اليوم أيضاً تظاهر

سياسي ؟ »

« تظاهر سياسي ؟ كيف ؟ تظاهر سياسي مرة أخرى ؟ أو لم يكفنا ما

لقينا أمس في تظاهرننا من ضرب الشرط اخواننا المتظاهرين بالعصى وارهاقهم؟

وما الفائدة ؟ »

« وكان يجب صاحبه وهو يتكلف الهدوء ، ولكنه كرر « ما الفائدة »

مرتين ثم انفجر صاحبا .

وكان العواد والكمانى يطربان الحاضرين بقطعة موسيقية من مبتكرات
سامي الشوا ايذانا بانتهاؤ دور الراقصة المعنية الاولى .

« لم يبق أمل ... »

نطق بهذه العبارة حانقا ، يائسا ، وضرب المائدة بقبضة يده ثم قال :

« ... البلاد مقيدة بالمعاهدة العراقية - البريطانية ، والمناصب الكبرى
للإجانب وذوي العقول القديمة : الرجعيين في السياسة ، وفتيان العراق
لا يجدون واسطة لإعلان شعورهم ضد الاستعمار ؛ وهم اذا ما تظاهروا
معلنين سخطهم على الصهيونية مثلا كما فعلوا أمس ، سحقوهم بسنابك
الخيال ... قبض الشرط الان على عبدالكريم ، وأحمد حسن ، وطاهر ،
ولطفي ... وواحد من المتظاهرين في المستشفى جريح ... » واشتد صخبه
وصراخه . وكان صخبه ، مع ترحيبهم به وتقبلهم آراءه ، يتلقون نظرات
المحيطين بهم الدالة على استغرابهم هذه الخطبة التي لم يسع أحد مثلها في
المراقص ، في شيء من الارتباك . ونادى الفتى العراقى الخادم ليأتي ضيفهم
الثائر بربع من الخمر الابيض .

ثم أقبل صاحب المرقص على سليمان متلظفا يسكته ، وينبهه الى أن
فيما قاله الكفاية ، وأن الخوض في شؤون الوطن وسياسته في المرقص بين
الكأس والعود ضرب من العبث ، « واليوم خمر وغدا أمر » ؛ وكان الرجل
أديبا ظرفا ، فأفاض على الجماعة بجملة من النوادر قبل أن يتولى عنهم
وينصرف .

وتركت النظر اليهم واستماع أحاديثهم منصرفا الى دراسة المرحح !
وكما كان الجاحظ وهو من أئمة الدين يؤلف الرسائل في القيان ، كنت
عازما على كتابة فصل في نقد معنيات بغداد اللائي يطربن أبناء الشعب في

ساعات لهوهم ومرحهم ، فقلت أخاطب نفسي : « اليك المادة الاولى من مواد الموضوع » ، ثم أخرجت قلبي ودفتر مذكراتي فكتبت :

« كانت المغنية الراقصة الاولى التي يسونها جميلة العودية ، معتدلة القامة ، نحيفة ، ترتدي ثوباً قصيراً بنفسجي اللون ، يتوج رأسها تاج من اللؤلؤ المزيّف ، وجهها مستطيل ، نظراتها تدل على غباء ، تضاحك الناس بين حين وآخر ... وأما غناؤها ... »

وكتبت صفحة أو صفحتين من دفترتي في ذكر غنائها ، وطريقة انشادها ، ثم انتقلت الى وصف الثانية ، وقد جاء دورها . وحانت مني التفاتة الى أشخاص قصتي ، فألفيتهم عاكفين على مائدتهم يأكلون ويشربون ويتحدثون ، وكان سليمان يفرغ الثمالة من زجاجة « الربع » التي كانت أمامه في كأسه ، ثم يطلب من الخادم زجاجة « ربع » ثانية ؛ وعجبت له كيف سكن بعد هياجه ، ثم سمعته يقول لصحبه :

« انني أكرهها .. أكره تلك المغنية الهزيلة .. أكره تاجها المزيّف .. أكره وجهها المستطيل .. أكره نظراتها .. وأحب زهراء وان لم تكن مغنية من ذوات الفن ولا ذات شرف في هذا المجتمع »

وجاءه الخادم بالزجاجة ؛ ولم يجبه أحد . وفتح الجريدة التي كان ألقاها ساعة أقبل على المائدة وأشار الى مقالة فيها وقال :

« صرت منذ اليوم أعلن حبي لها على رؤوس الاشهاد ، فهذه المقالة بل هذه الفلسفة الجديدة عن مثيلاتها بنات معبد الزهرة قد غيرت رأيي »
وقرأ :

« لا تحقروا بنات معبد الزهرة . لا تحقروا أحدا من النساء فبنو الانسانية سواسية في هذه الدنيا . والمرأة مهما فعلت لا تخرج عن كونها بشراً مثلنا »

ولم أستغرب هذه « الفلسفة الجديدة » - على ما وصفها - ولم أعرفه صاحبها ، التي راح يؤيدها سليمان في حماسة شديدة . وخيل الي من عينيه المحملقتين وصوته الراعد ، أن الثورة الكامنة في أعماق نفسه على وشك الظهور مرة أخرى . ولكنه كان مضطربا قلقا ، فلم يكمل قراءة المقالة . ورننا الى المسرح معجبا برقص الراقصة الثانية ، وكانت فنانة رومية مستتركة وافدة من استانبول . وهز رأسه ، ثم هز رأسه اذ أطربه صوتها الرفيع العذب وأناشيدها التركية الرقيقة .
وانشغلت عنه بكتابة وصفها :

« طويلة بيضاء في صفرة كلون الذهب ... »

واستمرت في الكتابة غير منتبه الى ما يجري حولي ، نحو ساعة أو أكثر أو أقل ، لا أدري . وقبل أن ألقى القلم جانبا رنت في أذني قرعقة أحدثها سقوط أطباق على الارض ، وصرخة صارخ يقول :

« أنت خاطيء يا أخي ! أنت خاطيء ومخطيء كل الخطأ ! »

وكان الصارخ سليمان قلت : « حقا لقد ثار صاحبنا . » ورفعت رأسي لانظر اليه ، فالفيتته واقفا منفوشا شعر رأسه يعربد ، ويقول مخاطبا رجلا غريبا لم أره من قبل ، كان واقفا أمامه ينظر اليه نظرة شامت مستهزيء :

« أنا شجاع ، شجاع ! لقد طردوني لانني أبيت أن أخدمهم لتحقيق غاياتهم ، كما يحققها لهم كثير من الموظفين من بقايا عهد الاحتلال . هذا حق ، ولكنني لم أثر لحرمانني من الوظيفة ... ما أنا بسكران ! ... لست نائرا لانني أصبحت محروما من الوظيفة يا كامل ، بل لان الوطن يريد رجاله . أنظر يا كامل ! ويلك ! أنا رجل أقابل ألف رجل من هؤلاء المخائث لو دعت الحاجة ، وهاكم البرهان . »

والتفت الى صحبه مهتاجاً ، وكانوا حيارى واجمين ثم قال : « رصاصة لاجل الحرية ! »

وسرعان ما أخرج من جيبه مسدسا فأطلق به رصاصة في الفضاء .
وهرع بعض النظارة اليه ليمنعه من الاستمرار في اطلاق الرصاص ،
وبعضهم الى باب المرقص لينجو بنفسه ، اذ أدرك في هذه الحادثة بادرة
للجريمة . وجاء شرطي يعدو ويشق لنفسه طريقا الى سليمان في الزحام
ولم أعد أفهم من الحوادث المتتالية شيئا

- ٣ -

بعد يومين أو ثلاثة ذكرت الصحف : « أن محكمة الجزاء حكمت على
سليمان بن محمود وهو موظف سابق معزول ، بأن يسجن عقابا له على اطلاقه
الرصاص من مسدسه وهو سكران في مرقص الهلال . »
ولم أسمع له ذكرا بعد ذلك .



طالب افندي

- ١ -

« من ذلك الرجل الذي كان يتناول طعام عشائه على تلك المائدة القصية »
أعني الرجل الاسمر الاحوص القصير ، الذي لا تنسجم الثياب الفرنجية
عليه ؟ »

« ألا تعرفه ؟ »

« كلا . »

« انه ملا مشهور ، من الذين يكتبون لرؤساء القبائل . وكان واسطة
عقد الصداقة بين بعضهم والحكام السياسيين البريطانيين أيام الاحتلال .
متشاعر من المدرسة القديمة : مدرسة عصور الانحطاط التي أعقت فتح
بغداد العباسية ونكبتها الدامية وخرابها . أشهر قصائده التي يضربون بها
المثل في الركافة والتفاهة ما نظم في مدح الشيخ خزعل حاكم المحمرة ، قبل
أن يعزل ، وما قاله في الثناء على الرؤساء ورجال الدولة . . . »

في فندق الكوكب العراقي الجديد ، في الساعة التاسعة بعد مساء
يوم من أيام الربيع ، عام ١٩٢٩ ، في قاعة الطعام التي يفصلها عن المرقص
حاجز من خشب الساج تسدلت على نوافذه حجب من الحرير الصيني الملون ،
جرى هذا الحوار بين البادى به ، وهو مهندس رسام بغدادى اسمه
عبد الحميد عائد من سياحة طويلة ساحها في بلاد الغرب ، وصاحب له
صحافي مقيم في الفندق منذ ثلاثة أشهر أو تزيد ، بعد أن فرغا من تناول
طعام العشاء .

قال عبد الحميد في لهجة سائل مستغرب :

« نظام متشاعر؟ .. وما اسمه؟ »

« ملا طالب كما كان يدعى ، وطالب افندي كما يدعونه اليوم . وهو
من سكان أقصى القرى المتاخمة لايران ما يلي الخليج . »

وسكت دقيقة أو دقيقتين ثم قال:

« ملا يعالج نظم ما يسميه شعرا وقريضا ، كان يرتزق به ، فيما يرتزق
به من وسائل ، طيلة عمره ، جاء بغداد منذ بضعة أيام - بضعة أيام فقط -
فحلقت لحيته واعتاض عن عمامته البيضاء السدارة ، وعن ثيابه العربية وعباءته
التياب الفرنسية ! ألا تستغرب هذا الانقلاب؟ »

سأله عبدالحميد وهو يدخن سيغارة :

« كيف؟ .. كان يلبس العمامة؟ »

« ... فماذا كان يجدر به أن يرتدي من الثياب؟ »

لم يجبه عبدالحميد . وجاء غلام يحمل اليهما القهوة . ولم يكن في قاعة
الطعام ساعتئذ غيرهما . واحتسبا القهوة صامتين . ثم فتح عبدالحميد باب
الحديث مرة ثانية :

« وبعد ماذا كان من أمر صاحبنا من بعد؟ »

« بلغني أنه زار فريقا من أولي الامر أمس ، يصحبه الشيخ الصالحي ،
أحد رؤساء القبائل المقيمة حول العمارة ، وانهم سوف يمنحونه وظيفة ، وأن
بعضهم يقول أنه موعود بكرسي في مجلس النواب .. وهذا الرجل يحب
الخير حبا جبا ويرى :

« كل شيء من الدماء حرام شربه ما خلا ابنة العنقود »

بل يقولون عنه أنه أضحى هذه الايام داعية من دعاة شربها الغلاة

المتهكين ؛ وهو ينشد اللائمه على ذلك قول أبي نؤاس ، الذي يحفظه
كأنه آية مقدسة لديه :

« دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء »
« صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء »

قال عبدالحميد وهو يقهقه ضاحكا :

« عال ... وحسنا يفعل والله اذ يطلب كرسيًا في المجلس .. وهل من
شك في أن النائب الوجيه في هذا الزمن خير من متشاعر خامل معمم ؟ !
ولسوف أرسمه ، أخلده بريشتي .. أرسمه مرتديا حلله الفرنجية الجديدة ،
بارك الله له فيها ، مكلا بغصن من الغار ، راكبا سيارة لونها كلون الزعفران ،
لا تسير به على الارض ، بل تطير به بجناحين من أجنحة الميثولوجيا اليونانية
من الحضيض الاوهد الى ما فوق السحاب ! »

« طريف ظريف ! وهذا بعد اذ ينال الوظيفة التي يصبو اليها أو النيابة،

أليس كذلك ؟ »

وابتسما ثم نهضا اذ سمعا رئيس جوقة (الجاز) يعلن فاتحة فصول
الموسيقى والرقص والغناء ... ثم تعالت في الجواء - وهما يزايلان قاعة
الطعام - الحان الموسيقى رقيقة متدفقة تثير الشجا .

وفي المرقص ، بعد ساعة وبعض ساعة عادا الى ادارة الحديث على طالب
أفندي مرة أخرى . وكان جالسا يحتسى خمرة « التي لا تنزل الاحزان
ساحتها » في زاوية من زوايا المرقص هادئا ، يرسل الى الحاضرين من الرجال
نظرات ريفي دهش معجب بأسباب حضارة لم يعرف ولم يعهد في حياته ،

والى الراقصات الراقصات في حلل السهرة ، اللائي تناثرن بينهم نظرات وقحة
تفضح منه اشتهاً الحيوان . وما عثم أن تحرك في مكانه ، ثم راح يهز رأسه
بل يهز جسمه كله مطرباً ، مصفقاً ، منشداً بصوت خفيض أحياناً للمتنبئ
متغنيا بها بنعمة كنعمة القراء على الموتى :

« بأبي الشمس الجانحات غواربا

اللابسات من الحرير جلابيا

« المنهيات عقولنا وقلوبنا

وجناتهن الناهيات الناهيا

« الناعمات القاتلات المحييا

ت المبيديات من الدلال غرائبنا

« أرى أن حسن أفندي يجهل آداب العواصم ومثل هذه المجتمعات
التي قد يحسبها بعض الناس بقاعاً من بلاد الفرنجة ، في بلادنا . . ألا تنظر
إليه ؟ ألا ترى كيف يبدي هذا المسخ سروره وطربه الوحشي الغريب ؟ ولكن
لا بأس . . . »

نطق المهندس الرسام بهذه العبارة ، وسكت متوقفاً من صاحبه اتمامها .
اجابه صاحبه :

« سوف تعلمه بغداد . وسوف تهذبه . . . »

فصدقه عبد الحميد . ثم مال الى كأسه ، وكانت حمراء يفعمها نبيذ
الموصل ، يداعبها . . . وقال متسائلاً :

« وماذا فعل الشاعر ، ولنسمه كذلك على سبيل المجاز ، في أيامه التي
قضى هنا ؟ ولست أعلم كم يوماً قضى ؟ »

« أياماً قلائل ، قضى معظم ساعاتها في غرفته وفي المطعم ؛ ولم يقتحم
المرقص الا أمس »

« الا يقدمون اليه تلك الراقصة ، حسناء يونان : نادية ؟ » وأشار يميناه ،
وقد تملكه الخبث ، الى امرأة يعرفها صاحبه حق معرفة ؛ امرأة ذات قوام
مرهف ممشوق كانت تراقص فتى من أبناء التجار المرابين وأتم قوله :

« انها اذا ما حدث ذلك ، سوف تكون النعمة الثانية المتممة لهذه النعمة
العراقية القديمة ، أعني هذا الطالب أفندي الحديث العهد في حياة الاثواء
والفنادق والمراقص .. وانظر اليه يا صاحبي . انه والله ليحقد اليها تحديقا
غريباً ، ويكاد يلتهمها بعينه التهاماً . ومن يدري ... »

... وقطعت عليهما حديثهما واحدة من بنات المرقص ، وقفت تغني
الاغنية العذبة الاغاريد : فالنسيا .

- ٢ -

وهوي طالب أفندي نادية « حسناء يونان » كما كان يسميها المهندس
عبد الحميد وبعض رواد الملاهي من أهل بغداد ، مذرماً بالانظرة الاولى .
ونادية ، أو الآرتيست ناديا كما كانت تسمى في عالم صناعتها ، رومية لم
يكن لها مستقر في بلد معلوم . خبيثة بارعة في مهنتها ، ولها في استغواء الرجال
فنون وفنون . لغتها التي تتحدث بها خليط من العربية والتركية والفرنسية .
ينظر اليها الخبير بأحوال النساء ، الناقد النظر الى ما وراء الظاهر والطلاء ،
فيستدل بلامح وجهها وسيماها على أنها تعاني ألماً دفيناً من مرض مكتوم ،
مع ما يبدو عليها من جمال مشرق في اواخر أيامه . مغضوب عليها من الحكومة
لتعودها شم الكوكابين والمتاجرة به في الخفاء .

كانت تعلم أنها سوف تنفى من العراق بعد بضعة أيام ، وكانت فقيرة الى

المال ، ورأت هذا الافندي ساذجا تبدو عليه سمات قروي يتكلف التخلق
بأخلاق أهل العواصم المتمدنين ، فعزمت على اصطياد الفريسة الاخيرة فيه . . .

وبعد يومين ، في الليلة التي ابتدأت فيها قصة هذا - الذي حسب اذ
خلع عمامته ولبس السدارة واحتسى الخمرة في مرقص غير « بلدي » ونال
لقب « الافندي » بعد أن كان « ملا » عريقاً وانساناً متخلفاً من الزمن القديم ،
انه « متمدن » وداخل عالم العصرين والمتفرنجين من أبناء الطبقة العليا
والطبقة الوسطى ، في تلك الليلة - كانت نعمات (الجاز) ترجف فؤاده ،
وهو في غرفته ، وتسلأ نواحيه رغبة وحشية ، واضطراباً . ودخل المرقص
فخيره ، كما حيره من قبل ، ما رأى فيه من صنوف القصف والعبث واللهو ،
ومقدمات اللذائذ العرمة ، وصور الشهوات الثائرة المجنونة ، ومخاصرة
الرجال للراقصات المتلألئات في فيض من الانوار الساطعة ، ومراقصتهن .
وغلبته ، كما غلبته من قبل ، الكآبة لانه استحيا ولم يستطع أن يجاريهم
ويشاركهم فيما كانوا يفعلون . وشرب كأساً من الخمر ، فكأساً ثانية ، فثالثة
دهاقا ، وتمتع برؤيا المرأة التي هويها واشتهاها قبل أن يعرفها ، ساعة من
الزمن ، ثم عاد الى غرفته خزيان قلقاً . وأصابه - في تلك الليلة - أرق شديد .
وفي ضحى اليوم التالي ، في الممر المفضي الى غرفتها ، لقيها . وشهدا
تبسم له ابتسامة عطف وتودد ، فتولاه الدهش ، وارتبك بعض الارتباك ،
ولم يعرف بماذا يرد على ابتسامتها . ولم يدر أنها كانت ترقب حركاته وسكناته
منذ حل الفندق ، وأقام - على غير علم منه - في غرفة مقابلة لغرفتها . وتولاه
الدهش مرة أخرى وهو يشهدا بعد دقائق تدخل عليه الغرفة ، ثم تصيح
مستغربة : « وي ! العفو . . . باردون سيدي » كأنها تفهمه أنها أخطأت باب
غرفتها ، ثم تقهقه ضاحكة . . .

وذلكم كان فاتحة التعارف بينهما .

ومدت الراقصة جبالتها •••

وتناولوا طعام الغداء متقاربين • وتحادثا ثم افترقا •

ودخل الافندي غرفته وهو معتقد : أنها قد مالت اليه وهويته من النظرة الاولى ، كما هويها - والقلوب سواق كما تقول العامة - ، وانها - كما حكى له - سيدة كريمة الاصل ، عربية المحتد ، شامية المولد ، وانها كانت سافرت الى بلاد الروم الشمالية مع ابيها الجنرال اكرم باشا من قواد السلطان عبدالحميد ، في العام الثاني عشر من عمرها ، وأنه توفي في استانبول فرجعت الى سورية بعد أن نسيت لغة آبائها وعادات أجدادها وتقاليدها قومها ، فتزوجت • ثم طلقها زوجها لانها لم ترزق منه ولداً ، وانها قد جاءت العراق لتزور بلادا عربية طالما حنت الى رؤياها •••

وكان يحسبها من قبل راقصة او سائحة فرنجية - وهو لا يرى فرقا بين هذه وتلك - فسره الان أن يكون واياها في القومية ندين ، وان كان سلوكها الظاهر سلوك الراقصات المنتشرات في المرقص ، وهيأتها حياة الفرنجيات ، وفي لسانها رطانة الاجانب •

ومدت ثم مدت الراقصة جبالتها •••

وبعد منتصف الليل كانا في غرفتها يتعاطيان المدامة •

وانطلق لسان صاحبنا ، فأنشأ يتغنى بقول أحمد :

« نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ••• »

وبقصيدة لأبي نؤاس

« ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر

ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر »

« فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة

فان طال هذا عنده قصر العمر »

« وما الغبن الا أن تراني صاحيا
وما الغنم الا أن يتعتني السكر »

« فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر »

وخيل اليه - وهو مستلق على كرسي كبير مريح قبالتها ، يشرح لها هذه الايات في اهتمام العاثر فيها على جماع حقائق الدنيا بأسرها ، وينظر الى وجهها الذى رأى فيه تفسيراً لما يصفون من جمال الحوريات في الجنان ، والى نور القمر الساطع من وراء الستار الابيض الرقيق المزركش المنسدل على النافذة ، مسحوراً - انه في قصر من قصور الفردوس العربي : فردوس ألف ليلة وليلة المفقود .

وعادت تحكي له حكاية حياتها في اسهاب وتفصيل . وقالت له فيما قالت : انها تعودت على السياحة في بلاد الفرنجة ، وانها لتؤدي حق الحياة وتتمتع بمتعها ولذاتها كما ينبغي لسيدة غنية وحيهة متمدنة تساوي نفسها بالرجل . وهذا هو روح العصر الجديد . وانها أنفقت في سياحتها الى العراق مائة ليرة ذهباً ، ولم يبق لديها من المال سوى ثمانية . وليس يضيرها ذلك ، لان وكيلها القيم على عقارها وأملاكها الموروثة من أبيها في دمشق سوف يرسل اليها بعد أسبوع ، على ما تقدر ، مائة ليرة أخرى ، لتستعين بها على السفر الى ايران سائحة متجولة في تلك البلاد ذات السحر والشعر والخيال ، وانها أرسلت اليه رسالة برقية أمس ؛ ولكنها تخشى أن لا تصل اليه ، لانه كان معتماً السفر الى مصر ، في تجارة ...

وكان طالب أفندي ينصت ويصغي اليها بأذنيه وبقلبه ، ويفكر في أمرها

ساهماً ذاهلاً :

« ففي فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها »

وآله أن تكون هذه السرية الكريمة في حاجة الى المال ، وفي قلق
الانتظار الذى يبدو أنه سوف يطول في غير جدوى • وكان ختام حديثها
ونجواها شبه استعانة به ، وهو الان المقرب الحبيب اليها ، فمن أحرى
بنجدتها وعونها منه ؟

وفي لحظات سراع قصار اعتزم أمره ، ثم استأذنها في الخروج على أن
يعود فخرج من غرفتها قاصدا الى غرفته •

وعاد مترنحا ، حاملا بيده كيسا من الجلد أسود ، فوقف أمام المائدة
يفرغ منه ما فيه : ثلاثين ليرة ذهباً ، ولسان حاله يقول :

« يعطيك مبتدرا فان أعجلته

أعطاك معتذرا كمن قد أجرما »

ثم قال بلسان متعثر ثقيل وقد اكتسب وجهه ملامح طفل مجنون متخاذل
يستدر الرحمة :

« هدية صغيرة حقيرة يا حبيبتي ! »

وجلس • وفي أسرع من لمح البصر هتف به هاتف من الغيب :

« ستبقى ويلك غداً خالي الوفاض ، يا من لم يكرم في حياته فلساً ولم

يتصدق بنواة ! »

فأجاب في أعماق نفسه :

« لا يهم • فأنا اليوم - لأول مرة في حياتي - كريم ، كريم كالمملوك •

وقد جاد كالغيث اذا الغيث همى • وهكذا فليكن الحب وعشق العاشقين •

ولسوف يقرضني التاجر علي جلبي ما أريد من مال ، فهو صاحبي وابن
بلدي *** »

وتملكه الزهو بما فعل : الزهو بهذا الكرم الحاتمي الذي أضحى به ،
كما أضحى بفرامه هذا الذي لم يكن يتوقعه في حياته ، مولودا جديدا في
خلق جديد •

قالت له وهي تشعل طرف سيگارتها :

« كلا •• أشكرك • »

وتظاهرت بكبرياء المتعفف وبالاستغناء عن تقبل منحة • فلم يمدد الى
المال يدا • فاستمرت في كلامها :

« ان شئت ، فدع هذا المال قرضة حسنة لك عندي الى حين قريب • »

أجابها قائلاً ، وهو غير مدرك ما قالت :

« أنا والمال : مال العالم كله فداك يا ابنة الباشا ، يا تاج راسي

وغاية المنى ! »

ونظر اليها نظرة طويلة فيها من معاني خضوع المستهام وذلة السكارى

ضروب •••

وتعانقا •• وناولته كأسا ، فكأسا •• ثم انطفأ النور ، وتلاشى ذيل

الحوادث الاخيرة في همهمة وآهة كآهة المذبوح •••

- ٣ -

وأسفر الصبح ، وتلاه الضحى ، فاذا بشرطيين عابسين واقفين في
وسط المر المنفضي الى غرفتها : غرفة ابنة الباشا المستكبرة ذات العقار والجاه
التليد والمال الموروث ، يسوقانها في صخب وعنف وازدراء الى مركز الشرطة

— كما كانا يقولان لها — لكي تنفي من العراق ، وهي مطأطئة ، وقد أثقلت
كاهلها أجيال من الهوان ، تزم ثيابها ومتاعها ، ثم تزايل غرفتها صفراء ذابلة
صامتة •

واستيقظ العاشق السكران فألفاها — اذ تفقدها — في منتهى المر تكلم
أحد الشرطيين ، وراقصة وقتت تودعها ، في لهجة بغية بأئسة منكوبة •
وحانت منها التفاتة الى صاحبها فاقتمته بنظراتها ، وتجاهلته تجاهلا سره
في مكانه ؛ فحشي أن يقترب منها ؛ وذهل ولم يصدق ما رأى من مشهد
فظيع •

ومر به رجل من قطان الفندق لا يعرفه ، يمشى الهوينا ويخاطب رجلا
آخر قائلاً :

« نهاية كالزفت ! »

وكان وقع هاتين الكلمتين شديدا عليه ؛ وجف ريقه ؛ ووقف ساكنا
سكون صنم منبوذ • وجاء غلام من غلمان الفندق يقول بصوت مسموع :
« ساقوها •• كانت أرذل راقصة • »

وحسب طالب أفندي أنه اليه يوجه كلامه ، فتظاهر بأنه لا يعنيه أمرها ،
وانقلب الى غرفته مفكراً في حوادث الليلة الماضية التي كان بشس الصبح
صبحها ، وفي الذهب الذي أضاع عبثاً •

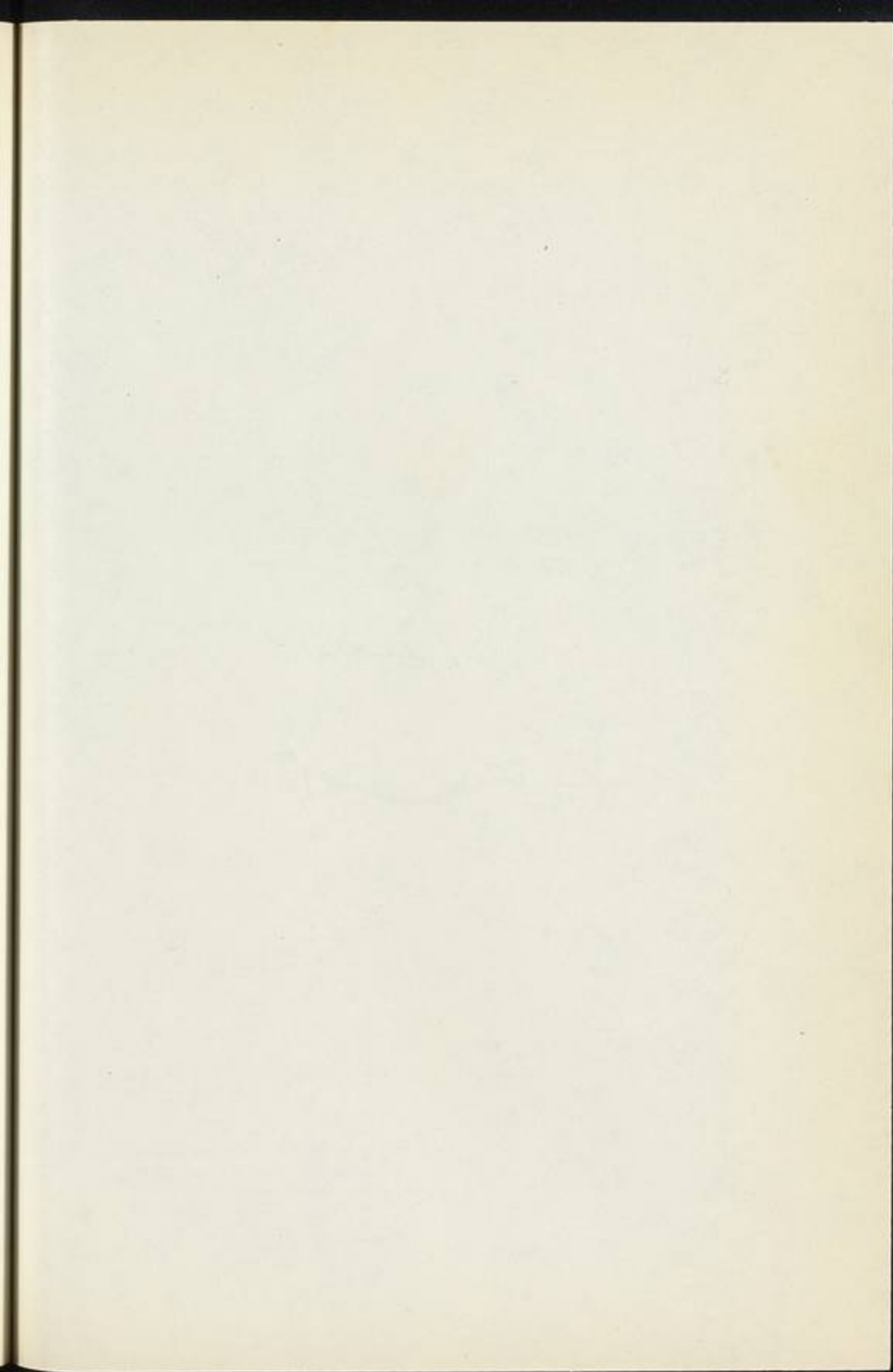
وحينئذ أدرك الفعلة التي فعل في ساعة سكرة « كافرة » وغرام مغفل
معتوه • وتصبب جبينه عرقاً ••• ومع أن شبحي صاحبيه علي جلبي ،
والشيخ الصالحي ، بديا له ملفوفين في مثل الضباب لم يفكر فيهما كثيراً •
وكان أمامه فقر قدر أنه سوف يعذبه حيناً ، وجهاد عنيف على الاعتاب في
سبيل الوظيفة أو النيابة عن الشعب الذي لم يكن يعرفه ولا يشعر بوجوده ••••

وتهافت على فراشه كالجدار المتداعي ، ثم اندفع الى باب غرفته بقوة ،
فخرج يعدو وراء الراحلين مستغيثاً صارخاً صرخة من أصابه لهب الحريق :
« مالي ! مالي ! لقد أخذت مالي أيها الناس ! »



ملحق "۲"

اقاصیس



ثورة على ابيه (*)

— هدية من الكاتب العراقي الى صديقه القاص
المصري الكبير محمود تيمور —

يا والدي !

لعلك عدت الآن الى بيتك فاستقبلتك — قبل ان تتناول كتابي هذا —
تزوجك « العروس » التي احببتها الحب الاعمى اذ حسبتها ، وهي الفتاة
الرييقة الحسنة ، تميل اليك وأنت الشيخ الواني المذرف على الخمسين
وتقبلك عن حب كذلك • وهذا منتهى « الغباوة » واسمح لي بأن اقول كلمتي
هذه • اقولها وانا مدرك ما فيها من « سوء الادب » ولكني مدرك — كذلك —
انها جزاؤك •

يا والدي !

لقد كنت — حين اخذت هذه السيدة — جاهلا طباع الانسانية — واطماع
النفس البشرية ، وكثيرا من تجارب الحياة ، رغم كبر سنك ، ويا للأسف •
ولا ادري ، فلعل الامر يرجع الى تدينك واقتناعك بما في تضاعيف كتبك
الشيئة •• من حكم وتعاليم ، تعتقد بصحتها وفائدتها في كل عصر ومصر •
وهي بعيدة كل البعد عن الواقع والحقيقة والتجارب التي يحصل عليها
الانسان الذكي اليقظ ، في حياته ، اليوم •

كنت جاهلا ••• فلم تفهم الداعي الذي دعا والد هذه السيدة الى أن
يبيعك اياها ، نعم « يبيعك اياها » على حد تعبيرى ، فالقضية كانت قضية بيع
وشراء لا قضية زواج مشروع •

(*) الحاصد - العدد ١٥ - السنة ١ - ٣٠ آيار - ١٩٢٩ ص : ٦٠ .

كنت جاهلا .. فلم تدر ان الرجل افلس اخيرا فتراكمت عليه الديون ،
وانه قد رأى في مالك الذي تحرص عليه ، وما تملك غيره من دور وحوانيت
خير مطمع له . فخدعك ، وكان يخفي عنك « افلاسه » ، ثم استدرجك فابتدع
لك ، المشروع الذي تعرف : مشروع زرع القطن في اراضي اليوسفية .
فأعطيته ذلك المبلغ الكبير (٥٠٠) ليرة عثمانية ، عن طيبة خاطر ، أمامي ،
وانا انظر اليها واسأل نفسي متحيرا : اين كان هذا الذهب يوم اعترمت
الشخص الى جامعة استانبول قبل سنتين لاكتساب شيء من العلم استعين
به على تدليل مصاعب الحياة في مستقبلي المجهول ، فمنعتني معتذرا انك
لا تملك لي النفقة ، وانك غارق في بحور الديون؟! ..

وكنت بادىء الرأي برىء الوجدان ساذجا احسن بك الظن يا والدي ،
فصدقتك ، واطعتك رغم سماعي - بعد ذلك - من بعض المتصلين بك من
صحبك الفانين البله على رأيي ، الصالحين الاتقياء على رأيك « انك حلت بيني
وبين السفر حرصا على ديني وحفظا له من الضياع في اجواء تلك الجامعة التي
لا تعلم الناس الا « اللادينييات » ولاخلاقي من الهدم في احياء (بك اوغلى)
واماكن اللهو والفسق والفجور » .

ولو كنت نافذ النظر خيرا بالاخلاق والطباع ، لعلمت ان العقيدة
الراسخة في قلب المرء « ووجدانه الباطن » لا يززعها مززع ما دامت
صحيحة لا يداخلها غش او تدليس ، وان « النفس » التي تميل الى الفسوق
بطبيعتها تميل اليه ههنا في بغداد كما تميل اليه .. في استانبول ،
او في اية بقعة اخرى من بقاع الارض لا يصدها عن ذلك صاد من حياء او
دين .. ولست ادري كيف غفلت عن اكنان الفحش في بغدادك الشريفة
هذه ؟ ويظهر لي انك ما تزال تحسب القوم ، قومك على الفطرة!؟



ولاعد الى حديثي الاول ، فقد كدت انحرف عنه وانا معذور لكثرة
ما يحتشد في رأسي من الآراء ، آرائي فيك وكلي رغبة في ان اذفك بها
حسرة واحدة ، عسى ان تتبه فترى ما انت فيه من غفلة وجهالة كاتنا سبب
ظلمك اياي ، ودفعي دفعا عنيفا الى الخروج عليك .

كنت ساذجا ، احسن بك الظن في بادئ الرأي فصدقتك ، صدقت انك
مدين ، وانك لم تتسلم من ايجارات املاكك الا مبلغا قليلا من المال لا يكفي
مطبخ بيتك وتعمير بعض الحوانيت التي لعبت بها يد الخراب فلما ان رأيت
— عقب بضعة اشهر — كيس الذهب تناوله ذلك الرجل سيدنا عبدالله المتولي
صاحبك الحميم اولا ، ووالد زوجك الحسنة من بعد ، ادركت ان حسن ظني
لم يكن في محله ، وانني كنت الضحية لاعتقادك الباطل وكرهك للعلم الذي
تستره بشعار الحرص على دياتي واخلاقي .

ثم حنقت .. بيد انني اخفيت حنقي وكنتمه . واستيقظت في نفسى
حاسة النقد والتجسس والاستطلاع توصلا الى معرفة خفاياك ، فعرفت في
مدة قصيرة ، رغبتك في ابنة السيد . وما كانت الرغبة شريفة . لانك قد
فضلت شهوتك الجامحة على مصلحتي واهنت والدتي وهي في مرقدها ،
فأحلت محلها هذه — السيدة — ولا القبها بلقب يثير منك عاطفة الغضب علي
— فدفعت لها ثمنا ، او مهرا كما يقولون : (١٠٠) ليرة وكنت تتظاهر بأنك
تريدها ضابطا لشؤون البيت وخادما لك ، ليس غير . وهكذا انظلت الحيلة
على الناس كما حسبت . على ان الناس ما كانوا والله الحمد في هذه الدركة
من العباوة كانوا يسخرون منك كثيرا يا والدي . وكانت سخريتهم تؤلمني
ايلاما شديدا ، لانك والدي الشيخ وكفى . وما كنت مستطيعا ان افعل شيئا ،
لا سيما بعد ان تم الامر في سرعة غريبة .

ثم جاءت عروسك البيت ، وانقضى شهر العسل ، فالفيتني غريبا في
البيت ، ولم اعد ارى لي مقاما بينك وبينها . وكانت هذه السيدة المحترمة —

وانت لا تدري طبعا - لا تضجل ولا تتردد عن ان تشير للسيدات في مجالسها
الى انها حبلى ، وان الوليد الذي تحمل في بطنها سوف يكون الوارث لك .
ولا اعلم كيف تناست بنوتي ...

ثم كنت اتأخر عمدا عن مواعيد الطعام فلا اجد منكما اي اهتمام او
مبالاة . ولم تعد تسألني كما كنت تسألني من قبل اذا ما تأخرت عن موعد
الطعام ظهرا او مساء : اين كنت فقد عطلتنا . ثم عزلتاني عن المائدة ورحت
في غير حياء تمشي وراء سيدتك - ولا تستغرب مني هذا التعبير لانها سيدتك
بحق - في كافة شؤونك حتى اصلاح الاملاك وتأجيرها واستغلالها واهملت
الخمسمائة ليرة التي اعطيت والدها اياها ليزرع لك بها القطن . وكنت اتمنى
ان تذهب - ولو مرة واحدة - الى حيث المزرعة لترى اي شيء هي ، وأي زرع
يزرع لك صاحبك فيها .

ثم كان يزهد روجي تبرج هذه السيدة المحترمة - جدا ولا شك -
واكثرها من التزين امامي ، وانا - كما تعلم - فتى جميل ! وهذه الزينة
كانت لك طبعا كذلك كنت تعتقد ولكن .. ولكن ..

ثم كان البيت دار ضيافة لمختلف السيدات ، ومستقرا لبعض منهن
لا تشرفه سمعة حسنة . وهن يترددن عليها صباح مساء . وانت لاه ببطنك
وصلاتك وضيوفك في الديوان ، والنوم . وكنت احاول ان اكتب وان اطالع ،
في غرفتي ، فكان ضجيج النساء في أعز اوقات العمل من النهار يقلقني
ويمنعني حتى من المطالعة البسيطة ، مطالعة الصحف .

وكنت تحسبني من هؤلاء ... ابناء الاغنياء غاية امانى الاكل والشرب
وارتداء الثياب المختلفة ، وقضاء الوقت في ظلال الراحة والكسل . وكنت
تعتقد انني سعيد بما تمن به علي ، بين الحين والحين ، من تفقات عادية .
ولكنني كنت شقيا بحرمانى من العلوم العالية وتحصيلها ، وانت السبب ،

شقيا بغبواتك وغفلتك ، وشقيا بهذه السيدة التي جئتني بها في أخريات
أيامك لتكون ربة للبيت ، تعكر على وظيفاتها صفوي ، وتسلب مني الراحة
والهناء ..

ثم كان الحادث الفظيع الذي أفرغ صبري .. ولا أريد ان أرحم شيخوختك
الآن . فانتني لمحتاج نائر صار يخزيني اتسابي اليك . أتدري ماذا كان ذلكم
الحادث ؟ أتريد شرحا ؟ أو انت مستطيع الصبر على الطعنة التي
سأطعنك ؟

اذن فاسمع ، انني موضحه لك وشارحه .. جئت ذات يوم ولكن ..
كلا . فما من حاجة الى شرح والى ايضاح . وانتي والله ليخجلني ويذيني
حياء ان افصل لك حكاية الحادث الفظيع ، الذي افرغ صبري كله واثارني
عليك ، ما من حاجة الى شرح ، فان آبيت الا ان تعرف فكن يقظا حذرا ، وافتح
عينيك ، والتجىء الى كل حيلة ووسيلة يلتجىء اليها انسان شهيم ذكي خبير
في مثل هذه الامور . ولسوف ترى - ان وفقت الى اليقظة واتبعت حقا -
ان للسيدة المحترمة (ا) في البيت زوجين واحدا من الجنس الخشن .. وواحدا
من الجنس اللطيف . والاول هو أنت وستعرف الثاني .

وانظر الى سخرية القدر البليغة عنك ، يا ايها الوالد المرزوء ، ولا كانت
لك الحياة بعد اليوم ! ..



أما أنا فقد عيئتني احدى الشركات كاتباً في فرع لها في البصرة . وغدا
سوف اكون في الباخرة ، حيال الكوت ، وسأعيش هناك حراً شريفاً قانعاً
براتبتي الزهيد ، ولن أسأل عنك ، وعماً تملك ، فلتطمئن زوجك ولن احمل
اسمك حتى يلاشيني الفناء .

التاريخ : ١٠ نيسان ٠٠٠ الامضاء : جمال الدين طبق الاصل :

شكوى (*)

زرت صديقي المحامي عبدالعزيز قبل خمسة ايام • وكان الوقت عصرا •
لم اجده في مكتبه • وفهمت من خادمه انه سوف يعود بعد نصف ساعة من
الزمن أو أقل • كنت في حاجة الى لقائه ، فافتعدت كرسيًا من الخيزران كان
موضوعًا في الطنف المطل على الشارع ، امام باب الغرفة ، ورحت انظر الى
المارة واحادث الخادم ، وهو شيخ لطيف المعشر ، بين دقائق واخرى •

وانقضى نصف الساعة ولم يعد صاحبي • فرجحت مزايلة محله على
الاستمرار في انتظاره • قلت للخادم : يا عبود او لم يقل لك الى اين هو
ذاهب ؟ قال : كلا • واحسبك يا سيد ضجرا • او انت معتزم الذهاب ؟ قلت :
بلى • قال : والله لا ادري لماذا تأخر • انتظر اذا شئت قليلا من الوقت ••

وبينما انا انهض واحاول مزايلة الطنف ظهر من السلم القريب منا
رأس كبير يلتف حوله عقال من الوبر ، وبين العقال واللحية الكثة العفراء
التي استرسلت على صدر القادم وجه لا هو بالقبيح ولا هو بالجميل قد امتد
فيه انف اقنى ، وبرز منه حاجبان كبيران • اما عينا الرجل فقد كانتا صغيرتين
والنظرات المنبعثة تدل على الحيرة والحزن كذلك •

قال القادم وهو ينظر الى الخادم تارة والي تارة :

— « جناب المحامي هنا ؟؟ » ثم اقبل علي فترك الخادم جوابه لي • قلت :

— اهلا وسهلا • ان المحامي قد غاب تفضل وانتظره في الغرفة اذا كان

لديك حاجة تريد ان يقضيها لك •

(*) البلاد العدد ١ - السنة ١ - ٢٥ ت ١ - ١٩٢٩ •

قال :

نعم يا افندي ، ان حاجتي اليه شديدة عندي شكوى ، عندي دعوى
حقوقية • وكان صوته كالنبيح ، ولم يدخل الغرفة • وكان يسد علي طريقي ،
ثم اخرج من جيبه اوراقا ملفوفة بمنديل احمر كبير ومضى يكلمني • وانا معتمز
المضي لطيتي ، فلم يكن امامي الا الاصغاء اليه •

قال ، وكأنه يكلم المحامي نفسه :

يا افندي هذه هي اوراق الدعوى ، الزوج اسمه غلام بن رسول ، تاجر
من سكان طهران ، وابنتي الآن عندنا •• انا الذي استقدمتها من طهران بعد
ان طلقها وآذاها • تفضل هذه هي اوراق القضية •••

وفك عنها المنديل • ثم ناولني اياها • على انه لم يدع لي وقتا للنظر فيها •
يل مضى في حديثه قلقا فارغا صبره :

قال : قدم هذا الرجل ، سامحه الله ، بغداد منذ اربع سنين • وساقه
القدر الينا فتزوج ابنتي وغادرت واياه بغداد عقب الزواج ، وعاشت في
بيته في العجم كما كانت تكتب الي في رسائلها ، عيشة راضية •

وكان لها منه ولد واحد ، وكان يعزها ويكرم مثواها من اجل ذلك
الولد ، وسماه (الكاظم) • وقبل ستة اشهر جاءني كتاب منها تستدعيني
به • وتقول انها مريضة مشرفة على الهلاك • ولم يكن بيدي مال زائد عن
حاجتي لانفقه في السفر ، فلجأت الي صديق •••

وهنا كان الحزن يعلو وجهه •• وشعرت بأن الوقوف والحديث الموجه
قد اتعباه ولم ار من الانصاف افهامه بأنه يستطيع ان ينتظر قليلا حتى يعود
المحامي الي المكتب فيفزي اليه بحديثه • فانقلبت الي كرسي الاول وقدمته اليه
خأبي ان يقتعده وهو يقول : تفضل يا افندي لا بأس • اجلس جنابك • ولكنني

الححت عليه فجلس وجاءني الخادم بكرسي غيره ، قلت وانا (اولع) سيغارة
واناوله اخرى :

ثم ماذا كانت العقبي يا عم ؟ قال وقد هدأت نفسه : يا حبيبي لافائدة من
الاطالة ، وقد كلفتك سماع القضية ، وهي وان كانت مؤلمة لنا ، لا تعني
غيرنا ... العفو • متى يأتي جناب المحامي ؟ فاستغربت منه هذا التغير وقبل
ان اعود الى مكالمته مد يده فتناول الاوراق مني • وقال وهو يلقها بمنديله
الاحمر أأتي غداً ؟ قلت وأنا في حيرة من امره : نعم ، صباحا • واعاد الاوراق
الى جيبه ثم اطرق دقيقة وكان يفكر ويمسح لحيته يمينه •

واذ كنت في اشد الاشتياق لسماع بقية القصة منه ، نهض يودعني ••



وفي اصيل اليوم التالي • لقيت صاحبي المحامي ، فسألته عن الرجل •
فقال لي : انه جاءني الضحى ، وان قضية ابنته جد مؤلمة ، فقد كان للتاجر
خادم ظلمه واكل مشاهراته المتراكمة لديه منذ سنتين • فكان انتقام الخادم
منه فظيعا • سرق الطفل وهرب الى محل غير معروف •

فأما الام فقد اضاعت رشدتها • ومرضت • وأما الزوج فقد طلقها لانه
لم يعد يطيق رؤياها بعد ذهاب طفله • واخذ منها كل ما كان اعطاها اياه من
حلى واثاث • والاب - هذا الذي رأيت - يريد ان يقيم عليه الدعوى ، مطالبه
بمهرها المتأخر وبالحلى والاثاث ••

عبد اللطيف بك (*)

- ١ -

عبد اللطيف بك طبيب عراقي ، متفرنج ، يرتدي القبعة الافرنجية ،
ويتكلم باللغة الفرنسية في معظم الاحيان . غير وطني في مبدئه الاجتماعي .
نفعي ، فردي مادي . مثله الاعلى المال . وقد أثرى بعد املاق .

يتردد هذا الطبيب على أسرة رومية مهاجرة الى بغداد من أزمير . وهو
مولع بالسيدة الارملة (س .) البنت الكبرى لرب الاسرة . يحبها حباً كالعبادة ،
فلجمالها عليه سلطان عظيم . وهي ذات أخلاق شديدة ، صعبة المراس .
تدرك مالها عليه من سلطان ، فتتحكم به ، وتذله ، ولم تمنحه طيلة مدة الحب
— وقد زادت على الستين — ما كان يطمح اليه منها : وهو يسألها ذات يوم ،
وهو منفرد بها في ثوى البيت بجانب (البيانو) :

أو انها عازمة على المضي في طريقها التي رسمتها لنفسها في « حياة الحب »
واذا كانت قد حرمتها — حتى حينها ذلك — من اقتطاف « ثمرة الحب »
فلتمنحه القبل على الاقل ؟

تقول في شيء من الاباء ممزوج باللفظ والرقرة والصراحة العصرية :
— كلا . ولن تقبلني ابدا . فان كنت راضيا مني بالنظر ، وبالمحادثة ،
والمجالسة ، والمسامرة ، فذاك ، والا فانصرف عني الى غيري
وكان اباؤها هذا يعذب صاحبها ويلذه كذلك . ولم يكن امامه الا
التزام الصبر الجميل .

(*) البلاد . العدد ٢ — السنة ١ — ٢٧ ت ١ — ١٩٢٩ .

دعي الطبيب الى حفلة راقصة ، شاء ان يقيمها صديق له من سمرات
الاجانب النازحين الى بغداد بعد الحرب الكبرى . وكان الرقص بالاقنعة .
وقد اقيم في قصر كبير مطل على دجلة في ليلة قمرء . وكان الطبيب يراقص
غادة حسبها أجمل عادة وقعت عليها عيناه في حياته . كذلك كانت تظهر له ،
بقامتها المديدة ، وقدها الرشيق ، وخصرها الدقيق الذي طوقه بذراعه الايمن ،
حين كان يماشيا في ماشي حديقة القصر في فترات الرقص ، وذراعيها
الناعمين ، ونهديها ، وصدرها الناصع العاجي . . .

وكان يراها مشابهة للسيدة التي أحب . وكان يحسبها هي لولا انه
كان يعلم منها قبل اقامة الحفلة بيوم انها لن تذهب اليها . وان الذي يمنعها
عن الذهاب مرض من الامراض الصدرية ألم بها . . .

وكانت كثيرة الصست . لا تكلمه الا جمل مقطعة بين دقائق ودقائق . ولم
يكن صوتها طبيعيا . وهذا ما كان يستغربه الرجل اشد استغراب . ولم
يجرأ أن يسألها : من هي ولكنه خلى بها في جانب من جوانب الحديقة في
الفترة الاخيرة من الفترات التي كانت تتخلل الرقص . فارادها على رفع قناعها
عن وجهها ليعرفها . فاجابته بالرفض . وكان ثملا . وكانت روائح العطور
الزكية تنبعث منها فتملأ خياشيمه وتزيدة سكرا على سكر . وقد غالبها وحاول
ان يرفع عنها قناعها قسراً فافلتت منه . وعادت الى البهو مسرعة ، فتبعها ولكنه
أخطأ فدخل غرفة الشراب ولما ان عاد الى البهو لم يجدها

وكان في اليوم التالي ، في غرفة استقبال صاحبتة (س .) يحدثها عن
ليلة الرقص . وهي تسأله عما شهدته فيها متظاهرة بعدم الاكتراث . حتى اذا

اتهم الحديث ، والتفت اليها يسألها : أو لم تكن تلك السيدة غريبة في سلوكها معي ؟ رفعت رأسها فنظرت اليه في شيء من العطف والاسف .
وافترجت شفاتها عن ابتسامة صغيرة ذات معنى .

وكان الرجل اذ ذلك تخامره الشكوك ، يقول في سره : من يدري فلعلها كانت هي . ولكنها على ما فهمت من امها والخدام ومنها كذلك ، لم تغادر البيت في الليلة الماضية . وانها كانت عازمة على عدم الذهاب الى الحفلة ، فهل في المسألة سر . وشيء واحد كان يزيد في شكوكه ذلك انه كان يشم في تلك اللحظة منها رائحة زكية من نوع الراححة التي شمها من رفيقته في الرقص . ولم يستطع - بعد تفكير طويل - ان يعتقد بأن السيدتين « شخص واحد » .
قالت وقد اعتدلت في مجلسها ولهجتها لهجة التقريع والتأنيب والسخرية:
- وهكذا الرجل المسكين ، فانه يعشق بعينه لا بقلبه ، انه ليضطر الى النظر الى وجه التي يحبها لكي يعرفها . فما أغباه ! أما المرأة فتعشق بقلبها ..

وبهت « المسكين » ! واربد لونه ...

شهادة (*)

« اقصوصة عراقية » مهداة من كاتبها الى

القاص المصري المجيد الاستاذ / محمود

تيهور بك ..

- ١ -

في حانة (لندن) الكائنة في الشارع العام .

الوقت : العشاء

ثلاثة كانوا حول المائدة . الاول : سائق سيارة لاحد النواب . جميل
الطلعة في الرابعة والعشرين ، يرتدي الثياب الافرنجية ، وحذاء ابيض من
الكتان ، وطربوشا مصريا ، وربطة عنق رصاصية اللون ، حليق الذقن ، يعنى
بنفسه وبثيابه كثيرا لانه عشيق امرأة في « المحل العام » ، اسمه عبدالكريم .
الثاني : نجار ، في الثلاثين من العمر ، يضع على رأسه « اليشماغ » العراقي ،
يلفه كعمامة صغيرة « عصفورية » الشكل مولع بالغناء ، لا سيما غناء محمد
القباني . وهو يقلده في التغني ببعض مقاماته . يحمل في جيبه مدية المانية
من هذا النوع الذي اشتهر في عالم الجريمة - في بغداد - بأبي (الياي) .
فأما عباة فخره فخفيفة رقيقة كأنها نقاب سيدة عصرية ، لا تخفى شيئا مما
يرتدي تحتها من ثياب من الحرير شامية ، ومنطقة مزركشة ، وسترة من
(الشعري) . والرجل اريحي ، يدعى الحاج علوان . كبير الشاربين ، اعتاد
في صدر شبابه ان يحلق لحيته كل يوم ، بيد انه صار يهملها اخيرا . ولا يهمله
اهماله اياها لانه يعجب بنفسه وبجماله الطبيعي اكثر مما يعجب بجماله
المصطنع . وهو في غنى عن السيدة التي لا تطيق حبه الا اذا كان نظيفا حليق

(*) البلاد . العدد ١٥ - السنة ١ - ٢٦ ت ٢ - ١٩٢٩ .

اللحية •• يحمل بيده اليمنى سبحة من الكهرمان يسبح ، أو يعبث بها حين يتجول متنزها في الباب الشرقي من العاصمة ، وحين يكون في احدى قهواتها ، أو في تلك الحانة التي كان وصاحبا جالسين فيها وما اليها من حانات أو مطاعم ومراقص يتتابونها • الثالث : افندي من الموظفين الذين قضوا سنين عديدة في مراكز الالوية والاقضية • في الثالثة والثلاثين من العمر ، قبيح المنظر وسخة ثيابه • سكير ينفق معظم امواله على موائد الخمر • ليس له أصل معروف ، فهو منحدر من اصلا ب غربية ، غير عربية • استوطنت اسرته بغداد مدة طويلة فتخلقت باخلاق اهلها ، واصطنعت بعض عاداتهم وتقاليدهم ، وتكلمت بلغتهم • وقد ادعى ابان الاحتلال البريطاني العسكري انه كردي من الخالدين ، ثم عاد فانكرهم بعد ان طالبه احدهم بأثبات نسبه الكردي فعجز عن ذلك • ثم ادعى انه من اصل ايراني (آرى) اذ أدهشته النهضة الجديدة التي نهضتها فارس • ثم عاد فانكر هذا الأصل بعد شهر واحد من الزمن • ورأى خير طريق امامه اتسابه الى العراقية الاولى ، الى الكلدانية مثلا ، اقتداء ببعض المصريين الجدد النازعين الى المصرية الفرعونية القديمة •

اسمه صفوة ، ويدعونه صفوة بك •

- ٢ -

كان شرب عبدالكريم وصاحبه النجار معتدلا • اما صفوة بك فقد استساغ خمر التمر ، وكان صرفا ، كما يستسيغ احدنا الماء القراح • وحين كان صاحبا يتناول الكوب الثالث ، كان صفوة يتناول الكوب الخامس أو السادس • واحمرت عيناه • وبلغت الحميا منه موضع الاسرار او كادت •

وكان الحديث بين الصبح دائرا على شتى المواضيع • فمن المغنية المعروفة جلييلة ، الى السيارات الكبيرة (الاوتوبوس) التي طفقت تحمل الركاب بين طرفي العاصمة في شارعها الكبير ، باجر بخس ، ومن السياسة

في البلد وهم فيها أجهل من دابة ، الى اخبار الكرخي شاعر العامة والثناء عليه
وعلى قصائده • وكان صفوة بك مرجع صاحبه الوحيد - في بادىء الرأي -
لتصحيح الحوار وصرفه عن موطن الضعف والخطأ • بيد انه لم يعد - بعد
ان سكر - يعنى بذلك كل العناية •

وقال الحاج علوان ملتفتا الى صفوة :

- « أقرأت الجريدة اليوم ؟ » •

والقى سؤاله هذا في شيء من الاهتمام والجد •

- « لا » •

قال صفوة ، ولهجته لهجة المتظاهر بعدم المبالاة ، وهو يعبت بسكين
المائدة وسكت بضع ثوان قبل ان يسأل الحاج علوان سؤاله الدال على
الاستهزاء بالصحف :

- « ماذا كان في الجرائد اليوم ؟ او سمعت شيئا ؟ » •

أجاب الحاج وهو يرخي منطقته ويصق في الارض :

- « لا والله • لم أسمع شيئا مهما • لكنني سمعت أحدهم يقرأ خبرا غريبا

من أخبار بغداد » •

قال عبدالكريم ، وهو يمضغ قطعة من الخيار :

- « انا ايضا سمعت الخبر يا حاج ! أو ليس هو خبر قتل نعمان أمه اذ

رآها ورجلا غريبا عنها في (المسافر خانة) بالميدان ؟ » •

- « نعم • هذا هو الخبر المهم الغريب • عفرم ! لله درك يا نعمان ••

لا نامت أعين الجبناء ! ••• »

وأخذه الاعجاب الشديد • ثم مضى يزهو مفتخرا بشجاعة البغدادي
نعسان ، وان كانت ملته غير ملته •

قال صفوة ، وقد تملكه الحسد :

— « وماذا في الامر من شجاعة ؟ »

وهم بالضحك •• قال الحاج مستغربا :

— « شلون ؟ •• عيني صفوة ! عمره ١٥ سنة •• سنة ١٥٠٠ كما كتبت
الجريدة •• صدق الشاعر القائل « لا نامت اعين الجبناء » الجبناء الديوثين
الذين يغضون اعينهم ، والنار في بيوتهم تضطرم ! »

والقى كلماته الاخيرة ، بلهجة الغيور الباسل المعتد بنفسه ، وضرب
المائدة بيده اليمنى ••

ولم ينس صفوة بنت شفة ، ولم يتحرك • وكان موجعا طعن الحاج ،
بل طالما سحق قلبه سحقا • الا لقد حسب الرجل ان صاحبه يشير من طرف
خفي الى ابنة اخته الارملة التي تقطن محلة (الطوب) وهو بعيد عنها يقطن محلة
(الفضل) لا يدري كيف تسعى فتذلل مصاعب الحياة ، لا يدري من أي مورد
تعيش عيشتها الراضية التي كان يحسدها عليها ، ومشاهرة (تقاعد) زوجها
المتوفى لا تتجاوز الثمانين ربية •

وكانت زوجه تتهمها قبل يومين — يومين اثنين ليس غير — بان لها موردا
خفيا ، وكان غير عابئ بقول زوجه ساعة سمعه منها ، ولكنه ادرك الان انه
كان مخطئا • ومن ذا الذي يعلم فربما كان الامر واضحا للناس وضوح الشمس
في رابعة النهار • وان صاحبه الغيور الذي يخلص له الود لم يسمعه ما اسمعه
من كلم الا ليثير منه نخوته وشهامته الراقدة ؟ اجل • ذلك هو الصحيح الواقع
الذي لا شبهة فيه •• وليسأله !

وكان مطرقا يفكر والسكر يزيدہ اعتقادا بانہ طعن في ساعته تلك طعنة
نجلاء وكان عنده ان توجيه السؤال الى صاحبه لا بأس به • وكاد ينطق به •
ورفع رأسه ينظر نظرة مستطيلة • كانت نظرة المستطلع المستنطق الوجهه ،
وجه المجرم وما يبدو عليه من دلائل وعلامات •

واستغرب الحاج نظرتہ • فقال له وهو يعث بسبخته القاع لونها :

— « أو قد سكرت » •

ثم ضحك ضحكة عالية الرنين • ضحكة رآها صفوة في غير محلها ان لم
تكن الدليل القاطع على انه يسخر منه عقيب ان هتك له الستار !

عض على شفته عضه قاسية • وانكشف لديه الشك المخامر • فعبس
وجهه • ثم قام يقصد الى بيت الماء مترنحا • وسمع وهو على قيد اربع او خمس
خطوات من مائدتهم الحاج علوان يقول محاورا عبدالكريم : والله سأذهبن
غدا الى دائرة الملا الشاعر • وانه لصديقي الذي لا يرد لي سؤالاً وسأرجوه ان
يمدح الشهم البطل نعمان الماحي وصمة عاره بالخنجر بقصيدة •••»

وعاد صفوة اليهما وقد تغيرت سحنته ولم يعد يطبق الصبر على المكث
في الحانة او النظر الى الحاج • وقال يخاطب صاحبه الثاني :

« العفو يا عبدالكريم • لن اذهب واياكم الى جليلة هذه الليلة • اشعر
بصداع يحطم رأسي •• »

وتناول سدارته • وزايل المجلس كالغضبان • وناداه الحاج يستوقفه •
فما وقف • وما أعاره التفاتا • وأسرع عبدالكريم مبادرا الى مساعدته على
المشي متجنباً الاستمرار في مكالمته • فوقف صفوة يرجعه قائلاً : « أنا
سكران ؟ •• »

ولحق الحاج بهما — على اثر ادائه الى صاحب الحانة الثمن — شاعراً

بتغير صفوة تغيرا لم يكن يتوقعه • ومعتزما مرافقته في مركبة الى داره ••
وانطلق صفوة يعربد بين صاحبيه ميمما الباب •

- ٣ -

في دار صفوة بك • بعد نصف ساعة •

الصريخ - صريخ الزوجة - بالغ عنان السماء • وهو حاسر الرأس •
وييده سكين كبير من سكاكين المطبخ • والزوج ممسكة بثيابه لدى باب
المطبخ تخاطبه :

- « ماذا جرى لك في هذه الليلة ؟ ياويلتاه ! أوتريد ان تدخل
السجن ؟ اية سكرة ! •• اية فعلة تريد ان تفعل ؟ ويك ارم السكين أو قد
جنت ؟ ياالهي ما هذا النصيب الاغبر الذي كتبت لي ! ••• » وهو يقول
كالمجنون :

- « دعيني ويلك دعيني آه ! انا صفوة •• انا الشهم صفوة ! لانامت
أعين الجبناء • كفى اليوم •• كفاني الخزي والعار • والله لاسكننها القبر
في هذه الليلة ••• »

وهي تزداد تمسكا به ، وتزداد صريخا • وهنا كان الجيران يهرعون
اليهما ، وفيهم اربعة رجال سمحت لهم بالدخول ، وانسجبت الى مخدعها تبكي
ويوشك ان يمزق قلبها الالم المكتوم •

وباسرع من الملح اختطف احدهم السكين من يده ، ووقف الباقون
هازئين به ، وقد ادركوا ما وراء الاكمة • وكانوا يعلمون من سيرة ابنة شقيقة-
جارهم الشيء الكثير •

وما زالوا به حتى اصعدوه السلم ، ثم أرقدوه في فراشه • وكان
آخر الامر مستسلما لهم ، على انه لم يكف عن قوله :

— « أنا (خس ، يازغ علي) أ الى هذه الحالة وصلت ؟ صبرا صبرا
قالايم بيننا يا »

والقى على زوجه « مقدارا كبيرا » من مثل هذا الهديان قبل ان يسكن
وينام •

★ ★ ★

واذ حل اليوم التالي لم يذكر صفوة بك مما حدث له في الليلة
الماضية ، في الحانة وداره ، الا رسوما مبهمه كالظلال راحت تمحوها يد
النهار المسفر شيئا فشيئا •



(*) رسائل

هو فتى في العام الخامس والعشرين من العمر • مرهف القوام •
أسمر اللون نحيف • شاحب الوجه • عرفته قبل سبعة أعوام فقيرا ذا
عقيدة « اسلامية » قوية يؤدي الفرائض كما يؤديها مؤمن مخلص في حبه
لله ورسوله • وكنت في « الديوانية » آ نئذ مديرا لديوان التحرير في صرح
« سراي » حكومتها • وكان الفتى خادما او عاملا في احدى دوائر القطار •
ثم أخرجوه من معمله فاستخدمته • وكان يجيد الطبخ وطريقته فيه الطريقة
العربية المعروفة في دور العراق التي ما زالت على نظامها القديم • ثم تزوجت
فاضطرت الى فصله من عمله في بيتي • وبعد بضعة أشهر عين « فراشا »
في صرح الحكومة •



كان خلق الفتى حسنا • فكنت اعجب بما كان يتحلى به من فضائل
منها الصدق في القول وكان قليل الكلام يؤدي اعماله هادئا • على انه كان
عصبي المزاج • ويكثر من التدخين واحتساء الشاي • وبدا لي في آخر ايامه
من عاداته ما استغربته • فقد انشأ يصلي صلاة العشاء في السرداب حين
كنت أرقد في سطح الدار • وكان السرداب مظلما عميقا موحشا ، وراح
يمنتع عن تناول الطعام ، فيصوم يوما أو يومين من كل اسبوع • ويخلو
بنفسه احيانا عقيب ادائه صلاة الفجر فيناجي الله ويهتف باسماء أهل
البيت المطهرين ويكيي •



(*) نداء الشعب (بدل البلاد) العدد ٢٩٨ - السنة ٢ - ٢٧ - ١٩٣٠ .

وزوجه ابوه بفتاة من ذوى قرباه • كان راغبا فيها • ولكنه نازعها في
الاخر الشهر الاول الذي مر على زواجه • وتركت الديوانية بعد سنة او
سنتين وانا اعلم من امره انه كاره زوجه • وانه مخالف أباه في كثير من
شؤون الحياة اليومية والبيت •

وتلقيت منه في عيد من اعيادنا الماضية بطاقة تهنئة • اعقبتها رسالة
مطولة يشكو فيها ظلم الفراشين انداده اياه • وانه يخشى ان يتهموه بما
يجعله في نظر اولى الامر مجرما أو مقصرا في تأدية الواجب • واجبتة
ببإقامة شكر على بطاقة تهنئته •

واهملت رسالته • ومرت بعد ذلك سنة وبعض سنة ولم اظفر من
أبنائه بما يطلعني على ما صار اليه • وفي اليوم الثاني من الشهر الماضي •
بينما كنت الصبح في مكنتي دخل علي ساعي البريد فناولني رسالتين •
ففضضت الاولى فوجدت توقيعه فيها « السيد كاظم بن علي » وفضضت
الثانية فوجدت فيها توقيعه كذلك واليك فاتحة رسالته الاولى :

الى سيد محمود احمد دام عزه

« فاما منظر العشائر نخبركم عن ملبوسهم جاكيت افرنجية •
جوارب ابريسم قندرة كلاصي قلم باندان • وماكولهم ايضا على افرنجية •
والثانية نخبركم عن الحنطة والشعير الذي في كل يوم يأخذ بنقيصة والان
ما ينباع • ودائما رؤساء العشائر يشكون احوالهم عندي الذي ٧٠٠٠
٨٠٠٠ و ٦٠٠٠ روية مديون • وأخذوا سيارات بالدين وعودوا أرواحهم
على تمن عنبر ولحم دجاج ومشروب ••• ومن الرؤساء واحد يقول لصاحب
« الكاتنين » ابعث لي اربع بطالة بيرة ابعث لك اربع وزنات شعير عوضهن ••
« عن اقرار السيد كاظم » •

وتحت التوقيع هذه الاشارة التي لم اهدأ الى معرفة ما يرمز بها اليه
(٧-٧) ثم يقول في ذيل الكتاب انه « رزقه الله تعالى بمولود اثنى في يوم
وفاة الامام علي عليه السلام فأراد ان يقتلها فقالت له امه لا تكن مثل
عبدالرحمن بن ملجم • فاستغفر ربه وتاب اليه واستحيا ابنته » • واغرب
من هذه الرسالة رسالته الثانية فانها تنطوي على نظام للقبائل ورؤسائها قد
« سنه » بغية منع السرقات وتأمين السبل ورفع الفساد من الارض •
ويقول في خاتمتها « سيدي وانت انظره - اي النظام - برأيك فان وافق
انفذه • هذا ما اجتهده • فلان الخ •• »

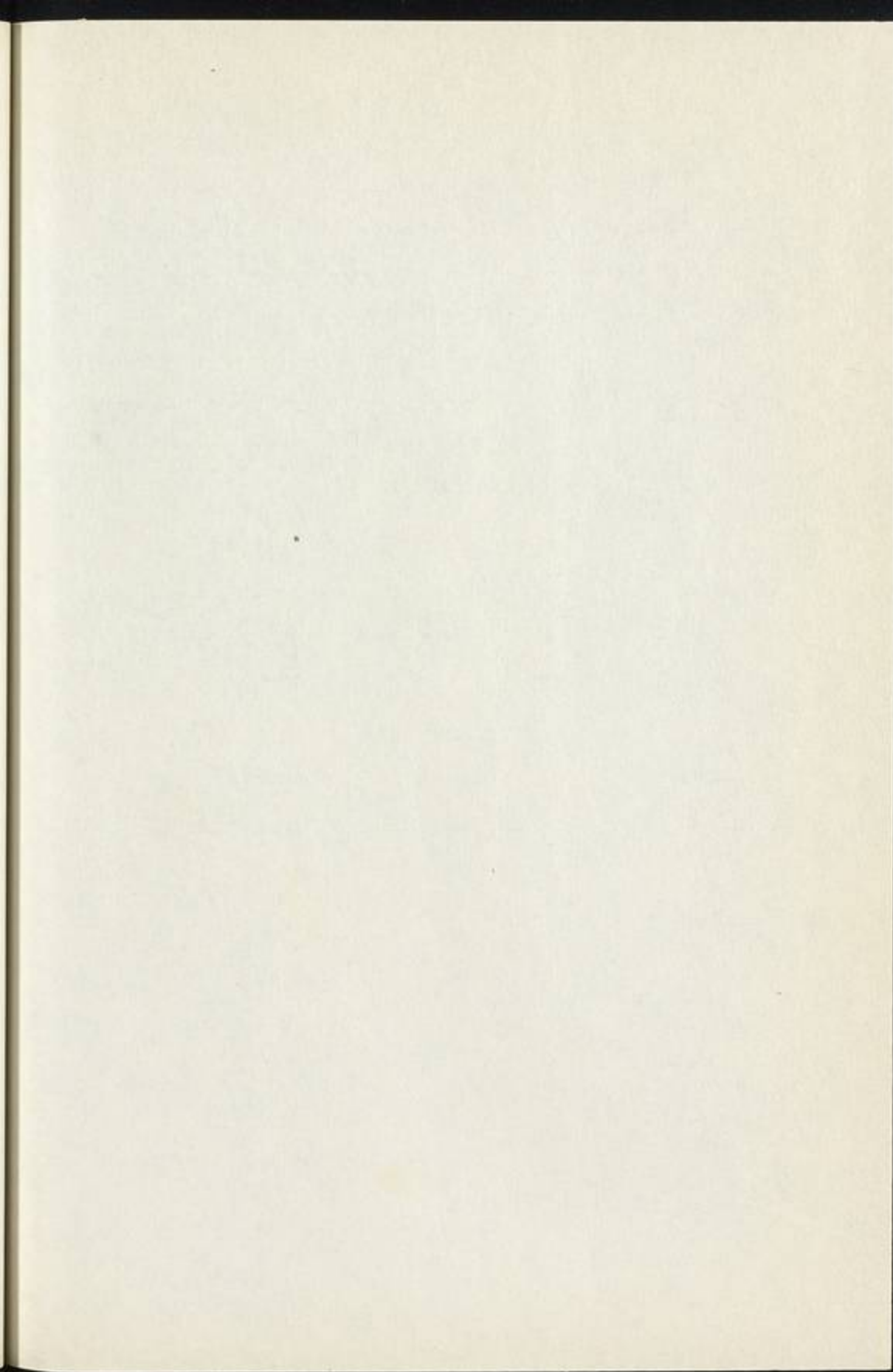


وفي اليوم التالي تلقيت منه كتابا ثالثا • فاتحته قصيدة فيها انه من
جند الله • وان سيفه قاطع وان في يوم الاخرة لا ينفع صديق ولا شقيق ولا
أم ولا أب سوى الله • وانه لذلك سوف يتبرأ منهم أجمعين وفي ضمن الكتاب
هدية هي مجموع صغير من طوابع البريد « المستعملة » •



ما رأيك أيها القارىء ؟

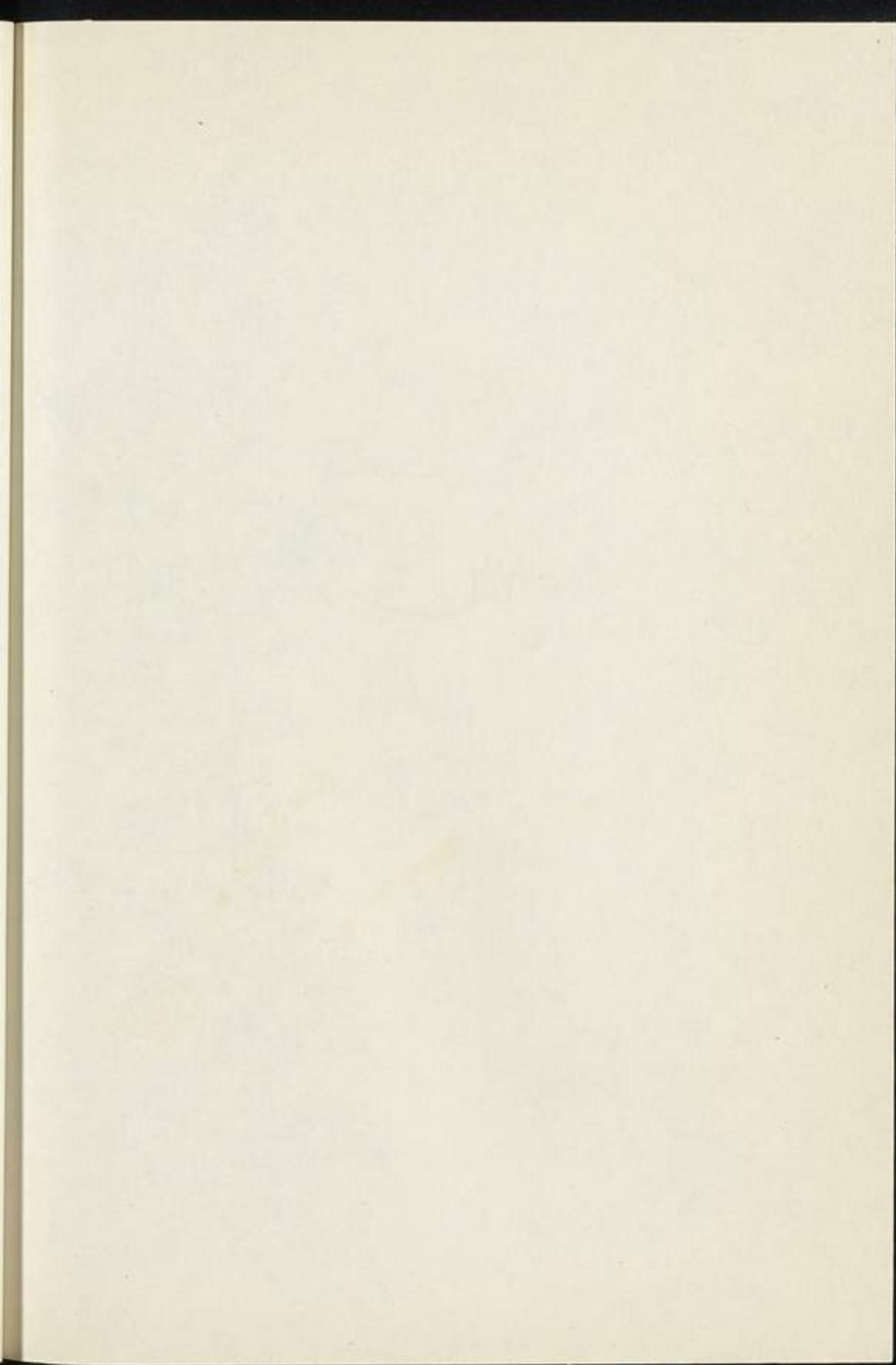
لقد بلغني بعد ذلك ان المسكين هجر بيته وزوجته • وانه خولط
في عقله •



محقق «٣»

رسائل

- ١ - الى سامي الكيالي
- ٢ - الى أمين حسونه
- ٣ - الى انستاس ماري الكرمللي



١. الى سامي الكيالي

بغداد ٨ حزيران ١٩٣٠

أخي الاستاذ سامي الكيالي

لقد انقطعت عن مراسلتكم منذ مدة غير قليلة ، وأنا في أشد الشوق الى مناجاتكم ومحادثتكم بواسطة المراسلة . ويؤسفني ذلك ؛ على انني كنت مضطراً اليه ، بسبب كثرة اشغالي في أمانة العاصمة ، وفي داري حيث يرقد نصف اهلي واولادي - الاربعة - مرضى . ولم اجد لدى فرصة لكتابة مقالة أو قصة للحديث الاغر . وتركت التردد على ادارات الصحف ، ولاسيما جريدتي البلاد والاستقلال اللتين افتخر بانتسابي اليهما ، كما افتخرت بانتسابي الى الحديث . ولم اكتب اخيراً الا خطبتين القيتهما في حفلة اقيمت لتكريم السيدة فاطمة رشدي ، وحفلة اقيمت لتكريم امين العاصمة السابق نشأة بك السنوي . ومقالتين : ١ - في اقاصيص محمود طاهر لاشين القاص المصري المعروف ٢ - في كتابة القصة في العراق . [وهما منشورتان بالبلاد] . ولو كانت هذه المقالة - الثانية - مما يصح نشره في المجلات الراقية لارسلتها اليكم لتفضلوا بنشرها في مجلة الحديث ؛ والاولى مثلها .

وآخر اعمالني خطبة القيتها في مساء اليوم الخامس من الشهرى الجارى في حفلة تأبين العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا ، التي اقيمت في دار جمعية الشبان المسلمين ببغداد .

وكان اول من فكر في اقامة الحفلة الاستاذ محمد بهجة الاثرى سكرتير الجمعية والاستاذ رفائيل أفف بطي منذ نصف شهر او اكثر . واعلنا لي عزمهما - في يوم جمعة - في دار أمين العاصمة الجديد محمود صبحي بك

الدفتري حيث اعتاد أن يجتمع سراة القوم وأهل الفضل والادب للمسامرة
والمحادثة . فانضمت اليهما . وقامت بالامر الهيئة الادارية لجمعية الشبان
المسلمين قياما حسنا . وحضر الحفلة جمع عظيم من العلية والادباء وكبار
العلماء والموظفين ، وقنصل مصر سعادة مخلوف بك وجباة من المصريين .

وافتحت الحفلة بتلاوة « عشر » من القرآن الكريم ثم وقف الخطباء
وهم : رئيس الجمعية المحامي حسن رضا اف ، ومحرر جريدة البلاد واحد
صاحبها الاستاذ رفايل بطي ، وصديقكم محمود أحمد ، والمحامي السيد
ابراهيم افف الواعظ عضو مجلس امانة العاصمة ، والسكرتير الاستاذ محمد
بهجة الاثري فالتقوا خطبهم ، من فوق منبر مجلل بالسواد ، وفي الصدر
صورة كبيرة للفقيه المرحوم أحمد تيمور باشا وسط أطار من الزهر .
وكانت الخطبة الاولى وجيزة بين الخطيب فيها القصد من اقامة الحفلة وهو
اعلان الدليل على الاخاء المتبادل بين الاقطار العربية الطامحة الى الحياة الحرة
الراقية والتثقف والتعلم والتمدن . ذلك الاخاء الذي قالت عنه جريدة
البلاد الغراء في عددها الصادر اليوم : « انه خير دليل على أسس الوحدة
العربية تشيد ، وتقارب بين اخوان شتتهم الظروف القاسية ومزقتهم محن
الزمان وطوارق الحدثن فتألبوا للتخلص من ذل عانوا مرير عسفه ،
واستعمار صرعهم في مجدهم وفي حياتهم . وأنك لتجد هذا كله في سراء
تصيب قطراً من هذه الاقطار او ضراء تبدو معالمها واثارها فيه » .

والخطبة الثانية ترجمة للفقيه وذكرأ لاعماله وكتبه ومؤلفاته الخ .
هذا بعد مقدمة في نقد اللغة العربية واثرها في استبقاء الامة العربية ووحدة
الاقطار العربية الحاضرة . والخطبة الثالثة كدعوة الى وجوب مساواة اللغة
بالفكرة والمعنى ، ودفاع عن اللغويين وتجدون نسخة منها مع هذا الكتاب .
والخطبة الرابعة بياناً لماثر الفقيه الكبير واياديه البيضاء التي له على العلم واللغة .
والخطبة الخامسة مقدمة بليغة لقصيدة عصماء زادت ابياتها على الستين بيتاً . . .

ثم نهض الاستاذ الجليل أحمد حسن الزيات والقى كلمة بالنيابة عن أسرة الفقيد وعن اخواننا المصريين قال فيها :

« باسم الامة المصرية ، باسم الجامعة العربية ، باسم الشهداء في سبيل العلم والوطنية ، باسم أسرة الفقيد اقدم جزيل الشكر وموفور الحمد الى حضرات الداعين والمدعويين الى هذه الحفلة الموقرة واذكر بالاعجاب هذه العواطف النبيلة التي عبر عنها حضرات الخطباء فاحسنوا التعبير واجادوا البيان . جميل جداً يا سادة ان تتجاوب اصداء الاسى في جميع الاقطار العربية كلما عبثت بآمالنا الخطوب وعدت على رجالنا عوادي السياسة أو الموت . وأليم جداً يا سادة ان تتخطف المنايا اقطابنا وهداتنا والبحر الذي نسلكه مضطرب والمركب حائر والمرفأ بعيد » .

ثم قال :

« ان حياة الفقيد العظيم كما سعتموها من الاستاذ بطي مثل من المثل العليا للحياة العاملة في غير ضجيج ... الحافلة المثمرة في غير غرور ولا دعوى ... »

وختم الكلمة بالشكر ايضاً محيياً في شباب الرافدين النخوة العربية والشعور النبيل الذي يدونه من حين الى حين لجزء من اجزاء الوطن العربي المشترك .

واشارت الى الحفلة جريدة العراق يوم ٦ حزيران ، وجريدة العالم العربي يوم ٧ حزيران وجريدة البلاد يوم ٨ حزيران ، مع وصفها وصفاً موجزاً . ولم تشر جريدة العراق الى الاستاذ الزيات وكلمته . ولم نعلم السبب . ويقال انها كانت علمت انه لم يكن داخلًا ضمن الخطباء في المنهاج الذي طبعته الجمعية ونشرته مساء يوم الحفلة ، فاستعجلت في نقل النبأ الى القراء وهي غير عالمة بعزم المصريين اخواننا على شكر القائمين على لسان الاستاذ الزيات ، وان لم يكن اسمه داخلًا في المنهاج المطبوع .

ونشرت في البلاد الصادرة يوم الجمعة (٦ منه) مقدمة الاستاذ الاثري مع القصيدة ، وفي البلاد الصادرة اليوم كلمة الاستاذ الزيات . ولم تنشر حتى الان خطب رئيس الجمعية ، والاستاذ رفائيل والمحامي الواعظ ، وخطبتي . اما هذه الخطبة فقد طلبها الاستاذ رفائيل فلم ارسلها اليه واعتذرت لانني كنت عازماً على نشرها في الاستقلال ، ولكنني اثبتت - بعد ذلك - عن نشرها في صحف العراق . وارسلتها الى صديقي الاستاذ محمود تيمور . ولعلها تصل اليه قبل ان يغادر القاهرة لانه كتب اليّ أنه سوف يعود الى سويسرة في ١٢ يونيه (الجاري) . وهذه النسخة منها التي قدمتها مع الكتاب ، لكم نشرها بالحديث الاغر اذا شئتم ورئيتموها جديدة بالنشر ؛ فاذا لم تنشر فاني ارجو ابقاءها لديكم عسى ان نحتاج الى ارسالها الى الاخ محمود تيمور اذا لم يصل اليه النص الذي ارسل بالبريد الذاهب الى القاهرة .

ولقد اطلت ايها السيد العزيز . وكان في نيتي أن اقضى شهراً من هذا الصيف في سورية ولبنان لاحظى برؤيتكم ورؤية اخواننا الآخرين في الشام وبيروت . ولكنني لم استطع الاتصال من عملي في دار البلدية . ولم أمنح الاجازة التي طلبت . وعسى ان اتمكن من السفر في آخر الصيف أو في السنة القادمة . ولست أعلم شيئاً من اخباركم . وكان ردكم على معاوية محمد نور وجيهاً جداً وقويماً . وأظنه سكت ولم يعد الى مناقشتكم مرة أخرى . ان اتصالي بالاخ محمود تيمور مستمر بواسطة المراسلة . ولقد حزنت كثيراً وأسفت على والده المرحوم ، أسكنه تعالى فسيح جناته . وتلقى الناس عندنا نبأ حبسه المكتبة على طلبة العلم مع وقف شيء من اطيانه عليها بالاعجاب والاكبار . وهكذا فليكن الرجال والعاملون . واقبلوا مزيد الاحترام من اخيكم المخلص :

محمود أحمد

الاعظمية (العراق)

في ٢ شباط ١٩٣٥

سيدي الاخ سامي الكيالي المحترم

لقد اخذت هذه الورقة من مكتب فندق أميه في الصيف الماضي لاجل ان اكتب اليكم كتابا ، وكنت راجعا من بيروت في شغل ، وكان في نيتي السفر الى حلب لزيارتكم ولمشاهدة آثارها ، ولكن حادثا حدث يومئذ اضطرني الى مغادرة دمشق على عجل ؛ فرجعت الى بغداد ، ومنها سافرت الى طهران . وكنت افارق سورية وكلّي شعور بالحزن العميق لمغادرتها فكأنها كانت أعز عندي من موطني : مسقط رأسي ، وأحب . واسفت لعدم استطاعتي زيارتكم التي كنت اتناها من عهد بعيد . فعسى ان اعيد الكرة في الصيف المقبل ، انشاء الله .

وصلني قبل اسبوع العدد الممتاز من الحديث الاغر لسنة ١٩٣٥ فاعجبني جدا ؛ واعجبتي منه القطعة الثمينة : قصتكم عن الامومة ، التي اعدتها فتحا في الادب القصصي الحديث عندنا . ودفعني الاعجاب الى كتابة هذه الاسطر اليكم لاعبر بها عن شعوري فحياكم الله ويياكم ووفقكم الى اتمام هذا العمل العظيم الذي بدأتموه بالحديث في دأب وجهادٍ منقطعين عن النظر .

إن مشاغل مجلس النواب في هذه الايام كثيرة ، ولاسيما الايام الخاصة بمعالجة قضية العراق وايران ، فعسى ان تعذروني من التقصير . ومع ذلك فاني لا اشعر بتماثل روحي للشفاء ، وربما عدت الى حضيرة الادب في القريب .

هل للأخ أن يتفضل عليّ بتلك الاقصوصة التي كتبتها عن (شاعر
وغانية) ورجوت عدم نشرها ، اذا كانت باقية لديكم حتى الان ؟ فاني سوف
اصلحها بل اعيد كتابتها ، ثم اعيدها اليكم لتنشر بالحديث • وارجو ان تكون
مراسلاتكم لي بهذا العنوان ؛ لانني لا أسكن في بغداد الان :-

• محمود السيد سكرتير مجلس النواب ، الاعظمية (العراق)

وتفضلوا اخي بقبول مزيد احترام المخلص اليكم

محمود السيد

٥٢. الى محمد امين حسونة

بغداد في ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٢

عزيزي الاستاذ محمد امين حسونة .

تشرفت بكتابكم المؤرخ في اول ديسمبر اليوم ، كما يظهر لكم ذلك من ختم البريد العراقي على الغلاف الذي اعدته اليكم طيه . وبسا ان كتابي هذا سوف يصلكم في منتصف ديسمبر وهو آخر يوم عين لقبول المقالات لعددكم الخاص من السياسة الاسبوعية فإن تأخيره لكتابة المقالة المطلوبة - التي تستغرق ثلاثة او اربعة ايام على اقل تقدير - لن يجدي نفعاً . ولذلك لم احاول كتابتها . وعسى ان اتمكن من الاشتراك في مساعي الجمعية المحترمة في المستقبل ، وان كنت معتقداً بقله البضاعة - وانا مضطر الى استعمال هذه العبارة القديمة فمعدرة ! - لانصرافي عن احترام الادب مرغماً . ترغمني دواعي الجدل في الحياة ، وتوفرى على دراسة نظم وقوانين العمل والعمال المقررة في العالم المتمدن ، والنظريات الاجتماعية المؤيدة لاسسها تمهيداً لتأسيس مكتب العمل في وزارة الداخلية المراد به حماية حقوق العمال على قدر ما يستطيع في الدولة الحاضرة ؛ هذا فضلاً عن انهماكي في تطبيق قانون البلديات الجديد والنظم والتعليمات الملحقة ، وهذه أمور طويلة ، عريضة ومقلقة ملقاة على عاتق هذه السكرتارية المسكينة التي هي في الحقيقة وكالة وزارة ومديرية عامة لجميع بلديات العراق التي على اهميتها لا يعينني من أمرها شيء لو كنت املك من حطام الدنيا ما يعينني عن قيود الوظيفة ومسئولياتها في ظروف سياسية حرجة جداً كظروفنا . ومستقبلي مظلم ومجهول . . . وهذه شكوى لآخ حبيب من أخ محاط بالريب والشكوك منذ دالت دولة مزاحم الباججي وزير الداخلية السابق وانا بريء من كل ما اتهمت به معه من امور سياسية لا عهد لي بها .

ان انتخابي عضواً للجمعية العشرين باقتراح من الاخ الجيب الاستاذ محمود تيمور بك قد سرني كثيراً ، وانا أشعر بعطفه وعنايتكم وحسن ظن الاخوان المؤسسين ؛ وإني لارى تلبيتي طلب الجمعية واجبة عليّ لانها مدعاة لافتخاري بها ؛ ورجائي حق الرجاء أن اوفق لمشاركتها في عملها الذي تعترمه في سبيل تعزيز الادب الحديث وتكوينه على اسس راسخة في العالم العربي الناهض .

ارجو ان تعلموني بأخر قرار للجمعية تصدره او اصدرته في قبولي للعضوية ؛ على ان تحفظ لي حق استقالتي منها اذا رأيتني في المستقبل مقصراً في اداء واجباتي الادبية نحوها وغير مستطيع كتابة شيء لمجلتها التي تنوي اصدارها ، لانني كما أشرت آنفاً غاور « اماتور » لا محترف للادب . وعسى ان تخبروني بما تفرضه الجمعية عليّ من مال لكي ابادر الى ادائه لصندوقها كبذل اشترك او ثمن أسهم . واقدم جزيل احترامي الى الاخ تيمور بك وبقيّة الاخوان واليكم اخي العزيز :

المخلص

محمود احمد

الاخ العزيز الاستاذ حسونة •

كنت اليكم في ٧ الجاري جواب كتابكم المؤرخ في اوله متضمناً
شكري لكم على انتخابي عضواً لجمعية العشرين ؛ وقدمت كتاباً مثله الى
الاخ الاستاذ محمود تيمور بك •

وقد سهوت عن ان اعرض عليكم شدة اشتياقي اليكم ، وترجيبي
بكم منذ الان ، اذ صح العزم وتفضلتم عليّ وعلى الاخوان بزيارة في القريب
من الزمن ؛ كما زرتهم الاصدقاء في فلسطين وسورية ولبنان والافاضول •
وعسى ان تتمكن آتئذ من القيام بنا نستطيع من واجبات الصداقة وحق
الادب نحوكم • قرأت أمس مقالتكم (في ملحق السياسة) عن الاديب
التركي رفيق خالد واعجبت بها • وذكرتنى القطعة التي نقلتموها فيها عن
جلال نوري ، بعدة مقالة له كنت ترجمتها عن كتاب « تاج كيه ملت » اي
« الشعب المتوج » • ونشرتها ملخصة في صحف ومجلات بغداد سنة ١٩٢٨ ، وكانت
ترجمتكم دقيقة ومفرغة في قالب عربي متين • كنت ارسلت قصاصات - تلك
المقالات - الى الكاتب المومى اليه ، فاعلمنى بوصولها ، في كتاب رقيق •
ولو كان عندي الان منها نسخ أخرى لقدمتها اليكم للاطلاع عليها • كنت مولعاً
بالادب التركي كالاخ الاستاذ الكيالي وترجمت عنه اقاصيص ومقالات
كثيرة قدمت بعضها الى الاخ الاستاذ محمود تيمور بك ، ولكنني الان لا اشعر
بميل شديد الى ذلك الادب الذي راح يتطور بسرعة ، ويتفرنج - اذا صح هذا
التعبير - اكثر من تفرنج الترك • ومما زهدني فيه الاسراف الذي بدا لي من
معظم كتاب الترك الجدد في سرقة ، واقتباس (ادابتاسيون) القصص
والاقاصيص الفرنجية بحيث اصبحت مجلاتهم القصصية مجموعات مزيفة لحياة

غير شعبية ولا شرقية ولا تركية اصيلة (اوريژنال) ، بل هي حياة افرنجية لم
تتحقق بعد في تركيا مع مظاهر التفرنج فيها •

وهاتان صورتان لذكرى سياحتي في ايران التي كتبت عنها مقالة في
الحديث • واقبلوا مزيد احترامي •

محمود أحمد

بغداد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢

حضرة الاستاذ أمين حسونه المحترم

بعد التحية والاحترام

كنت في ٧ ديسمبر قدمت جواب كتابكم ، وارسلت اليكم أمس كتابا مكتوبا على صورتين من مدينة قزوين تذكارا لزيارتي لايران في الصيف الماضي ، وذكرت في بعض خواطر عنت لي بعد أن قرأت مقالكم عن تركيا الاجتماعية الادبية اليوم كما يراها الاديب التركي رفيق خالد . واتماما لقولي في جوابي المؤرخ في ٧ ديسمبر - عنى - : « اننى غاور في الادب لا محترف له » قدمت اليكم طيه كلمة صغيرة لي عنوانها « الحب والصدافة » كنت نشرتها في احدى مجلات بغداد في صيف عام ١٩٣٠ . تجدون فيها ، على ايجازها وخلوها من الفكرة العلمية او الفلسفية الدقيقة ، بعض عبارات واشارات يسكن ان يفهم منها اللبيب لماذا تركت الانصراف الى الكتابة وعدلت عن التوفر على الادب ودراسته . فالاديب في بغداد مسكين لا احترام له ، والمؤلف فقير لا رواج لكتبه ولا قرآء لمقالاته ، وخواص الناس يستبقون المناصب في هذه الفترة التي راحت تتكون فيها دولة العراق الجديدة ويجمعون المال ويبتنون القصور وهم لا يقيمون وزنا لانضج نوع او كتاب من الادب ولا يعرفون اعظم اديب بقدر ما يقيمون وزنا للعب البردج او اليوكر وبقدر ما يعرفون راقصة او مومساً . والعوام أميون ذوو حرف وصناعات يجاهدون بها في سبيل العيش ولا يعرفون سوى ملء بطونهم وتلبية رغباتهم الحيوانية ، أو فلاحون جياع ... وما لهؤلاء وللأدب !

وبين اولئك وهؤلاء طبقات من الشباب : منهم من لا يقرأ سوى المجلات والصحف الفرنسية والروايات الانكليزية والفرنسية ، وهو يجهل الأدب العربي وقد يزدره ؛ ومنهم من لا يزال يطلب العلم في المدارس

والجامعات فهو لا يعرف ولا يريد ان يعرف سوى كتب الحقوق والقانون وعلوب الطب وما اليها ، وكله اعين تنظر الى الوظيفة والمنصب في اشتهاء شديد ، فاذا ما نجح ونال (الشهادة) ثم الوظيفة لم يعد يعرف شيئاً اسمه العلم ، اما الادب في رأى هذا الفريق فسخف وهراء ؛ ومنهم من لا يقرأ إلا (الدنيا المصورة) ومثيلاتها من الصحف والمجلات التي تسليه وتفكهه ولا تتعب ذهنه ، وهو يريد شيئاً يضحكه ويكون واسطة لتزجية وقته لا ادباً يحمله على التفكير في شؤون الحياة والمجتمع واسرار النفس وطبائع الوجود ، والقليل منهم يرغب في الادب ، وهذا القليل لا يمكن ان يعتمد عليه الاديب في ترويج مؤلفاته ، وآثاره ، فمائة نسخة من كتاب او مأتان او خمسمائة تباع في السوق لا تغني الاديب المؤلف ، ولا يستحق الربح الناتج منها سهر الليالي وكد الذهن وبذل ماء العين ودم القلب . ولا نرى في مجتمعنا اى مشجع او دافع للأدباء على الكتابة والتأليف من تقدير لهم او تحييد لما يعملون .

وهذه الحال لا تساعد على تكوين الأدب في العراق . ولا يتسع مجال هذا الكتاب للاسهاب وضرب الامثلة تأييداً لما قلت .



قدمت اليكم طيه مقالة عنوانها في الادب القصصي كنت نشرتها بجريدة البلاد سنة ١٩٣٠ فيها آراء لي لا اقبلها الان . فإنتي قد صرت اليوم الى نظريات في كتابه القصص تشتمل على التسامح في كتابه القصة وعدم تحديدها بقيود او حدود ضيقة باسم الفن . على انني ما زلت من انصار المذهب الواقعي في الادب وان كنت أميل بعض الميل الى (تطعيمه) - اذا صح هذا التعبير - بالمثل العليا .



ومعها مقالة أخرى عن سخرية الناسي للاستاذ طاهر لاشين ، كتبها بعد ان كتبت في الحديث وغيرها عن الاستاذ محمود بك تيمور ، وكان

قصدي في ذلك تعريف العراقيين بخيرة رجال الادب المصري الحديث . ولكنني ويا للأسف لم استطيع أن أوذي واجبي نحو الاستاذ تيمور فكانت كتابتي عنه في الحديث موجزة وتتضمن دفاعاً عن أدبه هو ولا شك في غنى عنه ، وكان عليّ أن اكتب دراسة مسهبة لقصصه . اما الاستاذ طاهر لاشين فأرى - وارجو ان لا يغضبه قولي هذا - ان ناشري كتبه يحشرون فيها اقصيص قد تصلح للنشر في الصحف اليومية لكنها لا تصلح للنشر في كتب يكون نصيبها من البقاء اكثر من نصيب الصحف . فأني شيء هي أقصوصة « الشيخ محمد الياماني » التي نشرت في « يحكى أن ... » ؟ واية قيمة لها من الوجهة الفنية تجعلها جديرة بأن تضم الى الجيد مما كتب الاستاذ ؟ وانتي لاقسو بهذه القاعدة على نفسي قبل كل أحد ، فقد نشرت بمجلة الحاصد الاسبوعية البغدادية قبل سنتين - او اكثر او اقل ، لا أدري - اقصوصة اهديتها الى الاستاذ تيمور بك وعنوانها « ثورة » على أبيه ... » لا أفكر ولن افكر في نشرها بكتاب في المستقبل ، مع ان الاستاذ قرّضها لي في كتاب ارسله اليّ من اوربة بعد نشرها بمدة قليلة . ومثلها اقصوصة « بداي الفايز » الفلاح العراقي الذي نسي ثأره ومنعته عاطفة الرحمة الانسانية من الانتقام من عدوه ساعة كان هو واطفاله في خطر وفي حاجة الى النجدة ، واقصوصة « شهامة » وغيرها مما نشرت بجريدة البلاد وغيرها ، وانطوى ذكرها ؛ وهي قد تكون خيراً مما نشرت في كتيب « الطلائع » الذي طبعته ونشرته سنة ١٩٢٨-١٩٢٩ . ويا ليتني لم انشره .



واعذرني يا أخي ، فقد أطلت كتابي هذا الذي حداني الى كتابته اهتمامكم بالادب واخلاصكم في العمل على ترقيته والنهوض به في بلادنا العربية ، في هذا العهد : عهد الانتقال من حال الى حال . واتمنى لكم التوفيق والنجاح ، واقبلوا مزيد احترامي .

المخلص

محمود احمد

بغداد ١٧/١/١٩٣٣

أخي الاستاذ حسونة المحترم

تشرفت بكتابكم ، مع كتابكم الاشبال أو مصر الحرة ، وصورتكم
الفوتوغرافية فشكرت لكم حسن اهتمامكم . وسوف اقرأ كتابكم في
اممان واحافظ عليه للذكرى . وعسى ان توفقوا لنشر كتبكم الاخرى .
ادامكم الله ذخراً للأدب .

ليس لدي مع الاسف ما اقدمه اليكم مما نشرت قبل سنوات ثلاث .
وعسى ان اتم مجموعة اقايصي الجديدة التي كتبت بعضها في هذه المدة ،
ولا يزال بعضها غير تام لانه في حاجة الى اعادة النظر فيه ، فاقدم لكم نسخاً
منها كهدية لكم صغيرة ولاصحابكم ؛ هذا اذا لم تقض العوائق عن نشرها .
ولست اقرر في هذا القول احترافي للأدب ، لانني ما زلت ثابتاً على
مبدأي وهو انني اتخذ من الأدب سلوى في بعض اوقات الفراغ ، فانا هاو
(امارير) له ليس غير .

قدمت طيه صورة فوتوغرافية أخذت قبل سنوات ثلاث ، عسى ان
تبقى لديكم للذكرى واقبلوا مزيد احترامي .

المخلص

محمود أحمد

الاعظمية ٢٥ توز سنة ١٩٣٣

حضرة الاستاذ حسونه المحترم

أخذت بيد التكريم والاعجاب كتابكم الجديد « الورد الابيض »
وبادرت الى كتابة هذا الكتاب اليكم قبل شروعي بتلاوته لكي اعلن لكم
تهنئاتي بصدوره وبنجاحكم في رفع راية الفن القصصي المصري به عالية
خفاقة . ان شهادة المستشرق الكبير صاحب المقدمة والاستاذ تيمور بك
تكفي لان تعرف للقراء قيمة الكتاب وسو درجته في الادب . ولست
اعتقد بحاجة الاخ الاستاذ الى تقريظ من امثالي لمجموعته ، او ثناء على
يراعته . على أنى لمتتهز الفرصة بعد قراءه هذه القصص الجميلة الرائعة لبيان
رأبي فيها . وارجو ان تكونوا بخير عييم . ودمتم في نجاح مستمر وتوفيق
في عالم الادب مستديم واقبلوا احترامي .

العنوان الجديدة للمكاتبة :

سكرتير مجلس النواب ، بواسطة مجلس الامة .

الاعظمية - العراق

المخلص

محمود أحمد

الاعظمية (مدينة النعمان)

في ١ شباط ١٩٣٥

الى الاخ الاستاذ أمين حسونه المحترم • تحية واحتراماً • وبعد ،

فتذكرني هذه الورقة بأيام من الصيف الماضي قضيتها في دمشق ، ثم في لبنان قريبا من القطر المصري العزيز المحبوب ، وأنا أحن اليه والى صحب لي فيه الامين في طليعتهم ؛ وقد حصلت على « الويزة » للسفر اليه والمكث فيه ثلاثة أشهر ، ثم جرى من الحوادث ما دعاني بل اضطرني الى ترك دمشق على عجل شاخصا الى بغداد • ثم ذهبت الى ايران • وقد أسفت آنثذ على ضياع فرصة ثمينة من يدي ، كان لا بد لي من انتهازها لزيارتكم ومشاهدة القاهرة ، والسياحة في الاسكندرية ، ثم لمشاهدة الآثار في أماكنها • على انني اروم فرصة أخرى لتحقيق هذه الامنية في الصيف المقبل • وعسى ان اوفق •

لقد انقطعت عني اخباركم ، فما السبب • انني ارجو أن لا تكون كثرة أعمالكم الادبية الناجحة ، سبباً لترك اصحابكم المعجبين بكم • وعسى ان تصلوا ما انقطع ، فاني لفي شوق الى سماع أخباركم السارة ، حياكم الله وبياكم • كنت كتبت اليكم مرة ان شيئاً من الرسائل التي نشرتها في سبيل خدمة الادب في العراق لم يبق لديّ لاقدمه اليكم • وقد عثرت أمس في مكتبة في العاصمة على بضع نسخ من كتيب لي اسمه « الطلائع » أحببت ان اطلعكم عليه • فقدمت اليكم نسخة منه في البريد كهدية صغيرة ، لا لأنها تستحق ان تقرأ كعمل فني في الطريقة القصصية ، بل لانها من تجارب القلم في ايام البداية التي مضت وانطوت تحت ستار النسيان • ارجو ان تفضلوا عليّ بشيء مما تكتبون وتنشرون هذه الايام ، فإتني لا احصل من ذلك الا على ما تنشرون في مجلة الحديث ، مع ان اعدادها لا تصلني كلها •

هل يكتب اليكم الاخ الكيالي ؟ هل للأخ ان يعرفني بصديق له من هواة
جمع الطوابع فاني اريد أن احصل على جملة من الطوابع المصرية ، اعطي بدلا
عنها طوابع عراقية • ولست مطيلا فالى الرسائل التالية • واقبلوا مزيد احترام
اخيكم :

المخلص

محمود السيد

حضرة الاستاذ أمين حسونه المحترم

أخذت كتابكم الاخير . فشكرت لكم عنايتكم بارسال بعض الطوابع المصرية . وارسلت اليكم بالبريد رزمة مسجلة تتضمن كتابين : على طريق الهند ، والشعبية وهما يثلان احدث اتجاه لفكرة الشباب في العراق . اذا شئتم ان تأخذوا فكرة عن أصحاب هذين الكتابين الصادرين عن مكتب جريدة الاهالي ، فيمكنكم الرجوع الى الاستاذ الزيات . انهم معروفون لديه ، وأحدهم كان صاحبا حميما له . ولا استطيع ذكر أسمائهم او اى شىء عنهم الآن لانهم لا يرغبون في ذلك ، فاما اسم (جميل عبدالوهاب) الذى ترونه في غلاف على طريق الهند فلا يدل على المؤلف ، مع ان الرجل كان مساهماً في جريدة الاهالي مدة قصيرة . سألت لكم عن كتاب : سيرة غاندى . فقالوا لي ان ناشره رجل انكليزي اسمه المستر اندروز ويمكن الحصول عليه من جميع المكتبات التي تبيع الكتب الفرنسية في القاهرة . كما يمكنكم قراءة فصول من الكتاب مترجمة بقلم الاستاذ اسماعيل مظهر في المقتطف (الاعداد الصادرة منه في مارس ١٩٣٢ وما بعده) ، ولعل أصحاب المقتطف أو الاستاذ يستطيعون ان يعطوكم عنوان الناشر واسم مكتبته الي في لندن . اني لمعجب كل العجب باعمالكم الادبية والصحفية الكثيرة . وسوف تسجل لكم مفضرة كبيرة في عالم الادب حين اصداركم الترجمة العربية لقصة الينبوع . لقد وجدت لذة عظيمة في قراءة الفصل المقتبس منها في مجلة الاستاذ محمود بك تيسور يذكر فيه عزمه على قضاء الصيف القادم في الاسكندرية . ولي نية في السفر اليها بعد انتهاء اجتماع مجلس نوابنا . فعسى ان اوفق لذلك ،

لألاقي اخوانا لي لا أزال في اشد الحنين اليهم • ارجو ان ترفعوا لي آيات
احترامي وسلامي الى الاستاذ الزيات ، حين تلقونه او تكتبون اليه • واقبلوا
مزيد احترامي •

المخلص

محمود السيد

تمة : ان الكتاب الذي تفضلتم بارساله لم يصلني بعد • وقد طلبتم
مني ان اكتب اليكم عن الحركة الفكرية في العراق • ان اعمال مجلس النواب
الآن في دور تكاثرها وشدتها وانني استريح طيلة الصيف ، ثم اعاني عرق
القربة في هذه الايام • ولذلك تتعسر عليّ حتى مطالعة الصحف اليومية
ومباشرة شؤون العائلة والمنزل • فعسى ان تعذروني في الآونة هذه • وقد
استطيع موافاتكم بما تريدون ، في المستقبل ان شاء الله (وعيدكم مبارك) •

في ٤ ابريل ١٩٣٥

حضرة الاخ الاستاذ حسونه .

تحيات .

أخذت كتابكم المؤرخ في ٢٧/٣/٩٣٥ . وانا لا استحق شكراً على واجب . وان الذي ارسلته اليكم كان شيئاً قليلاً من المطبوعات العراقية الحديثة ، وعسى أن اتسكن من الزيادة . أما عن الروايات والقصص العراقية ، فهل في العراق ما هو جدير بسؤالكم عنه أو اطلاعكم عليه ؟؟ الصحيح يا أخي إنني مضطر الى الامتناع عن الاجابة ، خشية ان اقول الحقيقة المريرة فيحسب أحد ذلك مني اناية طاغية تدفعني الى الاستئثار والافتراء . ولم يطبع أحد حتى الآن ، غيري وغير انور شاول ، وهو فتى يهودي ، قصصاً تستحق الذكر . ونشرت بعض اقصيص في الصحف لشباب لم يتجاوزوا التحصيل في السنة الاولى الثانوية ، ولا العام العشرين من العمر ، لم أعن بها ، ولا أجد شيئاً منها الان .

أما انور شاول فيهوديته واتهامه بالصهيونية تبعدانه عنا كثيراً جداً . وتجدون نسخة من قصصه لدى الاستاذ تيسور بك ، تلقيت مجموعة اقصيص الدكتور ناجي المهداة من قبلكم وكنت قرأت الاولى منها بالمقتطف . ولست والله الحمد من الغرور بحيث اضع نفسي موضع الناقد لهذا الكتاب . ولكنني استطيع أن اقول على الاقل ان الدكتور ناجي يخلِّق بشعره في عوالم الفن الجميل أكثر مما يخلق بالاقصوصة . فقصيدته قلب راقصة المنشورة بالمقتطف قبل ٣ سنوات - على ما اذكر - خير من جميع اقصيصه . وارى أخطاء نحوية في نثر الدكتور ولكنها قليلة جداً لا تكاد تبين . والاطعنا النحوية ظاهرة ملازمة لكثير من القصص التي يكتبها ابناء المدرسة الحديثة في بلادنا . ومعدرة لهذه الصراحة .

اسألکم عن جماعة العشرين التي اردتم تأسيسها ، ماذا فعل الدهر بها
الآن ؟

اشکرکم جزيل الشکر على اهتمامکم بسفري الى مصر • نحن الان
في حالة تشبه الثورة • واليهاج قائم ضد مجلس النواب العتيد • وربما
حلته الحكومة بعد بضعة أيام ، لاجراء انتخاب جديد • فان جرى ذلك
فسوف اسافر الى مصر - ان لم يعقني عائق غير منتظر - في العاجل القريب ،
لكي اتم زيارتي أياها قبل اشتداد حر الصيف • وان لم تحل الحكومة ،
فسوف يمتد اجتماعه الى نهاية الصيف • واذن سوف ازور مصر في اواخر
الصيف ، وسوف يكون السفر من جهة بيروت فالاسكندرية • سعت ان
السائح المصري محمد ثابت قد كتب في كتابه عن (العراق وايران والشرق
الادنى) اشياء غير صحيحة عن بغداد والعراق • وبما ان لكتابات هذا الفاضل
اهمية في مصر - على ما أعلم - رغبت كل الرغبة في تصحيح ما كتبه ، بنقد
لين انشره في مجلة (الحديث) العلية او في (الرسالة) • وقد اشترت
جميع كتبه عن اوربة وافريقية والهند والصين واليابان ولكن كتابه (عن العراق
والشرق الادنى) لم يحصل لي في بغداد • فهل يمكنکم التفضل بأرساله لي
من مصر ؟ اشکرکم على ذلك كثيراً ، سلفاً • يؤسفني ما كتبه المحامي لظفي
جمعة عن العرب والعراق في كتابه ؛ (حياة الشرق) وقد ارسلت ردأ عليه الى
الاخ سامي الكيالي • لانه أحدث استياء شديداً في بغداد •

أرجو لكم كل التوفيق في خدمة الادب والصحافة والفن • ودمتم
لاخيكم المخلص •

محمود السيد

الاعظمية ١٢ فبراير ١٩٣٥

أخي الاستاذ أمين حسونه المحترم

تحية واحتراماً

تسلمت كتابكم الكريم المؤرخ في ٧/٤/١٩٣٥ فاكبرت همتمكم التي تبذلونها في سبيل الادب الحديث والصحافة ، وأعجبت بجهدمكم الذي تنفقونه في ترجمة رواية The Fountain ، التي تؤمل أن نقرأها من قلمكم الساحر في العاجل القريب . فأما ما بينتم لي عن حياة الاسكندرية والمصايف المصطنعة فكنت سامعاً مثله من أحاديث الاصدقاء الذين زاروا تلك الاماكن ، فلم اصدق من قبل . وانا الان مصدق ماسمعت . على أنني، على كل حال ، لامحيص لي من زيارة القطر المصرى للمشاهدة والدرس وزيارة الاصدقاء . وقد زرت ايران وسورية ولبنان ؛ فاصبحت زيارة القاهرة وتركية فرضاً عليّ الان . لقد سألت لكم عن مذكرات غاندى بقلمه . ان هذه المذكرات نشرت بصحيفة « الاهالي » اليومية ، التي اتهمت بالاشتراكية المتطرفة فحاربتها الحكومة ثم اغلقتها الى مدة سنة كاملة . وادارة الاهالي لا وجود لها الان بصفة رسمية . ولم تطبع المذكرات في كتاب مستقل لتباع في المكتبات . لذلك يصعب الان الحصول عليها ؛ ولكننى سوف ابذل كل ما أستطيع من مساعٍ ، عسى أن أحصل على الاعداد التي نشرت فيها المذكرات ، من تلك الجريدة لاقدمها اليكم . ان كثيراً من مثل هذه المذكرات والكتب الثمينة تترجم عندنا للصحف اليومية وتنشر فيها ثم تضيع وينساها الناس لان اصحابها لا يجمعونها ولا ينشرونها في كتب مستقلة لانهم لا يؤملون منها أى ربح . والناشرون عندنا لا يخرجون عن كونهم وكلاء لتصريف المجلات والكتب الخارجية ، اى تجار لبضاعة مستوردة لان بيعها وتصريفها اسهل من بيع البضاعة المحلية واسرع ربحاً . ولا تنشر عندنا سوى الكتب المدرسية لسرعة رواجها . وهذا ما يؤسف له كل الأسف .

تلقيت من الاستاذ تيمور بك كتابه : الاطلال قبل بضعة أيام ، وها أنا ذا
اكتب اليه الجواب في هذه الساعة • لقد أعجبت بخاتمة الاطلال فانها رائعة
حقاً • وبعد فارجو ان لا تقطعوا رسائكم عنا وتفضلوا بقبول مزيد الاحترام
من اخيكم •

محمود السيد

القاهرة في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧

حضرة الاخ العزيز الاستاذ أمين حسونه •

كنت ، حين قدمت مصر ، مريضا متعبا « مهموما » ، فلم استطع التمتع
بجالس ادبائها والصفوة من ابنائها كما كنت اؤمل من عهد بعيد • وأسفت
كل الاسف لتركي اياها مضطراً ، شاخصا الى رأس البر ، المصيف الجميل
الذي أقمت فيه أكثر من شهر ، فعادت لي صحتي - على ما فيها من نقص
مستديم - وحمدته وشكرته تعالى على هذا التوفيق • وكان مما أسفت عليه
لطفكم الذي توسمته في جلسة قصيرة واحدة ، مع السيدة المحترمة نظله
هانم الحكيم ، التي رافقتها في صباح اليوم التالي - ليوم مقابلتنا - الى رأس
البر • وكانت هي الاخرى مريضة وفي حاجة الى العناية ، وكان زوجها
ذاهباً الى اوربة وقد يسرك ان تعرف أنها انتت عليك ثناء جماً ، وأعجبها منك
حوارك واهتمامك بما تهتم به - هي - من شؤون علمية • وكنت معها
وزوجها الكريم في الاسكندرية ، قبل العودة الى القاهرة اخيراً ، ومع اختها
الادبية المعروفة زينب هانم الحكيم ، التي يسرها ان تراك اليوم - اذا شئت
و شاء الدكتور ناجي - الذي لم يهجر الادب ، كما قال في مقدمته على مجموع
قصصه • وليست هذه « عزومة » ، وانما هي سبب للقاء والتعارف • فتنفضل
بعد الساعة الواحدة في اوتيل ايكستادي ، أو في قهوة الامريكان المجاورة
له ، وسوف اذهب واياها قبيل الساعة الرابعة الى مستشفى قصر العيني
لزيرة أديب مريض راقد هناك بعيداً عن مسرات الحياة ولذة العيش منذ
عهد غير قليل ؛ وهو الدكتور سعيد عبده مؤلف « الجمعية اليتيمة » ولعلكما
ترحبان بفكرة زيارته اذا كانت لكما به معرفة • انا ذاهب اليوم الى الدكتور
احمد مرعى في الساعة ١٢ ظهراً لفحصي بالاشعة وسوف اعود توأ الى الاوتيل
او الى القهوة المذكورة آنفاً على امل لقايا الاصدقاء الاوفياء الكرماء للغريب •
ودمت لأخيك •

محمود السيد

القاهرة في ٢٤ ايلول السنة ١٩٣٧

أخي الاستاذ حسونة المحترم

تحيات واشواق كثيرة •

ان الفحوص مستمرة ومراجعاتي للاطباء لم تنقطع ، والله الحمد على كل حال • وقد اضطررتني هذه الظروف السيئة الى العجز عن اداء واجبات الصداقة نحو اخواني الادباء المصريين • ورجعت في هذه المدة الى الدكتور عبدالوهاب مورو ، فلم أستطيع الاتفاق واياه على شيء • واتفقت أمس مع الدكتور عبدالله بك الكاتب على اجراء العملية اللازمة • ودفعت له الاجور المطلوبة • وسوف ادخل مستشفى الروضة في شارع الاخشيد بجزيرة الروضة غدا صباحا ، ويحتمل اجراء العملية بعد ثلاثة ايام • لقد كنت متعبا في هذه الايام • وصممت على التخلص نهائيا من العلة التي اصابتي فكرهت معها الحياة • وعسى ان اشفى قريبا فأعود الى الحياة الاجتماعية الطيبة في هذا البلد، وأراكم بخير ان شاء الله • الى اللقاء أيها الاخ الكريم •

تلقيت عدد الصباح المنشورة فيه كلمتكم العاطرة ؛ فشكرت لكم هذا اللطف النبيل • وان تحيتكم لي لمن أجمل التحيات • وسوف أحافظ على هذا العدد للذكرى • وعسى ان تفضلوا فتكلفوا ارسال العدد الاخر الذي نشرت فيه صورتي ، بعنواني في مستشفى الروضة ، وارجو ان تقرأوا الاستاذ محمود بك تيمور تحياتي حين عودته الى العاصمة ، وان تنقلوا اليه احترامي ، والى الاستاذ الدكتور ناجي الذي لم تتمكن من التعرف اليه ويا للأسف • ودمتم لآخيكيم •

محمود السيد

القاهرة في ٨ يولييه

حضرة الاستاذ الكريم

لقد جئت القاهرة ، وانا مريض وفي عزمي دخول مستشفى (مورو)
لأجراء عملية جراحية . ومع اني لم أزر احداً بعد ، قد علمت بمروري على
الزمالك مع السنهوري بك عميد كلية الحقوق : ان الصديق محمود بك
تيسور غير موجود في مصر . فهل يمكن ان تتفضلوا باعلامي بعنوانه
الآن ؟

ان عنواني هو :

محمود أ . السيد بواسطة الاستاذ مظهر بك سعيد

٥ شارع هارون . الجيزة ، اورمان

القاهرة

وارجو ان تكونوا في خير . ودمتم محترمين

لاحقة : كتبت هذا في دار البريد فمعذرة

محمود السيد

٣. الى انستاس الكرمليني

مجلس النواب

ديوان الرئاسة

خاص

الى حضرة الاستاذ انستاس ماري الكرمليني المحترم
تحية واحتراماً وبعد فأرجو منكم أن تعلموني هل صحيح ان اللون
الازرق يعتبره بعض الاقوام رمزا للتفاؤل والامل ؟ وان هذا اللون قد اقتبس
للراية الفرنسية لهذا السبب ؟ فان الالوان قد اتخذت منها رموز شتى في
بعض ادوار التاريخ الماضية كما لا يخفى عليكم فمنها الاحمر مثلا الذي جعلوه
شعارا للثورة ، والايض الذي جعلوه شعاراً للسلام . وعسى ان تفضلوا
بافادتي بجوابكم بالبريد ، ولكم الفضل اولاً واخراً والسلام .

٢٨ تموز سنة ١٩٣٥

المخلص

محمود السيد

بغداد

في ٣ نيسان ١٩٣٦

حضرة العلامة الجليل

تحية واحتراماً . كنت أود زيارتكم اليوم للاستفادة من فضلكم ، فلم
استطع ذلك ويا للأسف . وقد كلمت بعض الموظفين في ديوان « الكمرك »
امس ، حسب اشارتكم ، وعسى ان تنتهي القضية غدا ، انشاء الله ، على
ما تحبّون .

ارجو ان تفضلوا بكتابة عنوان الدكتور فيدمر الذي ذكرتموه لي
بالتلفون ، في البطاقة التي قدمتها مع هذا الكتاب • ولكم الشكر الجزيل
سيدي •

المخلص

محمود السيد

لاحقة

سمعت نبأ عن دكتور الماني اسمه أ • شاده يعني بدراسة الادب العربي
الحديث فهل تعرفونه ؟

أدامكم الله تعالى ذخرا لنا • ودمتم

سيدي حضرة العلامة المحترم

تشرفت برسالتكم في الكتابة العربية المنقحة التي تفضلتم باهدائها الي •
وقد تصفحتها فالفيتها آية من آيات الابداع في لغتنا ، وقد جاءت الدليل
الواحد بعد الالف على تبريزكم على الاقران في سعيكم في سبيل النهضة العلمية
الادبية العربية ، وابلاغ العرب الحقوة العالية - التي يصبو غياراهم اليها -
والتي هم جديرون بها بين راقيات الامم في هذا العصر • فشكرا لكم ثم
شكراً •

وتفضلوا بقبول مزيد احترامي سيدي •

بغداد في ١٩ نيسان ١٩٣٦

المخلص

محمود السيد

سكرتير مجلس النواب

بغداد في ٢٨ نيسان ١٩٣٦

سيدي العلامة المحترم

تشرفت ببطاقتكم المؤرخة في ٢٦/٤/١٩٣٦

وشكرت لكم حسن اهتمامكم بكتابي الذي عزمتم على نقل ما فيه الى الدكتور ويدمر . على اني مع ذلك أرى ان لا فائدة في الالتفات الى الماضي بالنسبة الينا نحن الشباب من أهل الادب ، لاننا لم نكن فيه الا مبتدئين .

فعلينا ان نبرهن الان على سعينا الصحيح المثمر ، في مضمار التأليف الادبي الحديث .

وقد ارسلت الى الدكتور رأساً بعض ما وجدت في مكتبات سوق السراي من كتبي القديمة ومقالاتي ، وعسى ان اظفر بغير هذا البعض ، في المستقبل ، فارسله اليه .

وسوف اقدم بالبريد القادم ، الى حضرة الاستاذ بعضاً من كتبي لحفظها لديه اذا شاء والفاها جديرة بالحفظ .
وتفضلوا بقبول مزيد احترامي .

المخلص

محمود السيد

حضرة الاستاذ العلامة انستاس الكرملي المحترم

تحية واحتراماً

وبعد فاني لفي شوق الى استماع آراء الاستاذ في علوم اللغة والاداب ،
ولكن صروف الايام تحول بيني - ويا للاسف - وبين ما اتمنى • ارجو ان
تكونوا في خير وسرور دائمين •

هل يتفضل الاستاذ عليّ بعنواني مصطفى جواد وماسينيون ؟ واني
ما زلت شاكراً لكم فضلكم ، وتقبلوا مزيد احترامي سيدي •

بغداد في ٩ ايار ١٩٣٦ •

المخلص

محمود السيد



التاريخ رواية
جمال السيف أبطالها
ومستقبل حملة القادس

في كنفه
تعدوا



محمود احمد السيد وحسين الرحال



١٩٢٠







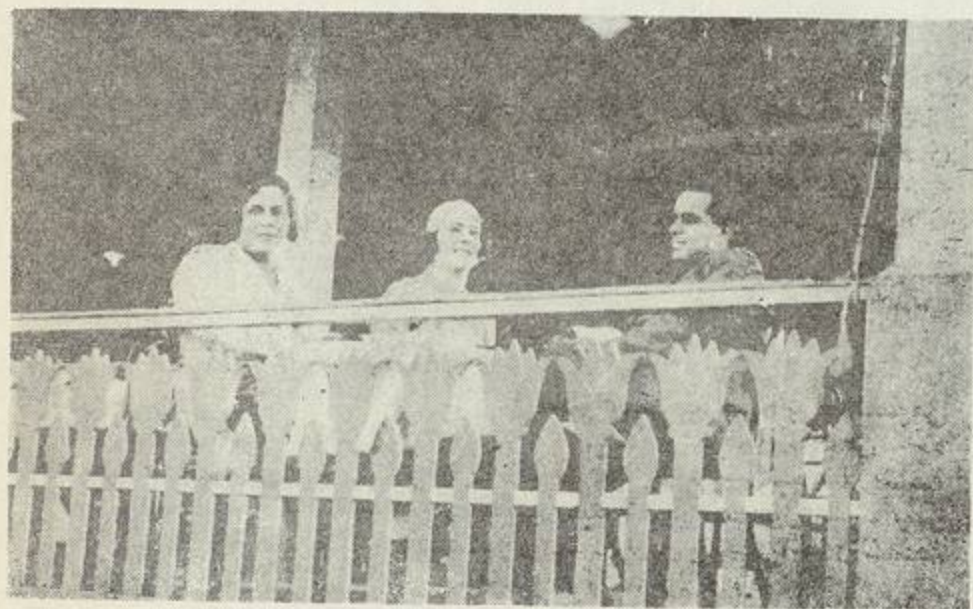
حوالي ١٩٣٥



حوالي ١٩٣٥



ايام مرضه الاخير



محمود احمد السيد مع نظلة الحكيم وزينب الحكيم
في مصر (راس البر) ١٩٣٧

فهرست

١٤-٥	١ - المقدمة
١٥	٢ - أعمال المرحلة الاولى
٧٦-١٧	في سبيل الزواج
١٢٤-٧٧	مصر الضعفاء
١٧٤-١٢٥	النكبات
١٢٣	ابطال الخمرة
١٢٨	بين سكان القبور
١٤١	الصعود الهائل
١٤٥	في سبيل الزواج
١٥١	سطران من حكاية
١٥٥	قصة الضعيف
١٥٩	ناصح القوم
	صحيفة سوداء
	في تاريخ اسود
١٦٤	ملحق (١)
١٧٨-١٧٥	الشبح
١٧٧	السهام المتقابلة
٢٢٠-١٨٩	الرسالة الاولى
١٩١	الرسالة الثانية
١٩٤	الرسالة الثالثة
١٩٦	الرسالة الرابعة
١٩٨	الرسالة الخامسة
٢٠٠	الرسالة السادسة
٢٠٣	

٢٠٧	الرسالة السابعة
٢١٠	الرسالة الثامنة
٢١٤	الرسالة التاسعة
٢١٦	الرسالة العاشرة
٢١٨	بعد الرسائل
٢٦٤-٢٢٠	مكتبة الشبيبة
	١ - هياكل الجهل
٢٢٥	١ - الكتب
٢٢٨	٢ - النابغة
٢٣٠	٣ - رواية بنت القمر
٢٣٢	٤ - السيدة
٢٣٨	٥ - الشباب المتمدين
٢٤١	٦ - الذئب البشري
	٢ - القلم المكسور
٢٤٩	١ - آراء وافكار
٢٥١	٢ - الحكمة العجوز
٢٥٤	٣ - المعرك الادبي
٢٥٨	٤ - ادب اليوم
٢٦٢	٥ - نظرات شاب
٢٦٧	اعمال المرحلة الثانية
٢٦٩	١ - جلال خالد
٢٤١	٢ - الطلائع
٢٤٥	الطالب الطريد
٢٥٩	جلال خالد
٢٦٧	مجاهدون
٢٨١	انقلاب
٢٩١	جماح هوى
٢٩٩	سكران
٤٠٦	رسالة هجر

٤١٥	أوتسهرين
٤٢٢	حادثتان
٤٢٦	البعث
٤٣٤	بعض قصص تركية
٤٤٨	أظن
٤٥٣	٣ - في ساع من الزمن
٤٥٩	بداي الفايز
٤٦٧	أبو جاسم
٤٧٥	الدفترا الأزرق
٤٩٠	نكتة العمامة
٤٩٨	عاتكة
٥٠٨	الذكرى
٥١٢	رصاصة في الفضاء
٥١٩	طالب أفندي

ملحق (٢)

٥٣١	أقاصيص
٢٣٣	ثورة على أبيه
٥٣٨	شكوى
٥٤١	عبد اللطيف بك
٥٤٤	شهادة
٥٥١	رسائل

ملحق (٣)

رسائل

٥٥٧	١ - إلى سامي الكيالي
٥٦٣	٢ - إلى محمد أمين حسونه
٥٨٣	٣ - إلى أنستاس الكرملين

تصميم الغلاف : نضال الاغنا
التصميم الداخلي : خضير عباس اللامي
الخطوط : رضا الخطاط

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٢٢٥ لسنة ١٩٧٨

١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

دار الحرية للطباعة ببغداد

